

المستشار

محمد مرشدي بركات

الواحات المصرية كنوز تاريخية

رحلات في الزمان والمكان



مكتبة حورية الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

رحلات في الزمان والمكان

المؤلف : المستشار محمد مرشدي بركات

رقم الإيداع : 2017/9000 م

الترقيم الدولي : 978-977-6565-81-4

الطبعة الثانية 2017



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

.. إلى والدي الكرام رحمهما الله رحمة واسعة .. وأنزلهما
فسيح جناته..

.. وإلى أبنائي الأعزاء ..

.. المستشار خالد القاضي بمجلس الدولة الذي وسَّده الله
سبحانه وتعالى كرسي القضاء ليكون نبراساً للحق، والذي
كان محلاً لدعوات مباركات من إمام الدعاة الشيخ محمد
متولي الشعراوي.

.. وإلى ابن شقيقي المستشار خالد محمد عبد الله بركات
رئيس المحكمة الاقتصادية بالإسكندرية الذي خصه الداعية
والعالم الجليل بدعاء له، قال فيه: «اللهم اجعله جندياً من جنود
الحق»، وقد كان. حيث أصبح قاضياً عدلاً كريماً..

.. وإلى كريمتي الأستاذة «سارة» التي أكرمها الله كذلك
بالمَنْصب القضائي في النيابة الإدارية وأضحت وكيلاً للنيابة،
وأشاد بها أساتذتها وزملائها بجهدهما المشكور وغير المنكور في
عملها القضائي الذي شرفها الله به.

.. وأضرع إلى المولى سبحانه وتعالى أن يكلاًهم الله بعنايته
ورعايته مؤملاً لهم جميعاً مستقبلاً زاهراً وحياء رغدة ملؤها العلم
والتقوى والإيمان.

المستشار

محمد مرشدي بركات

■ ■ المقدمة

هذه رحلات عبر الزمان والمكان من خلال المشاهدة وثنايا القراءة
ونبض الوجدان.

.. والواحات المصرية لها في ضمير الدهر سر كامن لا بد أن
تستله الأقدار.

.. مع بعد الدار ومشقة المزار شددت الرحال إليها مع رهط من
زملائي منذ أمد بعيد .. بيد أنني أومل أن أووب إليها ذات يوم
قريب ، إذا مد الله في العمر .

.. فهاتيك المنى إن تكن حقاً أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها
زمناً رغدا .

.. فهي مع بعدها عن حظيرة الوطن العديد من الفراسخ والأميال ،
وإن كانت عيناً خيفاء ، فإذا عنَّ لك أن تشاهدها فهي عين حواء .

.. كانت رحلة في غضون شهر يناير عام 1954 بدأت من
الفيوم إلى الجيزة لمشاهدة أثارها ، ثم يمينا وجهنا إلى الواحات .

.. والواحات تضم بين جنباتها ألواناً من الجمال والجلال لا
محيص لك أن تجوس خلالها تحلق في أجواز الخيال، ولن يتطرق
إليك السأم ، أو ينحرف بك الفكر ، أو يخونك الذكر ، فجمالها
تعجز اليراعة عن تبيانه ، ويقصر دونه البلاغ أو الإبلاغ.

.. ومع جمال وبهجة الواحات في الليالي الدهم والعشايا الجهم
إلا أننا كنا نتعجل أن يذهب الليل إلى إدبار ويطلع النهار ، ونتذكر ما

كنا ندرسه آنذاك في مدرسة الفيوم الثانوية ونحفظ أبيات الشعر التالية ل « إمرئ القيس » حيث كان يقول في معلقته ، عن الليل :

وَلَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُدُوكَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لَيْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكَلِّكَ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبحٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فِيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَانَ نَجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيذْبَلِ

.. ومع أن الشمس حال سطوعها ، ومع توسطها لكبد السماء ومع ارتفاع حدة الحرارة والشمس لا تفارقنا مع إنسدال خيمتها على الأرض وكأنها عالقة في منتصف السماء لا تريم ننتظر أن تطفل الشمس مرة أخرى وتظل هكذا دواليك. إلى أن يرث الله الأرض وما عليها

.. كنا نرجو أن تفارقنا.. فما أروع الليل في الواحات. وكنا نتأرجح بين جمال الليل وبهجة النهار!

.. شخصت إليها ودلجت فيها ومشيت على أديمها منتشياً جزلاًنا أرنو إلى صحرائها ، وأدق نظري إلى رمالها فما ألفت إلا أن أرى أمامي جنة خضراء لا يعيها أن رمالها صفراء فهي خميلة وارفة الظلال ، هي جنة خضراء يصدق عليها ما قاله أمير الشعراء ووقر في أذهاننا إبان دراستنا في مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بمحرم بك بالإسكندرية في المرحلة الابتدائية ، والتي قال فيها :

وخميلة فوق الجزيرة مسها ذهب الأصيل حواشياً ومتونا
كالتبر أفقاً ، والزبرجد ربوة والمسك تريباً ، واللجين معينا
وقف الحيا من دونها مُستأذناً ومشى النسيم بظلمها ماذونا

.. فالواحات كنوز مصرية .. كنوز مصر الخالدات.

.. فالواحات هي جنات تجري من تحتها الأنهار سواء في حلقة الليل أو رابعة النهار حيث نبصر في الليل نجوم سكة التبانة ، وظهور النجوم المزدوجة ناهيك عن النجوم الجواله.

.. فاتحة الكتاب ..

.. منهومان لا يشبعان .. طالب علم وطالب مال .

.. وقد علمني والدي ووالدي رحمهما الله أن أطلب العلم ،
وكان والدي يردد على مسمعي دائماً : العلم .. العلم .. محفزاً إياي
على السعي حثيثاً وراء العلم فهو الباقي للإنسان على مر الزمان .

.. تأجج حب العلم في سويداء قلبي وما شبت منه إلى الآن
ومن ثم فإني أسعى إليه في شتى مناحيه ومراميه استثناساً بقول الله
تعالى في كلمته المباركة التي أنزلها على رسوله .. « إقرأ » ، وكذلك
ما جاء في الكتاب المقدس : « في البدء كانت الكلمة » .

.. ظلت أقتني الكتب ، ولما زلت أقتنيها أمعن نظري فيها وأنعم
فكري قائلاً : هل من مزيد؟

.. وأذكر في هذا الخصوص أن الجاحظ ظل يطوف دكاكين
الوراقين يعرض بنواجذه على الكتب حتى كانت السبب في موته ،
فلكثرها سقطت ذات ليلة عليه فأودت بحياته .

.. واقترن عشقي للكتاب بحبي للرحلات والتجوال والترحال
في شتى بقاع أرض مصر ، ولا أغالي إذا قلت إنني وقد انداحت
رغبتني في سبر أغوار ما تكتنزه مصر من لوحات الجمال وما يحيط
بها من الجلال في شتى بقاعها وكامل أصقاعها أدمنت التطواف

حولها بدءاً من مدينة الإسكندرية ، وكذلك رشيد إلى أسوان مروراً بكامل محافظتها ومشياً عبر صحاريها وفيافيها ، وجبالها الشاهقة التي تطاول السماء فخرجت من الوادي الضيق إلى ضفاف نهر النيل حيث الرحبة والاتساع .

.. فثمة علم كامل باسم مصر يدرس في المعاهد والكليات في شتى أنحاء المعمورة يتخصص فيه الباحثون وطلاب العلم والعلماء يعكفون على استكناه هذا العلم الذي هو علم الإيجيبتولوجي Egyptology فمصر تتفرد وتتفرد دون بقية بلاد العالم بأنها درة الأوطان و فاتحة الزمان تمتلك دون غيرها كنوزاً تشد الأنظار وتجذب الأخيار والأشرار بمعابدها وقصورها وروعة أثارها ومحمياتها الطبيعية التي تضرب في أعماق الزمن مشرّبة تتحدى الأحقاب والأزمان ويعجز أن ينال منها الحدثان .

.. « أليست هي مصر التي كانت مسرى الأنبياء بدءاً من « إدريس » ، وأبو الأنبياء « إبراهيم الخليل » و« يوسف الصديق » ، وكليم الله « موسى » ، وروح الله « المسيح عيسى بن مريم » عليهم جميعاً السلام ؟

.. أحب مصر أهلوها وبنوها ، وهام بها زائروها ، وتملك سحرها قلوب المقيمين فيها والوافدين عليها ، وكل من مكث على أرضها أو ترعرع بين أرجائها ، أو شرب من ماء نيلها ، أو تغذى من خيراتها ، أو اختلط بشعبها . فالجميع لا يود مفارقتها ، أو الترحال عن أرضها فمصر درة الأوطان ، و فاتحة الزمان . إذا تسلل الكرى إلى من هواها : والكل يهواها . فهو نائم يقظان ! ، متمثلاً بقول « قيس بن ذريح » :

وإني لأهوى النوم من غير نفسٍ لعل لقاء في المنام يكون ! (□)

.. يعود تاريخها إلى ملايين السنين وقد أزهرت بين جنباتها الحضارة الفرعونية العظيمة بدءاً من أهرامات الجيزة ، وأبي الهول ، وهرم سقارة المدرج ، ناهيك عن معابدها المهيبة معبد أبي سنبل بأسوان ، والكرنك ، ومعبد الأقصر ،

(1) المستشار محمد مرشدي بركات هموم مصرية دار المعارف 2013 .

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

وكذلك دندرة ، والدير البحري ، غربي النيل بالأقصر . حيث يوجد بها مستودع آثار مصر من معابد الرمسيوم ، وادفو ، وكوم أمبو . بالإضافة إلى جبانة تونة الجبل ، ومقابر بني حسن ، وتل العمارنة ، والمسلات الفرعونية التي نقل الناقلون بعضها إلى بلاد بعيدة مثل فرنسا وإنجلترا وأمريكا هذا مع العمارات المختلفة منذ عهد أحمد بن طولون ، والعمارة الفاطمية التي تراها في سور القاهرة القديمة ، وقلعة السلطان قايتباي ، والسلطان قنصوة الغوري ، وبيت السحيمي ، وبيت زينب خاتون .

.. وهل يغيب عن الذهن سلسلة جبال البحر الأحمر الشاهقة التي تشهد على عظمة الخالق والتي تحتضن سيناء وتطاول السماء وتنحدر على شاطئ فيرزوي جميل أخاذ ، حيث توجد مغارة كبيرة تحتضن جبالها ويخارج منها مياه كبريتية ساخنة يرتادها المرضى وتشفي أمراض الصغار والكبار ، وكذلك حمام موسى والقرى التي تغازل دوماً شاطئ البحر ، وكذلك نويبع ، ودهب ، ومحمية رأس محمد ، التي تزخر بالمناظر الطبيعية الخلابة من أشجار المنجروف التي تنبت ومن عجب في المياه المالحة .

.. وعندما تجولت مرات ومرات بصحبة أولادي خالد وسارة في مدينة سانت كاترين وتجولنا داخل الدير الرهيب الذي يحمل اسم هذه القديسة .

.. توقفنا كثيراً عند ما يحويه هذا الدير من مكتبة ضخمة فخمة تحوي المخطوطات الأثرية ، والأناجيل المقدسة التاريخية ورفات القديسة كاترين التي كانت بنت حاكم الإسكندرية إبان حكم الإمبراطور الروماني مكسيمانوس (305-311م) وتحولت للمسيحية في ظل حكم وثني ومن أجل أن ينتزعها الإمبراطور من المسيحية أصدر أوامره إلى 50 حكيماً من حكماء عصره أن يناقشوها ويجادلوها في سبيل دحض براهينها عن المسيحية إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل ، وجاءت النتائج على خلاف ما هووا وتمناه لدرجة أن هؤلاء الحكماء ما لبثوا أن انضموا إلى صفوف المسيحية ، وحذا كثيرون حذوهم

وكان من بينهم أقرباء للإمبراطور من رجال البلاط، فلجأ مكسيمانوس لتعذيبها، وأمر أن تصنع عجالات يبرز منها مسامير ورؤوس سكاكين مدببة ليضعونها فيها ولم يؤثر هذا على إيمانها مما دفع أحد الجنود لقطع رأسها.

.. وتشير روايات رهبان دير سانت كاترين إلى «قصة ظهور جسمان القديسة كاترين بعد مضي خمسة قرون على استشهادها، وأن الملائكة حملوا بقايا جسمانها ووضعوها فوق قمة جبل قرب الدير، فصعد الرهبان للجبل ليجدوا بقايا الجسمان عند صخرة بهذا الجبل الذي سمي جبل سانت كاترين يرتفع 2642 مترا فوق مستوى سطح البحر، وقد نقلت حسب المعتقد الراسخ بين رهبان الدير من الإسكندرية إلى هذه الصخرة بواسطة الملائكة ثم نقل الرهبان رفات القديسة من الجبل للكنيسة الرئيسية بالدير، ومنذ ذلك العهد العهد أطلق على الدير اسم سانت كاترين وقد كان يطلق عليه دير طور سيناء ووضعت رفات القديسة في صندوق ذهبي بمذبح الكنيسة» .

.. وقد تجولنا في مدينة العريش منذ سنوات خلت بناء على طلب نجلي عقب مذبحه معبر « أبو سالم » وتعرضنا للضرب بالرصاص لولا جنود جيش مصر الميامين ومررنا عقب زيارتنا لها من مدينة القنطرة على بحيرة البردويل غرب العريش حيث يوجد بها موقعان أثريان هما « الفلوسبات » و« الجوبيات » ورأينا العديد من الطيور المهاجر إذ أن هذه البقعة من بقاع مصر والتي تمثل جسراً بين قارات آسيا وأفريقيا وأروبا ، هاتيك الطيور تهاجر من شرق أروبا وشمال غرب آسيا وروسيا وتركيا في طريقها إلى وسط وجنوب شرق أفريقيا هروباً من صقيع الشتاء بحثاً عن الغذاء . حيث سجل العلماء 270 نوعاً من الطيور أهمها البجع والبلشون والقلق والسمان والكروان والنورس وخطاف البحر والغراب والهدهد والأبلق .

.. كما يعيش في هذه المحمية أنواع الطيور المختلفة منها المسكاء والنكات وأبو الرؤوس ، والخطاف الصغير ، وتضم بحير الزرانيق .

.. كما يعيش بين ظهرانيها 19 نوعاً من الثدييات كاليربوع والقنافذ وثعلب الفنك (الذي سوف نذكره في صفحات تالية بأنه يعيش في محمية وادي الريان) ، وكذلك قاضي الجبل والحرباء ، والحية القرعاء .

.. أما رأس سدر فقد شاهدنا من آثارها قلعة من الصخر أسسها صلاح الدين الأيوبي لتأمين مسار الحجاج المتوجهين إلى مكة المكرمة ولتحصينهم ضد الهجمات المحتملة من الصليبيين ، ويوجد بها كذلك جبل المغارة الذي كان يستخرج منه الفراعنة النحاس والأحجار الكريمة والفيروز .

.. وهذا الكتاب يضم بين دفتيه ذكريات رحلة قديمة إلى الواحات المصرية قمنا بها في فجر النصف الثاني من القرن العشرين وأضفنا إليها ما جد من خلال قراءاتي وآثرت في حينها أن أسجل نتفاً منها في مجلد أسميته (اليوميات) أنقله اليوم إلى رحابة هذا الكتاب من خلال ما شاهدته وما قرأته عن هذه البقعة الغالية من بقاع مصر والتي تحوي بين ربوعها آثاراً عديدة من الحقب الفرعونية والرومانية والقبطية والإسلامية حيث كانت إحدى مدنها وهي الخارجة ترتبط بوادي النيل بعدة طرق للقوافل عبر درب الرفوف ودرب أبو سروال ودرب دوش ، وكان يمر بها أيضاً درب الأربعين الذي يربط مصر عند أسيوط بدارفور والسودان وكان يسمى درب الواحات ، وقد ورد اسمه في نقوش الدولة المصرية القديمة ، وكذلك كانت ترتبط بطريقتين أحدهما درب العباري ، والأخر درب عيد أمور .

.. ومازلت أتذكر أنه إبان زيارة النائب العام المستشار « محمد ماهر » لنيابة الأقصر أنه وهو وقوف بين رهطٍ كبير من رجال النيابة تفضل فسأل عني فأشار له أحد الزملاء الأفاضل وقال له : هاهوذا ياسعادة النائب وأشار إلي . فما كان من المرحوم النائب العام إلا أن مد إليّ يده مصافحاً وشد عليها وقال لي :

.. « لقد سمعت عنك شكراً حقيقياً .. ثناءً حقيقياً »

.. فشكرته فما كان من صديقي وأستاذي المستشار صلاح جيرة طيب الله ثراه

إلا أن ضغط على كتفي وقال لي : أطلب منه أن ينقلك إلى القاهرة . فأبيت مفضلاً بقائي في مدينة الأقصر عن الذهاب إلى مكان آخر . وجاش بخاطري آنذاك أن أطلب منه نقلي إلى الواحات بيد أنني تراجعت خجلاً وحياءاً .

.. كذلك ما زلت أتذكر أنني أنهيت إلى المستشار الوزير « أنور أبو سحلي » وزير العدل أنني أرغب في أن أعمل قاضياً بالواحات .. إن كان هناك من محاكم ، وكان ذلك عندما تفضل وزارني في حجرة المداولة أثناء رئاستي لمحكمة الأقصر وعندما سألني : لماذا الواحات ؟ .

.. أجبته : ذهبت إلى الواحات زائراً .. وأتمنى أن أعمل فيها قاضياً .

.. الواحات المصرية هي كنوز مصر الذهبية .

.. وهاك ذكرياتي عبر رحلة لم تمحها الذاكرة .. فهاتيك الذكريات ما ماتت ولكنها عاشت في سويداء القلب حتى الآن رغم مرور العديد من السنوات .

المستشار

محمد مرشدي بركان

رأس سدر جنوب سيناء

دير سانت كاترين

طابا

تعدد صحراوات العالم

.. تتعدد الصحراوات باختلاف بلدان العالم فمنها الفسيح ومنها الصغير وعلي سبيل المثال فمساحة الصحراء الملونة painted dessert ... والصحراء الكبرى هي في اتساع الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها .

.. وبعض الصحاري في مستوى سطح البحار ، وتنخفض أسفل هذا المستوي في أماكن معينة (□) ، وتقع بعض الصحاري علي هضاب مرتفعة . و سطح بعض الصحاري متموج يرتفع في أماكن من الجبال صحاري معينة فتقسمها إلى أجزاء . كما تقسم الجدران ، حتي أن الخبراء لا يستطيعون أن يقولوا أين تقع حدود الصحراء بالضبط .

.. وليست صحاري العالم جميعا ذات شكل مماثل . ففي صحاري قليلة فقط، نستطيع أن نري الكثبان الرملية التي تجرفها الرياح ، بل أن شتي أجزاء الصحراء تبدو مختلفة تماما ... وكذلك النباتات تتباين هي الأخرى ، ناهيك عن الحيوانات التي تتنوع بتنوع الصحراوات . بيد انها تتشابه جميعها في مظهر واحد فقط وهو ندرة الماء ، مع أن من هاتيك الصحاري ما يوجد فيها ماء وفير ولكنها كالجليد مثل الأرض التي تقع شمالي الدائرة القطبية وتسمي الصحراوات الباردة .

.. وكلمة صحراء : مشتقة من كلمة لاتنية معناها مهجورة ، ويتمثل ذلك في صحاري إفريقيا وآسيا وأستراليا وأمريكا الجنوبية والشمالية ولها تيك الصحراء

(1) راجع ريمون فيرون - الصحراء الكبرى .

روادها إما للبحث والاستقصاء وإما لطلب الذهب والفضة والجواهر والكنوز الأخرى التي يعتقد البعض أنها مخبوءة تحت رمالها وإما للمعلومات التي يمكن أن تضيف شيئاً لمعارف الدنيا وإما للرد علي تحدي الصحراء لهم وإثبات أن بمكنتهم أن يفعلوا ما لم يستطعه أحد من قبل.

.. ويذكر الرحالة «ماركوس دي نيزا»، وهو راهب من الفريسيكان قام برحلة للصحاري المجهولة للبحث عن الكنز الذي اعتقد انه مدفوناً في أحدي الصحروات وثانٍ أنصت لما قرأه أو سمعه عن المدن السبع في سييولا بالمكسيك حيث اعتقد البعض أن جدرانها كانت مغطاها بالذهب والفيروز فهتف قائلاً: «هلموا بنا نبحت عن المدن السبع»، وإذ غزاها مع بعض رفاقه ألفوها خالية من الكنوز وعادوا من حيث أتوا صفر اليدين بعد أن فوجئوا أنها قاعاً بلقعاً صنفصفاً خاوياً.

.. وها هوذا (زاييل) يقوم برحلة علي ظهور الجمال التي عز عليه الحصول عليها فأرسل وزير الحربية في بلده رجالا الي تونس ومصر ليشتروا جمالا ويستقدموا بعض العرب كسائقين للجمال، ولقد صارت فرقة المصاحبة له حر الصحراء وقسوة الجبال مئات الاميال ولم يعثروا علي شئ مع اعتقادهم أنهم سوف يعثرون علي ما خف وزنه وثقلت قيمته أو ماغلا ثمنه.

.. وفي ربيع سنة 1922، اتجه «روي تشيمن اندرز»، العالم الأمريكي الشهير، إلى جوف الصحراء المسماة «الغوبي». وكان يأمل أن يعرف المزيد عن الغوبي - وهي احدي الصحاري التي يعرف عنها القليل - وأن يرسم خريطة لبعض مناطقها التي لم يسبق رسمها. وكان يأمل أيضاً أن يعرف الكثير عن حفريات الديناصور الذي كان يعيش في صحراء غوبي منذ مليون سنة خلت.

.. وبدأت البعثة رحلتها الي داخل الصحراء من المدينة الصغيرة الصينية «كالجن» المسماة «وانتشوان». سبقتهم سياراتهم، حيث رغب «اندرز» في أن

تسرع لتقييم معسكرا في الصحراء في ابكر وقت ممكن.

.. وتيقن أن بعثته لن تبقي في الصحراء إلا في فصل الصيف فقط. وإلا، فإن البرد القارس والعواصف الثلجية العنيفة ستجبر مجموعته إلى ترك المكان إذا أقبل الشتاء. وخلف السيارات ذهبت الجمال حاملة مزيدا من البنزين والمؤن .

.. واتجه أندرز وفرقته، مستقلين السيارات، فوق ارض صحرواية قاحلة، صوب الشمال الغربي وسافروا علي طريق قديم للقوافل، كان يصل وانتشوان وأولان باتر، عاصمة منغوليا. وإذ وصلوا إلى منتصف الصحراء انعطفوا نحو الغرب، في طريق آخر غير طريق القوافل، ونفذ الماء من البعثة مرات. وأوشك البنزين علي الانتهاء. وفي أثناء سفرهم كان أندرز يرسم الخرائط للمناطق التي لم يسبق رسمها والتي كان يراها، ودون المذاكرت واصفا هذه الأراضي المجهولة. خلال رحلته الشاقة هذه للبحث عن حفريات الديناصور.

روي أبي كعب عن النبي عليه السلام أنه قال : الحجر الأسود نزل به ملك من السماء وأخرج الإمام الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول الكريم قد قال : نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم .

وروي عنه أيضا أنه قال للسيدة عائشة رضي الله عنها وهي تطوف معه بالكعبة المشرفة حين استلم الركن : «لولا ما طبع على هذا الحجر يا عائشة من أوجاس الجاهلية وأنجاسها إذن لاستشفى به من كل عاهة ولألقي اليوم كهيئة يوم أنزله الله وليعيدنه إلى ما خلقه أول مرة، وأنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة، ولكن الله سبحانه وتعالى غيره بمعصية العاصيين، وستر زينتته عن الظلمة والأثمة لأنه لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء كان بدؤه من الجنة.

ولولا ما مسه من خطايا بني آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب وما مسه من ذي عاهة ولا سقم إلا شفي. وحينما قرأ المستشرقون هذه الأحاديث النبوية

الشريفة ظنوا الحجر الأسود قطعة من البازلت الذي جرفته السيول وألقت به إلى منخفض مكة المكرمة .

ومن أجل إثبات ذلك استأجرت الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية ضابطاً بريطانياً يدعى «ريتشارد فرانسيس بيرتون Richard Francis Burton» جاء إلى الحجاز في هيئة حاج أفغاني وذلك في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (1269هـ-1853) لهدف سرقة جزء من الحجر الأسود والفرار به إلى بريطانيا وبالفعل تم له ذلك.

وبدراسة العينة المسروقة ثبت أنها من أحجار السماء . وتتميز بتركيب كيميائي ومعدني خاص . وكان هذا الذي اكتشفه سبباً في إسلامه . وقد سجل قصته هذه في كتاب من جزأين بعنوان «رحلة إلى مكة» Mecca A Journey.

من أشهر خمس واحات في العالم

.. واحة عين جيدي



. تقع هذه الواحة في فلسطين المحتلة (إسرائيل) في غرب البحر الميت بالقرب من ماسادا وكهف قمران. تعرف هذه الواحة بكهوفها وينابيعها الربيعية. ذكرت هذه الواحة في الإنجيل وتذكر في أغاني الكنائس المشهورة ولها تاريخ في قصص الأنبياء مثل داوود وإسماعيل.

واحة هواكاتشينا



.. وثمة واحة « هواكاتشينا » في « البيرو » . في القارة الجنوبية الأمريكية. تكونت هذه الواحة حول بحيرة صغيرة من المياه الطبيعية. وتسمى بواحة أمريكا. تخدم هذه الواحة العائلات المحلية كمنتج صغير في مدينة اكا، وبشكل متزايد مؤخراً أصبحت هدف السياح وخاصةً ممارسي التزلج على الرمال.

واحة اوجلة



.. وواحة أوجلة التاريخية تقع في صحراء ليبيا حوالي 260 كيلو متراً جنوب اجيدابيا. وأوجلة هو اسم لهجة البربريين المحليين هناك من السنة المسلمين. كانت هذه الواحة إلى زمنٍ قريبٍ عاصمة منطقتها بحكم موقعها الإستراتيجي على تقاطع طريق شرق غرب شمال أفريقيا وطريق من الشمال إلى جنوب إفريقيا. .. ويُضم إلى الواحات سالفة الذكر واحة الفرافرة وواحة سيوة اللتين تحدثنا عنهما في هذا الكتاب .

الشهب والنيازك في الواحات

.. البادي للعيان أن الوادي الجديد كان مهبطاً لسقوط النيازك على أرضه فثمة بقعة سوداء كبيرة على ثرى هذا الوادي تشير إلى أن نيزكاً ضخماً قد هبط عليها من السماء وأحدث بقعة سوداء على أديمها خلف وراءها حفرة داكنة غائرة في رمال الصحراء. .. ولكن كيف تسقط النيازك ؟ .

.. وماهو سبب سقوطها من السماء ؟ .

.. من الثابت علمياً أن الشهب تحترق في السماء قبل أن تصل إلى الأرض، وقد قدر العلماء أن الذي يحترق منها حوالي 20 مليون شهاباً في كل يوم وإذا كان احد تلك الشهب كبيراً ولم يحترق كله يسقط جزءه المتبقي محدثاً فجوة كبيرة في باطن الأرض وفي داخلها وتسمي هذه الشهاب نيزكا والفرق بين الشهب والنيازك ليس فرقاً في النوع وإنما هو فرق في الدرجة وهناك الكثير منها سقطت علي الأرض في جنوب إفريقيا وولاية أريزونا في الولايات المتحدة أما في مصر لقد سقطت في ابي حمص والقنطرة والصحراء الغربية ومن أشهر النيازك علي الإطلاق قد يكون الحجر الأسود بالكعبة المشرفة علي نحو ما يري العلماء المسلمون .

.. وقد قرأت أن أحد الرحالة الأجانب أفتتح جزءاً منه وهرب به من بلاده وتمكن العلماء من تحليله ووصلوا إلى نتيجة مذهلة أن هذا الحجر ليس من أحجار الأرض وإنما هو قد سقط من الجنة .

.. ويذكر التاريخ أنه منذ حوالي 50 ألف سنة اصطدم نيزك ضخم بصحراء في

أمريكا وأحدثت فجوة كبيرة ويرى بعض العلماء أن هذه الشهب والنيازك هي حراس السماء مصداقا لقول الله في القرآن الكريم علي لسان الجن - سورة الجن:

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾

.. والحرس الشديد قد يشير إلى الأشعة الكونية الفوق بنفسجية وأشعة جاما وجسيمات المادة المضادة التي تزيل كل ما يعترضه وقد صدق الله تعالي في قوله علي لسان الجن أيضا ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَحْدَلُهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿١﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن]

.. ولقد أطلق القرآن الكريم علي معظم النيازك كسفا مع السماء .

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾﴾ [سورة سبأ]

.. ومن الثابت علميا أن الأجسام الصلبة الأصغر من الكويكبات تسمى الشهباءات وعندما تصطدم الشهباءات بغلاف الأرض تحدث ضوءاً يسمى الميكرو شهباءات ويمكن الكشف عنها بالرادار وبأجهزة خاصة تحملها الأقمار الصناعية.

.. ومعظم الشهباءات صغيرة الحجم وتفني في الغلاف الجوي علي ارتفاع حوالي 100 كم وتسمى في هذه الحالة (الشهب) . اما ما يصل منها لسطح الأرض فيسمى النيازك وتتراوح سرعات الشهباءات ما بين 10 بهذه السرعة الكونية الكبيرة وتحدث حفرا ضخمة ، اما الصغيرة منها فتبطئ وتسقط كالحجارة .. وقد أمكن العثور علي الآف من النيازك ، حيث كانت أفضل الأماكن للعثور عليها ؛ القارة المتجمدة الجنوبية حيث تُحمل مع الجليد إلي حافة القارة

.. وحوالي ربع النيازك يتكون من النيكل والحديد وتسمى النيازك الحديدية وهي وأن كانت أقلية الا أن قدرتها أكبر علي اختراق الغلاف الجوي والوصول لسطح الأرض أما الثلاثة أرباع الأخرى فهي نيازك صخرية.

.. وقد توصل العلماء أخيراً أن هاتيك النيازك التي شكلت كارثتين طبيعيتين متلاحقتين تسببت في إنقراض الديناصورات في غابر الزمان ، وقد سقطت نيازك ضخمة علي كوكب الأرض أعقبها ثورات بركانية عارمة ، في منطقة يوكاتن بالمكسيك والأخيرة في الهند قد أسهمت في تلويث كوكب الأرض جراء سحبات هائلة من الغبار والأتربة والرماد والأدخنة وانبعاثات ثاني أكسيد الكربون مما أدى إلي تغير النمط المناخي وإبادة نحو 70 في المائة من أنواع الحيوانات، وقد أدى حدوث هاتين العمليتين إلي إنقار الديناصورات التي لو لم تنقرض لما تسني للبشر العيش علي كوكب الأرض، ويقول أحد العلماء ويدعي بول رينيه أن هذا الذي حدث مهد السبيل للثدييات كي تتسيد الكائنات الحيوانية علي اليابسة.

.. ومن الثابت علمياً أن الجرم السماوي يقطع ملايين الكيلومترات بسرعة فائقة نحو الكوكب الأزرق ليقترّب من المدار ليدخل في نطاق جاذبية الأرض ومن الفضاء السرمدي الواقع في حزام الكويكبات في المنطقة المحصورة بين كوكبي المريخ والمشتري.

.. وقد أختار النيزك الهبوط علي أرض مصر بالقرب من جبل الكامل حتي سمي بمنطقة نيزك جبل الكامل بمحافظة الوادي الجديد التي تحولت بعدها إلي محمية طبيعية ، ونشر من خلال سقوطه هناك مجموعة من الأبحاث في كبريات المجالات العلمية التي هللت للكشف الجديد واعتبرته حدثاً علمياً عظيماً ، إلا أنه ومنذ إعلان المنطقة محمية طبيعية ، وقد تسربت مئات القطع النيزكية التي لا تقدر بثمن ومن عجب أنها عرضت للبيع بأثمان بخسة علي مواقع إلكترونية عدة دون رادع أو عقاب، وتقع هذه المنطقة علي بعد 150 كيلومتر من الحدود الليبية ويقدر حجم النيزك بحوالي 10 أطنان عند اصطدامه بالأرض إلا أنه تفتت إلي ملايين القطع الصغيرة.

.. قالت الأبحاث العلمية أن الفوهة التي خلفها النيزك في حالة نادرة وتعتبر أحسن فوهة موجودة علي سطح كوكب الأرض.

.. ولقد قرأنا أن هناك مجموعة من المستكشفين والمغامرين من مختلف

صحرا ووديان العالم ، قد هُرعوا إلى مصر وقاموا من خلال العثور علي نيزك ارتطم بأرض الواحات ، ويعرض مجموعة من الأحجار الساقطة المنتمية للمحمية الطبيعية وتقاضوا في سبيل ذلك ثمناً باهظاً وكان منها الشظايا التي عثر عليها في موقع جبل الكامل وتنتمي لفئة النيازك الحديدية ، قد كونت هذه المجموعة شركة تشمل عددًا من المغامرين من صائدي النيازك علاوة علي عدد من الباحثين المهتمين بالقطع النيزكية النادرة، وقد قال أحدهم بعد أن تحصل علي عينة من نيزك جبل الكامل أنه يعد من أكبر النيازك التي سقطت علي سطح الأرض قاطبة .

.. ولعل من المفيد أن نذكر أن قانون المحميات الطبيعية ، الصادر تحت رقم 102 لسنة 1983 جاء يفصح علي مايلي : يحظر القيام بأعمال أو تصرفات أو أنشطة أو إجراءات من شأنها تدمير أو إتلاف البرية أو البحرية، أو النباتية أو المساس بمستواها الجمالي بمنطقة المحمية ، ويحظر علي وجه الخصوص صيد أو نقل أو قتل أو إزعاج الكائنات البرية أو البحرية، أو القيام بأعمال من شأنها القضاء عليها، ويحظر القانون أيضاً صيدها أو أخذ أو نقل أي كائنات أو مواد عضوية مثل الصدقات أو الشعب المرجانية او الصخور لأي غرض من الأغراض، كما يشدد علي إتلاف أو نقل النباتات الكائنة بالمحمية .

.. وقد نص قانون العقوبات في مادته السابعة أنه مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد منصوص عليها في قانون آخر يخالف أحكام المادتين الثانية والثالثة من هذا القانون بالغرامة أو الحبس مدة لا تقل عن سنة مع تحميل المخالف بنفقات الإزالة أو الإصلاح التي تحددها الجهة الإدارية المختصة مع مصادرة الآلات أو الأدوات أو الأجهزة التي استخدمت .

وقد عدت منطقة فوهة جبل الكامل أحد أهم مناطق سقوط النيازك في العالم .

الصحراء والفن

.. فن الرسم هو الأصل الذي نشأ عنه ، كل من النقش والتصوير .
.. ولولا الفن لكان قد ضاع منا الكثير من اللوحات البديعة التي رسمها كبار
الفنانين

.. لقد جعل الفن من القديس « لوقا St. Luka » رساماً ، ويقال بأنه رسم
العديد من البورتريهات للعدراء وكان طبيعياً أن تدعي الكنائس التي تحوز هاتيك
الصور أنها صور حقيقية رسمت بيد المبر .

.. ومع فجر النهضة الإيطالية عرف العالم الكثير من اللوحات الباهرة في
أساطير الفن في إيطاليا ، وقد عشق الكثيرون لوحة « رافائيل » الشهيرة « عدراء
جراندوكا » .. كما أن هناك لوحتان للعدراء مريم البتول وأولاهما « عدراء بيت لحم »
للفنان « ألونزكانو Alonzo cano » ، وعدراء منديل المائدة للفنان « موريو »
كلتاهما في أشبيلية Seville واللوحة الأخيرة بالمتحف وماتزال اللوحة الأخرى
المعلقة . كذلك اللوحات التي خلد الفنان العبقرير « مايكل أنجلو » أصحابها في
لوحته الشهيرة مثل « القديسة كاترين السكندرية » ، ولوحة الموناليزا الشهيرة
«ليوناردو دافينشي » ، لوحة القديسة « بربرة » للفنان «كامبين روبرت»



.. وعند تطوافي بالبر الغربي بمدينة القرنة بالأقصر شاهدت فنوناً من الرسم، من المحال أن يرد على ذهنك أو يعتمل في فكرك أن هاتيك الفنون البالغة الروعة قد نقشت على جدران معابد القرنة منذ زمن سحيق.

.. السكون.. بحر عميق الأغوار، نجد فيه أنفسنا، فنسبح في فضاء ذواتنا نبحث عن السكينة، عن المرفأ، انه هذا الصمت الذي يعمق وجودنا في الكون انه هذه العزلة، التي نلمسها في جنبات الصحراء، مع هذا التأمل الذي يجذب مشاعرنا وأحاسيسنا وأدواتنا الفنية فنجد من وحيه أجمل معاني للإلهام.

.. هذه الصحراء المترامية الأطراف بجلالها وتهيبتها ووداعتها، هي ملاذ لأفكار الفنانين التشكيليين الذين استلهموا إحياءاتهم، من فيض جمال فجر نهار، وشروق شمس سقطت على حبات بساط أرض، لتمنحه نورا وضياء وظلالا وليشاهدوا غربة طائر، مرتحل في القفار أو صخور وجبال بعضها يحكى قصص البيداء، وما وصفه بها الشعراء من جمال وبهاء.

.. ما من فنان شاهد هذه الصحراء، وعاش في أحضان هيبتها ووقارها، مهما كانت جنسيته أو انتماءه لأي بقعة من بقاع أرض في هذا الكون، إلا وقد عشق هذه المنظومة الكونية، التي تجلت حركتها في السكون في الصمت الذي يصور روعة الخالق، ليطلعنا على نور المغيب الأرجواني، وحبات الرمال الذهبية من أسرار وحكايات هذا الكون، الذي يحتوينا فنجد على سبيل المثال الفنان البولندي تيدوز أدكويتش Tedeuz Aidukiewitch في لوحته «هودج في الصحراء» والهودج هو هذه الخيمة التي تثبت على ظهر جمل، وتزف بها العروس وهي في طريقها إلى زوجها، هذا الفنان البولندي قد مثل عادة من العادات العربية الأصيلة، التي استوقفته ليتأمل لون الحكمة، في حبات الرمال التي تناثرت لتلقي ظلالها الضبابية، فتختلط مع زرقة السماء الصافية، في مشهد أستوقفه .. ليخرج علينا بهذه اللوحة الباهرة.

.. ونرى العديد من لوحات الفنان السريالي «سلفادور دالي» وقد فضل أن يرسم مشاهد المستلهمة من الصحراء، ونجد هذا واضحا في لوحته المشهورة «إصرار الذكراة» وأخرى «أشجار الصحراء» وغيرها من روائع «دالي» السريالية التي حملت معانى فلسفية عميقة، ودراسات تعكس طبيعة البيئة الجمالية، من ألوان يتناثر لون المغيب في درجاتها، وهالات من نور تحتويها الصخور، ونجد في لوحة نفذت بالأسلوب الحديث «الفن الرقمي» للفنان جليمور « B.Gilmour » وقد استوحى موضوعها من لوحات دالي، التي تعكس عالم الصحراء اللانهائي، في حوار دائم صامت مع سكينه الصحراء، يروي قصة أشكال ووجوه تثير الخيال.

.. وثمة العديد من اللوحات التي تعكس حياة الصحراء، للفنان جين ليون جيروم « Jean-Leone Gerome » كلوحته المشهورة «رجل مع حصانه» وأخرى تحكي طبيعة أهل الصحراء، لتزود المتلقي بالجمال والمعرفة، كما نرى هذا الجمال وقد اتفق مع لوحات الفنان شارلز فريير « Charles Theodore frère » الذي عشق الصحراء، ورسم العديد من اللوحات عنها برؤية جمالية، وإدراك

حسي مباشر وطلاقة في التعبير، حيث يتراءى لنا أننا في لقاء حي مع الشخص
والأجواء وحركات أقدام الجمال والخيل، التي رسمت بين السماء وسحب
الرمال التائهة الهائجة كأموج البحر، وكأنها ظلال تسرى في الكون.

.. عشرات التشكيليين، أن لم يكن مئات منهم، نجد الصحراء وقد أخذت جزءاً
لا يستهان به من إنتاجهم الفني، ولا يفوتنا ذكر «الفنانين المستشرقين»، الذين
تركوا إرثاً فنيا لا يستهان به من لوحات عظيمة الأهمية، تعبر عن الصحراء بقيمة
جمالية واقعية، تعكس حياة سكانها وطبيعة مناخها بأشكالها المتميزة لوحات
مغلقة بالجمال.

.. إنها الصحراء في أحداق الفنانين وخيالهم ووجدانهم وأحاسيسهم، إنها
الصحراء التي ذهبوا بريشتهم وأدواتهم الفنية في رحلات داخل مدائنها، باحثين
عن الجمال والجلال عن الشروق والغروب، عن الليل والنهار عن منظر قوس
قزح الذي يخطف الأبصار، إنها الصحراء التي استمدوا منها لوحات تعزف شتى
ألحان الروعة وجمال الألوان المتعددة.

.. ومن الثابت أن الواحات قد ذاقت الفنون بروافدها من الرقص والموسيقى
والغناء.

.. يذكر «واكد» في كتابه «واحة آمون» أن سكان الواحات قد عرفوا هاتيك الفنون
وفي مقدمتها الموسيقى ومنها الآلات الوترية ذات الأنغام المتشابهة واستعملوها .. ثم
أخذوا عن الموسيقى الدينية الصفارة والطبلة وكانوا يصنعون الأولى من القصب الغاب
والثانية من جلد الحيوانات الرقيق مثل الأرناب . كما أستعملوا الشخايل Rarrtles
والرعوش Head-Shapte-dctappers والصاجات Castagnettes . بو
الجملة كانت الموسيقى في الواحات المصرية تقوم على:

1-آلات النقر .

2- آلات النفخ .

3- الآلات الوترية .

.. وثمة نوع غريب من الموسيقى لا يمارسونه إلا في مناسبات خاصة ، كحفلات الزواج والميلاد وما إليها .. يلقون على الأرض بأوان فخارية أو زجاجية من ارتفاعات متقاربة ويعتقدون أن هذا النوع من الموسيقى يجلب السعادة والحظ، ويبعد عنهم الأرواح الشريرة .

.. وفي دراسة متأنية وتمعقة عن موسيقى واحة سيوة كانت من أعمق وأشمل ما كتب من دراسات علمية عن الموسيقى الشعبية المصرية .. على الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على نشرها باللغة الألمانية ، وتعد نموذجاً مبكراً للدراسات الإثنوموزيكولوجية لموسيقى الحضارات غير الغربية قامت به شيفر (بريجيب شيفر) على مدى زيارتين عامي 1932 و1933 حيث أقامت في أحد المنازل السيوية سجلت خلالها عدداً كبيراً من مقطوعات العزف والغناء الشعبي تسجيلاً موثقاً يربط بينها وبين مناسبات الحياة الاجتماعية هناك.

.. وضعت «شيفير» يدها ويد القارئ على المناسبات التي تتجاوز أغاني دورة الحياة المعروفة ومن الميلاد والختان والزفاف والعمل والموت والأعياد الدينية والاجتماعية وغيرها لتقترب من عال هذه الواحة الغريب والمثير بخصوصية التي يفرضها الموقع الجغرافي أهتمت ما يأتي تظهر عيون الحياة وتلقيح النخيل وجروح العوافل من الواحة للسفر واغاني بيت البلح وما إليها .

.. كما سجلت ملحقاً موسيقياً يضم التذويقات الموسيقية التي كتبت بطريقة التذوين السمعي Trancri ption من واقع التسجيلات الميدانية التي جمعتها .

.. وفي الواحات البحرية يَصْفُونَ بعضًا من الأواني الزجاجية ، وينقرون عليها بقطعة من الحديد ، فتحدث أصواتاً عندما تتنظم وتأتلف مع آلات النقر ، ومؤلفه

وحدة موسيقية تبعث على الرقص .

.. أما الأغاني في « سيوة » فليست أصوات « هيتروفونية » وإنما هي أصوات «بوليفونية » ولكل أغنية مناسبة خاصة تغنى فيها .. فأغنية للحصاد .. وأخرى لحفلات الزواج ، والثلاثة للجنازات .

.. ويقص علينا « واكد » أنه أثناء تواجده في سيوة بدأ يجتمع «بالزقالة » .. وهؤلاء هم طبقة العمال الدين حرم عليهم بعد أن صدر قانون القاضي «صوري » الذي حدد المسافة التي تدخل في محيط البلدة بألف متر .. حرم عليهم « الغناء » داخل المحيط السابق حتى لا يحمل الهواء صوت الغناء إلى داخل « شالي » وذلك لاحتمال مناصرة آل أحد المتخاصمين له . مما يجرحهم إلى حرب أهلية داخلية .

.. كما يوجد ثغر أمونيا Ammonuia أو بارطنيوم paretoniun ، وكانت لها علاقة بمعبد آمون المقدس .. وكانت تعتبر ميناء سيوة . حيث كان الذهاب إليها بعد أن يبهر يبدأ رحلاته عبر الصحراء إلى سيوة بالإبل ولطالما أتبع هذا الطريق الأغارقة وهو ذات التاريخ والذي سلكه الإسكندر المقدوني وقد اتخذتها ملكة مصر كليوباترا عشًا خاصًا لغرامها هي مارك أنطونيو لصفاء سمائها ، وزرقة مائها ، المتعددة الألوان تحت إشاعة الشمس ولما يزل بها خليج إلى الآن يعرف بحمام كليوباترا .

.. والتي كانت تدير دفة الحكم، وكذلك القتال ضد أغسطس إمبراطور روما من أمونيا ، وفي عهد الإمبراطور « جستنيان » تم تحصينها ، حيث كانت النقطة الأمامية في خط الدفاع عن مصر ، إذا حدث هجوم من الصحراء الغربية عليها ، وأمونيا وهي مدينة مرسى مطروح » .

.. وقد كتب « ابن الوردي » الفقيه والأديب والشاعر صاحب المؤلفات العديدة والذي جاب البقاع والأصقاع وأجاد في وصف البلدان ، ومؤلف كتاب «المختصر في أخبار البشر» عنها في كتبه .

موسيقى الرمال

.. الرمال عبارة عن بلايين لا حصر لها من فتات الصخور الدقيقة التي تساعد على تحطمتها هطول المطر وعصف الرياح وغيرهما من عوامل التعرية فضلاً عن احتكاك مكونات الصخور هذه ببعضها البعض أبلاها وحللها إلى ذرات الرمال التي نراها في الصحاري أو شيطان البحار أو انتشارها على هيئة كثبات رملية وبحر من الرمال المخيفة في البيئة الصحراوية والعناصر الرئيسية التي يتكون منها الرمل هي الكوارتز والميكا وسليكات الألومنيوم ولا يقتصر استعمال الرمل على صناعة الطوب والملاط في عملية البناء فحسب وإنما يستعمل أيضاً في صناعة الزجاج والأسمت وصقل وتنظيف المعادن وتخفيف كثافة التربة الثقيلة واكسابها المسام الضرورية لرفع كفاءتها الزراعية.

.. الرمال ، لا أحد يدري ما الذي تخفيه هذه الرمال في أطناها؟ ، وما الذي تحفظه في طياتها؟ أو تحتفظ به في أعماقها ، فهي توجد علي أديم الأرض وثمة آثار أقدام ظاهرة عليها ، يدل علي أن هناك من جابها خلال زمان سحيق ، ولقد ثار في ذهني سؤال أثناء عبوري لتلك الرمال المنتشرة والمنتشرة عبر فيافي مصر : كيف يقضي عابر هاتيك الصحراوات سحابة يومه أو ظلام ليله مع ندرة الماء وشح الغذاء والخطر المحدق به آناء الليل وأطراف النهار ، فذرات الرمال تسكن العيون وتوقظ الجفون.

.. في ساعة القيلولة وفي غلس الليل ، أحيانا تبصر بين أحفاف الرمال وشواهد الجبال وارتفاع التلال ، عقارب سامة أو ثعالب ضالة ولا تبصر عينك إياها .

..اتفق العلماء علي أن طبقات الغلاف الصلد للكرة الأرضية تتكون من قشرة أرضية تتكون من السليكات (الصخور الغنية بالمادة الرملية) بالإضافة إلي من السليكات الخفيفة التي تحد فيها المعادن والعناصر ذوات أوزان ثقيلة ناهيك عن خليط يتزايد فيه المعادن الثقال ، مثل الحديد والنيكل بنسب عالية وتقل معها أو تكاد تنعدم نسبة به المادة الرملية تمامًا ، وللارض نواة معدنية خالصة بكثافة . القشرة الأرضية اخف الطبقات وزناً و تجمع الصخور المختلفة الانواع، ومتعددة الألوان المتباينة الصلدة ، ما بين صخور جد متماسكة وأخري مفتتة .

.. من الصخور من يدخل في الزمر التالية : صخور اندفاعية (بركانية وناارية) ذات منشأ عميق وصخور رسوبية ذات منشأ سطحي، وأخيراً وليس آخراً صخور استحالية.

.. يكون السيلكون مع الأكسجين مادة الرمال ، فهو في عالم المعادن كالكربون في عالم الكائنات الحية ، ويقول العلماء أنه بعد التحلل والتفكك الصخور تتكون الرمال ، فهي تتكون نتيجة تحلل وتفتت الصخور الاندفاعية الغنية بعنصر السيلكون ، والرمال هي بعض نتاج ذلك فقد تتجمع مرة ثانية لتكون صخوراً رسوبية تسمي الأحجار الرملية ... ومثال ذلك الأحجار الرملية في وادي النوبة .

.. وتوجد أكثر الصخور الرملية في الصحروات والشواطئ ، فهناك الرمال التي تتخذ شكل التموجات الصغيرة (ripples) كما أن ثمة نوعاً ثانياً من الرواسب الرملية في المناطق الصحراوية ، كما أن هناك رمال (ظل الرياح) التي تتعرض للرياح تعرضاً مباشراً والكتبان الرملية التي تتفرع إلي أنواع منها الهلالية والطولية وهي ماتعرف بالغرود ويسميها العرب السيف لاستقامتها وطولها وحدتها. هي أهم صور الرواسب والتجمعات الرملية في الصحاري . وهي تبدو للرائي بعين طائر ، متوازيات من التلال الرملية الطويلة ، قد تبلغ أطوال بعضها عشرات الكيلو مترات، وأما العرض فلا يزيد في أكثرها علي بعض عشرات من الأمتار . وتوجد

الغرود في كل الصحاري المكشوفة والتمسعة، ولدينا منها في الصحراء الغربية الكثير، أشهرها غرد (أبي محرك) الذي يزيد طوله علي 350 كيلومترا، وهو تل رملي مع هذا الطول، ومع ذلك فهو غير ثابت انما يتقدم . وعلي أساس هذا التقدير لابد أن يكون تكونه قد استغرق تكوينه آلاف السنين. و من الكثبان الرملية أيضاً توجد الكثبان النجمية ، وهي تلك التي تبدأ في التكون اتجاه رياح معينة ، ثم تغير الرياح اتجاهها ، وبخاصة في المنخفضات ، فيتغير معها اتجاه الكثيب، وهكذا ربما أكثر من مرة ، حتي يصير للكثيب شكلا نجميا تتعدد فيه الاتجاهات .

.. ناهيك عن الجسور الرملية sand levees أو ظهور الحيطان .. وهذه أيضا نوعية من نوعيات الرواسب الرملية هي عبارة عن حافات فقرية من التكوينات الرملية وتتميز بتسطح قممها . وتمتد تلك الأشكال الرملية موازية كذلك لاتجاه الرياح السائدة . وقد يقول قائل ، وما الفرق اذن بين الغرود وبين الجسور، مادامت جميعها امتدادات متوازيات من تلال الرمال؟. والفرق هو أن الغرود شبهها العرب بالسيف لما تمتاز به من سطح حاد مدبب . وأما الجسور فلها سطوح مسطحة.. ألم يسمونها ظهور الحيطان؟

.. السهول الرملية المنبسطة.. وتسمى أيضاً (بفرشة) الرمال sand sheets، أي أنها مستوية ، غير متضرسة ، إذا استثنينا بعض التموجات. ومن أشهر هذه السهول الرملية ، سهول سليمة بالصحراء الليبية . كما يذكر الدكتور فتحي عوض الله

.. ولعل صحراء مصر الغربية تتميز بظاهرة فريدة في باب التكوينات الرملية كما جاء في أحد المراجع ، بوجود ما يسمى ببحر الرمال sand sea. وهي رمال سهلية منبسطة إلا أن التموجات علي سطحها أكثف وأوضح بما يوحي لناظر من طائرة ، بموج بحر متلاطم. وهي رمال ناعمة متحركة ، عز علي الإنسان اختراقها منذ محاولاته الأولى مع قمبيز وجيشه .

.. الذي لا شك فيه أن علم الصحراء لا يستطيع الإنسان أن يلم به فما من قارة

من قارات الأرض تخلو منها كما عبر « بريستون جيمس » الأمريكي مع اختلافها في تضاريسها فها هي ذي صحاري الحمادة والأرج ، وتنحصر بين أحواض منخفضة مليئة بالرمال تنتشر فيها الكثبان الرملية ، وكذلك الصحراء الجبلية الحورية التي تتكون من مجموعة من الأحواض المنخفضة بالإضافة سهول الرق الصحرواية وهي عبارة عن سهول واسعة تنسط علي سطح الأرض لمسافات شاسعة(□).

.. وتنتمي الصحراء الكبرى واستراليا الغربية جميعها.

.. وللصحاري الجبلية الحوضية تنتمي صحراء إيران وأواسط آسيا و صحاري الأمريكتين.. لسهول الرق الصحرواية انتشار كبير في كل المناطق الصحرواية ، وهي أوضح في الصحراء الكبرى والصحراء الغربية المصرية بصفة خاصة.

.. إذن فالرمال حين تذكر ، يجب أن تذكر أم معها الصحاري وفي الصحاري تحمل الرياح الرمال سواء كانت بيضاء أو سوداء ، وسواء كانت فيها حياة أو أن الحياة عجزت عن تسجيل وجودها فيها.

.. والصحراء الغربية التي تقبع فيها الواحات صحراءاً موغلة في القدم ، لها رهبتها وفحولتها ، وكم من الأراجيف أحاطت بها وكم من الأباطيل تحلقت حولها ، وكم استقر في سويداء القلوب المخاوف التي روعت الكثير من القاطنين بها ، يستوي في ذلك العالم والجاهل ، ونذكر في هذا الخصوص أن أحد كبار رجال القضاء الذين كانوا ينتمون إلي الإخوان المسلمين في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وكان مطلوباً لإلقاء القبض عليه ففر هارباً محتمياً بالصحاري وعن له أن يتناول قدحاً من الشاي في ظلمة الليل البهيم في أحد المقاهي القليلة المتناثرة في قلب الصحراء في سفاجا، واذ يمم وجهه صوبها ألقى ضابط المباحث الذي كان يجد في البحث عنه لإلقاء القبض عليه بجلس قبالته على مائدة من موائد المقهى

(1) راجع الدكتور محمد فتحي عوض الله في كتابه عن الصحراء .

الذي تواجد فيه.

.. ويقول القاضي الفاضل الذي كان يترأس إحدى نيابات القاهرة في ذلك الوقت في هذا الخصوص ، إن ضابط المباحث ما أن رآه وكان الزمن قد أناخ بكلكله علي هذا الزميل ، أخذت الضابط الشفقة عليه فأشاح بوجهه عنه وكأنه لا يعرفه أو يجد في البحث عنه لإلقاء القبض عليه ، وهول الزميل إلي قلب الفيفاء وأرتمي من شدة التعب علي رمال الصحراء ودخل في سبات من النوم العميق وبعد أن صحا من نومته حكى لي خلال مقابلة معه مقسما بالله العظيم أنه سمع صوت صفير الجن بأذنيه خلال هجوعه على الرمال في هذه الصحراء الموحشة الجرداء .

.. وهذا ثاني ، وهو من العلماء الأجلاء يحكي عن تجربته في الصحراء فيقول ، أنه مر عليه مثلما مر على هذا الزميل ، وكان هذا في ساعة القيلولة ، إذا كان يصاحبه آنذاك أحد الأعراب فعن له أن يسأله عما أصطكت به أذناه من سماعه لصوت الجن في الهزيع الثالث من الليل . فأجابه الأعرابي قائلاً :

.. إنها الأرواح، هكذا قال الآباء والأجداد وهي أرواح لا تهبط إلا يوم جمعة (كما يذكر الدكتور محمد فتحي عوض الله في أحد كتبه) ، ويوم أحد لتزور مكاناً سكنته يوماً علي سطح الأرض ، وقيل أن تصعد إلي الرفيق الأعلى ، ويقول الكاتب الذي سجل هذا : ووجدت نفسي التفت إليه دهشاً، ولكن اليوم لاهو يوم جمعة ولا يوم احد ، فبهت البدوي ، وارتج عليه ، ولم ينس بنت شفه ، وإذ سأل السائل زميلاً له من العلماء غداة أوبته إلى منزله عن تفسير ذلك ، فأجابه أن هذا الصوت يعزو إلي حركة الرمال السطحية فوق طبقات أخري من الرمال ، وهو كذلك ليس نتيجة تحرك الرمل فوق صخور جوفاء ، فالصخور الجوفاء لا توجد علي الإطلاق، وأن هذا ليس نتاجاً لتساقط الرمال في كهوف أو مغارات فالمنطقة تقبع في أمان ، ليس بها كهوف ولا مغارات ، وهذا الصوت أو الأصوات ليست راجعة لأسباب بركانية ، وليست نتاج فعل الرياح عن رقائق رقيقة من صفائح من معدن

(الميكافا) ، لتقوم بدور الطبول فتصدر عنها هاتيك الأصوات .

..ويقول الكاتب العالم أن أنجح التفسيرات ، هي أن رمل السطح المتحرك وحده صاحب تلك الموسيقى ، وإن الرمل في تحركه يشكل موجات ، وهذه عندما تلفح الرياح سطحها تكون عائقاً جزئياً لها ، وتكون هي سبب الأصوات وليست سبباً أكيدا لها ، إذا أن انتظام الموجة ولو أنها انتظاماً ناقصاً كما يقول الفيزيائيون يحدث تغيرات في كثافة الهواء ، شبيهة بتلك التي تحدثها أمواج صوتية موجة تابعة وقد يكون من الممكن أيضاً أن تكون لحرارة الجزئيات الرملية المختلطة بذلك أثر في ذلك ؟.

.. هذه الظاهرة لموسيقى الرمال ، في واحات الصحراء الغربية ، هي ظاهرة طبيعية شوهدت ودرست في أماكن أخرى من العالم.

.. ولكن ماهي الرمال الموسيقية ؟

.. مادة ثاني أكسيد الكربون هي مادة تكوين الرمال ، وهي أما تتواجد علي هيئة حبات رملية تتراوح ما بين الخشنة والدقيقة ، مبعثرة في مسطحات رملية أو في شكل كتبان رملية هنا وهناك في متاهات الصحروات الواسعة أو عند شواطئ البحار أو الأنهار ، ووجه الأرض مهما ارتفعت جباله ، أو غارت قيعان محيطاته ، فوجهه في تغير مستمر سواء في درجات عاتية الحرارة أو بعين ماء جارية ، أو بفعل ريح صرصر عاتية ، أو ضربات الموج الرجراج ما بين البحر والقارة ، كل ذلك وغيره يؤدي إلي إنهيارات الجبال العالية وعن هذا الإنهيار تنتج الرمال .

.. ويشكل عنصر الأكسجين قرابة نصف القشرة الأرضية. أما العنصر الثاني فهو السليكون ومعا إتحداه معا عناصر أخرى مثل الكالسيوم أو الألومنيوم وإتحداه مع الأكسجين يعطي ثاني أكسيد الكربون.. وهي مادة الرمال في الأرض .

.. ناهيك عن الصخور الإندفاعية والصخور الرسوبية والصخور الإستحالية

ذات الأصل المختلط وتأتي الرياح عاصفة مزمجرة لتضرب عبر ملايين السنين هاتيك الصخور المنتشرة في صحاري العالم وخاصة صحاري مصر وتتساقط منها بعض أحمالها وما أحمالها إلا حبات الرمل مكونة الكثبان الرملية بأنواعها فمنها الهلالية وتسمى البرخان ومنها الطولية أو ما تعرف بالغرود ويطلق عليها العرب اسم السيف لإستقامتها وطولها وحدتها ومنها ظهور الحتيان Whale Backs ، والسهول الرملية المنبسطة ومن أشهرها سهول Selam بالصحراء الليبية، ويرى العلماء⁽¹⁾ أن صحراء مصر الغربية تتميز بخاصية فريدة في باب التكوينات الرملية في وجود ما يسمى ببحر الرمال Sand sea وهي رمال سهلية منبسطة ناعمة الحركة عز علي كل إنسان اختراقها منذ محاولة جيش قمبيز ، وقيل أن الرمال قد ابتلعت جيشه في جوفها.

.. فإن كان العالم الأمريكي برستون جيمس pirston james قد قال ما من قارة من قارات الأرض تخلو من المناطق الصحراوية إلا أن في مصر تشكل جزءاً كبيراً من الوطن المصري يبلغ حوالي 94% من أراضي هذا الوطن.

(1) الدكتور محمد فتحي عوض الله - المرجع السابق.

المرأة في الواحات

.. المرأة هي رمز العطاء .. ومنبع الحب .. وأصل البقاء .. بدونها تمسي الحياة خراباً يباباً .. فهي التجسيد الحي لرحمة الله بالخلق أجمعين .

.. عرف القدماء قدرها وأجلوا وضعها فأجلسوها على عروش بلادهم وبوؤها مكاناً علياً فكانت « سبك نفرو » ملكة على عرش مصر ، وأعتلت الملكة «حتشيسوت» دست الحكم فكانت ترتدي ملابس الرجال .. حتى ترضي الرجال !

.. وجاءت « كليوباترا السابعة » لتحكم مصر ردحاً طويلاً من الزمن ولتصبح أشهر ملكة في عهد الأغارقة . وثمة ملكات أخريات تولين حُكم مصر منهن : الملكة «خنت» والدة خوفو والملكة «نفرتيتي» زوجة ملك اخناتون والملكة «نفرتاري» والملكة «باريس» وكانت الطبيبة المصرية «نسخت» من أقرب المقربات إلى قلب فرعون مصر .

.. فالمرأة هي مصنع الرجال .. يذكر « أشلي مونتاجو » أن الحب الذي تضيفه المرأة على أسرتها يعم على المجتمع بأسره . وعلى أمتها برمتها .

وعندما بزغ فجر الإسلام كرم رسوله المرأة فقال : «النساء شقائق الرجال».

.. كما قال : « استوصوا بالنساء خيراً فهن عوان عندكم ، فأخذتموهن بأمانة الله » .

.. ومن هذا المنطلق فإن المرأة في الإسلام لها شأن وشأو كبيرين فهي التي ترعى بيتها ، وتصون زوجها ، وتربي أولادها ، وتنشئ النشئ الكريم الذي هو قوام أي مجتمع من المجتمعات .

.. ألم يقل الشاعر « حافظ إبراهيم » في قصيده له :

إني لتطربني الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتلاقي
وتهزني ذكرى المروءة والندی بين الشمائل هزة المشتاق
فإذا رزقت خليقة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال وذا علم وذاك مكارم الأخلاق

والمال أن لم تدخره محصناً بالعلم كان نهاية الإملاق
والعلم أن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده مالم يتوج ربه بخلاق
من لي بتريية النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض أن تعهده الحيا بالري أورق أيماً إراق
الأم أستاذة الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلن في الأسواق

يفعلن أفعال الرجال لوأهيا عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة كشؤون رب السيف والمزراق
تشكّل الأزمان في أدوارها دولا وهن على الجمود بواقى

فتوسطوا في الحاليتين وأنصفوا فالشر في التقييد والإطلاق

ربوا البنات على الفضيلة إنها
وعليكم أن تستين بناتكم نور
في الموقفين لهن خير وثاق
الهدى وعلى الحياء الباقي

وقد آثارنا أن نذكر هذه القصيدة العصماء لكي يخبرها من لم يطلع عليها أو يحفظ أبياتها .

.. وتدور مسألة المرأة في جميع العصور على جوانب ثلاثة ، تنطوي فيها جميع المسائل الفرعية التي تعرض لها في حياتها الخاصة أو حياتها الاجتماعية . وهذه الجوانب الثلاثة الكبرى هي :

.. أولا : صفتها الطبيعية ، وتشمل الكلام على قدرتها وكفايتها لخدمة نوعها وقومها .

.. ثانيا : حقوقها وواجباتها في الأسرة والمجتمع .

.. ثالثا : المعاملات التي تفرضها لها الآداب والأخلاق ، ومعظمها في شؤون العرف والسلوك . لبيان موضعها من أحكام القرآن الكريم ، وخلاصة ذلك البيان في هذه المقدمة الوجيزة أن آيات الكتاب قد فصلت القول في هذه الجوانب جميعا ، وكانت في كل جانب منها فصل الخطاب الذي لا معقب عليه ، الا من قبيل الشرح والاستدلال بالشواهد المتكررة التي تتجدد في كل زمن على حسب أحواله ومدارك أبنائه .

.. فالصفة التي وصفت بها المرأة في القرآن الكريم هي الصفة التي خلقت عليها ، أو هي صفتها علي طبيعتها التي تحيا بها مع نفسها ، ومع ذويها .

.. والحقوق والواجبات التي قررها كتاب الإسلام للمرأة قد أصلحت أخطاء العصور الغابرة في كل أمة من أمم الحضارات القديمة وأكسبت المرأة منزلة لم

تكتسبها قط من حضارة سابقة ، ولم تأت بعد ظهور الإسلام حضارة تغني عنها ، بل جاءت آداب الحضارات المستحدثة على نقص ملموس في أحكامها ووصاياها؛ لأنها أخرجت من حسابها حالات لا تهمل ولا يذكر لمشكلاتها حل أفضل من حلها في القرآن الكريم ؛ اذ انتقل بها البحث من الإهمال إلى الدراسة والتدبير .

.. أما المعاملة التي حمدها القرآن وندب لها المؤمنين والمؤمنات ، فهي المعاملة (الإنسانية) التي تقوم على العدل والإحسان ؛ لأنها تقوم على تقدير غير تقدير القوة والضعف ، أو تقدير الاستطاعة والإكراه (1).

.. ولم تكن المرأة في غابر الأيام تحظى بما حظيت به بعد الإسلام إذ كانت في الجزيرة العربية لا شأن لها ولاشأو حتى كانوا يخشون أن يحصدوا من ورائها الخزي والعار .

.. يقول الله في كتابه الكريم :

﴿ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ بَيِّنٌ بِهِ نُحْيِي بِهِ الْأَمْسَاكُ عَلَى هُوتٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: 59]

.. ويذكر لنا التاريخ أنه في الأزمنة الغابرة كانت المرأة محرومة حتى من الكرامة الإنسانية فالهندوس في الهند كانت إلى عهد قريب جداً يتمسكون بمثل ما كان العرب يفعلونه وهو قتل إناثهم ، .. وجاء الإسلام ليحرم ذلك ويجرمه .

.. وكانت المرأة في الهند كما ذكر « جوستاف لوبون Gustave Le Bon » (7 مايو 1841 ، 13 ديسمبر 1931) منبوذة كالحيوانات ، وقبلها في اليونان مهد الفلسفة والعلم تباع في الأسواق وظلت النساء طبقاً للقانون الإنجليزي العام حتى منتصف القرن المنصرم غير معدودات من الأشخاص أو المواطنين ، وفي اسكتلندا لا يجوز أن تمنح أي سلطة من السلطات .

(1) المرأة في القرآن الكريم الأستاذ عباس محمود العقاد

.. والذي لا مرأ فيه أن المرأة في أمريكا وأوروبا كانت تعيش تحت نير الرجال .. ولم يكن مظهرها في هاتيك البلاد وغيرها إلا مظهراً خالياً من القيم الإنسانية مثلما قال أستاذنا العقاد :

.. كانت مثل التقليد الذي جرى عليه الحاكم البريطاني حين يأمر بإعتقال شخص ، فيرسل إليه كتاباً يختمه بهذا التوقيع : (خادمكم المطيع فلان) .
.. هكذا يُزيل الحاكم خطابه الذي يعتقد به أنه سيده المطاع وليس خادمه المطيع .

.. هكذا كانت المرأة مع أن القرآن الكريم قرر استقلال المرأة عن الرجل ، وأنها تثاب على عملها الصالح ثواباً كاملاً لا ينقص شيئاً عن ثواب الرجل : فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض إلى آخر الآية .

.. وإذ علماً الإسلام - كما ألمعنا - من قدر المرأة .. ومن ثم علت المرأة من قدر الرجل ، وأصبحت شريكه في الحياة .. صنو له تقوم بواجباتها اتجاه بعلمها .. وكذلك أولادها فهي مصنع الرجال وصانعة الأبطال ومربية الأجيال .

.. لفظ الـ«تتلي» كما تذكر المراجع هو: تعبير يطلقه أهالي واحة سيوة بلهجتهم السيوية أو الأمازيغية على المرأة داخل مجتمعهم الصغير. وقد قامت التقاليد والأعراف المتوارثة داخل تلك البقعة الخضراء التي تكسوها أشجار النخيل والزيتون وسط صحراء مصر الغربية بفرض نوع من الحصار على الـ«تتلي» أي على النساء.

.. تذكر « هند غنيم» في مقال لها بعنوان « كيف تعيش النساء في واحة سيوة المصرية » .

.. تسبب الموقع الجغرافي الصحراوي والمسافات البعيدة لواحة سيوة التي تبعد قرابة 26 كيلومتراً عن أقرب نقطة حدودية مع ليبيا وتبعد عن القاهرة مسافة 830 كيلومتراً تقريباً، تسبب الموقع بفرض بعض الظروف القاسية على نساء

الواحة. ونشأت عادات وتقاليد تنتقص من حقوق المرأة السيوية المشروعة كالتعليم والحرية في اختيار شريك الحياة المناسب والخروج إلى المجتمع. ولكن البعض يرى أن الانتقاص من تلك الحقوق ميّزها عن بقية النساء داخل جمهورية مصر العربية بيد أنها لا تقلل من جهدها وكفاحها في سبيل بيتها .

.. فحدة الحرارة ورمال الصحراء ترجها المجتمع إلى أفعال تجاه السيدات. وإن كانت المرأة السيوية داخل مجتمعها الصغير هي المسؤولة الأولى والأخيرة عن كل ما يدور داخل المنزل السيوي، إلا أن قيوداً كثيرة فُرضت عليها. وكان حرمانها من التعليم وزواجها المبكر وعدم خروجها من المنزل أقسى القيود التي فرضت عليها صعوبات جامدة .

.. وتذكر إحدى النساء وهي أم لخمسة أطفال، قصتها: «أن المرأة في سيوة لها مكانة عظيمة داخل الأسرة، فهي تصرّف أمور المنزل من مأكّل وملبس ومشرب، وهذه مسؤولية كبيرة جداً. فأنا لم أكمل تعليمي. توقفت عند المرحلة الإعدادية كجميع الفتيات داخل الواحة. جميعنا لنا مهمة مقدسة هي التهيئة لتحمل المسؤولية وتكوين أسرة، وهي المهمة الأسمى في نظر الجميع هنا. هنالك تحديد للمهام التي يقوم بها كل من المرأة والرجل. وعلى الرجل واجب إعالة الأسرة». وأكملت أخرى أنها برغم رغبتها في إكمال تعليمها إلى مرحلة أعلى، والحصول على درجة علمية، فإنها تقدر طبيعة المجتمع والظروف المفروضة عليها، لأنها تمثل وجودها وتاريخها وأصلها الذي ميّزها عن بقية النساء داخل محافظات مصر.

.. وفي ذات السياق ثالثة من عبء الزواج المبكر بإنها «انتهت لتوها من دراستها في المرحلة الإعدادية، وتتهياً لزفافها في مطلع الشهر المقبل». واعتبرت أن «الفتيات داخل سيوة لا يكملون تعليمهم الثانوي، ولا يلتحقون بالجامعات نتيجة بعد الأخيرة عن الواحة». فأقرب جامعة تبعد قرابة 600 كم ويستغرق الوصول إليها ساعات طوال.

.. وروت أن «الفتاة تواجه عقبات كأداء تبدأ من أفراد العائلة، وصولاً إلى مشايخ القبيلة. إذا تبادرت إلى ذهنها فكرة إتمام تعليمها أو الحصول على شهادة جامعية. في هذه الحالة، يظهر التعصب القبلي ويقول لها الجميع: «عندناش بنات تفل خارج واحتنا» متذرعين بأن ذلك خطر عليها.

.. وقالت إحدى الفتيات وهي من القلييات في سيوة اللائي أكملن تعليمهن الجامعي وحصلن على درجة الماجستير في الصيدلة، أنها مثل بقية الفتيات التحقت بالمدرسة الابتدائية، ثم انتقلت إلى المرحلة الإعدادية التي غالباً ما تكون نهاية المطاف». وأضافت: «لكن عندما أحببت إتمام دراستي، تحدثت مع والدي وهو ذو مكانة اجتماعية ويعد أحد شيوخ القبائل في الواحة. في البداية واجهت اعتراضات جمة وذلك لأن عادات المجتمع هنا نظراً إلى صغره والوضع الذي نعيشه، لا تسمح بخروج الفتيات من المنزل بعد زواجها، فما هو الحال إذا كان الهدف الذهاب إلى التعليم خارج الواحة بأسرها؟ ولكن بعد صراع التحقت بكلية الصيدلة عقب إقناع والدي بأنني سأقدم خدماتي إلى أهل الواحة ولن أعمل خارجها».

.. وتردد أخرى أن «الفتيات يمكنهنّ العمل في مشروعات خاصة بهنّ، تختلف مجالاتها بين صناعة الأواني الفخارية والمنسوجات اليدوية كالسجاد اليدوي».



.. وتقوم بعض الفتيات بأعمال الحياكة والمشغولات اليدوية السيوية داخل منازلهنّ وذلك للحفاظ على هوية متوارثة عبر الأجيال، ومنها على سبيل المثال صناعة «الناشيراح» (زي العروس السيوية)، وهي تتطلب جهوداً ودقة عالية ولا يستطيع إتقانها سوى الفتاة السيوية. و«هذا يعني أن المرأة تعمل، ولكن وفق الظروف التي طوعتها لها البيئة والتقاليد المجتمعية».

.. يقول قائل : إن «الواحة كغيرها من المناطق التي يخضع أبنائها للتقاليد والأعراف القبلية، لم تترك للمرأة مساحة كبيرة للخروج من المنزل، خصوصاً بعد سن البلوغ، إذ يقوم رب الأسرة بتوفير جميع الحاجات الخاصة بها وتلبية جميع مطالبها، ولذلك لا تخرج من المنزل ولا يراها أحد». أما عدم خروجها للتعلّم فذلك في رأيه «حماية لها لأنها غير قادرة على التصرف في المواقف الصعبة، نتيجة لعدم احتكاكها بالمجتمع الخارجي من قبل».

.. وهكذا تفعل المرأة في الواحات فهي تفر في بيتها، ولكنها لا تتخلّى أبداً عن واجباتها تجاه زوجها وأولادها بل وأسرتها برمتها .. هي الملكة غير المتوجة في هذه البقعة من بقاع مصر والمثال الحي للأُم الرؤوم والزوجة الصالحة .

سرقاا الأاار فف الوااحاا

.. الوااحاا البأرففة .. مأمع ومأمع لنهابف الأاار وسبب ذلك فرفع إلى اأرفد الأواأ الإسرائفلف بعء اكأشاف واءف المومفاواا الذهبفة .. وقء أفاءا الشكوك وأكء ذلك الظنون أن الفهوء هم الذفن اشراأب أعناقهم لاأقأراف هذفة الأرفمة .

- وائمة أأذفراف من المأااا والمزاعم الصهفونفة اأف أءعف ووء أاار فهوءفة أو اأرفخ للفهوء بالوااحاا .

.. كآب « على القماش » فقول (□) فف شأن ذلك :

.. أأف المزاراا الهامفة وفف مأممأها الصأراء البفضاء ذاا الأشكفلاا الأبفعفة من الصأور المنأوة أشبه بالأشأار فف صأراء أرضها بفضاء صلبة ، وهوء منظر أمالف عالمف ناءر ، وأبال الكرفسأال ؛ أفا أن الأصفى عبارة عن بلوراا من الكرفسأال الزاهف وبها كهوف ذاا أمال رائع . كما أضم العفء من المزاراا الأأرففة الهامفة وعلى رأسها واءف المومفاواا الذهبفة والأف عأر بءاخله على 254 مومفاء مغطاة بالرفاأق الذهبفة ، وهف أرفع للعصر الرومافف .

.. كما أاء فف كآب « أصاد العصر فف سرفة آاار مصر » (□) .

.. أن أرفءاً من الوااحاا أعرض لسرفة الأاار الموءوءة على أرضها أو مأمورة فف رمالها . كانت مألاً لأأقفااا النفاة العامة كما سوف فأف .

(1) أصاد العصر - سرفة آاار مصر - رصء شامل لقضافا سرفة الأاار فف عهد أسنف مبارك - فاروق أسنف .

(2) المرفع السابق .

.. بادئ ذي بدء تضم هذه الواحات العيون الطبيعية العديدة وبها المياه الكبريتية الدافئة للاستشفاء من الأمراض الروماتيزمية، وبها مناجم الحديد ومن أجل ما تضمنه الزيارة رحلات السفاري والسهرات البدوية الغنائية. ومن ثم يحج إليها الغادون والراحون ومنهم من أتى إليها لاستلاب آثارها.

.. الواحات البحرية إدارياً تبعد عن القاهرة بنحو 450 كيلو عن طريق 6 أكتوبر عن طريق المعروف بطريق الواحات، وهي أقرب لعدد من محافظات الصعيد خاصة المنيا وأسيوط والوادي الجديد؛ حيث تقع خلف هذه المحافظات إلا أن تبعيتها إدارياً لمحافظة الجيزة عدا الفترة التي تم فيها تخصيص لمحافظة أكتوبر، وانتخابياً تتبع لدائرة 6 أكتوبر وكانت تتبع أيضا الهرم وهو ما يعني عدم الاهتمام بها لبعده الزار ومشقة المزار، وهي تضم مناطق أقرب للبداءة من المدن أهمها منطقة الباويطي ومنديشة .

.. منجم الحديد والصلب وهو في مدخل الواحات، وتم الاتجاه إليه عندما نضبت مناجم أسوان التي كانت تستغلها شركة الحديد والصلب المصرية بالتين والمنجم تابع للشركة، وبه استراحة متميزة للعاملين. الصحراء البيضاء وهي تشكيلات طبيعية؛ حيث أن الأرض صخرية بيضاء وبها منحوتات صخرية أشبه بالأشجار وهي ذات لون أبيض زاهٍ وهي محمية طبيعية نادرة.

.. مياه كبريتية.. علاج وشفاء جبل الكريستال وهو جبل به حصى أقرب للبلورات والكريستال، وبه كهوف جميلة ويستخدم الكريستال في صناعات عديدة أهمها معاجين الأسنان وأدوات التجميل والمستلزمات الطبية. العيون الطبيعية وهي متعددة وبها مياه كبريتية وتعد مقصدًا لمرضى الروماتيد والأمراض الروماتيزمية وغيرها من الأمراض، ويأتي إليها زوار من أنحاء العالم للاستشفاء.

.. رحلات السفاري؛ حيث كثير من المرتفعات والمنخفضات تصلح لهذه الرياضة والمغامرة كما هناك مخيمات تقام في الصحراء خاصة في الصحراء البيضاء.

.. وتمتلك الواحات العديد من المقابر الأثرية إلا أن أشهرها على الإطلاق المقبرة المعروفة بوادي المومياوات؛ حيث جاء اكتشافها بمصادفة طريفة، فأثناء سير رجل راكبا حماره غرزت رجل الحمار في الأرض، وعندما حاول الرجل إخراجها فوجئ بأن الفتحة في الأرض يشع منها اللون الذهبي فأخبر رجال الآثار، والذين أخبروا بدورهم الدكتور زاهي حواس، والذي كان يشغل وقتها الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار (عام 1996)، فذهب إلى هناك، وجاءت المفاجأة في وجود مئات المومياوات ومعظمها ملفوف في توابيت عليها رقائق ذهبية، وهي ترجع للعصر الروماني وتعد من أهم مزارات الواحات، وعرف بوادي المومياوات الذهبية؛ حيث عثر على 17 مقبرة تضم 254 مومياء تم الكشف عنها على مدار ثلاثة مواسم، وهو الكشف الذي نال شهرة عالمية، ولفت الأنظار إلى منطقة الواحات البحرية بما تضمه من آثار ومناطق للسياحة الصحراوية والبيئية، وهذا الكشف قد اعتبره العالم كله توت عنخ آمون العصر اليوناني الروماني. 14 مقبرة أثرية معرضة للضياع كما تم بعد سنوات اكتشاف وقد عثر على أربعة عشر مقبرة في جبانة بمنطقة عين الزاوية بالقرب من مدينة البايوطي بمحافظة 6 أكتوبر ترجع للعصر اليوناني الروماني القرن الثالث قبل الميلاد.

.. وهاتيك المقابر من المقابر الصخرية وعثر بداخلها على أربعة أقنعة جصية وإحدى الرقائق الذهبية موجود عليها مناظر لأبناء حورس الأربعة، وعدد من الأواني الفخارية والزجاجية وبعض العملات المعدنية. وهذا الكشف تم التوصل إليه خلال عمليات المجسات التي قام بها المجلس في موقع تم تخصيصه لإقامة مركز للشباب بمنطقة قرية الحارة بالواحات البحرية، والتي تبعد 25 كيلو متر شرق مدينة البايوطي، وأشار إلى أن العمل يجري في الموقع حالياً من خلال حفائر علمية تابعة للمجلس الأعلى للآثار، وأنه تم العثور على مومياء لسيدة تبلغ طولها 97 سم ومغطاة بالكامل بطبقة من الجص الملون وترتدي زيا رومانيا وبعض الحلي وعيونا مطعمة، وهي تعد من المومياوات الفريدة من نوعها.

.. ونعرف من لوحة الملك (كانس أو كاموزا) الشهير، والتي تم الكشف عنها في معبد الكرنك من عصر الأسرة السابعة عشر والمؤرخة بسنة 1570 ق.م أن الملك أبوبي Abobi ملك الهكسوس بعث برسالة إلى حاكم كوش Kosh ليحرضه للهجوم على مصر من الجنوب وتقسيم البلاد بينهما، ولكن شاءت الأقدار أن يتم القبض على رسول الهكسوس في منطقة الواحات البحرية وأمر «كاموزا» جنوده باحتلال الواحة لأهمية موقعها على رأس الدروب وعرفت الواحات البحرية باسم زيس زيس Zes- Zes في هذه الفترة .

..ومن المعروف أن معظم آثار الواحات البحرية من العصر الروماني الذي لا علاقة له باليهود - كما يزعمون - ومن الأسرة الثانية والعشرين وحتى الخامسة والعشرين (730 - 663 ق.م) ووضعت الواحات تحت حكم كبير موظفي الملك شاشانق المعادي لليهود، ودخلت الواحات البحرية أعظم فترات تاريخها في الأسرة السادسة والعشرين (العصر الصاوي) وكانت هناك كراهية لليهود، وهذا كله يؤكد عدم وجود أي علاقة لليهود بآثار أو تاريخ أو وجود هذه المدينة.

.. وعند قيام رحلة على مدار ثلاثة أيام توجهت إليها من خلال فوج شامل من الصحفيين بالتعاون مع وزارة الشباب والرياضة ألفوا عددًا لا بأس به من اليهود والإسرائيليين في الواحات، ويبدو أن تواجدهم جاء مع اكتشاف العديد من المواقع الأثرية وأشهرها وادي المومياوات الذهبية وإمكانية التغلغل من خلال مشروعات سياحية، ولو من خلال جنسيات أخرى خاصة الألمانية والأمريكية وكذلك إمكانية سرقات الآثار خاصة مع اتساع ومساحة الواحات وامتدادها الصحراوي من كافة الجهات في وقت لا يتناسب حجم أمن شرطة الآثار مع لمراقبة هذه المساحات الشاسعة.

.. ويأتي التخوف أيضًا من شراء هؤلاء اليهود الأراضي المعروضة للبيع؛ بحجة الاستثمار علمًا بأن هناك عددًا من الأجنيبات متزوجات من أبناء الواحات!.

.. ولا ينسى التاريخ ما شيده المهندس « حسن فتحي » في الواحات فبعد القرنة الجديد التي كانت حلمه وأستطاع أن يوفر لما يقرب من 7000 إنسان مساكن يقطنون بها .. قام ببناء قرية حقيقية بعمارة تتفق مع البيئة الصحراوية التي بنيت فيها. وفي نفس الوقت توفر لهم بيتاً حقيقياً فسيحاً وجميلاً وحامياً . وكانت الدولة وقتها وبالتحديد في عام 1946 ترغب في حماية آثار القرنة من النهب المنظم لها ، بعد أن تحول سكانها لتجار آثار وناهبي قبور ، فكان قراره أن يهبط البناؤون من الجبل وبناء قرية جديدة لهم هي بداية تحقق أماله في هذا الصدد .

.. وقد هاجم أهالي القرنة هذا المهندس النابغة لأسباب هي :

.. إذ كانوا يرغبون أو فر ربح من القبور وأبتكروا أعذاراً لعلهم يقنعون بها الدولة واستأجروا محامياً لكي يدافع عنهم في هذا ، وقالوا أن حياتهم في القرنة الجديدة في خطر لاحق من الذئاب ، وكان هذا في نهاية الأربعينيات ، وقد دمرت أغلب القرى التي شيدها حسن فتحي بيديه هو وعماله النوبيون .

.. نقول بعد هذا الذي فعله في القرنة ، وكان بمثابة طفرة حضارية غير مسبوقة جاء دوره على الواحات .

.. تحكي دكتورة آمال عبده أستاذ العمارة بكلية فنون جميلة والمتخصصة في عمارة حسن فتحي فتقول :

.. « لم يكن حسن فتحي مجرد معماري يحلم ببناء بيوت مختلفة ، بل كان إنسانا يحلم أن يبني بيوتاً لا تخاصم البيئة ، تتصالح معها ، وتتعامل مع مشاكلها ومحاسنها في نفس الوقت القرنة أو واحة باريس وبيوتهما كانا مجرد نماذج لعمارة بيئية حقيقية ، ولذلك فهو لم يهتم كثيراً ببناء قرى كاملة فقط .

.. كان يقدم نماذج للبناء ويترك الناس تبني ما تحتاجه في القرنة من نماذج لبيوت كما بنى مسرحاً ومدرسة وسوقاً ومسجداً ، كان يقول للناس أنتم تحتاجون ذلك . ثم

عملهم كيف يتعاملون مع خامات الطبيعة المحيطة لاستخدامها في البناء .

.. وكان هذا في منتصف القرن العشرين ، بينما في الستينيات ومع تجربة استصلاح الاراضي بدأ مشروعه الجديد في منطقة جنوب واحة باريس . وبنى سوقاً كبيراً ومركزاً لبيع المنتجات الزراعية ومخازن للجلال . وبيتاً للمهندس الزراعي للمشروع ، حسن فتحي كان يقدم نماذج للبناء واستخدام خامات الطبيعة، فمثلاً عندما بنى في القرنة استخدم الطين كحامة رئيسية مع أشياء أخرى . وعندما بنى في الواحات استخدم الطفلة وهي رمال صحراوية حمراء تتجمد سريعاً بعد خلطها بالماء ، وهي نفسها المستخدمة في صناعة الأسمت لشدة صلابتها . تختلف الخامة وتبقى وحدات عمارته الأساسية وهي القبة والملقف ومسطحات الأرشات الواسعة ، وكان حلم حسن فتحي الأخير هو تأسيس مركز للعمارة المتوافقة مع البيئة ليكون مركزاً تعليمياً وأكاديمياً للمعماريين المهتمين بالعمارة البيئية الحقيقية » .

.. ولقد كنت إبان عملي القضائي كمدير لنيابة الأقصر أشد الرحال بين الحين والحين إلى فيلا تابعة لهيئة الآثار أعكف فيها على استقراء بعض القضايا التي أنظرها ، وكان هذا في فترتي الشتاء والصيف في فصل الشتاء كان هذا المكان خير ملاذ لي يبعث الدفء في أوصالي إذ كانت درجة الحرارة آنذاك تصل إلى أدناها درجة أو درجتين فوق الصفر لاتسمن ولا تغني من جوع . حيث كان زمهرير البرد يستبد بكل من كان يقطن الأقصر باعثاً الرعشة في الأبدان .

.. وأما في الصيف فقد كانت درجة الحرارة عالية علواً شديداً ترهق البدن ولا منجاة منها إلا بالصبر ، ومن ثم فإن ما أقدم عليه هذا المهندس العبقرى كان سبقاً غير مسبوق في عالم البناء والتشييد .

.. ولقد شاهدت أثناء عملي القضائي الذي تنوع تنوعاً شديداً بين جل محافظات مصر .. أقول شاهدت معظم المناطق الأثرية في مصر سواء في الفيوم أو غيرها . حيث تعج أقاليم مصر بآثار الفراعنة التي تشد الأنظار.

.. وقد ذهبت إلى مدينة « أم الأثل » ، وفي معبدها ، ورأيت أطلالها رأي العين وهي تقع بالشق من بحيرة قارون على بعد 15 كجم من مدينة كرانيس (كوم أو شيم حالياً) التي جاء ذكرها في هذا الكتاب .

.. وكذلك معبد « أم البريجات » ، وكوم ماضي يقع على بعد 35 كجم جنوب غرب مدينة الفيوم ، وكذلك تونا الجبل « الأشمونين » بمحافظة المنيا إبان عملي كمستشار لمحكمة استئناف المنيا .

.. وكذلك زاوية الأموات في مدينة مغاغة والتي امتلأت بأحداث الموتى إبان الفتح الإسلامي . في قرية شَم البصل ، التي مكثت فيها إبان رئاسة ابني للجنة الخاصة بانتخابات مجلس الشعب وهي تتبع مدينة مغاغة .

.. وكذلك مدينة الأموات التي تحوي مدينتين أحدهما في الشمال وتسمى مقاطعة الأبيس ، والأخرى هي مقاطعة الأرنب .

.. ناهيك عن الآثار التي شاهدها في مدينة رشيد التي ترجع إلى أيام الحملة الفرنسية عليها إلى آخر بلدان مصر ، ولم أر آثاراً تبلغ في عظمتها وفي أهميتها مثل الآثار التي تعج بها القرنة .. إذ يوجد فيها ثلث آثار مصر ، وكانت ومازالت وستظل كعبة لوافدين من مصر أو من سائر البلدان في جميع أنحاء العالم .

.. ونعود إلى جريمة تهريب الآثار في الواحات .

.. قد سبق لكبير مفتشي الآثار الأسبق بالواحات البحرية أن قال في تحقيق صحفي: ما أكثر حكايات التهريب في الواحات، وأقربها منذ شهور عندما تلقيت مكالمة هاتفية من مجهول يبلغ فيها عن قيام مجموعة أشخاص بالحفر في منطقة «الباويتي» فأخذت الحرس وذهبت إلى هناك

.. وأردف مفتش الآثار يقول : فوجئت بصوت الحفر فما كان مني إلا أن أبلغت المأمور وحددت له المكان فقال ليس معي أذن نيابة. وبعد أن نشبت

مشادة كلامية بيننا خرج بقوته الخاصة وضبط أربعة أشخاص وحرر لهم محضراً، وفوجئنا بعد توصيلهم للقاهرة بإخلاء سبيلهم، وعرفنا فيما بعد أن أحدهم يمت بصلة قرابة لعضو مجلس شعب سابق.. ولم تكن هذه الحالة الوحيدة التي تم إخلاء سبيل متهم بعد أيام معدودات.!!

.. سيارات السفاري.. أحدث موجات التهريب لنهب الآثار في الواحات فهي انتشار سيارات اللاندروفر أو السفاري التي تنطلق في الصحراء دون لوحات معدنية، وهذه النوعية من السيارات متخصصة في تهريب الآثار علما بأن بعض هذه العمليات بينما يتحرك قسم الشرطة بشكل روتيني!

.. وقد ورد في تحقيق صحفي أن السياح الإسرائيليين هم الذين يقومون بتهريب سوسة النخيل في علب الكبريت أو ما شابه ذلك، وأن كثيراً من الألمان الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية لهم فنادق واستثمارات خاصة في الواحات وكأن هؤلاء اليهود يهدفون إلى القضاء حتماً على كل ما هو أخضر ويابس في مصر.. وهذا هو وجه التشابه بين إسرائيل (والجراد)!!

.. وفي كتاب «المؤامرة الصهيونية على الآثار المصرية، يحكي الكاتب الصحفي «محمود عابدين» أن الدكتور «عبد الفتاح البنا» أستاذ الترميم بجامعة القاهرة قد كشف النقاب عن بيع تمثال فرعوني في إحدى المزادات في بلجيكا بمبلغ 30 مليون دولار لافتاً أن هذا التمثال يرجع تاريخه إلى الدولة الوسطى الأسرة الثانية عشرة.. وأضاف أن رئيسة البعثة الأمريكية التي اكتشفت هذا التمثال أبلغت عن الواقعة وتم القبض على اللص.. ومن عجب أنه قد تم الإفراج عنه بعد بضعة أيام حتى لا يعترف على سلسلة اللصوص الكبار الذين اشتركوا معه في الجريمة ذاتها!!

.. من هم يا ترى أولئك اللصوص الكبار؟

.. منذ زمن بعيد دأب اللصوص على نبش قبور الفراعنة بحثاً عن الآثار الثمينة

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

التي تدر عليهم الربح الوفير عبر صحاري مصر ومن قبلها في وادي الملوك والملكات في مدينة الأقصر وعلى الأخص البر الغربي فيها .

.. مناخ الصحراء مناخ عجيب غريب يجذب الكثير من محبي الرحلات .
ومن يسيل لعابهم للسلب والنهب واغتراف خيراتها .

.. يحدثنا التاريخ أن العشرات ممن أمضوا جل حياتهم في رحلات صحراوية متنقلين في القوافل البدوية التي تجوب الصحارى ومنهم من يدعى «جوفاني باتيستا بلزوني (Giovanni Battista Belzoni)» فقد لاذ بالصبر واستمسك بالعروة الوسطى على المناخ الصحراوي ردحاً طويلاً من الزمن متجهاً إلى «برنيس» ومنها إلى الواحات الخارجة بحثاً عما يستطيع أن يحمله مما خف وزنه وغلا ثمنه ، ومنها شحنة ثمينة تحتوي على مسلة فرعونية قديمة وكان بصحبته من تدعى «سارة» أسكنها في بيت وفره له تاجر إنجليزي ، وظل يواصل رحلته التي كانت أشبه بالخيال متطى ظهر أحد المراكب النيلية حتى وصل إلى الفيوم .. «بلزوني» هذا هو الذي فتح الباب للسطو على آثار مصر وسرعان ما أتباعه الباقون كما يذكر «بريان فاجان» في كتابه «نهب آثار وادي النيل ودور لصوص المقابر» .



المعبود آمون

.. كتب عن واحة آمون كُتِر من المؤرخين والأدباء والباحثين والعلماء فقد كان لهذه الواحة شهرة عظيمة ضربت الآفاق من خلال ما كتب عنها وما دبجته يراعة المؤرخين عن زيارة الإسكندر الأكبر المقدوني لها وما نسج حول هذه الزيارة من أساطير .

.. آمون كلمة فسرها العلماء « بالواحد الخفي » أو « الواحد السري » . وقد روى المؤرخ الكبير « بلوتارخ » في كتابه « دي أسيد De Iside » أن لفظة آمون على ما جاء في « ميثون » معناها « ماخفي » أو (الخفاء) (□) .

.. آمون هو أحد الآلهة الذين قدسوا وعبدوا في مصر القديمة ، وهو إله طبيعة ، وهو معبودها الأول ، ويعرف في الميثولوجيا المصرية « إله الحصاد » وكان عباده ومقدسوه يتمثلونه على هيئة كبس بقرون ملتوية على أذنيه .

.. وكان العديد من المصريين عندما تلم بهم الأثمات وتحذبهم الأمور يستصرخون هذا الإله المعبود لكي يرفع عنهم هذا الضر ويقيهم الشر .

.. وعن هذه الواحة التاريخية كتب « إلكسندر شارف » فقال :

.. إن رمسيس الثاني في خلال حربه مع الحيثيين العدو الأكبر حيث كان ملكهم إذاك هو مواتال (1300 إلى 1290 ق. م) قد أعد العدة إلى غزو فلسطين واستعان الحيثيون بفرق أجنبية واستعانوا خلال الحرب التي نشبت بين رمسيس

(1) عبد اللطيف واكد واحة آمون مكتبة الأنجلو 1949 .

وبينهم بالعجلات الحربية وكذلك المصريون حيث كان الفارق بين هذا وذاك أن العرب المصرية يعتليها مقاتلان أحدهما يتولى قيادة الحصانين بينما ينهك الثاني في القتال ، أما العرب الحيثية فكان يعتليها ثلاثة رجال فالأغلب ، وحيث دارت الموقعة الحاسمة بين المصريين والحيثيين عن حصن قادش على نهر الأورونط بسوريا وكتب عنها العالم الأثري الأمريكي «برستت» مؤلفاً وافياً عنها .. كان رمسيس الثاني يتقدم أولى فرقه الحربية وفوجى بالعدو يداهمه ويخرب معسكر فرقة آمون فاتجه رمسيس الثاني بدعائه إلى آلهة آمون يطلب منهم النجدة وأستطاع رمسيس بهجومه أن يوقف جيش الحيثي نحو الجنوب وإن كان بعض المؤرخين يرون أن المعركة انتهت بانتصار الحيثيين بيد أن إلكسندر شارف أكد في كتابه «تاريخ مصر القديمة من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية» يذكر أن المصريين أنتصروا فوق أرض المعركة وإن كان لم يعد هذا النصر عليهم بأي كذب حربي ، إذ أنهم لم يقوموا بالاستيلاء على حصن قادش .

.. وقد اعتبر المصريون القدماء « آمون » ، ولا سيما أهل طيبة حاضرة الأقصر ، بل الصعيد برمته هو معبود طيبة ، أعظم المعبودات المصرية ، وصار اسمه « آمون رع » وأصبحت منزلته فوق كل الآلهة وأقيمت له العديد من المعابد وقدمت له القرابين النفيسة ، وبعد أن جلا الهكسوس عن طيبة أصبح آمون رع صاحب المكانة الأولى بين جميع الآلهة المصرية ، و« آمون رع Ammon - Ra » تعني إله الآلهة .

.. وكان دور طيبة قد تقلص بعد أن حكم مصر الهكسوس وأطبقوا أيديهم عليها ثم عادت إلى مكانتها الأولى بعد جلائهم عن مصر . فكان فراغ مصر يقودون الجيوش المظفرة إلى الفرات شمالاً ، ويتوغلون بها إلى السودان جنوباً تحت حماية هذا الإله . وكان الجزء الأكبر من الغنيمة التي تحملها الجيوش من تلك الأقطار يجبس على « آمون رع » سيد حاضرة البلاد .

.. وعندما أصبح « آمون » معبود مصر القومي في عهد الدولة الحديثة ، لم يعد

غيره من الآلهة المصرية ، مكانة عظيمة في الديانة المصرية ، لذا كانت تقام المعابد في البلاد المقهورة « للإله آمون : يعبدونه على أنه حامي الدولة المصرية ، وكانت « الإلهة موت » زوج « الإله آمون » تعتبر أم الآلهة المصرية جميعاً .

.. وقد اختفت ديانة «آمون» حال ظهور «أخناتون» إذ أعطى إخناتون جل اهتمامه في الدعوى للإله الواحد وقد كان أخناتون وعائلته هم الذين يتعبدون للإله آتون أما رعيته فكانوا يتعبدون له شخصياً .

.. أخذ كهنة آمون يحيكون لأخناتون المؤامرات للقضاء عليه فأمر بإزالة آمون من جميع المعابد وهجر المدينة وترك الكرنك وذهب إلى مكان جديد أطلق عليه اسم « أفق نون » وهي مدينة « تل العمارنة » على البحر الشرقي للنيل قرابة مدينة ملوي .. ومات أخناتون⁽¹⁾ ولم يتعد سن الثمانية وثلاثين من عمره وبموته مات دينه ، وقد وجدوا على جدران معبده في تل العمارنة ما ترجمه الدكتور « عبد المنعم أبو بكر » (نقلها هنا بنصها وفصها لروعتها) وجاءت الترجمة تقول :

.. إنك تشرقُ جميلاً في أفق السماء.. يا آتون الحيّ يا بدء الحياة.. إنك إذا أشرقتَ من جبل النور الشرقي.. ملأتَ كلَّ بلدٍ بجمالِكَ ومحَبَّتِكَ.. إنك جميل، إنك عظيم.. إنك تتلألُ عالياً فوقَ كلِّ بلد.. أن أشعَّتكَ تحيطُ بالأراضي كلها وبكلِّ شيءٍ خلقته.. لأنك رع، وتستطيعُ الوصولَ إلى نهايتها.. وتستطيعُ أن تجعلَ كلَّ بلدٍ أسيراً لك.. إنك الإله الذي دان الجميعُ بحبِّك.. إنك ناءٍ ولكنَّ أشعَّتكَ على الأرض.. إنك تشرقُ على وجوه الناس .. ولا يستطيعُ أحدٌ منهم أن يتكهنَ بسرِّ قدومِكَ.. حينما تغيبُ في أفق السماء الغربي.. أظلمت الأرض وأصبحت تبدو كأنها ميّتة.. فيستقرُّ الناسُ في حجراتهم وقد غطّوا رؤوسهم.. وانخفض صوتُ زفيرهم .. ولا ترى عيني عيناً أخرى.. ويتسللُ اللصوصُ إلى المنازل..

(1) يقول البعض أن المصريين ثاروا على أخناتون لأنه حارب الأُمونية فتمزقت البلاد . الدكتور وسيم

السيسي ، روزاليوسف 2002 /10 /18 .

ويولون الفرارَ دونَ أن ينتبهَ إليهم أحد.. أمّا السباع فهي تخرجُ من عرينها..
والثعابينُ تنسابُ وتلدغ.. ويخيّمُ الظلامُ ويعمُّ الأرضُ السكون.. عندما يذهبُ
خالقها ليستريحَ في أفقهِ الغربي.. وإذا أصبحَ الصباحُ تشرقُ متألقاً في الأفق..
وعندما تضيءُ كأتونِ أثناءَ النهار.. وتبددُ الظلامَ ويستيقظُ كلُّ من القطرينِ مهلاً..
ويصحو الناسُ ويقفونَ على أقدامهم.. لأنك أنت الذي توقظهم.. فيغتسلونَ
ويلبسونَ ملابسهم.. وترتفعُ أذرعهم معبدين لشروقك.. ثم ينتشرون في الأرض
يباشرُ كلُّ منهم عمله.. أما الماشية فهي فرحة في مروجها.. والأشجارُ والنباتات
فهي تزهو.. والطيورُ فهي ترفرفُ تاركةً أوكارها.. وتسبّحُ أجنحتها بحمديك..
وتقفزُ الحِمْلانُ على أقدامها.. وكلُّ ما يطيرُ أو يحطُّ تهتزُّ أعطافه.. لأنك تشرقُ من
أجله.. وتبحرُ السفنُ شمالاً وجنوباً.. وتعجُّ الطرقُ بالناس.. أمّا الأسماكُ في النهرِ
فهي تقفزُ أمامك.. أن أشعّتك تنفذُ إلى أعماقِ البحر.. إنك تعطي الحياةَ للجنينِ في
أحشاءِ النساءِ.. وإنك تضعُ من النطفةِ الرجال.. وإنك أنت الذي يعني بالطفل في
بطنِ أمه.. ويكنُّ روعه فلا يبكي.. إنك بمثابة المربيةِ للجنينِ وهو لا يزالُ في بطنِ
أمه.. إنك تهب نسيم الحياةَ لكلِّ إنسانٍ خلقته.. إذا خرجَ الجنينُ من بطنِ أمه..
جعلتُ من ذلك يومَ ولادته.. ثم تفتحُ فمه ليتحدّث.. وتدبّرُ ما يحتاجُ إليه.. وإذا
صاصَ الفرخُ في بيضته.. فإنك تهبه الهواءَ لتبقيه حياً.. ثم تمدّه بالقوة حتى يثقبَ
بيضته.. ويخرجَ منها يبيضُ بكلِّ ما لديه من قوّة.. يسعى على قدميه إذا خرجَ
منها.. ما أكثرَ مخلوقاتك.. وما أكثرَ ما خفي علينا منها.. أنت إلهٌ يا أوحده ولا
شبيهَ لك.. لقد خلقتَ الأرضَ حسبما تهوى أنت وحدك.. خلقتها ولا شريكَ
لك.. خلقتها مع الإنسانِ والحيوانِ كبيرةً وصغيرةً.. خلقتها وكلُّ ما يسعى على
قدميه على الأرضِ.. وكلُّ ما يحلّقُ بجناحيه في السماء.. خلقتَ بلاد سوريا والنوبة
ومصر.. وأقمتَ كلَّ إنسانٍ في مكانه.. ودبرتَ لكلِّ إنسانٍ ما يحتاجُ إليه.. وجعلتَ
لكلِّ منهم أيامه المعدودة.. لقد تفرقت ألسنتهم باختلافِ لغاتهم.. كما اختلفت
أشكالهم وألوانُ أجسادهم.. لأنك أنت الذي يميّزُ أهلَ الأممِ الأجنبية.. لقد

خلقت النيل في العالم السفلي.. ودفعت به إلى أعلى بحسب مشيئتك.. ليحفظ أهل مصر أحياء.. وذلك لأنك أنت خلقتهم لأجل نفسك.. وأنت سيدهم جميعاً، الذي يشغل نفسه من أجلهم.. أنت يا شمس النهار.. يا عظيماً في جلالك.. أنت الذي يعطي الحياة لكل البلاد الأجنبية البعيدة.. لقد جعلت نيلاً يهبط إليهم من السماء.. وجعلت له أمواجاً تتدافع على الجبال كالبحر.. لتروي حقولهم التي في قراهم.. ما أعظم تدبيرك يا سيد الأبدية.. وهبت نيل السماء لشعوب الجبال.. فأحييت حيواناتها وكل من يسعى فوق أقدامه.. أما النيل فهو يخرج لمصر وحدها من العالم السفلي.. تغذي أشعتك كل حديقة.. ويحيا وينمو كل نبات إذا ما أشرقت عليه.. لقد خلقت الفصول لكي تحيي كل مخلوقاتك.. وجعلت لهم الشتاء ليتعرفوا على بردك.. ثم جعلت لهم الصيف ليتذوقوا حرارتك.. لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق فيها.. وحتى ترى كل ما صنعت.. وذلك عندما كنت وحيداً.. أنت الوحيد الذي تشرق في صورته كأتون الحي.. ساطعاً متألئاً رائحاً وغادياً.. لقد خلقت في نفسك تلك الأشكال التي تعدد بالملايين.. مدناً وقرى وقبائل وجبالاً وأنهاراً.. كل العيون ترنو إليك.. لأنك أنت آتون الذي يشرق في النهار على الأرض.

.. وحينما تغيب

.. وكل الخلق الذين أمددتهم بالحياة

.. لكي لا تجد نفسك وحيداً بعيداً

.. يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما خلقتهم

.. إنك في قلبي

.. وليس هناك من يعرفك

.. غير ابنك «نفرخبرورع».

.. إخوانتون.

.. إنك أنت الذي ثقفته بتدبيراتك وقوتك
.. إنك أنت الذي أمددته بالحكمة
.. أنت الذي صنعت الدنيا بيدك
.. وخلقته الناس كما شئت أن تصوّرهم
.. إذا ما أشرقت عاش الناس
.. وإذا ما غربت ماتوا
.. إنك أنت الحياة
.. ولا يحيا الناس إلا بك
.. تستمتع العيون بجمالك حتى تغرب
.. فإذا غربت في الأفق الغربي
.. ترك الناس أعمالهم كلّها
.. ولكن عندما تشرق ثانية
.. يزهو كل شيء لأجل الملك
.. لأنك أنت الذي خلقت الأرض
.. وأنت الذي خلقت الناس لأجل ابنك
.. الذي ولد من صلبك
.. ملك مصر العليا ومصر السفلى
.. الذي يحيا في الحق
.. سيّد الأرضين (أخناتون)

.. الذي يحيا إلى الأبد

.. ثمة وجهة نظر لدى بعض الباحثين وزمرة لا بأس بها من المؤرخين ترى أن أخناتون هو أبو الأنبياء « إبراهيم عليه السلام » .. حيث يعد الفرعون المصري أخناتون من أكثر شخصيات التاريخ الديني إثارة للجدل باعتباره أول شخصية في التاريخ المدون تعتق عقيدة التوحيد الديني ، ولأن سنوات الأخيرة من حكم أخناتون قد كتفها الغموض . وكذلك عدم ثبوت مسألة موته .. وعدم وجود جثمانه في مقبرته التي نحتها لنفسه في جانب الشرقي من مدينته المقدسة « أخت أتون » ، وكذلك خلو تابوت دفنه الذي وجد خلواً من أية آثار للتحنيط مما يقطع بعدم دفنه فيه .. الأمر الذي فتح باباً واسعاً لكافة التصورات لهذا الفرعون .

.. وقد أشار مؤلف كتاب « حكايات من التاريخ .. الفراعنة والأنبياء » للأستاذ «محمود الشامي» إلى أن كتاباً قد صدر مؤخراً بعنوان « أخناتون أبو الأنبياء » للباحث « سعد عبد المطلب العدل » شن فيه حملة على العلماء المصريين وجلهم أن لم يكن كلهم من الأجانب ، متهماً إياهم لمحاولة تطويع وتفسير التاريخ المصري ليوافق معتقداتهم وأهدافهم الخاصة .

.. في شهر أكتوبر من كل عام، وعند اكتمال القمر تبدأ احتفالات أهالي واحة سيوة بعيد الليالي القمرية أو «عيد السلام» أو «عيد السياحة».

.. حيث يجتمع السيويون شيوفا وشبابا وأطفالا ونساء، علي مائدة واحدة، ، تاركين منازلهم ويحمل كل شيخ قبيلة مائدة من الطعام علي رأسه ليقدمها لكل الناس، لافرق بين غني وفقير، ولا يبدأون في تناول الطعام قبل إطلاق إشارة البدء من شخص يسمى القدوة يجلس في أعلى مكان على الجبل، وبعدها تبدأ الاحتفالات والأناشيد لأهم عيد في سيوة.

.. وعندما يحل مساء اليوم الأول للاحتفالات يجلس شيوخ القبائل يروون قصص البطولات والتصدي للغزاة وأمجاد سيوة القديمة.

.. فمع بداية الأيام الثلاثة للاحتفال يترك جميع رجال سيوة منازلهم وأعمالهم لصعود جبل الدكرور، حيث مدينة «شالى» أو سيوة القديمة والإقامة في البيوت القديمة أو داخل الخيام طوال الاحتفال، ويندمج الكل مع الكل لا فرق بين غنى وفقير ولا قوى وضعيف وتصفى الخلافات ويتصالح المتخاصمون حتى لا يكون هناك ضغينة أو خلاف مهما عظم أو صغر بين أهل الواحة.

.. تعود بداية هذه الحدث لحوالى مائة وستين عاما عندما كانت المعارك والحروب على أشدها بين قبائل سيوة الغربيين ذوى الأصول العربية والذين كانوا يسكنون السهل وقبائل سيوة الشرقيين ذوى الأصول الأمازيغية الذين كانوا يسكنون جبل الدكرور.

.. ومع اشتداد النزاعات نزل بالواحة أحد العارفين بالله منذ حوالى 160 عاما، كما تجمع الروايات وهو الشيخ محمد حسن المدنى الظافر مؤسس الطريقة المدنية الشاذلية فى سيوة والذى تعود أصوله إلى مدينة إسطنبول فى تركيا.

.. وأقام فيها واستطاع المصالحة بين أهل سيوة الشرقيين والغربيين ووضع نظاما لتجديد المصالحة سنويا، حيث يجتمع رجال وشباب سيوة دون تمييز أو فوارق بهدف السياحة فى حب الله وذكره سبحانه وتعالى، ومن هنا جاء مسمى عيد السياحة والجميع يجلسون على الأرض يتناولون الطعام معا والمصالحة، وحل المشاكل ومازال هذا النظام بكل تفاصيله الأخرى

.. الليالى القمرية الثلاث فى شهر أكتوبر هى موعد عيد الحصاد أو الصلح أو السياحة، لكل اسم معناه أو أسطوره. يخرج معظم أهالى سيوة إلى حيث جبل الدكرور للاحتفال، يشاركهم زوار مصريون وأجانب. عند سفح الجبل ترسم مظاهر العيد ملامح من عزلة سيوة وتأثرها بموجات العابرين.

.. عيد «السياحة» يسمى أيضا «عيد الحصاد» لموافقته موسم حصاد البلح

والزيتون اللذين يغلبان على زراعة سيوة، أو عيد سيوة، لأنه أصبح بمثابة عيد قومي مميز لأهل الواحة وحدهم. مواعده الليالي القمرية في شهر أكتوبر من كل عام.

.. ورغم أن هذه الفترة تجتذب أعدادا أكبر من السياح الراغبين في رؤية مظاهر الإحتفال بجانب الاستمتاع بطبيعة سيوة المميزة، فإن عيد «السياحة» لا يسمى كذلك بسبب هذه السياحة، ولكن نسبة إلى منطقة السياحة بمعنى الخروج إلى الخلاء عند سفح التلال الثلاثة المكونة لما يطلق عليه أهالي سيوة جبل الدكروور، وهي المنطقة التي كان ولا يزال المتصوفة يخرجون إليها يسيحون في الأرض بعيدا عن العمران رغبة في التأمل والذكر.

.. ينهكم الطاهون في الذبح والطبخ على وقع الأناشيد والأذكار، بينما ينصب الباعة وأصحاب الألعاب خيامهم على طريق الدكروور الممتد من الجبل إلى أول الطريق المفضية إلى قلب الواحة.

.. دائما ما كانت سيوة بوتقة تتلاقى فيها تأثيرات متنوعة، فهي تتأرجح بين نمط فريد من العزلة بحكم الموقع في عمق الصحراء: على بعد 800 كيلومتر غرب وادي النيل و120 كيلو مترا شرق الحدود الليبية، ونحو 300 كيلومتر جنوب ساحل البحر المتوسط. ولكن أهلها الذين يبلغون الآن نحو 30 ألف نسمة تمتعوا على الدوام بتسامح ووداعة مع الزوار الأجانب، وبحكم حجم الواحة لم تتمكن غالبا من صد الغزاة وتأثيراتهم.

.. في الواحة يوجد آثار فرعونية وإغريقية مع آثار زيارة للإسكندر الأكبر. غزوات البدو الصحراويين أجبرت أهالي الواحة لقرون على الإختباء فوق جبل يتوسط المدينة يسمى الآن جبل شالى. كانت كل بيوت سيوة فوق الجبل ذات نوافذ ضيقة يحميها حصن ترابي

.. كان الشرقيون من قبائل «الظنانين والعدادسة والحدادين» أما الغربيون

كانوا « من قبائل أولاد موسى والسراحنة والشحايم والبعارنة » ، وهذه الأخيرة رأيت أن ما مقامها في شالي بعيداً عن أملاكها التي تقع بجوار « أغورمي » شاق عليها ، فتركت « شالي » وانتقلت إلى « أغورمي » وجاوروا بعضاً من بقايا الرومان المقيمين فيها ، ولكنهم ظلوا على تبعيتهم للغربيين . وقد أتخذ كل فريق لنفسه اسماً آخر غير الشرقيين والغربيين ، فأتخذوا الشرقيون لأنفسهم اسم « اللفاية » ، ومعناها « الليونة والبشاشة وسعة الصدر والتهاون في الأمور . وأتخذ الغربيون لأنفسهم اسم « التخصيب » ومعناها بعكس اللفاية .

.. وأغورمي هذه طبقت شهرتها الأفاق وطال ذكرها في العالم القديم يلمع كما يلتمع البرق في أفنى ليل معتم الكل يتلمس بين دجته النور فكان فيها الهدى لمن أراد ، والنور لمن ضل ..

.. يتسائل « عبد اللطيف واكد » من خلال ثنايا التاريخ .. أهذه مُحجة المقدونيين والأغارقة .. ومثيرة غضب « قميز » الطاغية الفارسي الذي سير إليها خمسين ألف من رجاله لإحراقها بعد تحطيم معبدها ، فغضبت عليه فأهلكت جيشه في مجال الصحراء ولم يقف لهم أحد من البشر على أثر ؟ .. ولحقته لعنتها فأهلكته قبل أن يصل مقر عرشه ؟ وتم قتله على يد قوات جيشه بعد خروجه من مصر .

.. أهذه هي المدينة التي خشي غضبتها « دارا الأول » ملك الفرس ؟ ، فشاد معبداً في إبط الصخرة مُقدماً الزلفى لآمون ، وهذه الصخرة العاتية تعلو على هام النخيل ، فتبدو كالجزيرة وسط بحر أخضر يموج مع الريح حملت على هامها واحتضنت بين ذراعيها أكبر معبد لأعظم إله عُبد في مصر وفي بلاد الإغريق .. ولقد إنساق إليها ، « الإسكندر المقدوني » بجيشه اللجب لا يبغي غير التكرم لآمون ، لكي ييسط حمايته عليها .. وكانت أكبر أمانيه أن تثوى رفاتة في هذا المكان ، الذي تهدم وصارت تعلوه بنايات حقيرة ، وهناك تنفجر عين الشمس التي

يقال أنها « عين جوبا » المعروفة .. ولم يحصل عليها أحد إلى اليوم ، وكانت تتميز بخواص غريبة ، جعل لون مائها يتغير في اليوم إلى ألوان عديدة ، بحسب تقدم الشمس في كبد السماء ، وكذلك حرارتها، إذ تكون فاترة عند طلوع الشمس ثم باردة عند الظهيرة .. ثم فاترة إذا ما حل المساء ، وتصل إلى درجة الغليان في منتصف الليل .

.. وحيث دأب الشقاق بين القبيلتين وأشتعلت النار وشب الأوار ، وكان لا بد لهم من يد حاكمة تدير شئونهم دون تحيز أم محاباه . فأنتخبوا عدداً من رؤساء القبائل وأطلقوا عليه مجلس الأجواد ، أحد القضاة ويدعي القاضي (صوري) الذي ينتمي إلى عائلة الهيريات المتفرعة من قبيلة الظنابن ، وقد قام من يدعى «عمر مسلم» الذي حلم بثناء سيوة وخصب أرضها فيمم وجهه صوب الصعيد وأستحضراً بلحاً أعده للوقف الديني وأعد لهم قانوناً كشف عن عقلية خاصة به وسط ذلك المحيط المظلم تمثل في الآتي :

.. **المادة الأولى :** كل من يحدث شجاراً في مكان لا يبعد عن محبط البلد ألف متر ، يعاقب بغرامة قدرها أربعون صاعاً بلحاً أن كان المحصول بلحاً أو عشرون صاعاً قمحاً أو شعيراً أن كان المحصول كذلك ، وبنصف هذه القيمة أن كان الشجار في مكان يبعد عن محيط البلدة بأكثر من ألف متر ..

.. **المادة الثانية :** كل « زقال » يغني في جوار البلد يجلد أربعين جلدة .

.. **المادة الثالثة :** كل من يتخلف عن جنازة في البلد يجلد أربعين جلدة أن كان من أبناء قبيلة المتوفي ، وإن كان أجنبياً عنها يقاطع (49م) .

.. **المادة الرابعة :** كل من يتزوج بإمرأة زانية يجلد مائتي جلدة .. وتطلق منه فوراً .

.. **المادة الخامسة :** كل من يزوج أبنته أو أخته بنزبل غير ملتجئ لقبيلة ، أو مدون اسمه أمام أحد الأهلين يجلد ثمانين جلدة وتطلق الزوجة من زوجها النزبل .

.. المادة السادسة : إذا باع أحد سلاحه لأجنبي يجلد ثمانين جلدة ويحجر على إرجاع السلاح المباع .

.. المادة السابعة : كل من يسرق وتثبت عليه السرقة يشنع به أولاً بأن يركب حماراً ويدور في البلد ، ومن حوله الأطفال يهللون ويصفقون ، ثم يجلد بعد ذلك مائة جلدة .

.. المادة الثامنة : كل من تزني من النساء السيويات ، إما أن يقتلها زوجها ولا يحاسبه مجلس الأجواد ، وإما أن يحملها على بغير أو أية راحلة أخرى ، ويذهب بها إلى الواحات البحرية حيث يتركها هنالك .

.. المادة التاسعة : إذا خرج أثنان وعاد أحدهما قبل الآخر بغير سابق اتفاق بينهما يقضي بالافتراق قبل أن يخرج ، يجلد أربعين جلدة .

.. هذه بعض مواد قانون العقوبات التي وضعها القاضي صوري ، وستتولى شرحها في باب التعليقات . وإليك بعض مواد القانون العام :

ومن حيث توزيع المياه : فيقوم اثنان :

(أ) مؤذن المسجد العتيق : الذي عليه إعلان الوقت مؤذناً في مأذنة المسجد بعد نصف الليل بساعة ونصف الساعة ويسمى هذا الإعلان الثناء الأول (ثانول) وبعد ساعة ونصف من الثناء الأول ، يؤذن أذاناً ثانياً يسمى « تأذهب » وعلى كل من يسمع الأذان أن يترك الماء أو يبدأ أن كان عليه دور الري ويعمل هذا بمنازل النجوم .. وأما المواعيد بعد « تأذهب » فتسير مع طلوع الفجر ، وشروق الشمس إلى أن يسلم الأمر للموكل بالتنزيم نهائياً .

(ب) الرقاب : وحققتها « الرقيب » وهذا يعمل نهائياً من شروق الشمس على المزاوله .

.. وعلى كل من له موعد استلام ماء ، أن يذهب إليه في مكانه الذي اتخذه عند

«خص أبي عجاجة» ويخبره بموعده ، فإذا ما حل أخبر الرقاب صاحب الموعد.

..ومن حيث مزادات العاقول :

.. لمجلس الأجواد حق إشهار مزاد بيع العاقول النامي في حطايا الواحة كلها ، التي لا يملكها أحد ، ويحدد وقتاً للمزايدة ، وأن يرسو المزاد على صاحب أعلا سعر ، ويجمع القمح الذي رسابه المزاد في كل حطية ويصير لبيت المال الذي ينفقه في المنافع العامة وهي :

(أ) الرقيب : أربعون صاعاً من القمح .

(ب) السقى العمومي : أربعون صاعاً من القمح .

(ج) يقسم الباقي بين كاتبى البلد وكاتب العاقول ، وإصلاح آبار المسجد العتيق ، ومسجد المنشية ، وإصلاح القناطر ، ووكيل بين المال .

.. ومن حيث المساطيح :

(أ) لا يجوز لأحد أن ينقص من الطريق الرئيسي الذي يمتك على رءوس الموارس البالغ مترين .. وكذلك الطرق التي بين الموارس وعرضها ذارعاً ، وطوله من شمال المسطاح إلى جنوبه .

(ب) إذا أراد أحد بيع حقه في « المارس » فينبغي أن يبيع الأذرع طولاً .. وأن يكون عرض المارس الأصلي طولاً للقسم الذي يبيعه .

.. وبهذا القانون أخذت شالي تساس بواسطة مجلس الأجواد وهي آخذة طريقها نحو الإمارة المستقلة .. وقد صارت بالفعل عن طريق « إبراهيم باغي » 1711 1697 كبير عائلة الظننين إمارة مستقلة داخل الحدود المصرية لها قانونها ، وأميرة ، وجيشها ، ومجلسها النيابي .. ولاسلطان من خارجها لأحد عليها وقد كانت مصر آنذاك تابعة للدولة العثمانية ، ولم تكن « سيوة » آنئذ بالإقليم الذي يمكن أن يكون فيه المغنم ، فلم يفكر أحد في التعرّيج عليها .

.. إبراهيم باغي « استثاره بالسلطة » وتسببه في موقعة حربية بين الشرقيين
والغربيين ، التي كانت كما عبر الشاعر :
ولما تداعى القوم، واشتبك القنا ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وزُين للناس الفرار من الردى وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا سقينا بكأس لا يفيق لها شرب
صبرت لها حتى تجلت سماؤها وإني صبور أن ألمّ بي الخطب
.. كما هي كذلك هذه الحرب الضروس التي اشتعلت بين الشرقيين والغربيين
وسقط الكثير من القتلى والجرحى واصطلى الجميع بنارها ، كما عبر « حافظ
إبراهيم » عندما قال :

سائِلُوا اللَّيْلَ عَنْهُمْ وَالنَّهَارَا
كَيْفَ أَمْسَى رَضِيعُهُمْ فَقَدَ الْأَ
كَيْفَ طَاحَ الْعَجُوزُ تَحْتَ جِدَارِ
رَبِّ أَنْ الْقَضَاءَ أَنْحَى عَلَيْهِمْ
وَمُرِّ النَّارِ أَنْ تُكْفَ أَذَاهَا
أَيْنَ طُوفَانُ صَاحِبِ الْفُلْكِ يَرُوي
أَشْعَلَتْ فَحْمَةَ الدِّيَاجِي فَبَاتَتْ
عَشِيَّتُهُمْ وَالنَّحْسُ يَجْرِي يَمِينَا
فَأَغَارَتْ وَأَوْجَهُ الْقَوْمِ بِيضُ
أَكَلَتْ دُورَهُمْ فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْهُمْ
كَيْفَ بَاتَتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْعَذَارَى
مَّ وَكَيْفَ اصْطَلَى مَعَ الْقَوْمِ نَارَا
يَتَدَاعَى وَأَسْقَفِ تَتَجَارَى
فَاكْشِفِ الْكَرْبَ وَاحْجِبِ الْأَقْدَارَا
وَمُرِّ الْعَيْثِ أَنْ يَسِيلَ انْهَمَارَا
هَذِهِ النَّارُ؟ فَهِيَ تَشْكُو الْأَوَارَا
تَمَلَأَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ شَرَارَا
وَرَمَتْهُمْ وَالْبُؤْسُ يَجْرِي يَسَارَا
ثُمَّ غَارَتْ وَقَدْ كَسَتْهُمْ قَارَا
تُغَادِرُ صِغَارَهُمْ وَالْكِبَارَا

.. كما أن « إبراهيم باغي » سار على سياسة فرق تسود حتى إنقض على قبيلته
أهل « أغورمي » وأعملوا فيهم الضرب والتقتيل .. ودأب الفريقان على إغتصاب

المياه الموجودة في ماء العين حتى قاتلوهم وقتلوا منهم اثنين ، ولكن الواحة في عهد إبراهيم باغي إزدهرت فأخذ البدو يختلفون إليها بكثرة .. وبموت إبراهيم باغي في عام 1911 انفرد عقد اللفاية ، وتوجه فريق من الشرقيين إلى أغورمي ليفوض كبير قبيلتهم حتى يسكن القتال الذي أحتم أمره وأنهى هزيمة الغربيين ولم يبق أمام الشرقيين إلا أحمد بن الحاج عمر الذي إنزوى بنفسه بعزلة تامة فأقام لمدة سبعة عشر عاماً في أغورمي .

.. وقد قضت سيوة أكثر من قرن من الزمان في فوضى عارمة لا يجمع أمرها أحد بعد موت إبراهيم باشا ، وظلت الواحة في ذلك حتى ظهر رجل من الغربيين وهو « علي بالي » ورحل عن الواحة وتوجه إلى محمد علي باشا شاكياً ناعياً فأرسل معه قوة صغيرة بقيادة « حسن بك الشمشرجي » الذي فتح الواحة التي صحت من نومها على دوى المدافع التي أطلقها الشماشرجي بجيش عدته ألف وأربعمائة جندي نظامي وأربعمائة فارس من عرب البحيرة تحت إمرة أبي نجيلة أحد مشايخ العربان بالبحيرة .. صار القوم يأترون بأمر « علي بالي » متحينين الفرص للقضاء عليه فأنقضوا من حوله إنقضوا عليه وقتلوه .. وبموته انفرد « موسى بواش » بالحكم وأخذ يكيل الظلم للناس وعند خروجه من المسجد طعنوه بخنجر فخر سريعاً بعد أن قضى في حكم سيوة 23 عاماً وكان ذلك في عام 1949 م .

.. وعندما علم من يُدعى « موسى جويش » بمقتل أبيه حتى قصد القاهرة وعرض الأمر على « عباس باشا الأول » وأعطاه فرماناً بتوليته أمر البلاد فعاث في أرضها فساداً أخذ يحاكم من يشاء ثاراً لأبيه ويقتل من يريد ، ثمناً لدم أبيه المسفوك الأمر الذي أغضب الحاكم العسكري ورفع الأمر للحكومة المصرية التي أدانة يوسف جاويش وأخوه كوني جاويش وجاء البريد بإعدامهما بيد أنهما أشعلا النار في دارهما بعد أن تحصن فيها .. ونفذ الإعدام في هذين الأخوين رمياً بالرصاص . وبموتهما أتمس الحظ ليوسف علي بالي الذي جاء من برقة فقيراً معدماً

فأقبلت عليه الدنيا بعد أن أغرى أهل الواحة بقتل السائح الإنجليزي «هملتون Hamelton» عام 1852 وتوافد الأهلون على بيت السائح الذي يقيم فيه وأخذوا يرمون النوافذ بالطوب والحجارة ويسخرون هذا الكافر النصراني هملتون ، فما كان من هملتون أن أرسل كتاباً للحكومة المصرية خفية مع أعرابي بسط فيه أمره ولم تمض أربعون يوماً حتى خفت لنجدته قوة مسلحة . وذهب هملتون إلى الوالي عباس وشكره وأن الفوضى التي بالواحة لا يقوى على القضاء عليها غير يوسف علي بالي الذي كان حاكماً عليها كما سبق القول فتحقق حلم يوسف علي بالي فأصبح حاكماً عليها.

.. وذهب إليه قاتل أباه يحمل كفته على يديه واعترف له بأنه هو الذي اقترف جريمة قتل أبيه .

.. ودارت الأيام دورتها وانتقض الغربيون في وجه الشرقيين ومنهم يوسف علي بالي وانتهت المعركة التي دارت رحاها بين الغربيين والشرقيين وقت المبارك وانقرضت بهذه المثابة أسرة « أولاد فاني » كان ذلك في عام 1875 م .

.. وإذ رأت الحكومة المصرية الطغيان الذي يترتب على تقليد أبناء الواحة زمام الأمر فيها .. فألغت هذا النظام ، وجعلت من المأمور حاكماً على الواحة .

.. وكان أول حاكم مصري للواحة « حسن رفعت » وكان شديد الوطأة على الأهليين وكانوا يرهبونه .. وكان يجبرهم على أن يقولوا الحق أو يقسموا على رأس حميرهم بأن ما يقولونه إنه الحق ، فكانوا يتجنبون القسم على رأس الحمار وينطقون بالصدق فقد دعوه « أفندي ون ينظيط » ومعناها « الأفندي نباح الحمار »؟! .

.. وعندما توفي ترك زوجة شابه لها من الحسن والجمال نصيب وافر ، وعلى جانب من الثراء عندما تقدم أحد ثراء الشرقيين للزواج منها تركت الزوجة ابن زوجها استصغاراً لشأنه وعرض الأمر على القاضي الشرعي الذي كان يُوفد إلى

سيوة من قبل الحكومة المصرية وعادته المرأة الأرملة إلى ذويها فقد أشتعل أوار الحرب بين الغربيين والشرقيين تحت زعامة محمد سعيد أبو دراع وكان يطلق على هذه الحرب (حرب الأرملة) .

.. ورأت الحكومة المصرية إزاء هذه الأحداث أن تضاعف القوة الرابضة في الواحة لإحلال النظام والأمن فانصلح أمرها على يد « مصطفى ماهر باشا » الذي وضع عنها تقريراً شاملاً ورفعته إلى ولاة الأمور في الدولة فأصلحوا من أمرها وشأنها .

واحات الصحراء الغربية

.. الذي لا مساحة فيه أن العلاقة بين المكان والزمان لا تنفك عن كونها علاقة متلاحمة جعلت عدداً غير قليل من الفلاسفة والمفكرين يقرون دراستهم لأحدهما بدراسة الآخر لأنهما ولا مرأء أنهما معاً يشكلان ثنائياً متصللاً على الرغم من أن تبايناً بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان .

.. حيث أن الزمن يرتبط بالإدراك الزماني فالمكان يرتبط بالإدراك الحسي .

.. وقصص الأماكن في القرآن الكريم متنوعة ومتعددة ومنها جبال أراوات (وتعرف أكري داغ ، أو جبل الحارث) الذي هو الجودي ، مصداقاً لقول الله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: 44].

.. هو أعلى قمة جبلية (5165 م) بتركيا . جبل أراوات بركان نائم تغطيه الثلوج، يقع في شمال منطقة شرق الأناضول بمحافظة أغري، على بعد 16 كلم من الحدود مع إيران و32 كلم من الحدود مع أرمينيا.

.. يبلغ قطر جبل أراوات حوالي 40 كيلومتر يحاذي حدود إيران وتركيا وأرمينيا وأذربيجان. وله قمتان: ماسيس الكبير (أعلى قمة في هضبة أرمينيا بارتفاع 5.137)، وماسيس الصغير أقل ارتفاعاً (بارتفاع 3.896). وتشكل الجبل نتيجة لثورات البركانية وكميات الحمم. سجل آخر نشاط زلزالي في شهر يوليو من سنة 1840 م (□).

(1) فتحي فوزي عبد المعطي - قصص الأماكن في القرآن الكريم .

.. ترتبط جبال أرارات بعدة ديانات حيث طبقاً لكتاب التكوين، فقد استقرت سفينة نوح على قمته، كما يحظى بمكانة رفيعة لدى الأرمن، حيث يرتبط بالقومية الأرمنية منذ عصور ما قبل الميلاد.. وهذا الجبل هو الذي فكر الرئيس الراحل «محمد انور السادات» من نافذة الطائرة التي كانت تقله من رومانيا إلى القاهرة، في أن يقوم بزيارته لإسرائيل تمهيداً لعملية السلام. وهو يمر بطائرتة عليه.

.. تمكن «فريدريتش بارو» ابن أول رئيس لجامعة تارتو باستوني الأول مرة من تسلق الجبل والوصول لقمته برفقة أربعة من الطلبة. كان ذلك سنة 1829 .

.. ولقد استخدمت النظرية الحسية «لأنشتين» مفهوماً جديداً لهذا الموضوع يتمثل بمفهوم المتصل المكاني .

.. ومنها (بابل) بالعراق كلمة بابل تعنى باب الإله وصارت بابل بعد سقوط السومريين قاعدة إمبراطورية بابل، وقد أنشأها حمورابي، حوالي 2100 ق.م امتدت من الخليج العربي جنوباً إلى نهر دجلة شمالاً. وقد دام حكم حمورابي 43 عاماً ازدهرت فيها الحضارات البابلية حيث يعد عصره العصر الذهبي للبلاد العراقية وبها حدائق بابل المعلقة التي تعد من عجائب الدنيا السبع وكان يوجد بها ثمانى بوابات وكان أفخم هذه البوابات بوابة عشتار الضخمة وبها معبد مردوخ الموجود داخل الأسوار بساحة المهرجان الديني الكبير، الواقعة خارج المدينة وقد سماها الأقدمون بعدة أسماء منها (بابلونيا) وتعنى أرض بابل ما بين النهرين وبلاد الرافدين وسميت بابل بحسب الكتاب المقدس:

.. الاسم مشتق، من كلمة بلبل، وسميت بهذا الاسم بحسب ما ورد في الكتاب المقدس بسبب حادثة شهيرة، عندما حاول الناس أن يصنعوا برج عال ضد ارادة الله، فبلبل الله السنتهم، لذلك سميت هذه المنطقة بابل.

.. النص المذكور في سفر التكوين 11

.. (وَكَانَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. ² وَحَدَّثَ فِي أَرْحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. ³ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِنَا وَنَشْوِيهِ شَيْئًا». فَكَانَ لَهُمُ اللَّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحَمْرُ مَكَانَ الطِّينِ. ⁴ وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لِأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لِأَنْفُسِنَا اسْمًا لِكَلَّا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ». ⁵ فَتَنَزَّلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ الَّذِينَ كَانُوا بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. ⁶ وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِكُلِّهِمْ، وَهَذَا أَيْدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. ⁷ هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلِّبْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». ⁸ فَبَدَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنِ بُيَانِ الْمَدِينَةِ، ⁹ لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لِأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلَّبَلَ لِسَانَ كُلِّ الْأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ) (□).

.. كما يقال أن اسم بابل جاء من لفظ «باب ايلو» من اللغة الاكديّة ومعناه «باب الله» ونفس اللفظ ترجمة الكلمة السومرية «كادنجر» وهو اسم العاصمة العظيمة لمملكة بابل القديمة «شنعار» المذكورة في تك 10:10 و14:1 والأسماء الأخرى التي أطلقت على المدينة كثيرة، منها «تندير» مركز الحياة و«ايريدوكي» المدينة الطيبة آي الفردوس، إذ كان البابليون يعتقدون أن جنة عدن في بقعتها و«سو-انا» اليد العالية، ويظن أن المعنى «ذات الأسوار العالية».

.. ترتفع أراضيها المنحدرة نحو الجنوب 35 م فوق مستوى سطح البحر، يسودها مناخ صحراوي يمتاز بقلّة سقوط الأمطار وارتفاع درجات الحرارة صيفاً والتي تصل إلى 50 م، يسودها جو دافئ شتاءً

(1) الكتاب المقدس العهد القديم

.. وأيضاً كذلك (الأحقاف) عاد الشعب العربي قطن في الجزيرة العربية. أرسل الله إليهم نبي منهم هود فرفضوا الاستجابة للنبي ونزل عليهم عقاب رباني عاصفة ولم ينجوا منهم احد باستثناء هود والمؤمنين.

.. الأحقاف جمع حقف أي الرمال أو الرمال المرتفعه.....ونملك في عالمنا العربي المزيد من الأحقاف... أحقاف اليمن، أحقاف مصر، وغيرها، مدينة ارم عاصمة قوم عاد تقع في المنطقة بين اليمن وعمان وقد ذكر المؤرخون أن عاداً عبدوا أصناماً ثلاثة يقال لأحدها : صداء وللآخر : صمود، وللثالث : الهباء وذلك نقلاً عن تاريخ الطبري . ولقد دعا هود قومه إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام لأن ذلك سبيل لانتقاء العذاب يوم القيامة.

.. وكذلك (الحجر) وهي مدائن صالح وكانت تعرف قديماً بمدينة الحجر، هي موقع أثري يقع في شمال غرب المملكة العربية السعودية وتحديداً في محافظة العُلا التابعة لمنطقة المدينة المنورة . يحتل المكان موقعاً إستراتيجياً على الطريق الذي يربط جنوب شبه الجزيرة العربية ببلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر، كما أن للمكان شهرته التاريخية التي استمدّها من موقعه على طريق التجارة القديم الذي يربط جنوب شبه الجزيرة العربية والشام، والحجر اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة المنورة وتبوك . ورد ذكر الحجر في القرآن على أنها موطن قوم ثمود، اللذين استجابوا لدعوة نبي الله صالح، ثم ارتدوا عن دينهم وعقروا الناقة التي أرسلها الله لهم آية فأهلكهم بالصيحة . تعد مدائن صالح من أهم حواضر الأنباط بعد عاصمتهم البتراء، إذ تحتوي على أكبر مستوطنة جنوبية لمملكة الأنباط بعد البتراء في الأردن، والتي تفصلها عنها مسافة 500 كم، ويعود أبرز أدوارها الحضارية إلى القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي، وذلك خلال فترة ازدهار الدولة النبطية وقبل سقوطها على يد الإمبراطورية الرومانية عام 106م، ويُعتقد أن الحجر استمرت في حضارتها حتى القرن الرابع

الميلادي، وكانت عاصمة مملكة لحيان في شمال شبه الجزيرة العربية (□).

.. تضم آثار مدائن صالح عدداً كبيراً من واجهة صخرية منحوتة، كما تضم عدداً من الآثار الإسلامية والتي تتمثل في عدد من القلاع وبقايا خط سكة حديد الحجاز والتي تمتد لمسافة 13 كم وكذلك المحطة والقاطرات في سنة 2008م تم تسجيل الموقع ضمن قائمة مواقع التراث العالمي، ليصبح بذلك أول موقع يتم تسجيله في السعودية. كما يوجد موقع أثري آخر يعرف بمدائن شعيب يقع شمال غرب مدائن صالح ويتبع منطقة تبوك، حيث يحتوي الموقع على آثار تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في مدائن صالح.

.. ومنها (سد ذو القرنين) وهو مكان في التركستان الروسية تلك المنطقة التي تقع في وسط آسيا، ويذكر التاريخ أن مكان هذه المنطقة كان منهم التتار والمغول الذين هاجموا الوطن العربي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي .. كان منهم جنكيز خان سنة 1155 م سنة 1227 م، وهولاكو سنة 1217 - 1265 م، ولم ينقذ الوطن العربي من شرورهم إلا رجال مصر الذين ينتصروا عليهم في عدة مواقع وطاردتهم .

.. أستطاع هؤلاء المغول أن يخرجوا من المناطق حول السد المجاور للجبلين التي تأكلت بفعل عوامل التعرية، اخترقوها دون أن يستطيعوا اختراق السد، سد ذي القرنين .

.. وذو القرنين هذا الذي ذكره القرآن الكريم ليس هو الإسكندر الأكبر المقدوني .. فشتان بين الأثنين :

.. فالأول : كان عبداً صالحاً مؤمناً، كتب الله لهم الهدى على يده من أهل الشرق والغرب

(1) المرجع السابق .

.. أما الثاني : فهو الاسكندر الأكبر فقد كان كما هو مدون في هذا الكتاب قائداً عسكرياً لم تصله الهداية ، ومع نبوغه المبكر وعبقريته الحربية كان سفاكاً للدماء .
.. وقد جاء في القرآن الكريم عن ذي القرنين :

.. ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۗ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۗ ﴿٨٤﴾ فَأَنْبَعِ سَبَبًا ۗ ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۗ ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۗ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۗ ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَعِ سَبَبًا ۗ ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سَبِيلًا ۗ ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۗ ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعِ سَبَبًا ۗ ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۗ ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا ۗ ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۗ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ ﴿٩٨﴾ ﴿ الكهف ﴾]

.. و« قرية أور » هو موقع أثري لمدينة سومرية تقع في تل المقيير جنوب العراق . وكانت عاصمة للدولة السومرية عام 2100 قبل الميلاد . وكانت مدينة بيضاوية الشكل وتقع على مصب نهر الفرات في الخليج العربي قرب اريدو إلا أنها حاليا تقع في منطقة نائية بعيدة عن النهر وذلك بسبب تغير مجرى نهر الفرات على مدى آلاف السنين الماضية، وتقع حاليا على بعد بضعة كيلومترات عن مدينة الناصرية جنوب العراق وعلى بعد 100 ميل شمالي البصرة . وتعتبر واحدة من أقدم الحضارات المعروفة في تاريخ العالم .

.. ولد فيها النبي إبراهيم أبو الأنبياء عام 2000 قبل الميلاد، واشتهرت المدينة بمبنى الزقورة التي هي معبد للآلهة إنيانا آلهة القمر حسب ماورد في الأساطير (الميثولوجيا) السومرية . وكانت تحتوي على 16 مقبرة ملكية شيدت

من الطوب واللبن. وكان بكل مقبرة بئر. وعند موت الملك يدفن معه جواريه بملابسهن وحليهن بعد قتلهن بالسّم عند موته، وكان للمقبرة بِنان يعلوه قبة.
.. « مكة أم القرى » .. حيث يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ [آل عمران:96]
﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ [الأنعام]
﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ﴿٢٤﴾ [الفتح:24]

.. أم القرى، بها ولد نبي الله محمد ﷺ، وفي أحد جبالها نزل عليه الوحي، وفي قلبها المسجد الحرام، أعظم مسجد في الإسلام، تتوسطه الكعبة المشرفة قبلة المسلمين.

.. وتقع مكة المكرمة غرب المملكة العربية السعودية، وتبعد عن المدينة المنورة حوالي 400 كيلومتر في الاتجاه الجنوبي الغربي، وعن مدينة الطائف حوالي 120 كيلومترا في الاتجاه الشرقي، وعن العاصمة الاقتصادية جدة 72 كيلومترا.

.. وهي في منطقة جبلية جرداء، ليس فيها شجر ولا ثمر عند تقاطع درجتي العرض 25 / 21 شمالا، والطول 39 / 49 شرقا، ضمن إقليم تهامة غرب شبه الجزيرة العربية على بعد 80 كلم من البحر الأحمر ضمن تشكيلات الدرع العربي الذي تتكون جباله من صخور متحولة، وصخور جوفية اندساسية، وصخور غرانيتية.

.. وبين جبالها أودية تغطيها ترسبات الحصى والرمل، ومعظم هذه الأودية

التي تتشكل منها مكة تتبع في تكوينها حركات الصدوع والانكسارات التي مرت بالدرع العربي خلال الأزمنة الجيولوجية القديمة.

.. تبلغ مساحة مدينة مكة حوالي 850 كيلومترا منها 88 مأهولة بالسكان، وتبلغ مساحة المنطقة المركزية المحيطة بالمسجد الحرام المتربع وسط المدينة حوالي ستة كيلومترات، ويبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالي 277 متراً.

.. جبل موسى أو جبل طور سيناء هو جبل يقع في محافظة جنوب سيناء فيمصر؛ يبلغ ارتفاعه 2285 متراً فوق سطح البحر. سمي بجبل موسى نسبة للنبي موسى الذي كلمه ربه في هذا الجبل وتلقى الوصايا العشر وفقاً للديانات اليهودية والمسيحية والإسلام.

.. جبل موسى من أشهر جبال سيناء، إذ يزوره آلاف السياح؛ فالناظر من أعلى الجبل يتمكن من رؤية مشاهد جميلة لسلسلة الجبال المحيطة خصوصاً في فترتي شروق الشمس وغروبها، ويقع قرب جبل كاترين (جبل طور سيناء)، والذي يوجد فيه دير سانت كاترين، ويحيط بالجبل مجموعة من قمم جبال جنوب سيناء.

.. يوجد في الجبل كنيسة يونانية صغيرة وجامع صغير. كما تسقط الثلوج فوق هذا الجبل شتاءً.

.. ومدينة أريحا هي مدينة فلسطينية تاريخية قديمة تقع على الضفة الغربية بالقرب من نهر الأردن وعند شمال البحر الميت، والتي يعود تاريخها إلى 10000 سنة قبل الميلاد. هي عاصمة محافظة أريحا وهي أقدم المدن في التاريخ. في عام 2007، بلغ عدد سكانها 18110 نسمة. كانت تخضع تحت الإدارة الأردنية بين 1948-1967، وبعد ذلك خضعت للإدارة الإسرائيلية، وفي عام 1994 استلمت السلطة الوطنية الفلسطينية إدارة المدينة. وتقع على بعد 16 كم (10 أميال) عن البحر الميت. تعتبر مدينة أريحا أخفض منطقة في العالم ..

تُعرف أيضا باسم مدينة القمر.

.. مدينة أريحا القديمة تبعد حوالي ميل من الغرب ومكانها يعرف بتلال أبو العلايق شماله تل السلطان ويرجع تاريخها إلى 10000-11000 عام وكانت مبنية من الطوب اللبن وكان حولها خندق عرضه 28 قدم وعمقه 8 قدم ومنحوت من الصخر. اكتشف في موقعها فخار ومصنوعات برونزية وعظام وأدوات منزلية خشبية وسلال وأقمشة. وقد دمرت في أواخر العصر البرونزي وهي أقدم مدينة اكتشفت حتى الآن .بحاجة لمصدر [تعتبر أريحا البوابة الشرقية لفلسطين وترتبط بالضفة الشرقية بشبكة طرق معبدة وتتصل بطريق القدس- عمان، وتقع إلى الشمال من مدينة القدس، وتبعد عنها 38 كم، و70 كم عن مدينة الخليل في الجنوب.

.. ومدينة آيلة :هي مدينة قديمة إسلامية التي أنشئت على الموقع الحالي لمدينة العقبة الموجودة في جنوب الأردن .كانت أول مدينة إسلامية تأسست خارج الجزيرة العربية. وتقع أطلالها شمال غرب المركز الحالي لمدينة العقبة.

.. في عام 630، بعد وقت قصير من هجرة (إسلام)، ونتيجة الاتفاق بين نبي الإسلام محمد مع أسقف Ailan ، المدينة البيزنطية التي تقع على بعد حوالي 500 متر إلى الشمال الشرقي من موقع آيلة الحالي، أدرجت آيلة سلمياً خلال الفتح الإسلامي.

.. تأسست المدينة نحو عام 650 من قبل الخليفة عثمان بن عفان .ازدهرت المدينة 661-750 في ظل الأمويين والعباسيين (750-970) وما بعد في ظل الفاطميين (970-1116) تراجعت المدينة في أواخر القرن الثاني عشر بسبب الزلازل والهجمات التي شنها البدو والصليبيين .أصبحت آيلة تحت حكم بالدوين الأول في 1116 من دون مقاومة كبيرة. ثم انتقل وسط المدينة إلى 500 متر على طول الساحل إلى الجنوب، قريباً من القلعة المملوكية وسارية العلم

الحالي لمدينة العقبة.

.. استفادت آيلة من موقعها باعتبار أنها تقع على الطريق إلى الهند والتوابل العربية (اللبان والمر)، وبين البحر المتوسط وشبه الجزيرة العربية. ذكرت المدينة في العديد من قصص ألف ليلة وليلة.

.. «ثاروا» أو (القنطرة) يحد مركز القنطرة غرب من جهة الشمال محافظة بورسعيد ومن جهة الغرب محافظة الشرقية ومن جهة الشرق قناة السويس ومن جهة الجنوب مدينة الإسماعيلية.

.. ومن أشهر معالم المدينة القنطرة غرب كوبري السلام وهو الكوبري الذي يربط شرق قناة السويس بغيرها مرتفعاً 70 متر عن مستوى مياه القناة وبطول 9.5 كم. سوق القنطرة التجاري حيث انه يعتبر من أكبر اسواق الجملة.

.. ويتبع مركز ومدينة القنطرة غرب عدة قرى : قرية أبو خليفة، قرية الرياح ، قرية البياضية ، قرية النصر، قرية الروضة ، قرية أبو طفيلة.

.. وهو مكان أصحاب الأيكة .. يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

* وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ *

* كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ *

* وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ *

* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِيعَ كُلُّ دَابَّةٍ لِرَسُولٍ حَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ *

.. هم قبيلة كانت تسكن في شمال غرب الجزيرة العربية وكانوا من العرب القدماء ، و تجد آثار منازلهم في مدينة البدع بالمملكة العربية السعودية ، أطلق عليهم اسم أصحاب الأيكة لأنهم كانوا يعبدون شجر الأيك ، كان معروف عنهم الغش في الأوزان بعث لهم نبيه «شعيب» وأمرهم بترك الغش قي الأوزان

وحشهم على المتاجرة الشريفة ولكنهم رفضوا دعوته ولم يؤمنوا بالله ولم يتركوا المعاصي واستمروا في أعمالهم ، والمعروف عنهم أيضاً أنهم كانوا يحفرون منازلهم في الجبال.

.. وقد تحدوا الله كما جاء في (سورة الشعراء) :

﴿ وَأَتَقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَابِنَا يُسْتَعْمَلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ۞

.. فعوقبوا بعذاب يوم الظلة .. وأصبحوا في ديارهم جثثا هامدة لا حراك فيها ونجى الله تعالى نبيه شعبياً والذين آمنوا معه ، لا تزال في قلب (كتلة مدين) الصخرية قرية تسمى (البدع) بها بئر يطلق عليها اسم (بئر نبي الله شعيب) .

.. طابا هي مدينة مصرية تتبع محافظة جنوب سيناء وتقع على رأس خليج العقبة بين سلسلة جبال وهضاب طابا الشرقية من جهة، ومياه خليج العقبة من جهة أخرى. يبلغ تعداد سكان المدينة 3000 نسمة، وتبلغ مساحتها 508.8 فدان تقريباً، وتبعد عن مدينة شرم الشيخ نحو 240 كم شمالاً. تمثل المدينة قيمة تاريخية واستراتيجية كبيرة لموقعها المتميز الذي يشرف على حدود 4 دول هي مصر، السعودية، الأردن، إسرائيل، حيث تبعد عن ميناء إيلات الإسرائيلي

نحو 7 كم شرقاً، وتقع في مواجهة الحدود السعودية في اتجاه مباشر لقاعدة تبوك العسكرية، وتعد آخر النقاط العمرانية المصرية على خليج العقبة في مقابلة الميناء البحري الوحيد للأردن وهو ميناء العقبة، والتي حدث في 13 فبراير 1841 صدر فرمان عثماني منح بمقتضاه محمد علي وأبناءه من بعده حكم مصر والسودان، وأرقت خريطة بالفرمان لتوضيح ماهية حدود مصر، والتي وضعت الغالبية العظمى لسيناء داخل مصر، واستمر الوضع على هذا الحال حتى عام 1892 حين أرسل السلطان العثماني فرمان لمصر يحرمها من نصف سيناء، فتدخلت بريطانيا وحدثت أزمة مشهورة سميت أزمة الفرمان أو قضية الفرمان والتي انتهت بموافقة السلطان عبد الحميد على خط الحدود المصرية الذي يبدأ من رفح شمالاً على البحر المتوسط إلى رأس خليج العقبة جنوباً على نقطة تقع على بعد ثلاثة أميال غرب قلعة العقبة. وفي عام 1906 حدثت أزمة أخرى حينما تقدمت قوات تركية إلى بقعة طابا، فحدثت أزمة كبيرة تدخلت على إثرها بريطانيا للمرة الثانية وأجبرت العثمانيين على الانسحاب، وبعدها تقرر بناء خط الحدود المصري بعلامات مرقمة. ومنذ ذلك الحين استقرت طابا كجزء من التراب الوطني المصري، وقد رأينا شجرة «الدوم» تقبع داخل إحدى الفنادق بها.. هذه الشجرة التي أثبتت حق مصر في طابا إبان المفاوضات المصرية الإسرائيلية خلال التحكيم الدولي، وأثبتت أن هذه الأرض تابعة لمصر إذ أن شجرة الدوم إنها تعود إلى عصر قدماء المصريين .

.. ويوجد فيها جزيرة فرعون، وقد زرتها وأديت فريضة صلاة العصر في الحجرة التي كان يصلي فيها الملك العادل (أبو بكر بن أيوب) ، وكان برفقتنا كبير مفتشي آثار طابا الأستاذ محمد فوزي الذي تولى شرح تاريخ جزيرة فرعون، وشهدت المنشآت الدفاعية وورشة تصنيع الأسلحة وقاعة الاجتماعات الحربية وغرف إعاشة الجنود ومخازن الغلال إلى آخر ما شهدت من آثار صلاح الدين الأيوبي ومن قبله مسجد أنشأه الأمير حسام الدين باجل بن حمدان. وبنيت

القلعة من الحجر الناري الجرانيتي المأخوذ من التل الذي بنيت عليه القلعة
.. وثمة أماكن أخرى كثيرة جاء ذكرها في الكتاب المقدس وكذلك في القرآن
الكريم (□).

(1) فتحي فوزي عبد المعطي قصص الأماكن في القرآن الكريم .

.. وفي كتابه « تيارات فلسفية معاصرة » وبحسب الدكتور « علي عبد المعطي » ،
فبعد أن كان ينظر للمكان قبلاً على أنه في اتصال ثلاثي الأبعاد وهو نظام «تَسوق
الأشياء في الوجود ومعيتها في الحضور في تلاصق وتجاور وتقارب وأن الزمن هو
امتداد متصل واحدي البعد» .

.. شكل المكان والزمان في عرف النظرية النسبية متصلاً واحداً رباعي الأبعاد
(الطول ، العرض ، الارتفاع ، الزمن) وهذا المفهوم هو المعالجة الرياضية التي
استحدثتها النظرية النسبية لقياس أبعاد الأجساد المتحركة كالأجسام الفضائية
وحركة الإلكترونات والذرات حيث تضع القياسات في الاعتبار اللحظة الزمنية
التي تتم فيها ، مراعاة التغيرات التي تصيب الأجساد المتحركة لموقعها وأبعادها
وزمانها .

.. فالمكان ذو علاقة حميمة مع الزمن لا رد لأحكامه (□) .

.. والزمان هو ذلك الوقت الطويل أو القصير ، وهو مدَّة الدُّنيا كلَّها. ويقال له
دَّهر.

.. والزمن بعد فيزيائي رابع للمكان حسب نظرية النسبية الخاصة، لكنه لا
يعدو كونه وسيلة لتحديد ترتيب الأحداث بالنسبة لجل البشر.

.. ربما يكون مصطلح الزمن الأعصى على التعريف، فالزمن أمر نحس به أو
نقيسه أو نقوم بتخمينه، وهو يختلف باختلاف وجهة النظر التي ننظر بها بحيث
يمكننا الحديث عن زمن نفسي أو زمن فيزيائي أو زمن تخيلي.

.. لكن يمكننا حصر الزمن مبدئياً بالإحساس الجماعي للناس كافة على توالي
الأحداث بشكل لا رجوع فيه، هذا التوالي الذي يتجلى أكثر ما يتجلى بتوالي الليل

(1) كريم رشيد جماليات المكان .

والنهار وتعاقب الأيام فرض على الناس تخيل الزمن بشكل نهر جار باتجاه محدد لا عودة فيه.

.. ومع مرور الأيام لاحظ البشر أن العديد من الظواهر الفيزيائية بدءاً من حركات الشمس إلى تساقط الرمل من وعاء زجاجي إلى اهتزاز نواس بسيط تأخذ فترات زمنية متساوية حسب تقديرهم مما دفعهم لتطوير مقياسات وأدوات لقياس الزمن باستخدام هذه الظواهر فأوجدوا المزولة الشمسية ثم الساعة الرملية ثم ساعة النواس أو البندول.

.. وفي كل هذه الأزمان تم اعتبار الزمن على أنه أحد المطلقات فالفترات الزمنية الفاصلة بين حدثين مختلفين ثابت بالنسبة لكافة المراقبين، وهذا أمر حافظ عليه نيوتن باعتباره الزمن شيئاً مطلقاً كونياً فتغيرات الزمن ثابتة في جميع أنحاء الكون، وهو يجري أبداً كما هو بالنسبة لجملة فيزيائية تتحرك بانتظام أو بتسارع، تتحرك حركة دائرية أو مستقيمة.

.. ما زال هذا المفهوم للزمن منتشر بين الناس كونه يطابق كثيراً إحساسهم به إلا أن الفيزياء الحديثة قامت بإنزال الزمن عن عرشه وإلغاء صفة الإطلاق التي اتصف بها عبر السنين، فنظرية النسبية الخاصة اعتبرته أحد مكونات المسرح الكوني التي تجري فيه الأحداث وبالتالي أصبحت لكل جملة فيزيائية زمنها الخاص بها الذي يختلف عن زمن جملة فيزيائية أخرى.

.. وعن الزمان يقول الشاعر :

وما لزماننا عيبٌ سوانا نعيب زماننا والعيب فينا
ولو نطق الزمان لنا هجانا ونهجو ذا الزمان بغير ذنبٍ
ويأكل بعضنا بعضاً عيانا وليس الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ

.. المكان هو واحة الفيوم .. والزمان هو عام 1954 .

.. حيث بدأت رحلتنا في ذلك الزمان ، وهذا المكان وسط صحراء شديدة الفحولة هي صحراء مصر الغربية . .

.. الصحراء الغربية تتدرج من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الواحات سيوة في الشمال وهي أكبر الواحات ، ثم وادي النظرون في وسط الصحراء القاحلة ، ورغم مرور سبعة عشر قرناً من الزمان على حياة التنسك داخل أديرتة فالحياة تبدو في مظهرها الخارجي وكأنها لم تتغير منذ فجر الرهبانية .. بوركت أرضه بمرور العائلة المقدسة خلال هروبها من بطش الرومان بحثاً عن الأمان .. كما كانت أرضه .. أرض هذا الوادي العتيق بمثابة خط الدفاع الأول عن مصر في عهد الفراعنة لصد هجمات الغزاة القادمين من ناحية الغرب ، وكانت أرضه هي المنبع الرئيسي لمادة النظرون التي استخدمها الفراعنة في عملية التحنيط .. أطلق عليه البطالمة «سخت همام» أي حقل الملح كما شهدت هذه الأرض ترحيب الأقباط المصريين بالفتح الإسلامي بخروجهم مرحبين ب عمرو بن العاص « أثناء أتجاه من الفسطاط إلى الإسكندرية مرأً بالوادي . ويعتبر الراهب « آمون » مؤسس أديرة جبل « نيتريا» أول مكان قصده النساك في منطقة وادي النظرون .

.. وفي كتاب « بستان الرهبان » يذكر بلاديوس « الأسقف اليوناني الذي تنسك في مصر وجاءها عام 399م ثمة 50 ديراً يجتمع فيها ما يقرب من 5000 راهب يعيشون هناك .

.. ثم على التوالي وفي اتجاه الجنوب الواحات البحرية والداخلية والفرافرة التي كانت توفر جميعها المحطات الضرورية لتموين القوافل المسافرة من شاطئ البحر المتوسط إلى قلب أفريقيا فهذه الجزر الصغيرة ، وأراضيها المزروعة وسط الصحراء الشاسعة ، كانت تمتد مصر بمنتجاتها من مزارع الكروم ومن تربية الحمير الصغيرة الصهباء شاع استعمالها وكانت تضرب في الغالب ضرباً مبرحاً ، وإن كان لا غنى عنها حسن سير الاقتصاد ، فعلى لحسن ظهرها كانت تتكدس

محاصيل القمح والشعير بمجرد حصادها ، كما كانت تشارك أحياناً في هرس الحبوب على البيدر ونجدها دائماً بخطواتها المتباطئة في ركاب القوافل المتنقلة عبر الوادي والصحارى (□). كما يذكر «كلير لالويت Claire Lalouette» في كتابه « Au Royme D'Egypte »

.. يصدق عليها قول الشاعر :

وما الدهر إلا من رواء قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشيدي

.. ففي أوصافها تحترار الأبواب مع مرور الزمن وتوالي الأحقاب فهي خضراء صفراء كالذهب ناعسة بها الأهداب فالوصف لا يبلغها ولا الإطناب فالماء من عيونها ينساب لم تبتهت الأزمان دقة نقشها حتى وإن عم البناء خراب .. أحقيقة تلك النقوش تسألت : أليست هي للناظرين سراب ؟ فهي تبدو من بعيد وكأنها السراب.

.. كانت هذه الواحات علامة بارزة على جمال مصر وبهاؤها بل وقدمها الضارب في أعماق التاريخ فقد أطلق المصريون القدماء على كل واحة فيها كلمة (واحات) التي حورت فيما بعد إلى كلمة واحات .

.. وقد ورد في النصوص الهيلوغرافية أن عددها سبع تتناثر الآن بين محافظة الوادي الجديد التي يوجد بها واحات الداخلة والخارجة والفرافرة أو الفرغرون كما كان يطلق عليها في الزمن السحيق، أما سيوة فهي في محافظة مطروح ، وأما الواحات البحرية فهي تابعة لمحافظة 6 أكتوبر .

.. ومن قديم الزمان كان فراعنة مصر يشيرون بجانب هذه الواحات إلى واحة النظرون التي وقع بها قصة الفلاح الفصيح (□) التي خلدها التاريخ الفرعوني ، وقد أطلق عليها عالم الآثار والمؤرخ المشهور « برستد » جيمس هنري برستد

(1) كلير لالويت ترجمة ماهر جويجاتي الفراعنة في مملكة مصر زمن الملوك الإلهة ص 43 .
(2) نص قصة الفلاح الفصيح يتكون من 430 سطراً ومدون على عدد من البرديات ثلاث منها من مقتنيات متحف بارلين وقد وردت أيضاً شذرات من هذا النص في بردية باتلر Putler في المتحف البريطاني - راجع كلير لالويت الفراعنة في مملكة مصر زمن الملوك الإلهة ترجمة ماهر جويجاتي .

(James Henry Breasted) (من 27 أغسطس 1865 إلى 2 ديسمبر 1935) في كتابه « History of Egypt » وقصة الفلاح الفصيح أو كما اسمها « القروي الفصيح » وقد حدثت وقائع هذه القصة ، أو الأقصوصة وقائعها إبان الدولة الوسطى ، وفي عهد ملك اسمه « نب كاو رع » ، ويظن أنه حكم قرب نهاية الألف الثالثة قبل ميلاد السيد المسيح . حيث كان بطل القصة من أهل وادي النطرون ، يتوجه إلى العاصمة ومعه « حماره » المحمل بالنطرون ، لكي يبادل به غلالا .

.. تبدأ القصة بتعثر الفلاح خن-أنوب وحماره في أرض أحد النبلاء ، فاتهمه المشرف على الأرض « نمتيناخت » بإتلاف زرعه وضياع ضرعه ، وبأن حماره أكل من زرع هذا النيل ، فاستلب الحمار منه ، واعتدى على « خن أنوب » بالضرب ، فيمم « خن-أنوب » وجهه شطر النيل المسمى « رينسي » حيث كان يقطن بالقرب من ضفة النهر في المدينة، فأثنى عليه، وبث له شكواه، فطالبه النيل بأن يحضر شهوداً ليثبتوا صحة كلامه. إلا أن « خن-أنوب » لم يتمكن من ذلك، غير أن النيل أعجب بفصاحة الفلاح، فعرض الأمر على فرعون مصر وأخبره عن بلاغة الفلاح، فأعجب الملك بالخطاب الذي ضمنه شكواه ، وأمره بأن يقدم عريضة أخرى بمضمون شكايته .

.. وظل « خن-أنوب »⁽¹⁾ لتسعة أيام يتوسل للعدالة أن تنصفه ، بعد أن استشعر التجاهل من قبل النيل، الذي أهان « خن-أنوب » فعوقب بالضرب كما سلف ذكره . فتركه الفلاح المحبط، ورحل عنه بيد أن هذا النيل أرسل إليه من يأمره بالعودة، وبدلاً من أن معاقبته أنصفه وأمر برد حماره له أعجاباً منه بفصاحته ثم عينه مشرفاً على أراضيه مستبدلاً إياه به بناء على أمر فرعون مصر الذي وقر في سويداء قلبه حب العدل وترسم طريقه، ومن ثم بسط فرعون مصر حمايته الجنائية عليه وأمر برد حقه إليه.

(1) المستشار محمد مرشدي بركات مقدمة كتاب الحماية الجنائية للدكتور خالد الشراوي .

.. يذكر « كلير لالويت Claire Lalouette » في كتابه السابق ذكره (الفراعنة في مملكة مصر) أن الصحراء تدرج من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الواحات سيوة في الشمال وهي أكبر الواحات ، ثم وادي النظرون وهي الأقرب إلى الوادي ثم على التوالي في اتجاه الجنوب الواحات البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة . كانت توفر جميعها المحطات الضرورية لتموين القوافل المسافرة من شاطئ البحر المتوسط إلى قلب إفريقيا ، كما كانت تشكل عند جناح مصر الأيسر نقاطاً ذات أهمية عسكرية ، ويشهد التاريخ على ذلك . فهذه الجزر الصغيرة الخضراء وأراضيها اليانعة وسط الصحراء الشاسعة ، وكانت تمد مصر بخيراتها من مزارع الكروم ، فضلاً عن تربية الحمير الصغيرة الصهباء . كدواب شاع استخدامها . كما كانت تضرب في الغالب ضرباً محاصيل القمح والشعير بمجرد حصادها ، كما تشارك أحياناً في هرس الحبوب على « البيدر» ، ونجدها دائماً بخطواتها المتباطئة في ركاب القوافل المتقلبة عبر الوادي والصحاري .

.. ومن غرائب التاريخ أن هاتيك الحمير كانت محلاً لإنشاء أول ناد في مصر يسمى «نادي الحمير» كانت أقض مضاجع الإستعمار الإنجليزي ، وأفلقت الجانب الوطني المصري إذ أن هذا وذاك رأوا في هذا النادي غمزاً ولمزاً للإنجليز والمصريين على السواء وإذا كانت الشئ بالشئ يذكر فقد كان للحمار شأن وشأ في عالم الشعر .

.. فقد حكى البعض عن « أبي الحسن الجزار » كما ذكر « الصفدي » أنه جمع في مرثي الحمير هذه القصيدة في رثائه :

نفق الحمارُ وبارت الأشعارُ	ما كل حين تنجح الأسفارُ
بين البيوت كأني عطارُ	خُرْجي على كتفي وها أنا دائرُ
مع ذا الذكاء يُقال عنه حمارُ	لم أدرِ عيأ فيه إلا أنه
فكأنما بيدك منه سوارُ	ويلين في وقت المضيق ويلتوي

ولقد تحامته الكلاب واحجمت
فرعت لصاحبه عهداً قد مضت
عنه وفيه كل ما يُختارُ
لما علمن بأنه جزارُ

.. هذا هو حمار الجزار الذي نفق فبارات الأشعار بموته ، أو بمعنى أدق بنفوقه، وبكى عليه بالدمع الثخين لأن هذا الحمار كان يعرف هدفه جيداً؟ ، حتى تحامته الكلاب وأحجمت عنه .

.. كما رثاه شاعر آخر بقوله :

مات حمار الأديب قلت لهم
من مات في عزه استراح ومن
مضى وقد فات فيه ما فاتا
خلف مثل الأديب ما ماتا

.. وقد كان هذا الحمار يوماً كان حياً ، موضع سخرية صاحبه أيضاً ، إذ قال فيه :

هذا حمار في الحمير حمار
قنطار تبين في حشاه شعيرة
في كل خطر كبوة وعثار
وشعيرة في ظهره قنطار؟!!

.. والحمار من أشهر شخصيات مسرح الحيوانات العالمي كما يذكر الدكتور « محمد المهدي »

.. لكل زمان حماره الخاص وهو إما حمار غافل ، أو بليد ، أو صامت ، أو حكيم ، أو خبيث ، وثمة حماران مشهوران في الأدب أولهما « حمار خيمينيز » للكاتب العالمي سرفانتيس في كتابه (أنا وحماري) ، وحمار توفيق الحكيم .

.. وقد نشبت معركة أدبية ذات يوم إذ اتهم بعض أدباء مصر الحكيم بأنه اقتبس كتابه « حماري قال لي » من الكاتب العالمي المذكور واحتدمت المناقشة وشب أواروها وأحتكم الأدباء إلى الكاتب الكبير « عباس محمود العقاد » الذي كتب صفحة ضافية في يومياته بالأخبار جاء عنوانها : « العقاد يحكم ببراءة توفيق

« الحكيم » إذ أثبت أستاذنا العقاد أن كتاب توفيق الحكيم منبت الصلة تمامًا عن كتاب السرفانتيس .

.. وتحكي الأسفار الخمسة الهندية « البنجاتترا » عن الحمار فتقول ، إن الأسد العجوز مرض وطلب من مستشاره أن يحضر له قلب وأذني حمار ففيها شفاؤه، يستطيع الثعلب أن يخدع الحمار فيصور له الغابة مليئة بالأتن. يطاوعه الحمار وما يكاد يصل إلى عرين الأسد يخرج له مهاجمًا فيفر الحمار يسعى الثعلب من جديد لخديعة الحمار . فيقول له أن نظره قد خدعه . وأنه تصور الأتان أسدًا لشدة تعبته . يصدق الحمار ، ويذهب معه ويقتله الأسد ، يذهب الأسد ليؤذي طقوسه قبل الشروع في أكل قبل الحمار وأذنيه ، وحينما يعود لا يجد للحمار قلبًا. ولا أذنين فقد أكلهما الثعلب . يثور فيهدأ الثعلب من روعه ، ويقنعه بأن هذا الحمار كان خاليًا من القلب والأذنين .. ألم يكن أبلها خدعناه مرتين فكيف تكون له أذنان تسمع أو يكون له قلب يعي؟! .

.. كما أن ثمة حمار هو حمار في ألف ليلة وليلة يأتي إلينا خبيثًا ، لقد نصح الثور المرهق بالعمل أن يتمارض حتى يتركه سيده ، فعلها الثور فجاءت فوق رأس الحمار ، لقد تحمل أعباء العمل وحده ، جاء الحمل للثور وحدثه أنه سمع سيدة ينوي ذبحه لأنه مريض ، هب الثور لفوره وأستأنف العمل .

.. قد أعجب الكثير من الرحالة الذين وفدوا إلي مصر خاصة في القرن التاسع عشر بالحمار المصري إذ وضع الرحالة « إدوارد ولیم لين » في كتابه « عادات وتقاليد المصريين المحدثين صورة الحمار » على كتابه هذا .

.. ويأتي الناقد الرحالة « تيوفيل جوتيه » ليحدثنا أنه أثناء وجوده بالقاهرة أحصى الحمير الموجودة فيها فألفاها ثمانية آلاف حمار ، ويرد قائلًا : « أن هاتيك الحمير كأنها تعرف أنها سلاسلتها قديمًا قد حظى بحمل العائلة المقدسة ، مريم البتول والمسيح عليه السلام ويوسف النجار على ظهره من فلسطين إلى مصر

هرباً من بطش الرومان لتوعدهم للسيد المسيح » .

.. وكان هذا الحمار الذي امتطى ظهره السيد المسيح عليه السلام ليس مثله من حمار فدخل من خلال هذا التاريخ من أوسع أبوابه .

.. وفي كتابه الهام « ماذا حدث في التاريخ (What Happened in History) المؤلفه (جوردن شيلد Goldon Childe) تفضلت المرحومة والدتي بإهدائه لي بمناسبة قدوم شهر سبتمبر عام 1966 الذي ولدت فيه قائلة : (أدعو لك أن يتولاك الله برعايته ويقيك سعيداً موفر الصحة وأن يوصلك إلى العلا)

.. جاء فيه : « كان كتفا الرجل (أو المرأة عموماً) أقدم وسائل النقل . ولكن عندما بدأ استعمال قوة الحيوان المحركة كان من الطبيعي أن تنتقل الأحمال إلى كتفي أحد الحيوانات . فالثور لا يصلح لهذا الغرض كما يجب . وربما كان الحمار أقدم الحيوانات الحاملة للأثقال وأصله من ضرق أفريقيا ، وقد عرف الحمار الداجن قبل عام 3000 ق.م في مصر واستعمل غالباً للنقل . كذلك كانت الحمير تستخدم لنفس الغرض في سورية وما بين النهرين في أوائل الألف الثالثة . على أنه كان يوجد حمار بري في آسية الغربية وقد دجن أيضاً ولذلك لا ندرى إلى أية درجة كانت حمير النقل في الشرق من أصل أفريقي .

.. وقد أعتبر « ابن عنين » الشاعر أن نفوق حماره كان ذات مساء ليلة مهولة واعتبر نفوق الحمار نكبة عظمى لا تحتملها جماعة من الناس فضلاً عن فرد ضعيف مثله ، فقد كان يعلق على هذا الحمار أمال كبار ، وذرف الدموع الغزار عليه ودعا له بالبقاء والسقيا ، فقال :

لَيْلٌ بِأَوَّلِ يَوْمِ الْحَشْرِ مُتَّصِلٌ وَمُقَلَّةٌ أَبَدًا إِنْسَانَهَا خَضِلٌ
وَهَلْ أَلَامٌ وَقَدْ لَاقَيْتُ دَاهِيَةَ يَنْهَدُّ لَوْ حَمَلَتْهَا بَعْضُهَا الْجِبْلُ
ثَوَى الْمِصْكُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَمَلُهُ عَوْنًا وَحُيِّبَ فِيهِ ذَلِكَ الْأَمْلُ

لا تَبْعَدَن تَرْبَةً ضَمَّتْ شَمَائِلُهُ
لَقَدْ حَوَتْ غَيْرَ مِكْسَالٍ وَلَا رَعِشٍ
قَدْ كَانَ أَنْ سَابَقَتْهُ الرِّيحُ غَادِرَهَا
لا عَاجِزاً عِنْدَ حَمَلِ المُثْقَلَاتِ وَلَا
مُكَمَّلُ الخَلْقِ رَحْبُ الصَّدْرِ مُتَّفِخُ الـ
يَطْوِي عَلَى ظَمَأٍ خَمْساً أَضَالِعُهُ
وَيَقْطَعُ المُتَقَفِرَاتِ المَوْحِشَاتِ إِذَا
فَفِي الأَبَاطِحِ هَيْتُ رَاعِهِ قَنْصُ
يُرْجَعُ النَهَقُ مَقْرُوناً وَيُطْرَبُ نِي
لَوْ كَانَ يُفْدَى بِمَالٍ مَا ضَنَّتُ بِهِ
لَكِنَّهَا خُطَّةٌ لَا بُدَّ يَبْلُغُهَا
وَإِنَّ لِي بِنِظَامِ الدِّينِ تَعَزِيَّةً
وَلَا عَدَا جَانِبَيْهَا العَارِضُ الهَطِيلُ
إِنَّ قَيْدَ القُودِ مِنْ دُونِ السُّرَى الكَسْلُ
كَأَنَّ أَحْصَاهَا بِالشُّوكِ يَتَّعِلُ
يَمْشِي الهُؤَيْبِيُّ كَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَجِلُ
جَنْبَيْنِ لَا ضَامِرٌ طَاوٍ وَلَا سَغِلُ
فِي بِيضَةِ الصِّيفِ وَالرَّمْضَاءِ تَشْتَعِلُ
عَنْ قَطْعِهَا كَلَّتِ المَهْرِيَّةُ البِزْلُ
وَفِي الجِبَالِ المُنِيفَاتِ الذُّرَى وَعِلُ
لَحْنًا كَمَا يُطْرَبُ المَزْمُومُ وَالرَّمَلُ
وَلَمْ تَصْنِ دُونَهُ خَيْلٌ وَلَا حَوَلُ
هَذَا الوَرَى كُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ أَجَلُ
عَنهُ وَفِي النَجْبِ مِنْ أبنَائِهِ بَدَلُ

.. ونختم هذه التتف المتفرقة عن عالم الحمير بمناسبة ذكر « حمار الواحات »
بحمار الزعيم سعد زغلول وكان هذا الشعر بمناسبة أن شاعراً اسمه « الجيهاري »
أراد أن يرى الحمار الذي أسقط من فوق ظهره سعد باشا، فأحضروا له الحمار،
وكان يومها في قرية الزعيم، وتساءل الحضور:

.. ما الذي سوف يفعله هذا الشاعر بالحمار؟ هل سيركبه أم سيضربه؟ وفوجئنا
عندما أوقفوا الحمار أمامه ينشد فيه الشعر التالي :

حمار الزعيم.. زعيم الحمير
أقام الحمير له حفلة
فإذا كان للتاكسي صفارة
على عرش ملك الحمير أمير
وأعطوه قفلة من شعير
فإن النهيق مكان الصفير

.. وبداية انطلق الجميع في الضحك .

.. والحمار ، والحمار الوحشي هو جزء من رتبة الأفراس المعروفة باسم « SuborderHippomorpha » والتي تشمل أيضاً فصيلة الأحصنة ومنها الأحصنة المنقرضة التي عمرت الأرض منذ خمسين مليون سنة (في عهد الإيوسين) .. أما الحصان الذي نعرفه اليوم ولم يعرف قبل المليونين الأخيرين من عمر الأرض وقد تم استئناسها .

.. ونعود إلى الواحات .

.. ذكر « سليم حسن » في موسوعته « مصر القديمة » في الجزء الثالث عشر أن الملك « نقتانب الأول » قد أقام في معبد آمون إيواناً ثم جاء بعده « نقتانب الثاني » وأضاف إليه أجزاء ، ويوجد الجزء الأعلى من تمثال مصنوع من الجرانيت للملك نقتانب الثاني يمثل الواحة الخارجة .

.. وإذا كان « هيرودوت » وغيره من المؤرخين والرحالة القدامى قد تحدثوا في كتبهم عن نواميس Nomoi ، وأعراف المصريين القدماء ، فلا شك إنهم كانوا يقصدون « ناموس المعبد » الذي تحول عند الحضارة المصرية القديمة ليصبح الصيغة الوحيدة الممثلة لأسلوب الحياة المصرية في ذلك العصر .. وفي العصور المتأخرة أصبح معنى وجوهر هذه أقوى الحياة المصرية ، ويعود هذا التفسير إلى « أفلاطون » وقد اعتبر « أفلاطون » أن المصريين هم أطول شعوب الأرض ذاكراً ، وإن كانت سلسلة التراث في كل مكان في العالم قد تعرضت على مر التاريخ للدمار والإنقطاع بسبب وقوع كوارث طبيعية من أن إلى آخر ، ظل المصريون في مأمن مثل هذا الفقدان المرعب للذاكرة ، لذا نجد أن ذكرى جزيرة « أطلنطا » مثلاً قد بقيت محفورة في أذهان المصريين ، في الوقت التي تلاشت فيه هذه الذكرى تماماً من أذهان الشعوب المعنين بها في المقام الأول ، وهم أهل أثينا ، وقدر أفلاطون

ذاكرة المصريين بعشرة آلاف سنة (□) .

.. والواحات قد لعبت دوراً مهماً وكبيراً في حركة التجارة بين مصر وجيرانها وخاصة السودان وليبيا كما عاش بين جدرانها رهطاً كبيراً من أبناء الحبشة «أثيوبيا» الذين امتزجوا بأهل الواحات ومع أن لغتهم هي لغة الأمزغية إلا أنهم ذابوا في أهل الواحات وأقترنوا من بناتها ، وكذلك كان الليبيون .

.. ويوجد في سيوة معبد الوحي الذي زاره الأسكندر الأكبر الذي يمم وجهه نحو معبد آمون للتبرك بأمون وكهنة ذلك المعبد .

.. وقد أسبغت المحميات المصرية والتنوع الشديد فيها لون الرمال والتلال وكذلك عيون المياه التي تميزت بالجمال والجلال .

.. عندما يغيض الماء تجذب الأرض وتشكو لربها ما حل بها .. أما عندما يفيض فتكسو وجهها الزروع الخضراء ، وتنبت الزهور والأشجار ، بل وتنتعش الأحجار وها هو ذا نهر النيل شريان الحياة لمصر يفيض عليها مما أنبت بها حضارة ذكا عودها وأستقام غصنها منذ آلاف السنين فأصبحت بشراً سوياً.

.. تقبع الواحات كما ألمعنا في قلب الصحراء الغربية هذه الصحراء التي تشغل سبعمائة ألف كيلو تمتد من وادي النيل في الشرق حتى تلم الحدود الليبية في الغرب ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الحدود المصرية جنوباً وتنقسم إلى القسم الشمالي ويشمل السهم الساحلي والهضبة الشمالية ومنطقة المنخفضات العظمى التي تضم واحة سيوة ومنخفض القطارة ووادي النظرون والواحات البحرية ، أما القسم الجنوبي فيضم بين جنباته واحات الفرافرة والداخلية والخارجة ، بينما يقبع فيها شامخاً مهيباً جبل العوينات ولقد قرأنا أن البحر الأبيض المتوسط كان يمتد منذ زمن سحيق من الإسكندرية إلى أسوان ثم غيض

(1) جان أسمن Jan Assmann الذاكرة الحضارية .

ماؤه وأنحسر عن تخوم الصحراء الغربية حتى أرتضى أن تكون الإسكندرية مرفأً له ، وكان أسمه آنذاك « بحر التيتش » .

.. وقيل أن ماءها يسقي الحرث ويشفى النسل وتشكل واحة سيوة منخفضاً طبيعياً تكون في غابر الزمان لسبب عوامل التعرية وهي تنخفض عن مستوى سطح البحر حوالي 1000 كم مكونة الكثبان الرملية الذي تنداح في البقعة الأكبر من تكوينه والباقي يشكل بضعة بحيرات كمخزن المياه الجوفية التي تتفرع ما بين كبريتية وعذبة أما البحيرات المالحة فذلك يرجع للطبيعة الملحية للصخور والمنخفضات التي ولدت فيها تلك البحيرات، ويرى الجغرافيون أن ذلك بسبب أن المنطقة كانت برمتها قاعاً لبحر عظيم تجد دلائله واضحة في بقايا الشعاب المرجانية المتحجرة في هذا المكان .

.. هذا البحر الذي سبق ذكره هو البحر الأبيض المتوسط بحر التيتش قديماً ، ومع كثرة الدروب وتنوع الطرق التي تربط سيوة في القدم بوادي النيل إلا أنها ترتبط الآن بطريقين أحدهما يمر بدرب المحصحص ، والآخر يربط سيوة بالواحات البحرية وسط بحر من الرمال والغرود الرملية ماراً بأربع واحات مهجورة سترة ونواميسه والبحرين والأعرج تتعد في القليل عن الدرب الرأسي ، كما تذكر المراجع بمسافة جد قريبة .

.. لا يقابل من جاس في هذه الأرض أو يجوس إلا بعض نقاط لقوات حرس حدود وحطام إحدى الطائرات الإنجليزية التي شاركت في الحرب العالمية الثانية أثناء المعارك الضارية التي نشبت بين رومل وجيشه ، وأوكنلك ومن بعده ألفيلد مرشال مونتجمري وجنودهم .

.. وقد استقر بالواحة بعض القبائل الأفريقية وشعوب أثيوبيا وهي تتكون من إحدى عشرة قبيلة لا تشكل فيها القبائل العربية إلا قبيلة واحدة ، ويوجد بها المقابر والمعابد المنقورة في الجبال مثل منطقة جبل بلاد الروم أو جبل الموتى أو

معابد شيدت على رمالها مثل معبد أم عبيدة أو معبد الواحة ، والأخير هو المعبد ذائع الصيت لأمون والذي يقع أعلى قلعة أغورمي ، وشيده أحمس الثاني «أما زيس» 570-526 ق.م ، وهو كما ذكر البعض أنه أول فرعون يعتلي عرش مصر من أصول صحراوية ينتمي إلى أسرة هاجرت في العصور العتيقة من الصحراء إلى وادي النيل ، وعندما زاره الإسكندر الأكبر 331 ق.م نال التجلة والترحيب من كهنة المعبد وأستقبل أستقبالاً مهيباً على أنه ابن أحد آلهة اليونان . كما سوف نرى .

.. وقد عاش على أرضها العديد من العربان فكان منهم الكثير من المتمردين .

.. وكانت غارات الأعراب تحدث كثيراً منذ حوالي قرنين من الزمان بيد أنها خفت بعد ذلك حتى أن الرحالة الأوروبيين ومنهم « فردويك كابو » 1819 أنه خلال زيارته للوحدات لم يذكر له الأهلون أية قصة تدل على غارات هؤلاء الأعراب عليهم .

.. ويذكر المؤرخون أن تمرد بعض العربان قد وصل خبرهم إلى « محمد علي باشا » وأن الشقي « عمر المصري » قادم إلى جهة أسيوط منتوياً الدخول إلى الوحدات متحداً مع بعض القبائل القاطنة في المديرية ينهبون كل ما يصدفونه في طريقهم ومن ثم صدرت الأوامر إلى مدير أسيوط بالعمل على منع دخول الأتقياء واستكشاف مواقع العربان ومن بعده قام « سعيد باشا » بإصدار أوامره بسد الطرق على أتقياء العربان ومحاولة التضييق عليهم ، كما أعلن أن كل من أحضر الشقي «عمر المصري» حياً أو ميتاً يأخذ أبعديته . كما أمر عربان أولاد علي بالتعاون في قتال هؤلاء الأتقياء .

.. ولم تأت عملية سد المنفذ أمام العربان بشمارها حيث تمكنت بعض قبائل العربان الجوازي مع عربان « عمر المصري » والذي كانوا قد وسدوه شيخاً لهم نفوذاً إلى من الإنتقال من مكانهم الأصلي ، والهروب إلى بطن الصحراء ، فأضطّر «سعيد باشا» إلى البطش بهم عام 1856م وقتل الكثير منهم بحد السيف

ومقذوفات نيران المدافع والبنادق والشنق وكان يضع البعض منهم إمعاناً في التنكيل بهم على الخوازيق ففر من نجى منهم إلى الصحراء الغربية بما فيها الواحات .

.. ويثور سؤال : من هم هؤلاء العربان الذين ينتمون إلى البدو ؟

.. والبدو « Nomads » إنهم قلة من الأفارقة والعرب استوطنوا مصر ، مصطلح يعني نمطا اجتماعياً خاصاً يعني الإفتقار للإقامة والتوطن والاستقرار .

.. كتب عنهم « ابن خلدون » و« المقرئزي » و« ابن أياس » و« الجبرتي » .

.. كما ذكرهم «أوليا حلمي» الرحالة التركي في مجلداته الموسومة باسم «رحلتي إلى مصر والسودان وبلاد الحبش» وقد وقد هؤلاء العربان إلى مصر خلال هجرتهم من بلاد الحجاز إليها واستقر مقامهم على أرض المحروسة .

الأنهار والمحيطات وزحزحة القارات

.. تحكي كتب التاريخ أن الخديوي إسماعيل قد أرسل العالم الألماني جيرهارد دولف عا 1874 لمعرفة إذا كان ثمة نهر في منطقة الفرافرة كما رغم البعض وحاول دولف اختراق بحر الرمال الأعظم والذي يقع إلى الغرب من الفرافرة وبعرض حوالي 200 كيلو متر إلى ليبيا فلم يتمكن ، ومن ثم أتجه شمالاً بقافلة مكونة من 100 جمل و90 رجلاً منهم 12 ألمانيا في مختلف فروع العلم من النبات والحيوان والفلك والمسحة والجولوجيا .

.. ونشر بعد ذلك كتابه المسمى « ثلاثة أشهر في الصحراء الغربية » (□).

.. وقد خلت الواحات من الأنهار .

.. بيد أن الله قد عوضها بالمياه العذبة الرقاقة تنبجس من الأرض لكي تروي البلاد والعباد وتروي الزهور والأشجار وقبلها تطفئ ظمأ الصادي ، فالماء يجري في عيونها أثناء الليل وأطراف النهار .

.. من الثابت علمياً كما يقول العلماء أن مياه الأرض تتحرك دائماً، وتتغير أشكالها باستمرار، من سائل إلى بخار، ثم إلى جليد، ومرة أخرى إلى سائل. لقد ظلت دورة الماء تعمل مليارات السنين، وتعتمد عليها كل الكائنات الحية التي تعيش على الأرض حيث من دونها تصبح الأرض مكاناً طارداً تتعذر فيه الحياة. وتمسي قاعاً بلقعاً خاويًا يكتنفه الظلام والإظلام .

(1) محمد التداوي واحات المصرية جنان مصر البعيدت ص 73 .

.. ليس لدورة الماء نقطة انطلاق، ولكن المحيطات تُعد أفضل مكان لها لتنتقل منها. فالشمس التي تعتبر المحرك الأساسي لدورة الماء تقوم بتسخين المياه في المحيطات التي تتبخّر (تتحول) إلى بخار ماء داخل الجو. وتقوم التيارات الهوائية المتصاعدة بأخذ بخار الماء إلى أعلى داخل الغلاف الجوي، حيث درجات الحرارة الباردة التي تسبب في تكثيف بخار الماء، وتحويله إلى سحب. تقوم التيارات الهوائية بتحريك السحب حول الكرة الأرضية، وتصطدم ذرات السحاب وتنمو وتسقط من السماء كأمطار، ويسقط بعض هذه الأمطار كجليد، ويمكن أن يتراكم كأنهار جليدية. وفي ظل الظروف المناخية الحارة يتعرض الجليد إلى الذوبان، خصوصاً عندما يحل فصل الربيع، وتتدفق المياه المذابة على سطح الأرض، وتجري كمياه أمطار. جليدية مذابة. وتسقط أغلب مياه الأمطار داخل المحيطات، أو على سطح الأرض حيث تسيل على أديمها كمياه أمطار جارية نتيجة للجاذبية الأرضية. يدخل جزء من المياه الساقطة من السماء إلى مجاري الأنهار ويتحرك نحو المحيطات. وتسيل مياه الأمطار السطحية والمياه الجوفية لتشكل مياهاً عذبة في البحيرات والأنهار. ومع أن مياه الأمطار لا تذهب كلها إلى الأنهار إلا أن الكثير منها يتسرب إلى داخل الأرض كارتشاح. يبقى جزء من هذه المياه قريباً من سطح الأرض، ويمكن أن يسيل مرة أخرى إلى داخل مجاميع المياه السطحية لتشكل مياهاً جوفية. وتجد بعضاً من المياه الجوفية فتحات على سطح الأرض حيث تخرج منها كينابيع من المياه العذبة. وتقوم الجذور النباتية بامتصاص المياه الضحلة، ثم ترتشح من خلال أسطح الأوراق النباتية، لتعود مرة أخرى إلى الغلاف الجوي. تتسرب بعض من هذه المياه إلى داخل الأرض، وتعمق داخلها لتزود بها الطبقات الصخرية المائية (صخور سطحية مشبعة)، التي تقوم بتخزين كميات هائلة من المياه العذبة لفترات طويلة من الزمن. ومع ذلك تظل المياه متحركة على مدى الزمن، ويعود بعض منها مرة أخرى إلى المحيطات حيث تبدأ وتنتهي دورة الماء.

.. وقد عرف العالم القديم بحاراً وأنهاراً ومحيطات ، أشهرها الآن البحر الأحمر والبحر الأسود والبحر الميت وبحر قزوين والبحر الكارتسي والبحر الأردوفيسي، والبحر الأبيض المتوسط الذي كان يطلق عليه في الزمن السحيق بحر «التيثش» وكان يمتد من الإسكندرية إلى أسوان ثم عاد أدراجه بعد ذلك .

.. أما الأنهار فأشهرها نهر النيل وهو أطول أنهار الدنيا وأحد أنهار الجنة الأربعة التي ذكرها رسول الله عليه الصلاة والسلام ونهر الأمازون ونهر الصين ونهر المسيسي كذلك من أشهر أنهار العالم الكونغو وميكونج والنيجر والدانوب والزامبيري ونهر الراين ، ويفرد نهر النيل بشكل خاص يمثل ظاهرة جغرافية خطيرة في شمال أفريقيا فهو النهار الوحيد الذي استطاع أن يشق طريقه إليها وأن يحمل جزءاً من مياه أفريقيا الاستوائية إلى البحر الأبيض المتوسط ، وله مصدران هضبة البحيرات الاستوائية والمرتفعات الأثيوبية في المحيطات فهي المحيط الهادي والهندي والأطلنطي والمحيط المتجمد الشمالي والمحيط المتجمد الجنوبي .

.. وكم من مياه تحولت إلى أرض وكم من أرض تحولت إلى مياه .

.. كانت مدغشقر وأفريقيا معاً جزءاً من القارة الجنوبية العظمى جزندوانا ، ومعهما أيضاً أمريكا الجنوبية ، وقارة القطب الجنوبي أنتاركتيكا ، والهند وأستراليا . بدأت جوندوانا تتكسر ببطء مزعج حسب معايير إدراكنا وذلك منذ 165 مليون سنة . عند هذه النقطة انفصلت مدغشقر التي كانت لا تزال تتصل بالهند ، وأستراليا وأنتاركتيكا في شرق جوندوانا ، وشدت بعيداً عن الجانب الشرقي من أفريقيا . وفي حوالي الوقت نفسه انفصلت أمريكا الجنوبية بعيداً عن غرب أفريقيا في الاتجاه الآخر . تكسر شرق جوندوانا نفسها في وقت لاحق نوعاً ، وأصبحت مدغشقر في النهاية منفصلة عن الهند منذ ما يقرب من 90 مليون سنة كل جزء كان من أجزاء جوندوانا القديمة حمل معه بضاعته من الحيوانات

والنباتات ، هكذا كانت مدغشقر سفينة فلك حقيقية ، والهند فلماً آخر (□) .

.. إذن فتحول الماء إلى اليابس واليابس إلى ماء وانفصال القارات بعضها عن بعض يعود إلى نظرية « الإنجراف القاري » أو زحزحة القارات أو زحف القارات وهي الحركة النسبية لقارات الأرض تجاه بعضها البعض ابتعاداً كل منها عن الآخر وكان تتزحزح عبر قاع البحر وكان هام ارتلليوس أول من افترض أن القارات قد تكون تزحزحت عام 1596 وقد تطورت هذه الفرضية واكتملت علي ألفريد فيجنر feigner سنة 1912 ، ومع رفض هذه النظرية إلا أنها لاقت قبولاً بعد أن قدمت نظرية الصفائح التكوينية شرحاً لآلية القارات .

.. وقد رأي البعض أن جميع القارات كانت مترابطة فانقسمت وانجرفت مبتعدة بعضها عن بعض بسبب تمدد مناطق الانفصال التي تشكل المحيطات الآن : ورأي البعض أن القارات تنجرف دون أن يكون هناك أي تمدد للأرض من خلال انجذاب القارات نحو خط الاستواء عندما زادت جاذبية القمر، خلال العصر الكريتاسي (Cretaceous age) وبالتالي تكونت جبال الهمالايا وجبال الألب ، وجاء البعض بأدلة تثبت (الانجراف القاري)، اعتماداً علي نظرية الصفائح التكتونية ... وهذه النظرية التي يعبر عنها بالانجليزية Plate tectonics وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية القديمة tectonicus ، ذات الأصل اليوناني القديم ΤΕΚΤΟΝΙΚΟΣ، تُصَف الحركات الكبرى لغلاف الأرض الصخري . وقد اعتمد هذا النموذج النظري على مفهوم نظرية الانجراف القاري التي طُرحت في العقود الأولى من القرن العشرين، وقبلها مجتمع علوم الأرض بعد طرح مفاهيم تمدد قاع البحر في نهاية خمسينيات وبداية ستينيات القرن العشرين. وأورد العلماء في هذا الخصوص دلائل منها أنه تم العثور على أحفيرة لنباتات وحيوانات علي شواطئ قارات مختلفة مما يدعو للاعتقاد بأنهم كانوا يوماً ما مجتمعين .

(1) تشارلز دوكنز أعظم استعراض فوق الأرض أدلة التطور ص 120

.. كما وجدت أحفوريات من الزواحف الأرضية في الصخور ترجع إلى زمن سحيق في أفريقيا والهند والقارة القطبية الجنوبية .. وهناك أمثلة حية لحيوانات موجودة ولما تزل كذلك في قارنتين مختلفتين مثل قارة أفريقيا وأمريكا الجنوبية.

.. ويقرر الجيولوجيون والجغرافيون أن لكل عصر من العصور الكبرى في تاريخ الأرض أطوار ثلاثة ففي الأول منه، كانت القارات مرتفعة والتعرية نشيطة والبحار محصورة إلى حد كبير في أحواضها . وفي الطور الثاني ، بلغت القارات أقصى انخفاض لها وغطت البحار علي جزء كبير منها. وفي الطور الثالث أخذت القارات ترتفع مرة أخرى . وقد قال « شارلس شوشرت » الذي كرس كثيرا من عمله كجيولوجي لتخطيط صور البحار والأراضي القديمة.

.. ونظرا لقابلية القشرة الأرضية للحركة ، التي هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بتغير العلاقات الكائنة بين البحر والأرض ، كذلك تغيرت العلاقة بين البحر الأبيض المتوسط والأرض فيما أثبتته المؤرخون أن هذا البحر العظيم كان يشق طريقه من الإسكندرية إلى أسوان ، ثم غيض الماء وانحسر عن أرض أسوان حتي غاب في شواطئ الإسكندرية كما سبق ذكره . مخلفا وراءه جزءا كبيرا من الصحراء الغربية كما سبق ذكره ، وقد امتلأت هاتيك الأجزاء بالكهوف والرمال والتلال والمنخفضات والدروب التي لم تزل أثارها إلى اليوم والتي يراها الرائي في أراضي الواحات بعد أن طغت الأرض علي البحر وهذا يدل علي أن قشرة البحر أكثر استقرارا وثباتا من قشرة الأرض . وهي موجودة في درب البهنسة ودرب الواحات والفيوم ودرب سيوة ومسرب العبيد وهو درب كان يتسرب منه العبيد ، وثمة قبيلة تدعي عرب البوادي رجالها يحترفون في تجارة العبيد بين البلدان « مع أن الإسلام قد شرع العتق ولم يشرع الرق » .

.. وكان كل من يقع في أيدي تجار القيان ، من العبيد يقومون بخصيانهم حتى يبتعدوا تماما عن النساء وينصرفوا لأعمالهم التي سوف توكل إليهم .

.. فقد قصت علينا « كاري كوستر لوشه Kari Köster- Lösche » ، في روايتها «طبية الإسكندرية» عن هذا الذي قام يخصي نفسه وظل ينزف دمًا فشلت معه كل المحاولات الطبية لإسعافه حتى صعدت روحه إلى بارئها .

.. كانت هذه التجارة تجارة رائجة يحترفها الناس من كل فج عميق في شتى المدن كما شملت معظم البلدان في شمال وشرق أفريقيا وحتى الشعوب في جميع مناطق العالم ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وبعض بلدان أوروبا .

.. فلم تكن تجارة الرقيق مقصورة على شعب معين اللون أو العرق أو الدين . خلال القرن الثامن والتاسع فإن معظم الرقيق كانوا من دول أوروبا الشرقية وأيضا من الشعوب السلافية ويسمونال صقالبة، وحتى من شعوب المناطق القريبة كمنطقة البحر الأبيض المتوسط، والفرس، والأترک، وغيرها من هذه الشعوب المجاورة لمنطقة الشرق الأوسط، أيضا شعوب القوقاز من المناطق الجبلية مثل جورجيا وأرمينيا وأجزاء من آسيا الوسطى، والافارقة السود، وشعوب أخرى من أصول متنوعة كالأفارقة. في وقت لاحق، وتحديدًا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، توافد العبيد بأعداد متزايدة من شرق أفريقيا.

.. قدر بعض المؤرخين أن هناك ما يتراوح بين 11 أو 18 مليون من الرقيق الأفارقة السود قد عبروا البحر الأحمر، والمحيط الهندي، والصحراء الكبرى منذ عام 650 بعد الميلاد وحتى العام 1900 ، ما يتراوح بين 9،4 إلى 14 مليون أفريقي إلى الأمريكتين بغرض تجارة الرقيق .

.. وبالأساس كانت تجارة الرقيق في القرون الوسطى في أوروبا، وبشكل رئيسي في شرق وجنوب الإمبراطورية البيزنطية والعالم الإسلامي حيث كانتا المكان المقصود لهذه التجارة، وهاتيك عن أوروبا الوسطى والشرقية كذلك ولقد قامت الكنسية الكاثوليكية الرومانية مرارا وتكرارا في القرون الوسطى بمنع وحضر تصدير الرقيق المسحيين إلى الأراضي غير المسيحية، على سبيل

المثال، مجلس كومبلز (Council of Koblenz) في عام 922 للميلاد، مجلس لندن (Council of London) في عام 1102 للميلاد، ومجلس آرما (Council of Armagh) في عام 1171 للميلاد. لقد كان التجار الفايكنج، العرب، الإغريق، واليهود . من كانوا جميعا مشاركين في تجارة الرقيق خلال أوائل العصور الوسطى.

.. بالإضافة للغارات الدورية التي أرسلت من الأندلس، ولإحضار الغنائم والرقيق، وفي غارة على لشبونة عام 1189 للميلاد، قامت الدولة الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور بأخذ ما يقارب 3000 أسير من النساء والأطفال، في حين قام حاكم قرطبة في هجوم لاحق على شلب في عام 1191 للميلاد وأخذ 3000 مسيحي كرقيق.

.. ووفقا لما قال روبيرت ديفس، فإن هناك ما يتراوح بين 1 مليون و1.25 مليون أوروبي قد تم أسرهم من البحارة البربر، الذين كانوا تابعين للإمبراطورية العثمانية، وقد تم بيع الرقيق بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، وقد تم أسر هؤلاء الرقيق بالأساس في القرى الساحلية من إيطاليا، إسبانيا، والبرتغال، وأيضا من أماكن أبعد مثل فرنسا، إنجلترا، وهولندا، وأيرلندا، وأيسلندا وحتى أمريكا الشمالية. لقد كان تأثير هذه الهجمات مدمرا جدا لدول كثيرة ومنها وفرنسا وإنجلترا وإسبانيا، حيث خسروا آلاف السفن، وامتدادات طويلة من السواحل الإسبانية والإيطالية تُركت تقريبا بالكامل من قبل ساكنيها.

.. خلال الحروب العثمانية في أوروبا (Ottoman wars in Europe) وغارات التتار إلى العالم الشرقي، بما عرف بتجارة الرقيق «الشرقية» أو «العربية» .
.. وعود على بدء .

.. هذه الواحات يحيط بها الغرود وهي كثبان رملية ويكون اتجاهها هو اتجاه

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

الرياح السائدة ومن أشهرها أرض أبو المحاريق التي يمتد بين الواحات البحرية والخارجة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بمساحة كبيرة من الكيلو مترات .

.. وكلمة الواحات ضاربة في القدم فهي مصرية لحما ودما وعرفت في اللغة القبطية باسم (واهي) ومعناها العامر او المعمورة ، بعد أن كان اسمه في الهيروغليفية (واحه) .

.. وكما هو ثابت في صفحات التاريخ أن الواحات أيام الفراعنة كانت سبع واحات هي :

1- كينيم أو واحة رأس : أي الواحة الجنوبية ، وهي المعروفة الآن بالواحات الخارجة.

2- تسنيس : وهي المعروفة الآن بالواحات الداخلة .

3- ناحاي ، أو أرض الخراف : وهي العروفة الآن بواحة الفرافرة .

4- ويت .. أي الواحة ولا يعرف لها اسم ولا موضع .

5- سكة آمو ، أو حقل النخيل : وهي المعروفة الآن بواحة سيوة .

6- ويتمحت أو واحة الشمال .. وهي المعروفة الآن بالواحات البحرية .

7- سكة همام ، أو حقل البلح .. وهي المعروفة الآن بوادي النطرون .

،، وكلمة « واحة Wah » ، كلمة قبطية معناها « العامرة » أو « المعمورة» ولقد جاء العرب إلى مصر فوجدوها مسماة بهذا الاسم فلم يحاولوا تغييره ، وأدخلوا كلمة هذه التسمية في العربية كما هي / مثلما أدخلوا كلمة بستان وبنزهير الفارسيين دون تبديل .

.. ولقد كان المصريون القدماء ، عندما زار المؤرخ اليوناني « هيرودوت » مصر .. يطلقون على الواحات اسم « جزر الرحمة » لأنها عن جدارة .. الملاذ الرحيم الذي يقدم الراحة والطمأنينة هبة لكل مرتحل في دروب الصحراء القاحلة الوعرة ، بعد تلك الرحلات الطويلة الشاة ، فيشعره بجمال الحياة ، في جداوله الرقاقة وظلاله الوارقة . فإنها الأمل الباسم ، والرجاء المرتقب ، الذي تيممه القافلة بين ذلك البلقع العريض الموحش لذا فقد كان الرومان يسمونها «أويسمز Oasis» أي نهاية الرحل ، ومحطة الاستراحة !!

.. ولقد عرف « زوزماس » الروماني الواحة بأنها جزيرة بعيدة وسط الصحراء كل من رسا عليها لا يمكنه الإقلاع عنها ، إذ لا يستطيع أن يتخذ سبيله إلى الهرب في طرق صحراوية قاحلة جرداء ، ليس لأقدام البشر بها من أثر ، يمكن الاهتداء بها إلى سواء السبيل .

.. ولعله قد عبر عنها بالجزيرة لأنها مقصد الضارب في الصحراء .. كما الحال في جزر البحار ، إذ هي مقصد الجميع ، وكل مرتحل فوق العباب الطمأنينة .

.. ولا يدري المؤرخون على وجه التحقيق (□) متى عرف المصريون الواحات. ولكن الثابت أن أول من تعامل مع الواحات من ملوك مصر ، الملك سيزوستريس الأول « إذ أرسل أحد أمنائه المدعو « إكوديدي » لعقد معاهدة تجارية مع الواحات ، فاعتنم « إكوديدي » هذه الفرصة وأقام لنفسه حجراً مقدساً بمعبد « أوزوريس » بالعرابة المقدسة ، وهذا هو أقدم أثر يشير لحدوث مثل هذه الزيارة . وكان ذلك عام 1935 ق.م .

.. ولقد لعبت الواحات بموقعها الجغرافي وظروفها الطبيعية ، أدواراً شتى في حياة الشعب المصري . فالمصريون القدماء اتخذوا منها مستعمرات لنفي

(1) عبد اللطيف واكد واحة آمون مكتبة الأنجلو 1949 .

المجرمين ، ومقبرة لجثثهم عندما يموتون ، حتى لا تلوث بأدرانهم أرض الكنانة المقدسة : (ذلك أن «سيت» إله الشر والجريمة ، عندما قتل « أوزوريس » وتفسير ذلك أن إله الآخرة المتولي محاكمة الموتى ومحاسبتهم ، قام الإله « حوريس » رب الأرباب ، بمطاردة ، إلى أن تمكن من القبض عليه وقتله في مدينة « قفط » ، ومن ثم عهد إلى أعوانه في نقله إلى مكان ناء سحيق ، تائه وسط الصحراء ، يقال له « أوتو Otu » أي « الواحة الخارجة » كبرى الواحات المصرية وقتذاك « عقاباً على مارتكب من جرم !!) .

.. وبمرور الزمن أصبحت الواحات ملجأً لجماعة المضطهدين والمطروودين .. كما صارت مواطن صالحة للرهبة والتكشف ، والصوفية والزهادة الدينية ، لأولئك الذين كفروا بالحياة الدنيا وكذلك الأحياء .

.. وتختلف سيوة عن جميع الواحات اختلافاً بيناً ، إذ أنها ذات طابع خاص يميزها عن غيرها ، فأهلها ذوو رطانة خاصة بهم لا يعرفها سواهم .

.. كتب الكثيرون من كتاب الغرب والشرق عن الواحة .. ولكن أحداً منهم لم يصادفه التوفيق .. وليس ذلك عن عجز من أولئك الكتاب أو تقصير .. كلا .. بل لأن أهل الواحة بطبعهم لا يألفون الغرباء ، وهذه سجية توارثوها منذ أو أمد بعيد . فإن لم تتوفر شروط الإقامة الطوية بالواحة والتردد عليها ، والإندماج مع الأهليين والتغلغل بينهم ، على أن تكون الاستفسارات سافرة ظاهرة ، لن يستطاع الحصول إلا على معلومات مشوهة لا نصيب لها من الصحة . وليس من الكتاب الشرقيين من توفرت له هذه الظروف مجتمعة . أما الكتاب الأفرنج فليس بينهم من استطاع الإقامة بها إلا « بلجريف » وذلك بحكم وظيفته كضابط بالجيش البريطاني ، ومع ذلك فإنه لم يظفر بما يمكن أن يكون صحيحاً في كتابه عنها ، إلا من الناحية العسكرية في حرب الإنجليز مع السنوسي . فقد كان أحد منفذي هذه

المعارك. أما ما كتبه عدا ذلك فبعيد عن الحقيقة . فإن الأهالي علاوة على عدم انسجامهم مع الغرباء .. ينفرون ممن لا يتبعون دين الإسلام .. فكيف يكون الحال إذن وهؤلاء الذي لا يدينون بالإسلام⁽¹⁾، لا يعرفون اللغة العربية ، وليسوا من أصل شرقي ؟.

.. والثابت في سجلات التاريخ أن حاكم طيبة كان يرسل إلى الواحات البحرية حكامًا يتولون دفة الحكم في الواحات وممن اشتهر منهم (امنحوتب) التي توجد بقايا قصره في الواحات ، كما اكتشف فيها قاعدة بحرية تعود إلى الأسرة الخامسة والعشرين محفورا عليها خرطوش مدون فيها اسم الملك (شباكة) وكذلك اكتشف فيه آثار الملك (امازيس) واكتشف راهب الصحراء الدكتور احمد فخري بقايا معبد للإسكندر المقدوني في منطقة التبينة علي جدران هذا المعبد سجل الإسكندر المقدوني ألقابه ومسمياته .

(1) عبد اللطيف واكد واحة آمون مكتبة الأنجلو 1949 .

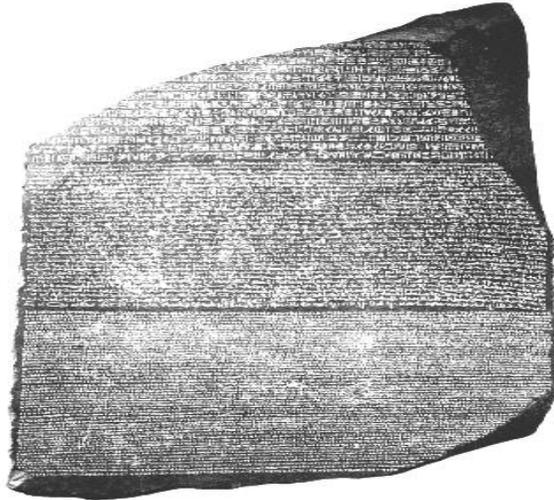
الرحلة إلى الواحات

.. يقول الصوفي العظيم ، ابن عربي :

.. الزمان مكان سائل

.. والمكان زمان متجمد

.. كان من حسن حظي وبتشجيع من أمي وأبي رحمهما الله أنني التحقت في باكورة حياتي بفريق الأشبال ثم فريق الكشافة بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بمحرم بك بالإسكندرية وتعلمت من خلال انتظامي بهذين الفريقين الكثير، فكم تجولنا من خلال الرحلات المختلفة التي انتظمنا فيها بين آثار الإسكندرية من المتحف الروماني إلى عمود السواري إلى قلعة قايتباي ، ناهيك عن رحلتنا الدائمة إلى مدينة رشيد التي تعج بالآثار التاريخية ، وما خلفته الحملة الفرنسية من مدفع نابليون إلى صورة طبق الأصل من حجر رشيد .



.. فهذه المدينة من المدن القليلة التي لاقت شهرة عالمية بين المدن المصرية وأضحت مع مرور الزمان ومنذ سالف العصر والآوان إلى متحف مفتوح يضم بين جنباته الآثار المتنوعة خاصة الإسلامية ناهيك عن الفرعونية والمسيحية ، فمن العجالات الحربية في عصر المصري القديم ، ومن كنيسة مارمرقس الأثرية وقد تصدت هذه المدينة الباسلة إلى غزوات عديدة أهمها كما هو معلوم حملة « فريزر » سنة 1807 م وقد ازدهرت في العصر المملوكي ثم العثماني كميناء هام للربط بين التجارة العالمية والقاهرة مروراً بنيلها ببوغازها ، كما يوجد بها متحف رشيد الذي تم تشييده في نصف الأول من القرن الثامن عشر ، ويوجد بها منزل « المناديلي » الأثري ومنزل « خليل درع » كما يوجد بها منزل « الشيخ تقي » الذي بني عام 1726 م ، وكذلك ضاحية برج العرب التي كنا نذهب إليه صباحاً ونعود منها للإسكندرية عندما يغلفنا الليل بغلالته الداكنة.

.. ونقل والدي رحمه الله من الإسكندرية عام 1953 م قاضياً لمحكمة الفيوم، وإثر إلتحاقني بمدرسة الفيوم الإعدادية الثانوية ، فانتظمت مرة أخرى بفريق الجواله ، وتجولت خلال إقامتنا في الفيوم في رحاب بقاعها وجميع أصقاعها فمن بحيرة قارون إلي وادي الريان إلي هرم اللاهوان وغيره ، وقد نظم الفريق رحلة إلي الواحات ، قطعنا فيها المسافة بين الفيوم إلى الجيزة حيث مكثنا في القاهرة يوماً أو بعض يوم ثم توجهنا إلى الواحات البحرية أقرب الواحات إلى القاهرة عبر طريق صحراوي يموج بالرمال الصفراء ، ومع شعورنا بالإرهاق كنا سعداء تموج الفرحة في قلوبنا حيث كان ممتعاً لنا مع بعد الزار ومشقة المزار أن نري هذه الصحراء الشاسعة الغامضة .. الصحراء الغربية ، ولطالما عسكرنا في الطريق من خلال الخيام التي ضربناها لنقبع داخلها حتى يسفر الصبح عن وجهه ثم نوالي السير إلى مبتغانا وسط مجاهل هذه الصحراء.

.. وجذبني روعة الواحات التي زرتها ، عبر العالم الصحراوي Spatial Different latations التي تتلأأ فيه الرمال وكأنها نثرات من الذهب الأصفر ،

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

وطوال هذه الرحلة التي قمنا بها ونحن آنذاك ندرج مدارج الشباب ، ويستهوينا الترحال والتجوال .

.. كانت الشمس تطفل بعد إدبار النهار ونحن مازلنا نشق طريقنا نحو الواحات البحرية .

..ولطالما جاش بخاطري سؤال :

.. هل توجد في هذه الواحات أنهار أو بحار ؟

.. فقد غاب رؤية الماء عنا طوال هذه الرحلة ، فطاف بخاطري ما ذكر في (سفر التكوين) من أنه (إذا كانت الأرض مقفرة) ففي تفسير آباء الكنيسة أن البحار قديماً قد تكونت وكذلك المحيطات من مياه علي هيئة غيوم في الجو حين كنت قد قرأت هذا السفر.

.. وقد كتب العديد من علماء العرب عن البحار ، ومنهم « المسعودي» الذي وصف بحر قزوين ، كما وصف الزلازل في كتابه « مروج الذهب » ، ووصف طواحين الريح ، وكتب عن الأفلاج وهيئتها والنجوم وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والأرض وشكلها ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وله كتاب «سر الحياة» وكتاب « في أسرار الطبيعة والحواس » ، وكذلك كان «ابن حوقل».. ناهيك عن «ياقوت الحموي» الذي صنف أوسع المعالم الجغرافية في كتاب « معجم البلدان» الذي غطى فيه كل رقعة إسلامية وجاء في مقدمته :

«عن أسماء البلدان والبحار والأنهار والغدران والجبال والقيعان والأوطان».

.. وإن كان علماء الغرب الإنجليز قد قالوا : « Geography is nothing but

Maps » ، وبعد ما اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها بسبب الفتوح خلال القرن الأول الهجري ، فقد اهتموا برسم الخرائط وقراءتها ،

واستخدم الجغرافيون العرب والمسلمون اسماء كثيرة لتدل على معنى الخريطة ، من ذلك ؛ الرسم ؛ الصورة؛ لوح الترسيم ؛ لوح الرسم ؛ وكذلك الجغرافيون التي لم تكن تعني عندهم سوى الخريطة ، وقد يكون أصله معرباً من لفظ « Carta » أو مشتقاً من كلمة خرط في اللغة العربية .

.. وبعد أبو زيد (البلخي) أول من ربط المعلومات الجغرافية بالخريطة وجعل المصورات أساساً للإيضاح الجغرافي ، وقد تبع البلخي في ذلك كل من الأخطري وابن حوقل . ومن ناحية عامة تكاد تشترك جميع خرائط الجغرافيين الإقليميين في صفاتها العامة من حيث الشكل الهندسي التخطيطي ، الذي لا يركز على الشكل الحقيقي للبلاد ؛ فغالباً ما تصور البلاد على هيئة مربع أو مستطيل ، وجعل الجبال والأنهار والبحار خطوطاً مستقيمة أو أقواساً ودوائر ، أما البحار الداخلية فتأتي على هيئة دوائر كاملة ، وكانت كل خريطة مستقلة تماماً عن الأخرى ، بحيث لا يمكن جمعها لتكوين خريطة واحدة مثل خرائط الإدريسي .

.. وقد كتب لمبروزو .. وهو غير لمبروزو المعروف : « إذا كانت الأرض معلقة وسط الكون فإن المياه هي الأخرى معلقة فإن الهدف منها هو تبريد محور الكون » .

.. وقد اعتقد آباء الكنيسة في أن المياه تجمعت فيما بعض في منخفضات مكونة البحار والمحيطات ، وأصبحت المناطق المرتفعة أرضاً يابسة .. ثم أمر الله .. « لتتجمع المياه التي تحت السماء إلي موضع واحد ، ولتظهر اليابسة »

.. كما آمنوا بوجود خزانات كبيرة للمياه داخل الأرض ، وقالوا إن المياه السطحية والمياه الجوفية علي اتصال بعضها ببعض ويشكلان وحدة واحدة ، وقد فسروا ظاهرة المياه الجارية علي أساس عقيدة تجميع المياه الواردة في سفر التكوين ، كما نافش بعض مفكري العصور الوسطي نشأة الجبال وفيضانات بعض الأنهار ، والحرارة والرطوبة وعلاقتهاما بارتفاع سطح الأرض ، كما حاولوا تقسيم

الأرض إلى مناطق حرارية اعتماداً علي أفكار الإغريق والرومان.

.. وقد قيل لنا أنه مع خلو الواحات من المياه ، فإن المياه الجوفية تتناثر عيونها فيها وهي سبب النماء والحياة ، وقد صدق الله حين قال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

.. حال رؤيتي للواحات ألفتها جنات وارفات، صدق من سماها جنات مصر الأرضية وقد أطلق عليها « ليشوين » العالم الجغرافي الدولة المنعزلة والتي تتماثل مع دويلات الإقطاع في أوربا تتألف كل منها من مدينة واحدة تحيطها الرمال في الأغلب الأعم مشكلة ظهيراً لها مع أنها تمثل منتجعات زراعية شديدة الخصوبة. .. يذكر الباحث الأستاذ « عبدالوهاب حنفي » في كتابه « تاريخ الواحات » ما يلي:

.. قسمت الأبحاث الجيولوجية الحديثة تاريخ الصحراء الغربية المصرية في العصور المطيرة الى عصرين ، العصر المطير الأول (البليوسيني) والثاني (البلايستوسيني) والأخير هو الأخطر بشريا وحضاريا في مصر ، إذ أنه شهد ظهور الإنسان لأول مرة في مصر ، ويتحدد زمن العصر المطير الثاني بنحو 120 ألف سنة ، وقد كانت نهايته منذ حوالي عشرة آلاف سنة مضت حين بدأ عصر الجفاف والتصحر في غرب مصر

.. وقد رصدت الأبحاث الجيولوجية مجموعة من البحيرات في صحراء مصر الغربية والتي كان أهمها بحيرة « بير طرفاوى » التي قدرت مساحتها بخمسين ألف كم² ، ومن المعروف أن منطقة « بير طرفاوى » تقع جنوب الواحات الداخلة في المسافة بينها وبين منطقة جبل العوينات هذا الجبل الذي يمثل سلسلة جبلية في منطقة حدود مصر وليبيا والسودان ويغطي مساحة قدرها 1500 كيلو متر مربع ومعظم مساحته تقع في ليبيا أما الباقي ففي الوادي

الجديد ومنطقة جبل العوينات معروفة برسومها البدائية القديمة على الصخور الجبالية ومن أوائل الذين استكشفوا هذه المنطقة أحمد باشا حسنين الذي رسم أول خريطة له عام 1932م ، ويذكر « محمود مخيمر » الباحث في تاريخ الوادي الجديد أن الرسومات المجسدة على صخور المنطقة تحكي أشكال الحياة منذ زمن سحيق ، وأن هذه المنطقة شهدت زمنًا مطيرا بما كان يحوي من نعام ، وزراف ، وغزلان ، وأشجار الأكاسيا « السنط » ، وأشجار المرو ، وأن عدد النباتات فيها لا يقل عن 55 نوعا من النباتات . كما يوجد بالمنطقة حيوان بين قائمة الحيوانات المهتدة عالميا بالانقراض ألا وهو (الكيش الأروبي *Ammotragus lervia*) ، ولا يفوتنا أن الابحاث قد أشارت إلى بدء جفاف «بحيرة بير طرفاوي» منذ حوالي عشرة آلاف سنة اي مع بداية عصر الجفاف .

.. وخلال العصر المطير الثاني الذى شهد التواجد الأول للإنسان في مصر، فقد عثر بها على ادوات حجرية في مناطق جمة من الصحراء الغربية المصرية ، مما يؤكد التواجد البشرى في تجمعات واضحة على ضفاف البحيرات الكبرى القديمة في مناطق الواحات الداخلة والخارجة وبير طرفاوي حتى منطقة جبل العوينات في أقصى الجنوب الغربى من حدود مصر ، وتدل الأدوات الحجرية التى عثر عليها مدى قدم إنسان العصر الحجري القديم في مصر خاصة في جنوب غرب الصحراء والتي يقدر عمرها بحوالى من 200- 180 الف سنة وفي قرية بلاط بالواحات الداخلة عثر حديثا على بئر قديمة وحولها بقايا آلات حجرية ترجع الى حوالى 150 ألف سنة خلت، أيضا عثر في بير طرفاوي جنوب الواحات الداخلة على صناعة موسييرية تعود الى 80 الف سنة

.. ويفسر الدكتور جمال حمدان هذين الكشفين (باحتمال تزامن وجود إنسان بير طرفاوي مع إنسان بلاط ، ومن المحتمل أن يكون قد جاء الى الصحراء الغربية منذ 75 ألف سنة أقدم إنسان وطأ ارض مصر).

.. ولعل من الشواهد المادية الباقية الى الآن من ذلك العصر الحجري في صحراء مصر الغربية ، تلك الأدوات المصنوعة من «الظران» وهياكل الفقاريات المتبسة وأدوات الصيد البدائية التي يضمها المتحف الجيولوجي في مقر مشروع فوسفات ابو طرطور بالوادي الجديد والتي عثر عليها أثناء أعمال الحفر في أنفاق استخراج الفوسفات في الهضبة الواقعة على طريق الواحات الخارجة الداخلة .

.. من جهة اخرى ، تلك الرسوم الغائرة على الكتل الجرانيتية الضخمة في جبل العوينات عند هضبة الجلف الكبير جنوب غرب مصر ، وهى التى يحج إليها سائحو السفارى في رحلات وعرة وقاسية بعد اجتياز معمور الواحات الداخلة والاتجاه إلى الجنوب الغربى حيث أطبقت على منطقة بير طرفاوى التي تمثل محل ميلاد الإنسان الأول على ارض مصر .

.. منذ حوالى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد بدأ - تدريجيا - عصر الجفاف في القطاع الغربى من مصر الى أن سادت الظروف الصحراوية كل أرجاء هذا القطاع، وهنا تحتم على الإنسان والحيوان ، الهجرة نتيجة الجفاف ، للتجمع حول الأودية النهرية التي تحسنت ظروفها من خلال صرف المستنقعات وقد احتشدت حول هذه الأودية مظاهر الحياة البشرية والحضارية الجديدة (في وادى النيل الحالى).

.. ومع الجفاف التدريجى فقد بقيت البحيرات الشاسعة وسط الصحراء الغربية لمئات السنين قبل أن تجف ، وقد ساعد على سرعة الجفاف عاملان ، الاول هو نسبة البحر التي ارتفعت مع زيادة معدل سطوع الشمس المتزامنة مع عصر الجفاف ، والثانى - وهو الأهم - هو عامل التسرب الجوفى لمياه هذه البحيرات الى باطن الأرض ، وتفصح المراجع بان حجم المخزون الجوفى من هذه المياه

التي تسربت إلى باطن أرض الصحراء الغربية كانت - بصورة مؤكدة - هي السبب الأول والأخير في بقاء واستمرار الحياة في الواحات المصرية الحالية التي تزين بقاع الصحراء الغربية رغم قسوة الطبيعة وشدة الجفاف .

.. وانطلاقاً من التاريخ الموثق للعصر المطير الذى ساد هذه الأرض قبل تصحرها ، وبحثا عن رؤية استنباطية (منطقية) لتفسير الغموض التاريخي الذى يعترى الاربعة آلاف سنة التي سبقت التاريخ الفرعوني الموثق للواحات ، مع الأخذ في الاعتبار أن التاريخ الموثق - في الغالب والاعم - هو تاريخ الحكام والامراء والقادة وليس تاريخ البشر بصفة عامة ... حيث عادة ما يكون التوثيق ماديا في صورة معابد ومقابر ورسوم ونقوش جدارية تحكى تاريخ الصفوة ... اذن ماذا عن تاريخ البشر ممن عاشوا على ضفاف بحيرة بير طرفاوى قبل وبعد جفافها؟؟

.. وقد أحاط الجفاف بالصحراء الغربية مع أنها كانت مرصعة ببحيرات يقول عنها جمال حمدان ، كان بعضها من مقياس عظيم يقارن ببحيرة فيكتوريا او تشاد حاليا ، ومن اهم هذه البحيرات التي امكن تحديدها بحيرة (بير طرفاوى) الواقعة جنوب الواحات الداخلة وحتى هضبة العوينات في الجلف الكبير اقصى الخط الجنوبي الغربى للحدود المصرية ، وهى البحيرة التى يقدر مساحتها 50 ألف كم² ، اما زمنيا فالمقدر أن هذه البحيرة ظهرت منذ 40 ألف سنة ، وعاشت 15 ألف سنة ، ثم جفت مرتين ، الأولى منذ 35 الف سنة ، واستمر ذلك الجفاف لمدة 12 ألف سنة ، ثم عادت إلى الوجود بعد انتهاء عصر الجفاف ، وظلت موجودة لمدة عشرة آلاف سنة مضت (حوالى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، اى قبل العصور الفرعونية بقليل ...

.. وحول هذه المرحلة (مرحلة التحول) يذكر جيمس هنرى بريستد في

كتابه «فجر الضمير».

.. أما ثانياً مراحل العصر المطير الذى كان يسير جنبا الى جنب مع تقدم حياة الإنسان ونعنى به عصر نضوب الماء ، ذلك النضوب الذى كان ينتشر تدريجيا ، فالصحارى المعروفة لنا تمام المعرفة فى هذه الاقطار لم تكن قد ظهرت بعد، اذ كان كل شمال افريقية اقليما يتميز بأمطاره الغزيرة والنباتات الوفيرة مكونا ميدان صيد نموذجى ، وقد عثرت على ثلاثة قوارب نيلية لصيادى الهضبة محفورة على الصخور

.. من ناحية اخرى فقد كشف الدكتور سند فورد مدير مساحة المعهد الشرقى عن أسلحة الظران التى كان يستعملها هؤلاء الصيادون مبعثرة فى اقاصى الصحراء الغربية حول قطاع الواحات الداخلة وعلى مسافة ألف ميل او اكثر من غرب النيل ، ولا تزال هذه الالات والأسلحة الحجرية الملقاة حيث فقدوها أصحابها من آلاف السنين شاهدا صامتا على المجال الفسيح الذى كان يرتع فيه الصيادون - والاماكن التى توجد فيها تلك الأدلة الصامته عن حياة الإنسان الغابر، هى الآن مناطق منعزلة قاحلة .

.. من المنطقى القول بان القادة والأمراء فى العصور التاريخية القديمة لم يصلوا الى مناطق خالية من البشر بصفة عامة ، ومن أولئك الذين يجيدون حرف البناء والتشييد والنقوش والزخارف بصفة خاصة ، وبالتالى فان التواجد البشرى والحضارى والثقافى فى مناطق الواحات المختلفة هو - بالضرورة - سابق بزمان بعيد على قدوم هؤلاء الفراعين ، بل يمكن الافتراض أن الباقين من البشر فى هذه المناطق منذ بدء عصر الجفاف وحتى قدوم الفراعنة هم الذين شكلوا القاعدة البشرية الأم فى التكوين والأصول السكانية للواحات المصرية .

.. ويرى البعض أن قاطنى الواحات ما هم إلا بعض المهاجرين من منطقة المغرب العربى ، بينما يقول آخرون بأنهم قادمون مع الفتح العربى الاسلامى لمصر ورأى ثالث يتجه الى قدوم السكان من الجنوب عن طريق درب الأربعين .. ويدلى الدكتور حمدان بدلوه فى هذا الأمر ويقول عن الجانب الانثروبولوجى لسكان الصحراء الغربية ، قائلاً :

..والصحراء الغربية تنقسم الى منطقتين : الواحات فى الجنوب والساحل فى الشمال ، والفارق الأنثروبولوجى بينهما طريف ، فالأولى خلت تقليدياً من اى تأثير متوسطى آسيوى المصدر ، اى سامى من عرب الجزيرة او المشرق ، بمعنى أن اثر العنصر العربى فى مصر لم يصل تقريباً الى واحات مصر الغربية ، هذا فى حين أن المنطقة الثانية عربية المصدر تماماً ، ومن الناحية الأخرى فلا عبرة بالتساؤل القديم عما اذا كان سكان الواحات اصلاً مصريين أو لبيين أيام الفراعنة، اذ من الثابت انهم كانوا مصريين تماماً

.. ولكن الدكتور حمدان يعود ويقول :

.. ويمكن القول بعد هذا بأن الواحات ، التى تتباعد متشرة على مساحة شاسعة ، هى وبنسب متفاوتة بين ثلاثة مؤثرات أساسية:

.. مصرية من الشرق ، بربرية من الغرب ، وزنجية من الجنوب ، وبحسب موقع كل واحة يتحدد توازن الشد والجذب بين هذه القوى الثلاث ، فأقربها الى النيل أكثرها مصرية ، وأبعدها عنه أكثرها بربرية ، وأكثرها جنوبية أكثرها زنجية .. والدكتور حمدان بذلك يقصد الواحات الخارجة فى الأولى ، وواحة سيوة فى الثانية ، وواحة باريس فى الثالثة .

.. تعرض موضوع نشأة الحضارة الزراعية فى التاريخ الى عدة رؤى ودراسات

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

مختلفة ومتباينة ، إلا أن أحدث الدراسات التى تمت فى مصر بعد الكشف الأثرية خلال السبعينات من القرن الماضى ، والتى ترجع الى العصر الحجري القديم ولكنها تتجاوز كل حضاراته السابقة فى القدم ، واهم هذه الكشوفات ثلاثة: سيوة ، النوبة ، جنوب الصحراء الغربية .

.. ففى سيوة تذكر المراجع أنه عثر على بقايا حضارة زراعية تم تحديدها بمادة الكربون المشع بنحو اثنى عشرة ألف سنة ق م ، اى على الأقل ضعف عمر أقدم الحضارات التى سبق العثور عليها فى وادى النيل الحالى ، وبهذا ، وبعد أن كان اتجاه الرأى يميل الى أن الزراعة بعد أن بدأت فى مصر منذ اثنى عشرة ألف سنة ق.م ، ماتت على ضفاف النيل نتيجة الفيضانات المدمرة ، أثبتت هذه الأبحاث الحديثة استمرار وبقاء الحضارة الزراعية المصرية كاملة فى الواحات حتى ستة آلاف سنة قبل الميلاد على الأقل ، وعلى ذلك يمكن القول بأنه إذا كان وادى النيل هو المشتل الاول للزراعة المصرية ، فقد لعبت الواحات دور الخزانة الحافظة لها، هكذا يقول جيمس هنرى بريستد ، مؤرخ الحضارة المصرية ودورها فى تاريخ ميلاد الحضارة الإنسانية.

.. أما فى جنوب الصحراء الغربية وفى الجانب الغربى - منطقة بير طرفاوى - وجدت أدلة على استئناس الحيوان منذ أكثر من ثمانية آلاف سنة وعلى هذه الأسس الجديدة لا يستبعد أن يكون الإنسان المصرى هو أول من عرف الزراعة واستأنس الحيوان فى الواحات الغربية

.. ولعل المتتبع لتاريخ الواحات الموثق منذ بداية العصر الحجري وعصور الأسرات والعصر الرومانى ثم القبطى فالإسلامى كما دون المؤرخون، أننا نستطيع أن نلمح مجموعة من العوامل الدافعة لمقومات حياة ثقافية ذات طبيعة

خاصة ومتميزة - على الأقل - عما عداها من حيوات الصعيد ودلتا النيل من ناحية ، و حياة بدو الصحارى المصرية والعربية المجاورة - جغرافيا - للواحات من ناحية أخرى .

.. عرف إقليم الواحات الخارجة والداخلة والفرافرة (الفرفرون) وفيها عدد من المدن والقرى والقلاع، باسم مملكة موريطانيا الذي استمر استخدامه حتى حوالي القرن التاسع الميلادي حيث استبدل بمملكة الواحات كما ورد في كتب العرب.

.. وكانت هناك حروب وغزوات بين مملكة الواحات والنوبة، ولا يذكر المؤرخون أسباباً لذلك إلا هجوم النوبة على الواحات في عام 951 م، وأن هدنة قد عقدت بين مملكة الواحات ومملكة النوبة بعد ذلك، وكانت هناك ممالك أخرى من ناحية الغرب والجنوب الغربي للواحات منها القرعان والزغاوة فماذا كان موقف هذه الممالك من بعضها البعض؟

.. ولا يعلم المدونون لهذه الفترة شيئاً مؤكداً عن الأمر الذي انتهت إليه هذه الأسرة المالكة ومن الذي حل محلها، كما أننا لا نعلم شيئاً عن الهجرات من وإلى هذه المملكة. فمن الثابت أن أهل النوبة قد تركوا الواحات في نهاية القرن الثالث وأوائل الرابع الميلادي للسكنى جنوبي الشلال الأول على حوض النيل، ومن المحتمل أن تكون هجرات أخرى قد تلت ذلك إلى حوض النيل في مختلف بقاعه وبخاصة بعد قفل طريق الصحراء إلى الغرب الأمر الذي تعطلت معه التجارة عن طريق القوافل التي كانت تجوب هذا الطريق.

.. يقول «ابن حوقل» في كتابه صورة الأرض: «وأما الواحات فإنها بلاد كانت معمورة بالمياه والأشجار والقرى والرموم قبل فتحها. وكان يسلك من ظهرها إلى بلاد السودان بالمغرب الطريق الذي كان يؤخذ ويسلك قديماً من مصر إلى غانا

ولا يخلو هذا الطريق من أشجار النخيل .

.. ويقال أن عدد بلاد الواحات أربعة وعشرون بلداً منها: القصر، وبها كروم كثيرة وتزرع بها الأرز ومنها موط وبنسطر والمعصرة وسمنت والقصبة والقلمون والتي بها كنيسة للنصارى .

.. وهذا البلاد تسمى الواحة القبليّة يسافر إليها من بر أسيوط مسيرة ستة أيام يحملون الماء والزاد ثلاثة أيام ثم يأتي المسافرون بعد ذلك إلى عين مور تحت جبل يحملون منها الماء إلى الواحات .

.. وذكر الأطباء أن أعداد الطعوم ثمانية، أولها العذب والدسم والحلو والمالح والحامض والمر والقابض والحريف. وللناس في هذه أقاويل: منها العذب نوعان بارد وسخن، فالسخن ان استعمل من خارج وداخل مقيد الحاجة فإن ينقي الجسد وإن استعمل أكثر فإنه يرخي الأعضاء ويضعفها، وإن البارد يشد الأعضاء ويدفع العطش وإن الزيادة منه تخدر الجسد وتميته وإن الماء الأجاج ينفع من شدة الكبد والطحال وينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة، والبيرقي نافع للحكة والجرب، وأما ماء القار فإنه نافع من أوجاع الصلب والعصب، وماء الحديد نافع من الاسترخاء، وماء النحاس نافع من الرطوبة والبله الكائنين في الجسد والرأس، وماء الحصبا يشنج المعدة ويقبضها ويكرشها، وماء الزاج يحسن الدم، وماء البحر نافع من البرص .

.. وعن بعض أنواع الطعام قد ذكر جماعة أنه ينفع من الأخلاط الفاسدة إذا شرب اليسير مع دهن اللوز وله في البصر أتعاب فظيعة، وأن أصح المياه للأجساد الماء الأبيض الصافي البراق الذي يخرج من جبال الطين من مشرق الشمس نحو مغربها القابل لسرعة ما يرد إليه من الحر والبرد .

.. ويذكر « ابن اياس » في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ، فيما يكتب عن « أعمال الديار المصرية » حول التعريف بأهم المدن المصرية ، قد عرض لحوالى عشرين مدينة فقط من المدن المصرية ، وقد جاءت الواحات الداخلة فى الذكر العاشر من هذه المدن ، فيورد ما يلى نصا:

.. هذه المدينة بناها « قفطريم » ، وكان بها بركة ، اذا مر بها الطير سقط فيها ، لا يبرح منها حتى يؤخذ باليد ، وكان لها اربعة ابواب ، على كل باب منها صنم من نحاس اصفر ، اذا دخل من ابوابها غريب ، القى عليه النوم ، فينام عند الباب ، ولا يبرح حتى يأتية احد من اهل المدينة وينفخ فى وجهه ، فيقوم ، وان لم يفعل يظل النائم فى سباته العميق .. حتى تفارقه الحياة .

الواحات البحرية

.. أول ما تقع عليه عين الرائي ، في هاتبيك الواحات ، هذا الفيض الهائل لأشجار النخيل والزيتون، هذا الأخضر النابض بالحياة وسط الأصفر القاسي فلا غرابة إذا أن أطلقوا علي الواحات جنة الصحراء كما يشعر بها اهلها وهذا المعني في قلوبهم يعكس تقديسهم للمكان ، انه المكان المختار من قبل الله ليكون هبة لهم فهي ارض خصبة في محيط هائل من الجفاف والمياه العذبة المتدفقة من العيون والآبار ، ومن ثمة فهي مجتمع متميز من حيث الصفات والمظاهر الثقافية : صحراوي يحمل سمات الريف، جذاب للبدو ومثير لخيال أهل الحضر وكذلك هو مميز من حيث علاقة الإنسان بمفردات الطبيعة المحيطة به، وتوجيه جهده المتواصل للاستفادة منه، والحفاظ عليها في نفس الوقت، فإنسان الواحات يحترم عطاء الطبيعة ويتقي غدره ويقدر حدود الواحة ويراقبها باستمرار ، فهو يعرف جيدا ، متي ظهر هذا المبني هنا، وكم عدد النخلات قبل ظهور المبني علي هذه الأرض وإذا كان التصور الشائع عن الصحراء إنها امتداد مخيف من الرمل الأصفر، وقد ظلت الصحراء محتفظة بصمتها عبر الأزمنة والأحقاب السحقية لتؤكد لنا عمق تاريخها وتُعرفنا بمن مروا بها من بشر عبر السنين الطوال فتركوا تلك البصمات الخاصة بهم بل إن هذه الصحراء تحفظ لنا ذكريات المطر والريح وأصداء وقع الدواب علي الرمال والطيور علي الصخور والواحات البحرية هي واحدة من خمس واحات كبري، تنتشر في صحراء مصر الغربية ، وهي تجمعات تاريخية صنعت الحياة منذ أزمان عابرة رغم قسوة الطبيعة وعزلة المكان

(البويطي) هي المدينة الأكبر في الواحات البحرية وتضم الواحات عدة قري منها الحيز وهي تبعد عن البويطي مسافة 50 كم وقرية القصر تقع علي طريق الحيز فضلا عن قري صغري متناثرة اقرب الي دروب سكانية ، منها قرية الحارة والعجوز ومنديشة ناهيك عن منطقة المناجم وهي أول منطقة تقابلها في مدخل الواحات البحرية.

.. ويوجد بها قري القبالة والجارة وقرية القصر التي يتبعها خمس قري أخرى التيبية وعين العزة وطبل أمون والغربية ، وكذلك قرية الزيو وأتبعها عين القصر والجزائر وقرية مارود والقصعة 1 ، 2 ، 3 .

.. كما يوجد بها واحات الأعرج ، وسترة ، ونواميسة ، ويمتد تاريخها إلى عصر مصر ما قبل التدوين ولقد قدم العرب إلى مصر فوجدوها مسماة بهذا الاسم فلم يحاولوا تغييره . (□)

.. ومن الروايات التاريخية الشفهية التي تتردد في هذه المنطقة أن أول ظهور للطائرات الحربية صاحبه فزع كبير من أهل الواحات البحرية ألجأ أهلها إلى الإختباء في بيوتهم ، وقامت إحدى الطائرات بإلقاء قنبلة على هذه المنطقة ، التي كانت يوجد بها قطع للأبقار في هذه المنطقة .. منطقة القصر ، فأفنت جزءاً كبيراً من القطيع ظناً من قائد الطائرة أن هذا القطيع ما هو إلا جيش من الأعداء .

.. وقد ألفت كذلك إحدى الطائرات الإنجليزية المقاتلة قنبلة على مقام (الشيخ سوي) وهو أحد أولياء الواحات البحرية ، ويعتقد الأهلون هناك إنه بيركته زحزح القنبلة لتسقط في عين مياه مجاورة للمقام ، تسمى (عين أبو زعيفر) ، فلم يكن للقنبلة أي آثار ضارة ، فحمى المكان والسكان من ضرر إنفجارها (□) .

(1) محمد أمين عبد الصمد واحات الفن والجمال دراسات أنثروبولوجية . عبد اللطيف واكد ، حسن مرعي : واحات مصر ، جزر الرحمة وجنات الصحراء .

(2) المرجع السابق ص 21 .

.. وفي مرحلة لاحقة كانت الواحات البحرية ملجأً آمنًا لليبيين السنوسيين ، بعد الضغوط التي واجهوها في ليبيا من القوات الإيطالية المحتلة ، وجحافل المواطنين الإيطاليين التي انتقلت للإقامة في ليبيا على حساب أصحاب الأرض الأصليين .

.. وانتقل (محمد إدريس السنوسي) إلى مصر لاجئاً عام 1922م ، وترك الإقامة للسيد (عمر المختار) ، وقد هاجر الكثير من الليبيين إلى مصر خلف (إدريس السنوسي) ، وكانت الواحات البحرية من المحطات المهمة التي وفدوا إليها .

.. وقد ارتكب السنوسيون الكثير من الفظائع ، فقد استولوا على قوت الأهالي ومؤونهم واستولوا على المزروعات والثمار من الحدائق والحقول ، وأخذوا المواشي والأغنام من الأهالي عنوة وغضباً ، وقاموا بذبحها للوفاء باحتياجاتهم الغذائية ، وسط استسلام من أهل الواحات البحرية ، الذين لاحول لهم ولا قوة . وبعد قدوم السيد (محمد إدريس السنوسي) للواحات البحرية ، وعانين ما حدث ، لم يرضه ذلك واعتذر للواحات وأهلها ، ودعا لهم بالبركة والخير .

.. وسيطر السنوسيون بقيادة (أحمد إدريس السنوسي) على منطقة الواحات البحرية ، وطردهم القوات الإنجليزية القليلة ، التي كانت موجودة ، وأرسي السنوسي نظاماً تعاونياً في الواحات ، استفاد منه أهل الواحات والسنوسيون الضيوف على الواحات ، إذ أعطي السنوسي كل فرد من أهل الواحات (لوحته الأمان) ، وكان بموجب هذه (اللوحة) يقوم شيخ كل عائلة يجمع إنتاج عائلته من المشمش والزيتون والبلح .. الخ ، ويقدمها للشيخ أحمد إدريس السنوسي ، الذي يقوم بدوره بتوزيع مجمل الحصيلة بالتساوي على كل المقيمين بالواحات ، دون تفرقة بين فقير أو غني ، صاحب أرض أو معدم ، من أهل الواحات أو من الليبيين الضيوف ، فالكل سواء ، ورضى أهل الواحات هذا النظام حباً للسيد السنوسي .

.. ولم يقف المحتل الإنجليزي مكتوف الأيدي أمام هذا الوضع ، فأعد قوة كبير لطرده السنوسيين ، وقاموا بمد خط سكة حديدية لنقل القوات الإنجليزية إلى منطقة شرق الواحات البحرية ، وبدءوا في عمليات عسكرية مركزة ، تمكنوا بها من القضاء على أغلب القوات السنوسية ، ومطاردة ما تبقى منها في الصحراء المحيطة بالواحات البحرية .

.. وانعكست هذه التجربة على فكر قوات المحتل الإنجليزي ، واستفادت منها أثناء الحرب العالمية الثانية ، فأقامت نقاط ارتكاز قوية في منطقتي شرق الواحات البحرية وغربها ، وأقاموا معسكرات لهم ، مازالت آثارها باقية حتى الآن فوق جبل العجوز ويطلق عليها الأهالي (بيت الإنجليز) .

.. وأنشأت القوات الإنجليزية بعض المطارات العسكرية في المنطقة دعمًا للجهد العسكري لهم في مصر .

.. وفي العصر الحديث قام الملك السابق فاروق ملك مصر والسودان بزيارة للواحات في الصحراء الغربية ومنها الواحات البحرية ، وحاول معرفة احتياجات الأهالي وحل مشكلاتهم ، وشجع زواج الشباب غير القادر على الزواج ، فخصص مبلغ خمسة جنيهات صداقاً لمن أراد أن يتم زيجته ، وخمسة قروش مساهمة في تكاليف احتفال العرس ، ومازال هناك من شيوخ سيوة يتذكر هذه الوقائع ، ويحكىها دومًا .

.. وقد خصص الملك فاروق هدية ملكية سنوية ، عبارة عن سيارة كبيرة محملة بالملابس والمواد التموينية ، وبعض الأعطيات المالية لأهالي الواحات البحرية ، وبنى استراحة له هناك ، ولكن لم يمهله القدر لزيارة الواحات مرة أخرى ، فقد قامت ثورة يوليو وأطاحت به من الحكم .

.. وقد حظيت سيوة بزيارات تاريخية بداية من زيارة الخديو عباس حلمي الثاني عام 1907 وقضي فيها عدة أيام أعجب فيها بجمال الطبيعة وسحرها

ومياها العذبة فأمر بتسجيل منطقة قريشت وأراضيها باسمه كملك خاص، وبعد 90 عاما زارها الرئيس مبارك وكانت زيارة مهمة أسفرت عن وضعها علي خريطة الاهتمام سياحيا وتنمويا وبين هاتين الزيارتين كان الملك فؤاد قد زارها عام 1927 وبني فيها مسجده الكبير وهو المسجد الرئيسي في سيوة حتي الآن، ووضع نصف ريال فضة في مقام سيدي سليمان وبني مستشفى وافتتح سينما وكان الطريق الذي سلكه الملك فؤاد هو نفس طريق الاسكندر الأكبر والذي سلكه أيضا الملك فاروق في زيارته للواحة عام 45 ليقضي فيها ستة ليال اعتبرها كما قال عنها أحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكي آنذاك أجمل وأصفي ليالي فاروق.

.. ويذكر راهب الصحراء الدكتور « احمد فخري » (الصحروات المصرية) ، أن اهلها مثل باقي اهالي الواحات الاخرى ، اذا سألهم شخص عن الاصل الذي ينحدرون منه فانهم يجيبون اجابة واحدة وهي انهم ينحدرون من قبائل بدوية عربية.... وهم خليط من سكان الواحات القدامى الذين اعتنقوا الدين الاسلامي وقليلًا من بدو العرب الذين استقروا بهم المقام هناك فضلا عن النازحين من الواحات الداخلة وسيوة.⁽¹⁾

.. أما عن الواحات الغربية فيذكر « هاردينج كينج » أن ثمة عيد يقام في واحة الخارجة شديد الطرافة في الرابع عشر من شعبان يعرف بعيد المحمل ويذكر الأهالي هناك أن عيدهم هذا اكثر قدما من محمل القاهرة ويزعمون أن محمل القاهرة ماخوذ من محملهم وانهم يرسمون صليب اسود اللون ضد العين الشريرة ومن الأرجح أن تكون هذه العادة مستمدة من الأقباط ، كما يذكرون أن ايام الأربعاء اياما منحوسة وأن اخر اربعاء من شهر صفر اكثرهم نحسا ، كما يعتبرون شهر صفر منحوسا افتراضا انه هو الشهر الذي طرد فيه ادم من جنة عدن ، وأن (النبي) محمد (صلي الله عليه وسلم) قد اقعده المرض خلال هذا الشهر. ولكن

(1)الفنون الشعبية ، مجلة علمية محكمة ، العددان 92 / 93 ديسمبر 2012 - يناير 2013 .

بما أن آخر أربعاء في صفر هو ذكري اليوم الذي ولد فيه لم يعد من المفهوم لماذا يعد هذا اليوم شديد النحس لهذه الدرجة ، إلا إذا كان هذا الاعتقاد يعود باصوله أيضا إلى التأثير القبطي .

.. ويردف كينج قائلا وبقدر ما سمعت هنا لا وجود للاحتفال بالموالد في الداخلة والخارجة إلا أن أعياد الختان والميلاد تقام أحيانا عند مقابر المشايخ المحليين .

.. وتختلف عادة زيارة مقابر الأقارب الراحلين قليلا في الداخلة عن العرف السائد في وادي النيل . فمن المتعارف عليه في هذه الواحة الذهاب يوميا لمدة خمسة عشر يوما علي الأقل وتستمر هذه الزيارات اليومية لمدة أطول بكثير في حالة ما إذا كان الميت عزيزا

.. وتردد الأغاني أو بالأحرى يناح بها خلال الزيارة للمقابر، أحيانا في الطريق إليها من مثل :

هيا يا صبايا هيا بنات هيا يا صبايا هيا السبع مات
هيا يا صبايا هيا بنات هيا يا صبايا شيخ النجع مات

.. وعادة ما تردد الأبيات السابقة حينما يكون المتوفي رجلا ، ويبدو أن «البنات» التي تخاطبهن هذه الأبيات هن بنات «الخور». أما في حالة ما اذا كان المتوفي امرأة تردد واحدة التاليات كما يقولون :

وعليها الشرق بكبي وعليها الغرب ناح
وعليها الناس تبكي من عشية للصباح

.. وتتميز الواحات بعدد من الاغاني ، لا تنشدها إلا النساء :

اللوز فر من الصندوق والسسم فر من الجرا

أنا وحيبي في ملاية
لا تعني وأروح عنده
وأنت يا عزول أطلع برا
عطشانه قوم أسقيني

قالوا لي عامل نوتي
بالزجة والنبتوت

إياك عسك ويقول لي
خلي حبيبي يكلمني

قالوا لي عامل مدير
لا تعني واعمل أميرة
ولا بس البدلة حريير
واتقل عليه ويكلمني

.. ويقال أنه يوجد هناك طلسم روماني أوقف الكثبان الرملية من الزحف الي منخفض الداخلة. ومن المحتمل جدا أن الطلسم المعني كان جدار من بقايا لأطلال جدار بني من حجر صلب يقال انه لا يزال مرثيا للعيان هناك.

.. ويقولون عن واحة الخارجة أن الرومان كان لديهم طلسم على شكل بقرة من النحاس علي قمة المنحدر إلي الشمال من المنخفض والتي كانت- إلا أن تم نقلها تبتلع كل الرمال التي تهب علي الواحات وتبقي منخفض الخارجة من الكثبان.

.. الواحات البحرية هي إحدى واحات الصحراء الغربية في مصر وتتبع محافظة الجيزة، وتقع على بعد 365 كيلومتر إلى الجنوب الغربي من الجيزة. يربطها بالجيزة والقاهرة الكبرى طريق القاهرة الواحات الصحراوي . وهي تقع على منخفض مساحته أكبر من 2000 متر مربع. ويوجد بها نحو 400 عين للمياه المعدنية والكبريتية الدافئة والباردة. مركزها مدينة الباويطي.

.. وقد دونت المراجع أن الواحات البحرية كانت تتبع إقليم أوكسيرنخوس (البهنسا) وكان جنود الجيش الروماني المُكوّن من المصريين والرومان غالباً ما كانوا يتحركون في الوادي بين مدينة أوكسيرنخوس والواحات البحرية، حيث كانوا يحتلون الجزء الشمالي من الواحة شرق الباويطى. وخلال الفترة المسيحية عندما دخلت مصر تحت حكم الرومان، عُرفَت الواحات البحرية باسم واحة البهنسا. وهى فترة لم تكن آمنة بالنسبة للواحات. وكان القائد الروماني هادريان هو الذي كان يُشرف على القوات العسكرية في الواحات وذلك في حوالى سنة 213 ميلادية.

.. كان هناك احتلالاً لبيياً (نوباتيا) ⁽¹⁾ الذي دُمّر فيه العديد من القرى فيالواحات وفي سنة 399 وضع الرومان أو لاحقاً البيزنطيين معسكراتهم على الحدود].

.. من أهم المعالم الأثرية بالواحات البحرية مقابر الأسرة السادسة والعشرين، وجبانة الطيور المقدسة وبقايا قوس النصر الروماني، وأطلال معبد إيزيس، وأطلال معبد يرجع إلى عصر الإسكندر الأكبر كما تحتوى على مقبرة وادى المومياءات الذهبية.

.. وقد عثر على هيكل ديناصور في الواحات البحرية عام 1912 وحفظ في متحف ميونيخ في ألمانيا، إلا أن المتحف دمر أثناء الحرب العالمية الثانية وضاعت معظم أجزاء الديناصور، وتبقى بعض الصور الفوتوغرافية والرسومات التي رسمها له العالم الجيولوجي الألماني «شترومر». وجد بعد ذلك عدة حفريات له في مراكش والجزائر والنيجر ولكنه يسمى الديناصور المصري.

(1) نوباتيا : هي مملكة إفريقية مسيحية قديمة قامت في منطقة النوبة السفلى، ثم صارت لاحقاً جزءاً من مملكة نوبية أكبر هي مملكة مقرة . تسمى هذه المملكة في الكتابات التاريخية العربية بمملكة المريس (المؤلف).

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

.. كذلك عثر على نوع آخر من الديناصورات في الواحات البحرية ، كذلك عثر على ديناصور عمره 96 مليون سنة ، وهو موجود في المتحف « الجيولوجي المصري » الذي أنشئ عام 1901 والذي يرى فيه الرائي نماذج الديناصورات والتي ظلت حبيسة المخازن في هذا المتحف ، وقد تم اكتشاف هذا من خلال الحفريات التي تمت للبحث عن خلايا التاريخ ، وأبرز مقتنيات المتحف قسم المعادن والصخور الذي يحوي قطعة صخرية من القمر أهدها الرئيس الأمريكي «نيكسون» للرئيس الراحل « محمد أنور السادات» عام 1973 ، كما توجد مجموعة نادرة من قطع حجرية وصخور لنيازك سقطت على الأرض في مختلف بقاع العالم من بينها ثلاثة في مصر أبرزها « نيزك أسنا» بقنا عام 1970 ، ولقد شهدناه أثناء عملنا وكيلاً لنيابة أسنا عام 1972 ، كذلك قطعة من نيزك « جبل كامل » تبلغ 83 كجم الذ سقط شرق العوينات منذ خمسة آلاف عام (□)



.. ولقد تم العثور على البقية المتحجرة للديناصورات في الصخور إلى حقبة العصور الوسطى ، ولقد نشأت هاتيك الصخور في العصر الوسيط منذ 245 - 65 مليون عامًا مضت .

(1)الأستاذ «عمرو علاء الدين» جريدة الأخبار 6 / 12 / 2016

.. وقد ولدت الديناصورات رسمياً على يد عالم التشريح البريطاني « ريتشارد أوين » نتيجة لأعماله الكشفية التي أدت إلى الكشف عن بقايا عظام وأسنان الديناصورات المتحجرة بنى لها متحفاً كبيراً يسمى القصر الكريستال الحديدي والزجاجي لحديقة « هايدبارك » بوسط لندن .

.. وقد أسهم علم الحفريات الذي نشأ وتطور لدراسة البقايا المتحجرة التي هلكت قديماً قبل الوقت الذي بدأت فيه حضارة الإنسان .

.. يمثل هذا العلم محاولة جادة لإعادة الحياة مرة أخرى إلى تلك البقايا المتحجرة ويتمثل هذا العلم في مجموعة من الأسئلة التي هي أشبه بتحقيقات النيابة العامة فيما كنا نقوم به أثناء توسدنا لمنصب وكيل النائب العام في مدينة الاقصر ومدينة إسنا منذ عقود طويلة خلت .

.. فيجب أن تجري هذه الأسئلة الآتية كما ذهب البعض :

* ماذا كان نوع المخلوق عندما كان يعيش ؟

* متى مات في الماضي ؟

* هل مات بشكل طبيعي أم قتل ؟

* هل مات في المكان الذي وجد أو دفن فيه الصخور ، أم نقلت جثته من مكان ما إلى هنا ؟

* هل كان ذكراً أم أنثى ؟

* ماذا كان شكل المخلوق عندما كان حياً ؟

* هل كان ملوناً أم ذا لون واحد ؟

* هل كان سريعاً أم بطيئاً ؟

* ماذا كان يأكل ؟

* ما قدرته على الرؤية أو الشم أو السمع ؟

* هل ينتمي إلى أي مخلوقات تعيش في وقتنا هذا ؟

.. هذه أمثلة على الأسئلة التي يمكن أن يطرحها العالم عند بحثه في علم الحفريات بالتوصل إلى حقيقة الأمر التاريخي الذي يبحث فيه أو عنه من فحواه ومغزاه .

.. كان أول الديناصورات التي تم اكتشافها مطمورة في الصخور وفي ثرى الأرض ترجع إلى 225 مليون عاماً مضت ، في نهاية العصر الثلاثي (وهو عصر يعرف بالكرياني) في الأرجنتين ومدغشقر . والشئ المحير إلى حد ما أن هذه البقايا المتحجرة الأولى ليست نادرة أو نماذج وحيدة من نوع واحد من المخلوقات التي هي الجد المشترك لكل الديناصورات اللاحقة . وحتى الآن تم اكتشاف أربعة أو ربما خمسة أنواع مختلفة من المخلوقات: 3 منها أكلة للحم (الأورابتور ، هيرابراسوروس ، ستوريكوسوروس) ، حيوان عشبي (أكل للنباتات) غير كامل بشكل محير هو اليسانوصوراس ، وحيوان خامس لم يسم بعد ويأكل كل شئ .

.. ويذكر العلماء أن هناك نتيجة واحدة واضحة هي أن هذه ليست أول الديناصورات ، ويدل ذلك على أن ديناصورات عاشت في العصر الثلاثي الوسيط أو العصر اللادينياني الأنيسيانس) وأنها كانت الآباء للمجموعة الكارنيانية المتنوعة ، وعلى ذلك فإننا نعرف كحقيقة أو قصة أصول الديناصورات ، من حيث الزمان والمكان ، غير كاملة .

.. وكانت أول السجلات الموثوق بها لعظام الديناصورات التي سميت فيما بعد «الإيجواندون» ترجع إلى عام 1809 م . وهي محفوظة بمتحف التاريخ البريطاني بلندن . وقد أكتشفها « الجرنون ماتل » وتوالت الاكتشافات عن بقايا

الديناصورات حتى تمكن « أوستروم » من أكتشاف الديناصور ذو المخلب الرهيب .

.. ويؤكد الفكاه والأسنان الحادة المنحنية ذات الحواف المشرشرة أن هذا الديناصور كان حيواناً مفترساً كان قادراً على تقطيع وابتلاع فريسته في الحال.
.. فهل كان ديناصور الواحاح الذي عثر عليه من بين هذه الديناصورات ؟

واحة سيوة



.. هي أشهر الواحات قاطبة

.. يذكر الأستاذ « عبد اللطيف واكد » في كتابه القيم « واحة آمون » :

.. لعل الذين زاروا « واحة سيوة » لمسوا فيها اختلافاً بيناً ، وفارقاً كبيراً ، عن «الواحات المصرية» الأخرى، وأنهما قد طبعت بالطابع المغربي ، أكثر منها بأي شئ آخر .. فالملابس المغربية هي التي يرتديها الأهليون ، واللغة والنظم المعيشية. هي تلك التي تسود بلاد طرابلس ، وما جاورها من الأقاليم الإفريقية الشمالية ..!

.. وكانت واحة سيوة محل اهتمام من الخديوي عباس حلمي فقد أنشأ خطأ للقطار يتفرع من مرسى مطروح إلى هذه الواحة ، على نفقته الخاصة في عام 1900 تحت إشراف مهندس ألماني هو « جوستاف قيصر » ، ثم باع هذا الخط

إلى الحكومة المصرية في عام 1914 وكان يربط الأسكندرية بمريوط ، وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى روئي بمرسه إلى مرسى مطروح وإذ نشبت الحرب العالمية الثانية أمتد الخط غرباً إلى الحدود الليبية ومنها إلى تبرق ، وعلى الرغم من أن هذا الخط دمر على أثر احتلال قوات المحور العالمين إلا أنه أعيد ثانية بعد جلائهم عنها .

.. وفي مطلع عام 1948 فكر أوفدت بعثة هندسية لأرتياد الطريق بين أسوان ووادي حلفا وشرع في مد الخط الحديدي على مسافة ثلاثين كيلو متراً في منطقة غنية بمناجم الحديد ، وقد أستولت الحكومة على هذا الخط الممتد من القنطرة إلى رفح على الحدود الشرقية بعد أن ظل ثلاثين عاماً تابعاً للحكومة البريطانية

.. من أعمق ما كتب عن واحة سيوة هو ما سجله راهب الصحراء الدكتور «أحمد فخري» في كتابه (سيوة) .. ناهيك عن كتابه الآخر (مقابر البجوات) (1).

.. وقد كتب راهب الصحراء كتابه هذا المذكور ، باللغة الإنجليزية ، ثم ترجم إلى اللغة العربية

.. ذكر الدكتور « فخري » في كتابه الأول عن تاريخ سيوة وعادات أهلها وتاريخ قبائلها وعن زيارة الإسكندر الأكبر لها وعن المعابد الموجودة بها إلى آخر ما خطه يارعه في هذا الخصوص .. ثم سجل تاريخ البجوات وهي المقابر التي أنشئت في العصور الخالية منذ عهود قديمة .

.. سيوه واسمها القديم (بالتاسيويتي : أو isiwani) هي أهم واحة في الصحراء الغربية المصرية وتبعد سيوة حوالي 300 كم عن ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب الغربي من مرسى مطروح ، تتبع محافظة مطروح وإدارياً . وبالواحة منطقة « شالي » التي بها قلعة أثرية ومعبد فرعوني . وسيوة أحد محميات مصر

(1)Ahmed Fakhry. The Oasis of Egypt P.64.

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

الطبيعية (محمية سيوة). كما تتبعها إداريا مناطق منفصلة منها مثلا واحة القارة. المقر الإداري للواحة يحمل نفس الاسم وللتوضيح يقال «سيوة البلد».

.. متوسط مستوى الواحة ينخفض 18 مترًا تحت سطح البحر. مركزها الحضري بلدة سيوه التي يقطنها ما يقارب 30 ألف نسمة. اكتشفت في واحة سيوة عام 2007 أقدم آثار لأقدام بشرية على وجه الأرض قدر عمرها إلى 3 ملايين عام [محل شك].

.. كانت سيوة تعد البوابة الشرقية لبلاد الأمازيغ وفي تلك المنطقة المعزولة وحافظ أهلها على تقاليدهم وعاداتهم وخاصة لغة أهلها (تاسيوت) التي هي إحدى لهجات الأمازيغ. اللغة الأمازيغية نسبا والسيوية نطقا لغة خاصة بها. يتكلم أمازيغ مصر أو أهل سيوة، باللغة الأمازيغية باللهجة السيوية إضافة إلى لهجتهم المصرية الحديثة

.. وأهل سيوة هم أمازيغ مصر الذين انحصروا وتجمعوا فيها منذ آلاف السنين وأبقوا على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم الموروثة منذ آلاف السنين.

.. يُقال أن تعداد الأمازيغ في مصر ما بين 30 - 40 ألف شخصًا وانقسموا إلى 10 قبائل : الزناين - الحدادين - اللحمودات - الشرامضة - الجواسيس - السراحنة - الشحايم - أيت موسى - أغورمي - أم الصغير.

.. قبيلة «الزناين» فرع من قبيلة «زناتة» المشهورة وهاجرت من منطقة الجزائر. أما قبيلة «أغورمي» فهاجرت من منطقة المغرب. القبائل الثمانية الأخرى فيهم من جاء مهاجرا مع ملك الأمازيغ شيشنق في عهد الفراعنة.

.. ولسيوة أحتفالتها الخاصة بها التي تعود إلى غابر الزمان ، وكانوا يطلقون الأهازيج ويقيمون الأفراح ، والليالي الملاح ومن خلال احتفال لهم يقولون فيه:

.. يا رجال الله لبوا.. الله الله الله.. ليس غير الله رب.. الله الله الله.. أن في القرآن

آية هي للعشاق طب.. لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبوا تلك الكلمات الصوفية المعبرة هي جزء بسيط من الأناشيد التي ظل أهالي واحة سيوة يرددونها علي مدي ثلاثة أيام يطلقون عليها عيد سياحت والذي تحول أسمه بعد ذلك إلي عيد السياحة.

.. عيد السياحة أو عيد السلام.. قد يعتقد البعض للوهلة الأولى أنه سمي بهذا الاسم لأن أهالي الواحة يحتفلون في تلك الأيام بتوافد السائحين الأجانب باعتبار الواحة مقصدا سياحيا ومحمية طبيعية نادرة، إلا أنه في الحقيقة يعني السياحة في عشق الله والخروج الصوفي إلي الخلاء ويتم إحياءه تحت سفح جبل الدكرور الذي يتكون من ثلاثة تلال متوسطة الارتفاع، وهي المنطقة التي كان ولا يزال المتصوفة يخرجون إليها يسبحون في الأرض بعيدا عن العمران رغبة في التأمل، والذكر، والتسامح مع النفس والغير، ونبذ الخلافات، والحفاظ علي روح الأسرة والواحة التي يتميز بها أهل سيوة.

.. أهل سيوة تعودوا منذ ما يقرب من 170 سنة علي الاحتفال بتلك المناسبة حتي تحولت إلي ما يشبه عيدا قوميا لهم يفرحون فيه كبارا وصغارا شبابا وشيوخا في أجواء احتفالية صاخبة، تغمرها السعادة (□).

.. السعادة بالعيد والاحتفال له طعم مختلف بعد انقطاع خمس سنوات.. هذا ما أكده الحاج عبد الرحيم علي من أهالي سيوة وأحد أشاوسه الطريقة الشاذلية المنظمين للاحتفال.. وقال إن أصول هذا الاحتفال تعود إلي نحو أكثر من 170 عاما عندما كانت المعارك والحروب علي أشدها بين قبائل سيوه الغربيين ذوي الأصول العربية والذين كانوا يسكنون السهل وقبائل سيوه الشرقيين ذوي الأصول الامازيغية الذين كانوا يسكنون جبل الدكرور، ومع اشتداد النزاعات نزل بالواحة أحد العارفين بالله، كما تجمع الروايات وهو الشيخ محمد حسن المدني

الظافر مؤسس الطريقة المدنية الشاذلية في سيوه والذي تعود أصوله إلى مدينه اسطنبول في تركيا، وذلك في أثناء رحلته إلى الحج.

.. ويستطرد: أقام العارف بالله الشيخ المدني بالواحة واستطاع المصالحة بين اهل سيوه الشرقيين والغربيين ووضع نظاما لتجديد المصالحة سنويا، حيث يجتمع رجال وشباب الواحة دون تمييز او فوارق بهدف السياحة في حب الله وذكره ومن هنا جاء مسمي عيد السياحة والجميع يجلسون علي الأرض يتناولون الطعام معا والمصالحة، وحل المشاكل ولايزال هذا النظام بكل تفاصيله قائما ويمثل جزءا كبيرا من الشخصية السيوية المحبة للسلام النابذة للعنف والفرقة.

.. ويقول: يبدأ الاحتفال بالعيد أيضا عقب موسم حصاد البلح والزيتون لذلك يطلق عليه أيضا عيد الحصاد، ويسمي كذلك عيد المصالحة، فمع بداية الأيام الثلاثة للاحتفال يترك جميع رجال سيوة منازلهم وأعمالهم للصعود إلى جبل الدكروور حيث مدينة شالي أو سيوة القديمة، والإقامة في البيوت القديمة أو داخل الخيام طوال الاحتفال وتصفى الخلافات ويتصالح المتخاصمون حتي لا يكون هناك ضغينة أو خلاف مهما عظم أو صغر بين أهل الواحة.

.. في اليوم الأول من الليالي القمرية الثلاث في شهر أكتوبر من كل عام يجتمع المحتفلون في الساحة المخصصة للاحتفال أسفل جبل الدكروور الذي يبعد نحو ثلاثة كيلومترات جنوب الواحة، حيث يجلس شيخ الطريقة- القدوة- مرددا الأدعية الدينية والأناشيد للطريقة الشاذلية، في الوقت الذي يعد فيه فريق من الطبّاخين الطعام ويؤدي الشيوخ والرجال صلاة الظهر، ثم يجتمع الأهالي في حلقات دائرية وتوضع أمامهم أطباق الطعام.

.. يبدأ الإعداد للاحتفال قبل شهر من بدايته وتقوم مساجد الواحة جميعا بمهمة جمع التبرعات وتحصيل النقود من الأهالي علي سبيل الاشتراك، وكذلك تحضير الأواني وجمع الخبز من السكان ويتولي إعداد الطعام للحضور مائة متطوع من

الأهالي ما بين طباطخين ومقدمين وأشاس وهم المسئولون عن عملية التنظيم والتحضير والحماية والمتابعة والتنسيق مع الأمن، ويتلقى رئيس الطباخين التعليمات من قائد الاحتفال ببدء إعداد الطعام.. حيث تستخدم 450 إناء لوضع الطعام فيها وهو عبارة عن وجبة الفتة التي تتكون من الشوربة والخبز واللحم ويسمونه بركية كنوع من البركة والمحبة والأخوة، ويعطي رئيس الطباخين، إشارة البدء في إعداد الطعام، وهو الوحيد الذي له الحق في تذوق الطعام ومتابعة خطوات إعداده، فلا يأكل أحد إلا بعد انطلاق النفير معلنا بدء عام جديد دون ضغائن بين أهل الواحة.

.. يُنادي خلال الأيام الثلاثة علي جموع المحتفلين علي سفح الجبل لتناول الطعام الذي اشتركوا في إعداده، بكلمة واعلام أي انتباه، ثم يعطي كبير الطباخين إشارة بدء تناول الطعام بعد تأكده من أن صحون الطعام قد وزعت علي الجميع، وهنا يصيح في الميكروفون بعبارة (واعلام.. بسم الله)، وهي إشارة بدء الطعام.

.. تبدأ طقوس الحضرة الصوفية عند الغروب، وبداية الليل. حيث كان القمر بازغاً وتسحف عليه سحابة تسعى على محياه وإيدة ينفذ من خلالها ضوءه الوديع الهادي ثم تنقش ويبقى القمر لألاء يتألف في بهاء .

يجتمع الشيوخ والقادة والشباب ويجلسون في دائرة صغيرة تتسع تدريجياً بحضور أعداد من المحتفلين، وتبدأ الحضرة بالإنشاد والغناء والتراتيل ويرد عليهم الجموع الله حي

.. وتتسم الحضرة بطقوس وتعبيرات بالغة الدقة من النواحي الحركية والموسيقية والغنائية، كما أن هناك الحضرة الكبيرة بعد صلاة العشاء وحضرة الشباب وحضرة الطباخين، ويردد فيها الجميع الأذكار والأناشيد الدينية، وتنتهي الحضرة بأن يتصافح كل فرد مع الآخر في نظام معين يحافظ عليه الجميع، ويستمر هذا الطقس ثلاثة أيام.

.. وفي اليوم الثالث من الاحتفالية يبقي الناس في الجبل، ولا ينصرفون بعد الغداء واحتساء الشاي - كما هو الحال في اليومين السابقين، حيث يبدأ بعد غداء اليوم الثالث طقس مختلف تماما، إذ يشرع عدد من الطباخين في ارتداء زي معين يطلق عليه زي الشحاتين ثم يبدأ من هنا الأداء الدرامي للاحتفالية حيث يقوم كل رجل بصنع شارب وذقن من صوف الماعز، ثم يضع جوالا قديما علي جسده، ويطلق عليه (وهو في هذه الهيئة) اسم الشحات، ويتجه الشحاذون علي هذه الهيئة للشيوخ القدوة في الاحتفالية لتلاوة بعض الأذكار والاستذنان منه لجمع النفحة من الأهالي، والنفحات عبارة عن مأكولات جافة ومغلفة عادة كالتمر وحلوي الأطفال والبقول السوداني ويتهافت الجميع وخاصة الأطفال في الحصول علي جزء منها يرافق كل شحاذ رجل يحمل كيسا كبيرا من البلاستيك يجمع فيه النفحات بعد أن يقرأ الشحاذ الفاتحة أمام البيت الذي يجمع منه.

.. ويمر الشحاذون علي المنازل المصنوعة من الكرشيف - الطبقة السطحية من الأرض الزراعية، وهي طبقة متماسكة تستخدم في البناء بالواحة - والخيام الموجودة بالجبل فقط، ولا يهبطون إلي المنازل الرئيسية بالواحة حيث أن الجميع قد تركوا منازلهم وصعدوا للمبيت علي الجبل.

.. تستمر عملية جمع النفحة حوالي ساعة، يتجمع الشحاذون بعدها في مكان الحضرة ويرفع علم الطريقة المدنية الشاذلية ذو اللون الأخضر، ويلقي الشحاذون النفحات التي جمعوها حول العلم.

.. وتنتهي الاحتفالات عندما يهبط شيوخ وقادة المساجد للالتفاف حول النفحة والعلم وقيمون حضرة دينية تستغرق ربع ساعة، توزع بعدها النفحات علي الجموع الغفيرة التي تتألف معظمها من الأطفال، ثم يتفرق الجميع كل إلي منزله.

.. السائحون مطمئنون وسط مئات السائحين الأجانب كانت هناك سائحة

بلجيكية تدعي ليندا مورو وكان لافتا أنها ظلت موجودة بمنطقة الاحتفال علي مدي الأيام الثلاثة تتابع بمنتهي الشغف والاهتمام وعندما سألتها هل هي المرة الأولى لها التي تحضر فيها أعياد السياحة بسيوة فإنها قالت إنها تواظب علي حضوره منذ عام 2000، وأنها تشعر بسعادة بالغة لعودته مرة أخرى بعد أن توقف منذ عام 2010 بسبب حالة الترددي الأمني التي صاحبت ثورة 25 يناير، وأكدت أن عودة الاحتفالات مرة أخرى تشعرها بحالة من الطمأنينة بعد أن عاد الأمن للسيطرة والحماية، ووصفت احتفالات عيد السياحة بأنها رسالة من نوع خاص هدفها نشر ثقافة السلام والتسامح ونبذ العنف وتقبل الآخر التي تعتبر الروح الأصيلة للإسلام الحقيقي وليس إسلام المتشددين الذي ليس من الأديان في شيء.

.. الاحتفال بهذه الطريقة ليس من البدع ولا من الدين في شيء وإنما هو عادة توارثناها من الجدود ونورثها للأبناء والأحفاد.. هذا هو ما أكده أحمد علام الذي يعمل مدرسا بالمعهد الأزهري الموجود بالواحة، وقال أن سكان الواحة يطلقون علي هذه المناسبة عيداً نسبة إلى العود أو التعود والعادة وأنه يمثل لهم ذكرى طيبة وليس عيداً شرعياً أو بدعة أدخلوها علي الإسلام كما يحاول البعض تصويره ويطلق عليه باللحجة الأمازيغية السيوية لقب سياحت وتحول بعد ذلك إلى سياحة (□).

وأبرز معالم سيوة .. من اليمين إلى اليسار: أغورمي - سيوة البلد - جبل الدكرور



.. من أبرز معالم سيوة أطلال البلدة القديمة المعروفة باسم شالي. كما توجد فيها آثار معبد أمون مقر أحد أشهر عرّافي العالم القديم، وهو الذي زاره الإسكندر الأكبر عام 333 قبل الميلاد حيث نصبه الكهنة ابنا للإله أمون وتنبؤوا له بحكم مصر والعالم القديم المعروف في ذلك الوقت.

.. تكثر في واحات سيوة الينابيع والبحيرات الصغيرة وعيون المياه العذبة مثل عين كيفارة، وتشتهر بتمرها وزيتونها ومنتجات الزيوت والصناعات اليدوية من سجاد والمنسوجات.

.. وسيوة ليست من تلك الأماكن التي يزورها السياح المصريين والأجانب كثيرا نظرا لطول المسافة والوقت الذي يحتاج السائح لقطعه للوصول لها. ولهذا تحديدا، فهي من أجمل وأكثر المدن طبيعة في مصر. معظم زوار سيوة يقومون بزيارة جزيرة فطناس، وعمل سفاري الصحراء بالإضافة إلى التزلق علي تلال الرمال. زيارة المدينة القديمة «شالي»، وزيارة جبل الموتى، بئر واحد، العين الساخنة، والعين الباردة.

.. توجد في سيوة مراكز للإستشفاء الطبيعي. وبها فنادق فاخرة بنيت بشكل

يسعى لأن يكون بسيطا ومنسجما البيئة الطبيعية والثقافية للواحة، إضافة إلى فنادق أخرى عادية؛ وتستقطب المنطقة أعدادا متزايدة من السياح كل عام.

.. وجبل الدكرور وأحيانا يطلق عليه جبل التكرور وهو الجبل الذى يتوسط واحه سيوة وله خمس قمم وتسمى باللغة السيوية باسم نصرا ويقام بجبل الدكرور الاحتفال السنوى الذى يعبر عن التصالح بين قبائل سيوة ويقام فى شهر أكتوبر من كل عام كما واستخدم جبل الدكرور كمجحر لبناء معبدى الوحى وام عبيدة ومقابر جبل الموتى وهناك أسطورة تقول أن الجبل هو جبل الملك إيريقي احد ملوك سيوة وقد دفن كنوزه وممتلكاته بهذا الجبل اما الأسطورة الثانية فتقول أن هناك طريق سرى كان يربط جبل الدكرور بمعبد الوحى ومعبد أم عبيدة وجبل الموتى وقد يكون لهذه الأسطورة شيئا من الحقيقة لان الجبل استخدمت احجاره فى بناء هذه المعابد اما رمال والمرضى أنفسهم فى الرمال طلبا للشفاء



.. على مقربة من المنظر الساحر للبحيرات يتواجد منظر آخر لا يقل جمالاً ورونقا «جبل الدكرور» يأخذ الجبل شكل المدرج وبه عدد من القمم التي تعانق السماء وتطل على أشجار النخيل والبحيرات المالحة (□).

.. ولكن ماذا يحدث في قلب جبل الدكرور؟ وماهي أهميته؟.. هذا ما رصدناه خلال جولتنا حيث أكتشفنا أن هذا الجبل هو مقر السياحة العلاجية بواحة سيوة إليه يأتي الناس قاصدين العلاج من خلال الدفن في رماله .

.. وكما يؤكد عبد الرحمن الشرايكة صاحب أحد المراكز العلاجية أن فكرة العلاج بالدفن في رمال جبل الدكرور هي فكرة فرعونية وتم توارثها عبر الأجداد ، ويتم وضع الشخص الراغب في العلاج في حفرة في قلب رمال الجبل .

.. ويبدأ العلاج بالنسبة للرجال الساعة 11 ظهراً ، وبالنسبة للنساء 12.. وجلسة العلاج تستغرق 15 دقيقة في الدفن في الرمال .

.. ويشترط الدفن في وقت الظهيرة خاصة عند اشتداد درجة الحرارة .. والعلاج يستمر بضعة أيام .. ويضيف الشرايكة أنه من ضمن تعليمات الدفن في الرمال أنه يبدأ في شهر يونيو ويتتهي بنهاية شهر سبتمبر . حيث تبلغ درجة الحرارة في هذه الشهور ذروتها .. والعلاج بالدفن في الرمال يعتمد في المقام الأول على درجات الحرارة العالية

.. بعد انتهاء جلسة العلاج بالدفن في الرمال يدخل المريض خيمة مجاورة عبارة عن سونا طبيعية وتتكلف الجلسة الواحدة من 180 جنيه إلى 300 جنيه حسب الإقامة والوجبات التي تقدم للراغب في العلاج .

.. ويؤكد الشرايكة أن العلاج بالدفن في الرمال له العديد من الفوائد لجسم الإنسان حيث أنه يعمل على تنشيط الدورة الدموية ويزيد من المناعة ويحرق

(1).. أحمد عبيدو - محد وهدان جريدة الأهرام 8 / 6 / 2016

الدهون ويساهم في علاج أمراض الروماتيزم وأرضط « الروماتيد » التي لا يوجد لها علاج في العالم حتى الآن باستثناء الدفن في الرمال .

.. تعتبر واحة سيوة من أهم المقاصد السياحية في مصر وتتمتع بمناخ معتدل خلال فصلى الربيع والخريف، ويزورها السياح من كل أنحاء العالم لمشاهدة تلك البقعة النادرة التي نسجت حولها الأساطير والقصص التي تمزج بين الواقع والخيال، لتصبح من المزارات المهمة في مصر.

.. ولأن الواحة ظلت في عزلتها فترات طويلة من الزمن، فقد لجأ أهلها إلى البحث عن بدائل طبية ووصفات من الطبيعة لمعالجة الأمراض التي كانت تصيهم في الماضي، ومع مرور الوقت توارث أبناء الواحة الخبرات في مجال العلاجات بالطبيعة حتى صارت من المهن التي تميز الواحة عن غيرها، خاصة العلاج بالدفن في الرمال الساخنة أو ما يعرف بحمامات الرمال، تحت سفح جبل الدكرور الذي يرتبط بكل الأساطير التي يتوارثها السكان ويعتبر قلب سيوة النابض بالحكايات.

.. وتعد سيوة البوابة الشرقية لبلاد الأمازيغ، وفي تلك المنطقة المعزولة حافظ سكان الواحة على تقاليدهم وعاداتهم وخاصة لغة أهلها التي تسمى «تاسيوت» التي هي إحدى لهجات الأمازيغ، ويتكلم أهل سيوة، باللغة الأمازيغية باللهجة السيوية إضافة إلى لهجتهم المصرية.

.. وقد أدى ارتفاع أعداد المترددين من خارج الواحة على «مرادم» العلاج بالدفن في الرمال بسيوة إلى ذيع صيتها وشهرتها، حتى أصبحت مقصدا سياحيا وعلاجيا في حد ذاتها، وقد توجهت «الأهرام» إلى الواحة البعيدة لتجربة العلاج بالدفن في الرمال والاقتراب أكثر من حقيقة التداوى بالطبيعة، ومعايشة المرضى الذين عانوا مشقة السفر من المحافظات المختلفة أملا في التخلص من آلام الروماتيزم والروماتويد والانزلاق الغضروفي وآلام العمود الفقري، وتعتبر أيضا

علاجاً للحد من التوتر والقلق والأرق، وعلاج لآلام الركب والمفاصل والخشونة.

.. الشيخ عمر راجح، شيخ قبيلة أولاد موسى، يقول إن الواحة قديماً لم تعرف مهنة الطب، وكان الأهالي يعالجون بالوصفات الطبيعية التي يتوارثونها جيلاً بعد جيل، مثل العلاج بالحجامة والعلاج بالثوم والعلاج بالردم في الرمال الساخنة، وكل مرض له وصفته العلاجية وله موسم أيضاً، فموسم العلاج بالدفن في الرمال مثلاً يكون بين منتصف شهر يونيو ومنتصف شهر سبتمبر.

.. ويضيف أحد الشيوخ أن العلاج بالدفن في الرمال يعتبر من أقدم الطرق العلاجية في الواحة إلا أنه لا يوجد تاريخ معين لبداية العمل به، فهناك من يقول أن الفراعنة هم أول من عالجوا به، وهناك من يقول أن الرومان هم الأوائل، ولكن في الحقيقة «الدفن» يعتبر طريقة سيوية خالصة لعلاج الكثير من الأمراض.

.. وأضاف أن الاقبال على الدفن برمال سيوة ليس من قبل المصريين فقط، ولكن من الدول العربية وخاصة دول الخليج وأيضاً يأتى السياح الأجانب من الدول الأوروبية للدفن برمال سيوة وللاستحمام بعيون المياه الساخنة، وأشار إلى أن هناك محاولة قديمة لعمل مصحة عالمية وتم تصميم المشروع عند بداية الكثبان الرملية لجبل الدكرور ووصلت بعثة تضم عدداً من الأطباء المختصين في الأمراض الروماتزمية والعظام والمفاجأة أن اعتراضهم كان على تصميم المبنى فقط ليتوقف المشروع بالكامل.

.. كما ذكر أننا نأمل في إقامة منتجع عالمي للاستشفاء بسيوة والاستفادة من مقومات الواحة العلاجية، خاصة أن الواحة تتميز بمناخ جاف طوال العام وطبيعة رمالها الساخنة التي لها من الخواص ما يجعلها قادرة على علاج الكثير من الأمراض وزاد من شهرتها منذ القدم ما اشتهر به كهنة واحة آمون وحملة الإسكندر الأكبر إلى سيوة وزاد من ثراء تاريخها الذى ذاع في العصر الإغريقي والرومانى

واكتشف القدماء مقومات السياحة العلاجية التي تمثلت في جفاف الطقس وكثرة عيون المياه الغنية بالعناصر العلاجية والاستشفائية التي تندفع من باطن الأرض. .. بعد رحلة طويلة داخل أعماق الصحراء الغربية القاحلة استغرقت نحو عشرة ساعات متواصلة على طرق أسفلتية سوداء تتوسط الصحارى الصفراء الشاسعة انتابنى شعور لأكثر من مرة بأنها لن تنتهى أبدا، وصلت أخيرا إلى «واحة سيوة»، تلك البقعة الخضراء المنخفضة التى تتوسط آلاف التلال الرملية وتحضنها سماء زرقاء صافية فى صفاء عيون أهاليها الطيبين الذين يبلغ تعدادهم نحو 35 ألف نسمة، تلك البقعة التى تبلغ مساحتها نحو 55 ألف كيلومتر مربع وتبعد حوالى ثلاثمائة كيلو متراً عن ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب الغربى من مدينة مرسى مطروح، واكتشفت فيها أقدم آثار لأقدام بشرية على وجه الأرض يرجع عمرها إلى 3 ملايين سنة.

..يقول قائل : شعور غريب انتابنى بمجرد أن وطأت قدمى أرض الواحة.. فلا الأرض مثل الأرض ولا السماء لون السماء ولا البشر مثل البشر، الكل مختلف فى كل شئ، فالبيوت بنفس لون الأرض مبنية بمادة «الكرشيف» التى تشبه الطمى الممزوج بالملح ولها خواص الأسمت، وأينما امتد البصر وقع على بساتين النخيل والزيتون الممتدة على كامل مساحة الواحة حتى امتزجت مع صفرة الصحراء لتشكل لونا آخر تزيد زرقة السماء المملوءة بالسحب الناصعة البياض من جماله وتضيف اليه سحرا خاصا.

.. فى «المردم» القريب من جبل الدكرور كان أحمد واحى، أحد أشهر المعالجين بالدفن فى الرمال فى استقبالنا، وقدم لنا شرحا مبسطا عن فوائد «الدفن فى رمال سيوة» وكيف يعود بعدها «المدفون» إلى الحياة مرة أخرى، وأكد أن العلاج بالدفن أصبح مرخصا من وزارة الصحة فى السنوات الأخيرة، مشيرا إلى أنه ليس كل المرضى يمكنهم اجراء عملية الردم، فالعملية تتم تحت اشراف طبى

بمعنى أن الطبيب الرسمى هو الذى يقرر ما اذا كان الشخص حالته الصحية تتحمل الردم أم لا، فهناك تلاق ما بين الطب الرسمى والعلاج الشعبى ويقرر ايضا المعالج الشعبى أن المريض اذا ما تخطى سن الثمانين يصعب علاجه بالردم لعدم قدرته على تحمل الردم او الوجود فى الخيمة العلاجية لانها تكون مغلقة دون اى فتحات تهوية ويمكن فيها نصف ساعة، وكذلك الاطفال حتى سن الثامنة عشر يصعب علاجهم حتى يكتمل نموهم تماماً وقال أن المرضى الذين يأتون إلى الواحة للدفن فى الرمال غالباً مرضى الروماتيزم والروماتويد والام المفاصل والمرضى بالنقرس ومرضى السمنة.

.. ويقول الطبيب المقيم فى «المردم» إن إجراء العملية العلاجية بالدفن تتم من خلال مجموعة من الضوابط، أهمها انه عندما يأتى المريض الى المعالج يطلب منه المعالج نتيجة الكشف الطبى الذى أجراه المريض على نفسه أو يتوجه الى المستشفى لتحديد إذا ما كان مريضاً بالضغط أو القلب وعلى ضوء هذه النتائج يوافق المعالج الشعبى على إجراء العملية العلاجية الشعبية عن طريق الردم فى الرمال الساخنة وهو الذى يشرف ويتابع العملية العلاجية ويعاونه مجموعة من الصبيان «الرديمة».

.. وحول تفاصيل عملية الدفن فى الرمال الساخنة يقول أبو القاسم واحى - أحد أشهر المعالجين بالواحة - أن «مدة» العلاج تتراوح بين ثلاثة إلى سبعة أيام حسب المرض الذى يشكوا منه «المردوم»، وإنه يتم عمل حفرة أفقية على قدر طول الشخص الذى يتم عملية ردمه فى الفجر، وتترك الحفرة فارغة لكى «تتحمص» من اشعة الشمس حتى الساعة الثانية بعد الظهر ثم يوضع الشخص داخلها بدون ملابس ويتم تغطية جسمه بالكامل بالرمال الساخنة عدا رأسه، وتقام خيمة صغيرة عند رأسه لحمايته من ضربة الشمس وتبدل عليه الرمال مرات عديدة على قدر تحمل الشخص للرمال، فيمكث الشخص بالحفرة مدة يسيرة

خلال دقائق معدودات.

.. وأضاف أن المريض بعدها يخرج ملفوفا ببطانية صوف ويدخل الى خيمته ويشرب مشروبا ساخنا مصنوعا خصيصا له، ويدهن جسمة بزيت الزيتون ولا يتعرض خلال هذه الأيام التي يحدث بها الدفن الى اى تيارات هواء.

.. وأشار إلى أن هناك العديد من الباحثين جاءوا الى سيوة لإجراء التجارب على رمال جبل الدكرور وأثبتت انها تتميز بقدرة كبيرة على العلاج من خلال حفظها لأشعة الشمس داخلها ثم توجيهها الى جسم المريض خلال عملية ردمه، مؤكدا أن بعض الناس يأتون الى سيوة وهم مقعدون ولا يستطيعون الحركة وبعد عملية الدفن استطاعوا أن يسيروا على قدميهم.

.. وعندما يخرج المريض من حفرة الردم تكون مسام جسمة مفتوحة وحلقه جاف من شدة السخونة، وعند دخوله الخيمة يعطونه حلبة دافئة تساعده على إدرار المزيد من العرق، ويحرم على المريض الاستحمام بالمياه اثناء مدته الردم وهى ثلاثة أيام للمريض العادى أى الذى لا يشكو الا ما عضالا اما الحالات المتأخرة فقد تستمر حتى 7 أيام يقوم بتنفيذ البرنامج الموضوع.

.. ويقول أحد الأهلين في الواحات : «إننا نعمل كفريق تحت سفح جبل الدكرور، فمننا من هو مسئول عن عملية الدفن وآخر للتدليك بزيت الزيتون ويوجد آخر مسئول عن تحضير الوجبات الغذائية فهى أساسية فى نجاح العلاج.

.. وان هناك برنامجا غذائيا كاملا خلال أيام «الدفن»، حيث تقدم وجبه الإفطار الساعة السابعة صباحاً، بعدها يتوقف المريض عن الطعام الساعة الحادية عشرة صباحاً حتى الثانية والنصف عصرا، أما الغداء فيقدم نصف دجاجة او ربع كيلو لحم ضنأن او ماعز مع أرز وشوربة خضار ساخنة وتكون الوجبه الرئيسية.

.. ويؤكد انه أثناء هذه المدة يحرم على المريض شرب أى شيء بارد أو التعرض للتيارات الهوائية أو الاستحمام طيلة مدة العلاج ويرتدى الملابس

الصوفية الثقيلة بعد العلاج لمدة 20 يوماً وعدم الجماع ويحرم تخفيف الملابس حتى تتحسن حالة الجسم للمريض وبنهاية العلاج يقوم المريض بالاستحمام بماء دافئ ويرتدى ملابسه العادية، مشيراً إلى أن الجسم يفقد خلال مدة الدفن كميات كبيرة من العرق والدهون وبالتالي يفقد الكثير من وزنه.

.. في النهاية فإن تلك الواحة هي بقعة من الأرض المعزولة يمتزج الواقع فيها بالخيال، والحكاية بالأسطورة، لها تعويذتها السحرية، وخصوصيتها في عادات وتقاليد أهلها، بل وفي لغتهم الأمازيغية المتميزة، نسجت أسطورتها الخاصة من الأحداث التي مرت بها ومن عزلتها التي حافظت عليها أكثر من سبعة آلاف سنة، وتعتبر مكاناً فريداً من نوعه حيث الرمال الساخنة التي يمكن استخدامها في العلاج ولكن نأمل في أن تتطور أساليب استخدامها وحمايتها من الأندثار عن طريق توفير بنية أساسية تساعد على الترويج عالمياً لها⁽¹⁾.

ولا ننسى أن نذكر جبل الموتى ..

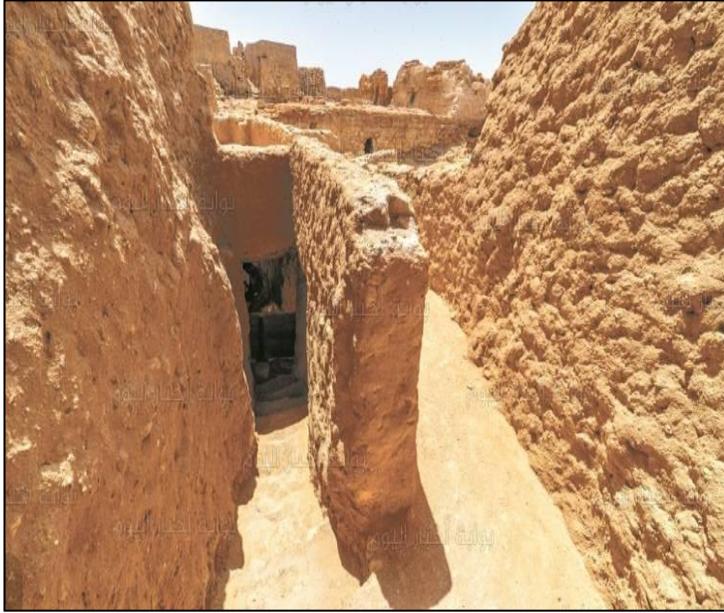
.. يقع جبل الموتى علي بعد كيلو متر واحد من مركز واحه سيوة وقد ذكر الدكتور احمد فخري وجود أربعة مقابر بها وهي علي التوالي س أمون وميسو ايزيس وباتحوت ومقبرة التمساح ويقول عبد العزيز الديريري أحد أبناء الواحة أن ثمة بعض المقابر لم يذكرها دكتور احمد فخري ولكن ما تم تصويره في الكتاب هو الأربعة مقابر التي ذكرها دكتور أحمد فخري المقابر الأربع.

.. أثر سياحي آخر يقع في مدخل واحه سيوة .. له طابع معماري فريد .. إنه جبل الموتى أو جبل المحصنين أو المحنطين .. الجبل يأخذ شكل المدرج .. به ثلاث مستويات .. كما يحتوي على مجموعة من الفتحات المحفورة بصوره .. هذه الفتحات كانت توضع بها توابيت الموتى .

(1) إسماعيل جمعة رمال سيوة جريدة الأهرام 23/9/2016

.. سمى بجبل الموتى نظراً لاكتشاف مقابر وجثث محنظة داخل الجبل في الحرب العالمية الأولى والثانية ، وكان يتم استخدامها كمخابئ للجنود أثناء الحرب .

.. على قمة جبل الموتى تشاهد واحة سيوة بأكملها .. تشاهد بحيرات الملح ومن أمامها أشجار النخيل .. وترى المنازل الحديثة والبيوت القديمة وترى الجبل الموازي وهو جبل الدكرور .. لوحة فنية كانت تظهر من أعلى جبل الموتى



.. ومعبد التنبؤات أو قاعة تنويج الإسكندر هو أحد أهم المزارات السياحية في واحة سيوة .. فالمعبد على « تل مرتفع » يتوسطه سلم خشبي للصعود إليه .. يتميز بالسرايب .. ويحتوي على بقايا مدينة شال أغوري « وهي غرف عاش بها القدماء السيويون .

.. معبد التنبؤات من أشهر المعابد في التاريخ حيث يعتبر مركز النبوءة في العالم القديم .. كهنة هذا المعبد تنبأوا زوال الحكم الفارسي من مصر ، فتشاءم قميميز

القائد العسكري للفرس وكون جيشاً كبيراً قوامه 50 ألف جندي لهدم المعبد .. وتذكر الرواية التاريخية أن عواصف ترابية هبت على جيش قمبيز في بحر الرمال العظيم فأهلكته .. لذلك الشغل الشاغل « الآن » للعديد من دارسي التاريخ وهو البحث عن مكان هذا الجيش ومعداته .

.. الإسكندر الأكبر زار المعبد وكان ذلك 321 ق.م حيث خطط الإسكندر بإنشاء مدينة الإسكندرية ، ووفقاً للرواية التاريخية بأن الإسكندر زار عين الشمس أو عين الحمام ثم ذهب إلى التنبؤات وأغتسل ودخل على قدس الأقداس وقدم القرابين للآلهة وتم تنصيبه ابناً للإله آمون معبود المصريين في هذا التوقيت وقبل مغادرته واحة سيوة أوصى بدفنه في هذه الواحة . لذلك يعتقد البعض بأن مقبرة الإسكندر الأكبر متوجدة في سيوة

.. وبعد إنتهاء فترة العصر الروماني واليوناني تحول المعبد إلى قلعة حصينة ليعيش بها السيويون وعندما شعروا بالأمان نزلوا إلى أرض سيوة .

.. وتوجد مساحات شاسعة تبلغ آلاف الأفدنة .. هي مساحة بحيرات الملح التي تحاوط معظم أنحاء واحة سيوة .. بحيرة في روعة الجمال .. لون مياهها يميل إلى اللون الأخضر الفاتح تحدها أكوام « الكرشيف » وهي عبارة عن كتل حجرية ترسيب من البحيرات وتستخدم في بناء المنازل ذات الطابع المعماري الخاص .

.. يتكون « الكرشيف » من مادتين هما الملح والطين .. ويميل لون الكرشيف إلى اللون الرمادي أو البني الغامق .. يتواجد أيضاً على حافظة البحيرات مادة الملح التي تستخدم في الطعام ويتداخل لونها الأبيض مع لون المياه الأخضر والكرشيف الغامق وأشعة الشمس مكونة جمعاء لوحة طبيعية خالصة .

.. بالقرب من البحيرات توجد مصانع الملح حيث تعمل اللودرات على تجريف الملح والكرشيف من مياه البحيرات ويتم فصلهما عن بعضهما البعض

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

ثم يتم غسل قوالب الملح المستخرجة من البحيرات ثم تخل قوالب الملح بعد ذلك إلى مرحلة التكسير ليتم فصل الجزئيات عن بعضها ويتم صناعة الملح وتصديره إلى باقي المحافظات .

.. مشهد الغروب في واحة سيوة وخاصة عند جزيرة فطناس مشهد لو أبدع مخرجو الأفلام السينمائية في تجسيده فلن يستطيعوا .. فالغروب عند جزيرة فطناس مختلف .. تشعر بأن الشمس تودعك وهي قريبة منك .. الشمس تختفي رويداً رويداً خلف تبة عالية .. اشعتها تنعكس على مياه البحيرة العذبة التي تطل عليها جزيرة فطناس .. يحل الغروب وتبقى أشجار النخيل داخل فطناس تعانق في السماء مياه البحيرة .

.. وقد ذهبنا (□) إلى مكان آخر قلب الواحة .. أقل ما يتم وصفه بأنه أحد الاماكن « الخلافة » .. وهو عين كليوباترا أو عين جوبا أو عين الحمام أو عين الشمس .. زكلها مسميات لعين أسطوانية داخل هذه العين مياه يقال أن بها نسبة من الكبريت .. أطفال القرية يتسابقون للسباحة داخل العين



(1)المرجع السابق

.. تاريخ عين كليوباترا يعود إلى العصر الروماني كما يؤكد محمد عمران مدير العلاقات العامة بالوحدة المحلية بواحة سيوة ، وأنها تروي ما يقرب من 1000 فدان . زدورة المياه داخل العين مستمرة طوال 24 ساعة وبها فتحات لخروج المياه إلى الأراضي الزراعية .

.. أطلق عليها عين « جوبا » نسبة إلى « جوبيتر » أحد الإلهة الرومانية كما يوضح عمران ، كما أطلق عليها عين الحمام لأن أحد مظاهر الفلكور السيوي هو ذهاب العروس إلى هذه العين لتأخذ جزءاً بسيطاً من مياهها وتغسل به وجهها ، وأطلق عليها أيضاً عين الشمس لأنه في فصل الصيف وعند ارتفاع درجة حرارة الجو تكون مياه العين بارد وفي فصل الشتاء ومع انخفاض درجات الحرارة تكون « فاترة » .

.. وبالنسبة لتسميتها بعين كليوباترا فهناك آراء أن سبب التسمية يرجع إلى زيارة الملكة كليوباترا للعين ، ويؤكد مدير العلاقات العامة أن هذه الآراء خاطئة فلم يثبت تاريخياً زيارة كليوباترا إلى واحة سيوة ، مشيراً إلى أن أحد الهواة في التاريخ هو من أطلق عليها عين كليوباترا .

.. ذكر المؤرخ (هيردوت) وغيره من المؤرخين تلك العين وهي أشهر عيون الماء بالواحة وسميت عين الجوبة أيضاً وهي صالحة للاستحمام والعموم بها شتاء وصيفا فمياهها دافئة في الشتاء اما في الصيف فتكون باردة في الصيف وكانت العروس تأتي لتستحم بها قبل الزواج ولا يوجد دليل علمي على انها كانت العين الخاصة بكليوباترا.

.. كما يوجد معبد آخر لا يقل جمالاً وبهاء عن التنبؤات وهو معبد آمون والذي يرجع تاريخه إلى الأسرة 30 من الأسرات الفرعونية ..



.. وبه مجموعة من الرسوم الفرعونية من بعض الأشخاص وهميقدمون الهدايا والقرايين لآمون .. حائط كبير على تبة عالية بها أعمدة مكسورة هي محتويات المعبد .

.. السبب في كسر هذه الأعمدة هو أن أخذ الأشخاص ويدعي « محمود عزمي » كان مسئولاً عن إدارة شئون سيوة في القرن 19 ، وتم تكليفه ببناء بعض المنشآت الحكومية ، فأستخدم حجارة المعبد في بناء مدرسة آمون .

.. وعن كسر أعمدة معبد آمون يعززون هذا إلى تفجير المعبد بالديناميت للحصول على كنوزه و ثرواته وكان ذلك في القرن التاسع عشر .

.. قلعة شالي على قمة جبل الموتى ترى في الأفق تبة عالية محفوراً بها منازل وبقايا حوائط وأسقف على شكل مثلث .

.. قلعة شالي أو مدينة شالي هي سيوة القديمة .. وشالي في اللغة الأمازيقية تعني البلدة أو المدينة أو الوطن .. ثم بناء قلعة شالي في القرن الثاني عشر بواسطة أربعين رجلاً بعد تعرض السيويين الأوائل لهجوم خارجي .

.. ويوضحون أن استخدام مادة الكرشيف لبناء المنازل التي تتواجد على ربوة

مرتفعة في مدينة أو قلعة شالي . وهذه القلعة كانت محاطة بالأسوار وبها فتحات للمراقبة والتأمين ، والمنازل المتواجدة بالقلعة وصل عدد أدوارها إلى 3 أدوار . ويتواجد حول شالي 6 آبار للمياه .

.. يتواجد في مدخل شالي المسجد العتيق والذي بُني عام 500 هـ ، ولا تزال تقام فيه الصلوات حتى الآن .. بداية نزول السيويين من قلعة شالي كان عام 1821 عندما وصل جود محمد علي لسيوة وفرضوا سيطرتهم على المكان ، وعندما شعر السيويون بالأمان نزلوا للعيش داخل الواحة .

.. كان آخر نزول للسيويين من قلعة شالي في عام 1926 عندما سقطت أمطار غزيرة على القلعة .. وقلعة شالي أصبحت تابعة للآثار الإسلامية منذ عام 2008 .. ويطالب أهالي سيوة كما يؤكد مدير العلاقات العامة بالواحة بانضمام شالي لمنظمة اليونسكو وإعادة ترميمها من جديد .

.. واحه سيوة هي احد منخفضات الصحراء الغربية وتقع سيوة بين خطى طول (26.12 و 25.16) شرقا وخطى عرض (29.6 و 29.34) وتقع سيوة على بعد 65 كيلو من الحدود الليبية و 300 كيلو غرب مدينة مرسى مطروح و 600 غرب وادى النيل ويوجد بالواحة أكثر من 220 عين ماء وتصرف مياه العيون حوالى 25.00 : 5.000 متر مكعب فى اليوم ويبلغ تصريف العيون كلها حوالى 185.000 متر مربع يوميا وتبلغ المساحة الكلية لمنخفض سيوة 1088 كم مربع ويتوسطه أربع بحيرات مالحة هي بحيرة المعاصر شمال شرق الواحة وبحيره الزيتون شرق الواحة وبحيرة سيوة غرب مدينه شالى وبحيرة المراقى غربا .

.. وتوجد العديد من الواحات المهجورة والمنخفضات التابعة لسيوة منها واحة شياطة على بعد 55 كيلو غرب سيوة وواحة الملفى 75 كيلو شمال غرب سيوة وواحة اللعرج وواحة النوامسة وواحة البحرين ثم منخفض قارة ام الصغير

(الجارة) المناخ والطقس : يسود سيوة المناخ القاري الصحراوي فهى شديدة الحرارة صيفا اما شتاؤها فدافئ نهارا شديد البرودة ليلا واطخر ما تتعرض له سيوة هو السيول رغم ندرتها إلا أنها تحدث أضرارا كبيرة خاصة أن بيوت سيوة مصنوعة من الكروشيف الذى لا يتحمل ماء الأمطار فهو مصنوع كما قلنا من الحجر الملحي المتكون من البحيرات والطين والطفلة والبيوت تبنى بدون اسمنت والواحة باختصار اقتصادها معتمد على الماء اكثر من الأرض فلولا الآبار لما كانت هناك حياة ومشكلة الواحات الأساسية هى الصرف حيث تزداد ملوحة الأرض وتفسد لأنه لا يوجد صرف كما فى الوادى فالواحد اصلا منخفض وبالتالي تزداد ملوحة الأرض ثم تفسد لذا وكما يقول (جمال حمدان) أن زراعة الواحة هى حرب ضد الملح والاستصلاح بقدر ما هى حرب ضد الرمل والكثبان ومحور اقتصاد الواحة هو النخيل كما كان محور اقتصاد الوادى هو القطن ولذا نجد موسم الزواج هو موسم جنى البلح والواحة تؤثر فيها الجغرافيا وتجعلها معزولة وصارمة والخوف من المجهول السيول الغرباء والغزاة ولكن سيوة مع الوقت أصبحت مختلفة وتتقبل الغريب وينظرها فقط من يعرف كيف يستثمر ما فيها من خيرات لصالح مصر.

.. وكما توجد مقبرة سى آمون :

.. وتدل هذه المقبرة على امتزاج الفن الفرعونى مع الفن الاغريقى ويرجح أن تكون هذه المقبرة لحاكم سيوة المحلى الذى تزوج من سيدة مصرية وتنتمى المقبرة للقرنين الثالث والرابع قبل الميلاد وتحوى المقبرة مناظر لسى امون وهو جالس مع ابنه ومنظر لابناء حورس الاربعة وقاعة محكمة اوزوريس وسى امون يتعبد للآلهة.

.. ومقبرة باتحوت وهى مقبرة كاهن الإله ازوريس وكان له القاب عدة مثل لقب الرجل العظيم فى مدينته والرجل العادل المستقيم واهمية هذه المقبرة ترجع

إلى انه يستنتج من وجودها انه كان هناك معبد للإله ازوريس بالواحة.

.. وكذلك مقبرتي ميسوايزيس ومقبرة التمساح . سميت المقبرة بهذا الاسم لعدم الاستدلال على اسم صاحب المقبرة وقد اطلقا على واحة سيوة هذا الاسم على المقبرة لوجود رسم للتمساح ويعتقد انه للإله سوبك ونجد بالمقبرة عدة مناظر لصاحب المقبرة وهو يتعبد للإله ازوريس.

.. ناهيك عن معبد الوحي الشهير :

.. وترجع أهمية هذا المعبد كما يقرر علماء الآثار إلى انه هو المكان الذي زارة الإسكندر الأكبر ويقع المعبد فوق هضبة اغورمي التي ترتفع ثلاثين مترا فوق سطح الأرض وسمى بمعبد الوحي لقدرة كهنة آمون على التنبؤات بالأحداث وقد أقيم المعبد في عهد الأسرة السادسة والعشرين على يد الفرعون أحمس امازيوس وهو أحد أبناء سيوة من الامازيغ الذين حكموا مصر وكان قائدا عسكريا قد بنى المعبد بطريقة وضع حجر رأسى فوق حجر افقى وملاء الفارغ بينهما بالدبش والحجر الصغير ويصف المؤرخون القدماء واحة سيوة كالتالي (□).

واحة الفرافرة



.. واحة الفرافرة هي إحدى الواحات الرائعة بصحراء مصر الغربية عاصمتها قصر الفرافرة، وتقع على بعد 170 كم جنوب الواحات البحرية تبعد عن القاهرة 627 كم عبر طريق القاهرة الواحات الصحراوية. ذاعت شهرتها في العالم ووضعت تحت الأضواء سياحيا وعلميا بسبب موقعها وتاريخها ونوعية صخورها وأشكالها وجوها المشمس الدافئ وجبال الكريستال بمنطقة الفرافرة.

.. تعتبر هي الأكثر عزلة بين واحات الوادي الجديد، وتشتهر واحة الفرافرة بتقاليدها وعاداتها التي تعود إلى غابر الزمان، يقع الجزء الأقدم للقرية على سفح تل بجانب بساتين نخيل محاطة بالنخيل، وتوجد على مسافة قريبة منها ينابيع الكبريت الحارة وبحيرة المفيد، كما يحيط بالواحة عدد من العيون الطبيعية والكثير من أشجار النخيل والزيتون.

.. كما يوجد بالواحة بئر تسمى «بئر ستة» ، وتوجد على بعد ستة كيلومترات إلى الغرب من مدينة الفرافرة وتبلغ درجة حرارة مائها 24 مئوية على مدار العام،

وتوجد بها الصحراء البيضاء ذات الشهرة العالمية التي يقصدها السائحون من جميع أنحاء العالم، والتي أصبحت محمية طبيعية في العام 2002م تبلغ مساحتها 3010 كم.

.. لعهد قريب كانت الطرق المؤدية للفرافرة سواء من البحرية أو من الداخلة غير معبدة ، وكانت الرحلة إلى الفرافرة من أشد ما يتعرض له الباحثون من الدارسين في مختلف فروع المعرفة سواء تاريخية أو جيولوجية أو نباتية ولكن الآن أصبحت تربط واحة الفرافرة بالواحات الأخرى وبوادي النيل بواسطة شبكة جيدة من المواصلات البرية

.. يرجع تاريخ واحة الفرافرة إلى العصر الفرعوني فقد ورد ذكرها في عدد من الوثائق المصرية القديمة خاصة منذ الأسرة العاشرة في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد وكانت تسمى «تأحت» أي أرض البقرة وأطلق عليها المصريين القدماء هذا اللقب لكثرة المراعي والابقار بها.

.. في العصور الرومانية كانت الفرافرة والواحات الداخلة والواحات البحرية هي أرض الحبوب للإمبراطورية الرومانية وسميت أرض الغلال، وتوجد في وسط الفرافرة بقايا قصر يسمى قصر الفرافرة مشيد بالطوب اللبن وقصر أبو منقار وهي آثار بقايا أبنية ترجع إلى العصر الروماني كما يوجد بضع مقابر أخرى صخرية خالية من النقوش وبقايا معبد روماني عند منطقة تدعى «عين بس».

.. في العصر المسيحي الأول كانت الفرافرة ملاذا للمصريين المسيحيين الذين اضطهدهم الرومان وفر كثير منهم إلى الفرافرة وتركوا بصماتهم واضحة في مناطق القس أبوسعيد وعين أبشواي ووادي حنس وكلها أسماء مسيحية مصرية. خلال فترات كثيرة من التاريخ القديم بعد دخول الفتح الإسلامي مصر ازدهرت تجارة البلح والزيتون بين الفرافرة ووادي النيل فكانت قوافل الجمال تحمل منتجات الواحة إلى ديروط علي النيل وترجع بها وكل ما تنتجه أرض وادي النيل والفرافرة.

.. خبت الفرافرة بعض الوقت لتظهر أهميتها العلمية والتي دفعت الخديوي إسماعيل والي مصر إلي تحويل رحلة العالم الألماني الشهير جيرهارد رولف عام 1874م لمعرفة ما إذا كان هناك حقيقة نهر بلا ماء في المنطقة أم لا، كما سبق أن ذكرنا.

.. واكتسبت واحة الفرافرة شهرة سياحية عالمية مؤخرًا حتى أصبحت تنافس مدينة الأقصر في شهرتها السياحية حيث يقصدها مجموعات عديدة من البشر ما بين عالم ومغامر وطالب هدوء وراحة وعلاج من البرد القارس الذي يسود أوروبا وأمريكا، كما أصبحت الفرافرة حاليًا مزارًا لكثير من رحلات السفاري وعشاق الطبيعة والعلم لوجود أرض طباشيرية إلي الشمال من الواحة والمعروفة باسم الصحراء البيضاء التي هي جوهرة الوادي الجديد والتي تقع على بعد 45 كيلو متر من الشمال إلى واحة الفرافرة و500 كيلو متر من القاهرة، ويذكر « محسن عبد المنعم » أحد المهتمين بالسياحة في الوادي الجديد بأن ساعة الغروب في منطقة الصحراء البيضاء في منطقة الفرافرة من اللحظات نادرة الوجود حيث يمكن رؤية الشفق الأخضر في السماء بألوانه الزاهية وهو يصنع هالة من الجمال الكوني بالمنطقة لا يضاهيها أي غروب للشمس في أي مكان في العالم (□)، وبها من الأشكال الطبيعية ما ينبهر به السائح، فقد شكلت الرياح كثيرا من الأنماط الصخرية علي هيئة عش الغراب وأخرى علي هيئة أعمدة حجرية بيضاء أو حوائط طباشيرية أو مخروطية الشكل، وأصبحت المنطقة متعة للسائحين يقفون فيها أياما طويلة يتمتعون بجوها الخلاب والهدوء ومناظرها العظيمة فهي تبدو من بعيد كأنها مدينة سكنية وعندما تقترب منها تظنها جبالا ثلجية لنصاعة بياضها وإذا وقفت أمام صخورها تظنها تماثيل صنعها فنان ماهر.

.. إلي الشمال من الفرافرة في الطريق إلي الواحات البحرية وعلي بعد 80 كم توجد بللورات الكالسيت الجميلة البيضاء في موقع فريد كفيلا بأن تكون الفرافرة

(1) خالد عز الدين أجمل غروب في العالم الأخبار 2016/5/4

تترجع علي عرش السياحة العلمية والسياحية.

.. وقد آلت الدولة على نفسها أن تقتحم الصحراء الغربية عبر واحة الفرافرة فقام رئيس الدولة « عبد الفتاح السيسي » بزيارتها ودشن بها مشروعاً قومياً قوامه استصلاح 1500 فدان لزراعتها بالقمح .. مما ذكرنا بمصر قديماً حيث كانت سلة القمح في عهد الروماني للإمبراطورية الرومانية كما سبق ذكره.

مدينة الخارجة



.. هذه الواحة كما قال المؤرخ « إليمبو دورس » يوجد بها آبار لا تعد ولا تحصى تجرى تحت سطح الأرض .

.. مدينة الخارجة هي عاصمة محافظة الوادي الجديد.

.. تعتبر الخارجة أكثر واحات الصحراء الغربية تطورا وتحوي أغلب التسهيلات للحياة العصرية مما يجعلها تختلف عن الواحات الواقعة في الصحراء الغربية كواحة سيوة وواحة الداخلة مما يجعل وصف الواحة وصفا غير دقيق قد لا ينطبق عليها.

.. وهي تقع على بعد 232 كم جنوب أسيوط، جنوبي غرب مصر وتبعد نحو 263 كيلومتر عن مدينة أسيوط في اتجاه الصحراء الغربية وهي تشكل منخفضا يبلغ 160 كيلومتر طولاً و80 كيلومتر عرضاً.

.. وبها أبنية من الطوب اللبن شوارعها ضيقة ومتعرجة ومسقوفة بخشب الدوم والنخيل وكان لكل شارع بوابة تغلق عند حدوث أي عدوان من أحد . وقد بنيت من القرن العاشر الميلادي علي طراز إسلامي تتوسطها عيون الماء مثل (عين الدار) ويمثل كفاح أهالي الوادي الجديد منذ مئات السنين .

.. وبها **حي الأمل** : ويعد أول الأحياء السكنية التي تم بنائها وفقا للتخطيط الهندسي كبادرة لإنشاء المدينة الجديدة.

.. **وحي المروة** : ويعتبره البعض من الأحياء السكنية فقيرة الخدمات .

.. **وحي الزهور** : ويعتبره البعض من أرقى الأحياء السكنية في المدينة .

.. **كما توجد بها قرية الشركة** : وهي أول قرية تقابل المسافرين من وادي النيل إلى الوادي وبها نقطة الشركة وأكبر سجون مصر السياسية « سجن الوادي الجديد » وهي قرية صغيرة تعتمد على الزراعة مثل زراعة البلح والفواكه بالإضافة إلى تربية المواشي مثل الأبقار والخراف والماعز، وتزرع جميع أنواع الخضروات، وتعتمد على الري عن طريق الآبار القديمة منها والحديثة ونسبة التعليم بها كبيرة .

.. **ومن معالم الخارجة ومزارعها المكتبة العامة بالوادي الجديد** : التي تعد من أبرز المعالم الثقافية بالمدينة ويعقد بها أسبوعيا حفلا ثقافيا يعرض ألوانا من الفنون الموسيقية والمسابقات الثقافية

.. **قبر الجندي المجهول** : نقش عليه أسماء أبناء المحافظة الذين استشهدوا في حرب أكتوبر 1973

ونادي الساحة : ويشتمل على ملعب كرة قدم وحمام سباحة أولمبي

ومجمع الصالات المغطاة الرياضي : تعرف المدينة بسياحة المعالم الأثرية إضافة الي سياحة السافاري كما توجد بها مجموعة من العيون الكبريتية والمعدنية التي تشتهر بتميزها من حيث المركبات الكيميائية وعلاجها لبعض الأمراض مثل

الروماتيزم والحساسية وتبلغ حرارتها نحو 43 درجة مئوية والتي يتوافد عليها العديد من السواح، ومن أهم معالم المدينة :

وكذلك متحف آثار الوادي الجديد :

.. وهو يضم العديد من القطع الاثرية القديمة التي عثر عليها بمختلف المناطق الاثرية بالمحافظة، ومنها لوحات فرعونية عثر عليها في منطقة قلاع الضبة ببلاط، وتمثيل للإله حورس ، وتمثال الأسد الرابض بوجه إنسان والذي عثر عليه في معبد دير الحجر، إضافة إلى مجموعته من الأواني الفخارية من العصر القبطي وبعض القطع عثر عليها بمنطقة موط بالداخلية.

.. ومن أثارها كذلك استراحة الملك فاروق الذي كان يقيم فيها خلال رحلاته السنوية لصيد الغزال وطلب بناء هذه الاستراحة له وأيضاً استراحة أخرى بمدينة موط ، وكان على عاتق « علي بك فهمي » البحث عن إنشاء هاتين الإستراحتين ووفر لها توفير الأحجار اللازمة لإنشائها من « جبل طروان » الواقع بشمال الخارجة ، ومن منطقة « أسمنت » .. ومن عجب العجائب أن تتحول هذه الاستراحة الملكية إلى مقر لشركة مياه الشرب والصرف الصحي .. ناهيك عن معبد هيبس ، ومقابر البجوات : تقع خلف معبد هيبس من الناحية الشمالية وسميت بذلك لكونها بنيت علي شكل قباب ويرجع تاريخها لإنشائها عندما هرب الأقباط من اضطهاد الرومان في القرن السادس الميلادي واستقروا في الخارجة وحسو بالأمان فبنوا كنائسهم والتي ما زالت موجودة حتى الآن. ومنها كنيسة الخروج والتي بها رسوم تحكي قصة خروج بني إسرائيل من مصر يتبعهم فرعون بجنوده وبعض القصص الدينية التي ذكرت في القرآن الكريم والكتاب المقدس وبعد فترة من الزمان وبعد عودة الأقباط مرة أخرى كان يستغلها حجاج الدرب الغربي كاستراحات عند ذهابهم إلى الحج وفيها كتبوا ذكرياتهم وسطروا الشعر والنثر ويبلغ عدد هذه البجوات 263 مقبرة.

.. وهي تمثل مجموعة كبيرة من المدائن المسيحية جدرانها تمتلئ بالصورة المسيحية « هيبس » وهي في الأصل أبنية شيدت على أنقاض مدينة مصرية قديمة استخدم جزء منها مقابر مصرية لأصحاب الديانات القديمة وظلت كذلك إلى أن أخذها المسيحيون الأقباط مركزاً للهاربين من اضطهاد الرومان في غضون القرنين الثالث والرابع الميلادي أنتشرت المسيحية القبطية في معظم الواحات وبنيت الكثير من الكنائس وتحولت المعابد القديمة إلى أديرة وقد عاصرت تلك الفترة وما بعدها غزوات مدمرة لجماعات عديدة من «النوباتاي» و«البليمي» و«الأمازيغ» .

.. فأُست جبانة فرعونية قبطية إسلامية ، ومن الأهمية بمكان أن نذكر عنها ما قيل عنها ومن أنها تؤكد أن ذاكرة الموت عند المصريين تمثل نسيجاً واحداً للفراعنة والمسيحيين والمسلمين على السواء ، فكما جمعت الحياة بينهم ، جمعهم الموت كذلك ، من خلال عقيدة ثابتة ثبوت اليقين ، تؤكد ما وقر في عقولهم وقلوبهم من إيمانهم بالدين منذ فجر التاريخ ، وأن حياة الدينا ما هي إلا قنطرة للعبور إلى الآخرة .

.. بدأت العلاقات بين الواحة الخارجة ووادي النيل منذ بدأ التاريخ المصري الضارب في القدم حيث كانت الجبانة القديمة الموجودة بالتلال تشكل جبانة البجوات التي ترى فيها فتحات كثيرة لمقابر قديمة محفورة في صخور الهضبة الممتدة من الركن الذي يقوم عليها الدير المعروف باسم « قصر مصطفى كاشف » حتى النهاية بالقرب من مدخل الجبانة في الجانب الجنوبي .

.. وجبانة البجوات كانت أرض الدفن الرئيسية بمدينة الخارجة خلال قرون خلت وكان استخدامها قد بدأ منذ منتصف القرن الثاني الميلاد ، واستمر حتى القرن السابع الميلادي ؛ حيث أن المسيحيين فروا من مختلف المدن بها إبان القرن السادس الميلادي ؛ خوفاً من اضطهاد الرومان ؛ واختاروا الصحراء ليأمنوا ممارسة معتقداتهم الدينية وأول من وصل إلى تلك المنطقة هما أثناسيوس ،

وتاضروس ، واختارها هذه الربوة وشيدا القباب بها ، وعندما انتشر الدين المسيحي بين الناس استمر المسيحيون بدفن مواتهم بهذا المكان ، ويوجد زخارف بهذا المكان به بعض العلامات الدالة على الديانة المسيحية .

.. ومن أقدم المزارات القائمة ما يعود إلى القرن الثالث حتى بداية القرن الرابع ومن أقدم المزارات الموجودة في جبانة البجوات «مزار الخروج» .

.. وقد أخذت البجوات عند المسلمين طابعاً مميزاً بحيث سارع أهل الخير والأغنياء للتنافس فيما بينهم لعمل الخير وذلك النوع من المنشآت يعتبر فعلاً من أعمال الخير، كما سارع السلاطين والأمراء والحكام على إنشاء الأسبلة في الأزقة والطرق وفي الأماكن العامة حتى يعم الخير ، وبذلك ينالون الأجر والثواب.

.. وتوجد التصاوير في أغلب المزارات ومنها تصوير «تكلا وبولا» الذين يبدو أنهما كانا قديسين مشهورين عند مصوري المزارات ، وذلك أن تكلا هي القديسة المسيحية المصرية الوحيدة التي صورة بثلاث مزارات بالبجوات .

.. كما يوجد بالمزارات منظر آدم وحواء عند طردهم من الجنة ، عاريان ويمسح كل منهما دموعه بيده ويخفي سوءته باليد الأخرى وتسلق الحية شجرة وتهمس في أذن حواء ، كذلك صور نبي الله إبراهيم وإبنة إسماعيل . ناهيك عن رمز السلام وهو عبارة عن أنثى يظهر الجزء العلوي من جسدها عارياً . ناهيك عن دانيال والأسود بعضها إلى اليمين والأخر إلى اليسار في حالة من الهياج ويوجد فوق المنظر حروف اسم دانيال (□) وهو في اللغة الإنجليزية - Daniel : واللغة العبرية : דַּנְיֵאל - واللغة اليونانية - Δανιήλ : واللغة القبطية - Danihi : وفي اللغة السريانية : ܕܢܝܐܠ . وهو اسم عبري معناه الله قضى» .

.. هو أحد الأنبياء الأربعة الكبار في التراث اليهودي المسيحي، والشخصية المركزية في سفر دانيال . يتنسب دانيال إلى سبط يهوذا . وفقاً للرواية التوراتية عندما

(1) ذاكرة مصر الموت عند المصريين أحمد مصطفى عبد العزيز البجوات

كان دانيال شاباً، اقتيد إلى السبي البابلي حيث تلقى تعليمه هناك. وجاء أمر نبوخذ نصر إلى بابل مع ثلاثة فتیان من الأشراف: هم ، حنيا وميشائيل وعزريا سنة 605 ق.م. فتعلم هناك لغة الكلدانيين ورشح مع رفقاءه الثلاثة للخدمة في القصر الملكي. ووفقاً للرواية التوراتية تعلم دانيال ثلاث سنين وأعطاه الله فرصة لإظهار علمه وحكمته ففسر حلمًا لنبوخذ نصر كان قد أزعجه ومكافأة له على هذه الخدمة نصبه حاكمًا على بابل ورئيسًا على جميع حكماؤها. وأصبح له قدرة على تفسير أحلام الملوك، وبذلك أصبح شخصية بارزة في بلاط بابل. وقد مرّ دانيال في تجارب ورؤى في الأسر البابلي، حيث نجا من عرين الأسود.



.. وبحسب المعتقدات اليهودية لا يعتبر «دانيال» نبياً إذ انتهت النبوة مع كل من حجي، وزكريا، وملاخي في التناخ والتناخ بالعبرية דַּנְיֵאל هو أكثر أسماء الكتاب المقدس العبري شيوعاً في الأوساط العلمية. لم يتم تضمين دانيال تحت قسم الأنبياء ربما لأن محتواه لا يطابق الكتب النبوية. ولكن مع ذلك وجدت ثمان نسخ بين مخطوطات البحر الميت وحكايات إضافية من النص اليوناني كدليل على شعبية دانيال في العصور القديمة



.. حسب المعتقدات المسيحية يتم الإحتفال بذكرى دانيال في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في يوم 23 من الشهر القبطي برمهاث. في التقويم الليتورجي في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، يُحتفل في ذكرى دانيال النبي يوم 17 كانون الأول نبوءة دانيال بشأن الحجر الذي حطم الصنم (دانيال 2 : 34-35) كثيرًا ما يُستخدم في التراتيل الأرثوذكسية الكنسيّة.

.. وتحتفل الكنيسة الكاثوليكية في ذكرى دانيال النبي في يوليو 21. وبعض التقاويم الطقسية المحلية في الأبرشيات تحتفل في ذكراه في 21 يوليو، وأحيانًا في يوم آخر.

.. أما حسب المعتقدات الإسلامية دانيال هو نبيّ في الديانة الإسلامية وُدُكر في الأحاديث النبوية كما أن المسلمون يبجلونه ويعتبرونه نبيًا كريمًا من أنبياء بني إسرائيل

.. حسب المعتقدات البهائية .. يعتبر دانيال نبيًا في المعتقدات البهائية.

.. وعود على بدء .

.. تدهورت الزراعة هناك نتيجة لضعف الإدارة المركزية أو تلاشيها بين القرنين التاسع والحادي عشر مما أدى إلى هجر الكثير من أهل الواحات .

.. ويذكر «المقريزي» في هذا الصدد: « أن الفقر وندرة السكان في الخارجة قد صعب ضمها إلى أي إقليم من أقاليم مصر الإدارية لبعدها الجغرافي » .

.. ولقد تحسنت أحوال الخارجة فيما بعد بصورة تدريجية منذ نهاية القرن الحادي عشر إلى أن أصبحت جزءاً من الأقاليم الإدارية المواجهة للوادي .

.. أما في الداخلة فإن كانت المسيحية قد ظلت للقرن السابع⁽¹⁾ إلى أن الإسلام قد دخل إليها تدريجياً وقد ترك طابعه في العمارة والقرى المحصنة كالقصر والقلمون في مواقع دفاعية ضد غارات البدو .

.. وقد جاء الإسلام إلى الفرافرة في نحو القرن التاسع وثبت أقدامه من القرن العاشر بواسطة الفاطميين الذين قدموا مصر من تونس وليبيا .

.. وتثبت الكشوف الأثرية على أن الداخلة كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالوادي عبر درب الطويل منذ عصر الدولة القديمة .. وفي شمال الواحة قرب القصر معبد روماني يعرف بدير « الحجر » يعود إلى نحو بعيد لعباد الثالوث طيبة آمون وموت وخلصو .

.. قد أطلق الدكتور « أحمد فخري » صاحب كتابي « سيوة والبعجات » والكتاب الرائع الذي ترجمه عن « رانف لينتون » والمعنون باسم « شجرة الحضارة » .. نقول : « إنه أطلق على منطقة أثرية قرب القصر اسم « المَزوقة » نسبة إلى كثرة الرسوم الملونة التي يمتزج فيها المعتقدات المصرية القديمة والرومانية في عشرات المقابر التي تعود إلى القرن الأول والثاني الميلادي » .

(1) راجع محمد رياض الوادي الجديد في التاريخ وراجع كتاب « كاسندرا فيفيان » صحراء مصر الغربية المشار إليه في محافظة الوادي الجديد بين الحاضر والمستقبل

.. وإن كانت أكثر القصص شهرة أن جيش قمبيز الفارسي هلك بعد مغادرته «الفرافرة» و«عين دالة» في بحر الرمال العظيم بعد أن أزمع على تدمير واحة سيوة كما ذكرنا في كتابنا هذا ولكن البعض يقول أن التساؤل الأكثر الأهمية هو: هل هي قصة اختراقها المصريون كيداً في احتلال قمبيز وتضخيمها لهلاك حملته الفارسية في قلب الصحراء جراء عاصفة رملية هبت عليها فجأة وطمرتها عن بكرة أبيها في جوف الصحراء؟ .

.. ومن المعالم البشرية التي تقع الأعين عليها مزرعة الزيتون في الأراضي الجميلة في منطقة كيروين الفرافرة، مزرعة النعام بمنطقة شرق العوينات، قافلة من الجمال التي تحمل أملاح التترو المستورد من السودان على درب الأربعين وأحد المواقع الذي توقد بها النار وهو من مخلفات العصر الحجري الحديث .. وتنتشر مثل هذه المواقع في أنحاء مختلفة من محافظة وادي الجديد.

.. كما شهدنا وعاء حجري لطحن الحبوب وبداخله مقبض الطحن وهو من أدوات الإنسان العصر الحجري الحديث .

.. كما رأينا قناة الشيخ زايد التي تنقل مياه النيل إلى مشروع توشكى، وكذلك بقايا مدينة الموتى «البجوات» .

.. ومدخل كهف الأبيض على الحافة الشمالية من وادي الأبيض من الشمال هضبة أبو القس أبو سعيد.

.. ولقد كان من حسن حظنا (□) أننا حضرنا منذ قريب مهرجاناً سمي مهرجان التمور، وفي ختام هذا المهرجان يحتفل الوادي الجديد باعتباره (أم البلح) وتعتمد عليه الأسر بالواحات كمصدر للرزق، وتجرى فيه مسابقة (ملكة جمال البلح) تنشر الفرحة بين قلوب أهل الواحات، ويلعب فيه الأطفال دوراً رئيسياً

على المرسح الذي أقيم هناك ويؤدون فقرات فنية متنوعة وتتراوح أعمارهم بين 6 إلى 10 سنوات إذ يعتبرون البلح بأشجاره النافعة وبأخشابه التي يستفيد منها الإنسان في الغذاء ، (يعد مقويًا عامًا لصحته في الغذاء) ويصنع منها الأثاث والزعف وزيت النخيل ويستغل نوى البلح في تصنيع الأعلاف الحيوانية .
.. ومن ثم يقام له مهرجان يسمى (مهرجان البلح) .

واحة جغبوب

.. تذكر كتب التاريخ أن الحكومة المصرية قد والت اجتماعها بمكتب رئيسها «أحمد زيور باشا» من الصباح حتى الساعة العاشرة مساء السبت، 5 ديسمبر 1925»، حيث كانت تراجع معاهدة تسليم «واحة جغبوب» إلى إيطاليا باعتبارها دولة احتلال لليبيا، والتي سيتم التوقيع عليها في اليوم التالي «6 ديسمبر» بحسب «أحمد شفيق باشا» في «حوليات مصر السياسية - الحولية الثانية 1925» عن «الهيئة العامة للكتاب - القاهرة».

.. فماذا عن هذه الواحة، التي خرجت من الحدود المصرية لتتضم إلى ليبيا، واعتبر الكاتب الصحفي محسن محمد أن ما حدث معها هو سرقة، وألف كتابًا عنها اسماء «سرقة واحة مصرية»؟.

.. كانت مصر وليبيا تابعتين لتركيا «الدولة العثمانية»، وبالتالي لم يكن هناك ما يدعو إلى تعيين حدود بينهما، وطبقاً ل«سرقة واحة مصرية»: «عين محمد على حاكمًا على واحة جغبوب وفرض الضرائب على سكانها لأنها جزء من أرض مصر في صحرائها الغربية، وفي الخريطة المحفوظة بالمتحف البريطاني في لندن توجد جغبوب كجزء من أرض مصر، وهذه الخرائط وضعت بين عامي 1770 و1860.

.. هي واحة صغيرة تقع شمال غرب سيوة تبعد عنها بنحو 125 كم وبينها وبين السلوم نحو 240 كم، وتقع في منخفض الطرق الصحراوية إلى البحر بين مرسى مطروح والسلوم، ويمتد هذا المنخفض الذي تقع فيه واحة سيوة 150

كم، وتربطه بساحل البحر المتوسط بين مرسى مطروح والسلوم طرق كثيرة، وهذا يبين أهميتها إذا جاء هجوم على مصر بطريق هذا المنخفض.

.. في تاريخها أن «محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الأدريسى» المعروف باسم «السنوسي الكبير» نزل فيها، وهو من سلالة «الأدارسة» ومن أحفاد علي بن أبي طالب، وصاحب الدعوة السنوسية للإصلاح الديني والاجتماعي، وأنشأ فيها الزوايا كمراكز لبث الدعوة والإرشاد الديني والاجتماعي، وفي كتابه «السنوسية دين ودولة» عن «دار الفكر العربي عام 1948» يؤكد مؤلفه الدكتور محمد فؤاد شكرى أن الطليان أدركوا أهمية هذه الواحة لأنها أحد مراكز السنوسية الكبيرة، ومن الناحية الاستراتيجية تعد مدخلاً هاماً من مداخل برقة، ويستطيع السنوسيون أن يشرفوا منها على أعمال الجهاد وأن يمدوا قوات المجاهدين بما يحتاجونه من نجدات، ولذلك قرر الطليان الاستيلاء عليها، ولما كانت من الأراضي المصرية فكروا في تذليل العقبات، ودارت العجلة حول ذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918 وبدأت أطراف «الحرب» في السعي لتمكينها / أكثر في مستعمراتها، وكان الإيطاليون ممن يسعون إلى ذلك، فضغطوا التعديل الحدود الليبية المصرية.

.. بدأت المفاوضات حول ذلك بين بريطانيا وإيطاليا دون استشارة مصر، بريطانيا أرادت منح «جغوب» لإيطاليا مقابل أن تعدل عن المطالبة بمستعمرات في آسيا الصغرى، كما رغبت بريطانيا في اعتراف إيطاليا بالحماية البريطانية على مصر، وطبقاً لهذه الأهداف دارت عجلة المفاوضات لاقتطاع جزء من أرض مصر تضمه إيطاليا إلى مستعمراتها، وتوافق عليه بريطانيا التي تحتل مصر.

.. وحسب «شفيق باشا»: «ألحت إيطاليا في إنهاء مسألة الحدود الغربية في إجراء مفاوضات بشأنها عاجلة، ولذلك انتخبت الحكومة المصرية لجنة ولت رئاستها لحضرة صاحب المعالي إسماعيل صدقي باشا، وأرسلت الحكومة

الإيطالية لجنة للمفاوضة، برئاسة المركزي نجرينو كامبيازو»، وجرت مفاوضات بين اللجنتين، فطرحت اللجنة المصرية أن كل الخرائط القديمة تؤكد دخول جغوب ضمن الحدود المصرية، وأن إنشاء جغوب في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر كان أكثره بأموال مصرية، وأنفق الخديويون مبالغ كبيرة على الزاوية والمقام الموجودين هناك وعلى أعمال الحفر التي عملت للمياه، وأضافت اللجنة أن إنجلترا نفسها اعترفت في مدة الحرب «العالمية الأولى» في صك رسمي يدعى «معاهدة شاليوت» بأن «جغوب» تابعة لمصر، وهذه المعاهدة عقدها بريطانيا مع السنوسيين» .

.. أما حجة الإيطاليين - طبقاً لشفيق باشا - فكانت «أنهم ورثة الأتراك في ولاية طرابلس وجغوب ضمن هذه الولاية، ولم يبد المصريين في أى وقت من الأوقات ما يدل على أنهم يعدونها ملكاً لهم، فلم يزرها حاكم مصرى، ولم يجمع منها ضرائب ولم يقم فيها أى شىء من أدوات التقاضى» .

.. هكذا دارت المفاوضات وتعقدت، ثم تسهلت حتى الاتفاق على تنازل مصر عن «جغوب» يوم 6 ديسمبر 1925 (□) .

.. كان الوقت صباحاً في 6 ديسمبر 1925» حين اجتمع رئيس الوزراء أحمد زيور باشا ببعض كبار رجال وزارة الخارجية، واجتمع الوزراء عنده نحو ساعة، ثم نزل بعد الظهر متوجهاً إلى القصر الملكى للقاء الملك فؤاد، وعاد «زيور باشا» إلى مكتبه بالرئاسة قبل الساعة الخامسة.

.. كانت التحركات تسبق موعد التوقيع على تنازل الحكومة عن «واحة جغوب» لإيطاليا لضمها إلى «برقة الإيطالية» «هكذا كانت التسمية على جزء من الأراضي الليبية»، ووفقاً لأحمد شفيق باشا في «الحواليات السياسية-الحولية الثانية 1925»، غادر «زيور» ديوان الرئاسة الساعة السابعة مساءً، وكان الميعاد المحدد

(1) الأستاذ سعيد الشحات اليوم السابع .

لتوقيع المعاهدة في منتصف الساعة الثامنة، وقبل الميعاد المحدد بخمس دقائق وصل الماركيز «نجريتو كامبيازو» رئيس اللجنة الإيطالية التى تفاوض نظيرتها المصرية فى ترسيم الحدود «راجع ذات يوم أمس 5 ديسمبر»، وبعد الميعاد المحدد بنحو ثمانى دقائق عاد «زيور» ب«الردنجوت»، وبعد دقائق قليلة وصل السكرتير الأول لدار المندوب السامى البريطانى واجتمع به دقيقتين فى الردهة الملحقة بغرفته، وبعد ذلك جلس السكرتير فى غرفة السكرتارية وبقى فيها منتظرا إلى أن تم التوقيع على المعاهدة.

.. قام الفريقان «المصرى والإيطالى» بمراجعة الصورتين المعدتين من المعاهدة للتوقيع عليهما، ووفقا ل«شفيق باشا»، فإنه فى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة وقع «زيور باشا» الذى كان يحتفظ بمنصب «وزير الخارجية» مع رئاسة الحكومة، وعن الجانب الإيطالى وقع الماركيز «نجريتو كامبيازو»، وتبادل الحاضرون التهانى، ودخل عليهم السكرتير الأول لدار المندوب السامى، وبقى معهم دقائق ثم عاد ليبلغ المندوب السامى النتيجة، وخرج المندوبان الإيطاليان يفتح وجههما بشرا وسرورا، وصرح رئيسهما لمندوب جريدة السياسة: «إننا مغتبطون بالنتيجة فقد جاءت خير حل بين الطرفين وهذه نتيجة مرضية لنا ولكم» .

.. يذكر «محسن محمد» فى كتابه «سرقه واحه مصرية»، أن يوم توقيع الاتفاق نشأت عقبة لم تخطر على البال، حيث أصر الإيطاليون على تنفيذ الاتفاقية عقب توقيعها مباشرة دون انتظار لتصديق البرلمان كما ينص الدستور، وقدم الوفد الإيطالى اقتراحا بذلك وطلب الموافقة عليه، وأصر مجلس الوزراء على الرفض بالإجماع، وتدخل المندوب السامى البريطانى «جورج لويد» لدى الوفد الإيطالى المفاوض، فوافق على حذف الفقرات التى اعترضت عليها الحكومة، لكن الوزراء أصرروا أن يحصلوا على تأكيد من إيطاليا بأنها لن تقوم تحت أية ظروف بتنفيذ الاتفاقية إلا بعد تصديق البرلمان عليها، ويذكر «لويد» فى مذكرة أرسلها إلى

حكومته في لندن: «لم يكن زيور باشا قادرا على التأثير عليهم وكان يجلس منهارا وهو يشعر بالارتباك»، يضيف «لويد»: «أرسلت في طلب المفاوضين الإيطاليين مرة أخرى عقب العشاء، قالوا إنهم قابلوا رئيس الوزراء وإنه استعاد توازنه بصورة كبيرة، وعلى أية حال ولأكون في جانب الأمان قمت باستدعاء على ماهر باشا وزير المعارف الذى كان أكثر الوزراء تشددا في المجلس، وكانت مشاعره قد هدأت أيضا، أعرب عن استعداده للتوصل إلى صيغة تسمح بالتنفيذ الفورى لحين تصديق البرلمان المصرى على المعاهدة».

.. أرادت إيطاليا أن تتظاهر بأنها أعطت مصر شيئا مقابل «جغوب»، فتضمن الاتفاق على تنازلها لمصر عن ملكية «بئر الرملة» وعن منطقة تحيط بالبئر، وممر من الأرض يكفى- كما يقول الاتفاق- لإيصال هذه البئر بالحدود المصرية، وحدد الاتفاق المنطقة التى تحيط بالبئر بالأ يزيد نصف قطرها عن 500 متر.

.. رفض «زيور باشا» أن يوزع على الصحف المصرية نسخة من الاتفاق بعد التوقيع بدعوى أنه مكتوب باللغة الفرنسية، ويحتاج وقتا للترجمة، وفي يوم 8 ديسمبر أقام «زيور باشا» مأدبة غداء في نادى محمد على دعا إليه المندوبين المصريين والإيطاليين، وحسب محسن محمد: «تبين بعد توقيع الاتفاق أن إيطاليا لم تكن تتوقع أن تسلم مصر في جغوب بهذه السهولة، وأنها استدعت للقتال ألفى رجل ومدافع ومدركات كانت مستعدة لأن تزحف لاحتلال جغوب» .

.. كان رد الفعل الشعبى غاضبا: «أضرب طلبة المدارس في كل المدن الكبرى احتجاجا، وتوجه وفد من طلبة كلية المعلمين ودار العلوم إلى منزل الزعيم سعد زغلول، وطاف الطلاب بدور الصحف المصرية يحتجون، وخرجت بعض الصحف المصرية متشحة بالسواد وأعلنت مدينة الإسكندرية الحداد، وأصر طلبة «الفنون الجميلة» أن يستمر إضرابهم عشرة أيام (1) .

(1) المرجع السابق.

.. عندما سلبت واحة جغبوب واختطف من أمها مصر فتحت الصحف المصرية النار على حكومة « أحمد زيور باشا » رئيس وزراء مصر بتنازلها عن واحة جغبوب ل « برقة الإيطالية » بوثام واتفاق مع إيطاليا يوم 6 ديسمبر 1925 إذا حرص « زيور » على إخفاء موعد توقيع الاتفاق عن المصريين خوفاً من مشاعر الغضب الوطنية ، حسب تأكيد محسن محمد في كتابه «سرقه واحة مصرية» عن «كتاب اليوم - أخبار اليوم - القاهرة»، ولما تسرب الاتفاق إلى الصحافة فتحت النار، وكان المقال الذى كتبه «أحمد وفيق» في جريدة «الأخبار» لسان حال الحزب الوطنى يوم 7 ديسمبر 1925 «مثل هذا اليوم» مفتتحا في ذلك.

.. كتب «و فيق» مقاله بعنوان «ماتت جغبوب.. لتحيا جغبوب.. هو الحى الباقي»، وقال فيه: «اليوم دك الغاضبون حصنا من حصون مصر، اليوم بتروا عضوا حيا من جسم مصر، سيبقى أبد الدهر يقطر دما تتلون أيديهم، اليوم يكفنون واحة جغبوب، اليوم يشيعونها إلى القبر، ولكن هذا القبر سيستمر مفتوحا، سيستمر ينضح دماء وصديدا يفيض عن يمينه وشماله، ويفور في الأرض فلا تروى، ويتصاعد إلى عنان السماء صارخا إلى الله أن ينزل على الغاصبين رجزه، ويوقع عليهم عذابه باقيا أبدا رمزا للجريمة الكبرى التى اقترنت والبلبله العظمى التى بمصر نزلت ولا تزول ولا تحمى إلا بعودتها للوطن الأصيل» .

.. اتهم «و فيق» الوزارة بأنها ارتكبت جريمة: «أتمت الوزارة هذه الجريمة في جنح الليل، فقد استلت خناجرها وبيتها في قلب مصر، ثم بترت هذا العضو في الساعة الثامنة من مساء أمس، واغتصبته اغتصاب الغاصبين وقطاع الطرق في العصور الوحشية، وسلمته هدية لإيطاليا مقابل عدة أمتار من الرمال والأوحال، وثب مرتكبو الجنايات ممن يسمون أنفسهم ب«الاتحاديين» إلى الحكم «حزب الاتحاد برئاسة أحمد زيور باشا» وهم بلية على البلاد، إنهم كانوا منذ نشأتهم الأولى قوما بورا للوطن ومدافن وقيورا، وهم يقولون في تبجح وصفاقة أن لهم برنامجا وإن لهم سياسة وإن لهم كرامة وشرفا، هل أتموا جريمتهم بتر جغبوب وفق

سياسة الحرص على أراضي الدولة؟ هل راعوا الذمة والضمير والكرامة والشرف بتقطيع أوصال الدولة؟» .

.. واستطرد «وفيق»: «تسلم الوزارة هذا التسليم الإجرامى، وتسلم الوزارة مفاتيح الدفاع عن مصر وتسلم قلاعها وحصونها ثم تبقى فى مراكزها لتتم النقمة على البلاد وتفرغ ما تبقى من مكائدها وتفريطها فى حقوقها، أين ماء الحياء وأين الخجل السياسى من الفحش؟ أين الشرف المعصوم من التدهور الوطنى الملطخ المثلثوم؟ أن جغوب لم تمت، ومحال أن تموت، وإنما هى فصلت إلى حين، إننا نادى بعقد مجلس النواب لاتخاذ ما يرى لدرء هذه الكارثة، فى ذمة الله يا جغوب إلى يوم محاسبة الجناة حسابا عسيرا فى وديعته».

.. وكتب عبدالرحمن عزام «أول أمين عام جامعة الدول العربية 22 مارس 1945» مقالا فى صحيفة الأهرام، قال فيه: «لقد وعد الإنجليز حلفاءهم بالجغوب مقابل الحرب وأسلابها، فما عليهم إلا أن يأخذوها من يد الحليف، أما نحن فلنا الكثير من المطالب القومية فى الجغوب وغيرها يجب أن يبقى لنا لندركه أو نوصى الأبناء بإدراكه، وأعجب من كل ما تقدم وأمعن فى التحقير لهذه الأمة أن يقال أن الطليان سيتكفلون بصدد الغارة عن حدودنا الغربية، فإذا كانت الأمة المصرية لاتزال تتلظى من دعوى الإنجليز حق الحماية ضد أى تعد عسكري عليها فإنه الأجدر بنا أن نحترق قبل أن نسأل الطليان هذه الحماية، لقد تلاشى مع تلاشى جغوب من خريطة المملكة المصرية، الأمن والسلام».

.. ولأستاذنا الكبير «عباس محمود العقاد» مقالا حول هذه الواحة بعنوان «الماء يكذب الغطاس» قال فيه :

.. «الحكومة تظن أن تسليمها الشائن فى واحة جغوب يمد لها الأمل فى البقاء إلى أن يأتيها الفرج القريب، وستعلم الآن أن هذا التسليم نذير الموت، لا بشير الحياة»، وفى مقال بعنوان «جريمة جغوب» قال: «وقعت الوزارة معاهدة التسليم

في جغبوب، وحملت هذه التبعة على التبعات الخطيرة الكثيرة التي حملتها من قبل بغير مبالاة ولا تبكيت ضمير» (□).

.. واحة جغبوب هي واحة مصرية أرضا ولحمًا ودمًا تأمرت عليها إيطاليا مع بغض المصريين من غلاة القوم الفاسدين وكانت ترقد في حضن الواحات المصرية .

.. تتحصل هذه المؤامرة غير المسبوقة في التاريخ اللهم سوى ، مؤامرة ضم واحة أم الرشراش المصرية إلى الطغمة الإسرائيلية التي أنتزعت أم الرشراش من أمها مصر عام 1949 (□).

.. وهكذا فعلت إيطاليا حيث انتزعت من مصر « واحة جغبوب المصرية » والتي تبلغ مساحتها 40 ألف ميل من الأراضي المصرية لصالحها عنوةً واقتداراً بموافقة ومباركة بعض قدمى المصريين السياسيين . حيث كانت إيطاليا احتلت آنذاك ليبيا عام 1911 . أخذت إيطاليا تمهد لنشر نفوذها في ليبيا ففتحت المدارس الإيطالية المجانية في ليبيا. وبعد الاحتلال أصرت على ضم واحة جغبوب المصرية إلى ليبيا (أى إلى إيطاليا التى تصوّرت أن احتلالها لليبيا سيدوم إلى الأبد) وتم ذلك بالتواطؤ مع الاستعمار البريطانى رغم أن القائم بالأعمال الإنجليزى فى تركيا أرسل مذكرة إلى الحكومة العثمانية بناءً على اقتراح كرومر قال فيها (مما لا جدال فيه أن حدود مصر الغربية تبدأ من رأس جبل السلوم ثم تتجه إلى الجنوب والجنوب الغربى لتضم سيوه وجغبوب، وحتى الآن لا توجد نقطة لتركيا قرب الحدود المصرية إلا ميناء طبرق على بُعد نحو 60 ميلا غرب السلوم) وهو الأمر الذى أكده السفير البريطانى فى مصر فى مذكرة برقم 896. هذا الموضوع الهام

(1) المرجع السابق.

(2) المستشار محمد مرشدي بركات هموم مصرية وتبقى مشكلة أم الرشراش المصرية دار المعارف

كان محل اهتمام من المرحوم الأستاذ الصحفي « محسن محمد » فأصدر عنه كتابه القيم (سرقة واحة مصرية) .

.. ففي يوم 24 يوليو 1911 أعلن وكيل وزارة الخارجية الإيطالية بمجلس النواب في روما أن واحة جغبوب تنتمي إلى ليبيا وكان ذلك قبل أربعة شهور من الغزو الإيطالي لليبيا. والتزم الإنجليز الصمت. بينما محمد على عين حاكمًا مصريًا على واحة جغبوب وفرض الضرائب لأنها جزء من أرض مصر. وفي الخريطة المحفوظة بالمتحف البريطاني توجد جغبوب كجزء من أرض مصر. وهذه الخريطة وُضعت بين عامي 1770، 1860. وتم تلوين جغبوب باللون المصري في جميع الخرائط الجغرافية. وواحة جغبوب تقع شمال غرب سيوه، وتبعد عنها بنحو 125 كم .

.. في 27 سبتمبر 1911 وجّهت إيطاليا إنذارًا إلى تركيا أعلنت فيه أنها قرّرت إحتلال ليبيا . استسلمت تركيا ووقعت معاهدة أوشي (لوزان) للصلح مع إيطاليا في أكتوبر 1912. قامت الحرب العالمية الأولى عام 1914 وتطلعت بريطانيا لإيطاليا والدور الذي ستلعبه في الحرب ، نظرًا لأنّ إيطاليا ظلت حليفة لألمانيا والنمسا 30 سنة. وأنّ دخول إيطاليا في الحرب لصالح هاتين الدولتين ضد بريطانيا وفرنسا سيؤدى إلى تغيير ميزان القوى في الحرب. لذا بدأت بريطانيا جذب إيطاليا لصفها. وكان لابد من تقديم الوعود لإيطاليا لإغرائها.

.. وفي 25 مايو 1916 أوفد المعتمد البريطاني الكولونيل « تالبوت » إلى ليبيا للتفاوض مع السنوسيين واستمرت المفاوضات حتى إبريل 1917 ونصّت المادة الرابعة من الاتفاق على أن يتولى الملك محمد إدريس الأول 12 مارس 1890 م 25 مايو 1983 م هو أول حاكم لليبيا بعد الاستقلال عن إيطاليا وعنقوات الحلفاء في 24 ديسمبر/كانون الأول 1951 م وحتى 1969 م. وهو من العائلة السنوسية، من سلالة محمد بن

علي السنوسي، مؤسس الطريقة السنوسية . وورث موقع جده إدارة واحة جغبوب المصرية على ألا يُسمح للسنوسيين أن يقيموا في سيوة أو جغبوب . وفي 30 مايو 1919 كتب اللورد ملنر مذكرة قال فيها (فيما يتعلق ببريطانيا فقد وافقت على إعطاء إيطاليا كل ما تريده في ليبيا (محفوظة بدار الوثائق البريطانية) أى تعديل الحدود المصرية الليبية على حساب مصر .

.. ويرجع السبب في ذلك .. لكثرة اختلاطهم قبل انتزاع طرابلس من يد تركيا بأهالي تلك المناطق ، وتعاملهم معهم وأخذهم بأسباب التجارة وأساليبيها مع تجار المغرب ، وعلى نمطهم ..!!

.. لذا كانت إيطاليا منذ وضعت قدمها في طرابلس ، تحلم دائماً بضم « سيوة » إلى « برقة » ، وكذا « جغبوب » ، وقد فازت بالثانية منذ عهد غير بعيد . وظفرت بالأولى في خلال الحرب العالمية الثانية .. ولكن إلى حين .. !!

.. أما كيف تم لهم ذلك .. فهذا ما قصدت إلى إثباته في هذا الباب .

.. (30 يونيو سنة 1942) أصبح الناس ، فإذا هم يشاهدون على غير العادة . بعض الجنود من جيش الحلفاء ، يضرمون النار في مخازن البنزين ، وبعض المؤسسات الحربية في « الواحة » فأدركوا « مما يرون أنهم يزمعون الرحيل .. كما أرتحل من قبلهم كثيرون !

.. وعلى غير العادة . بعض الجنود من جيش الحلفاء ، يضرمون النار في مخازن البنزين ، وبعض المؤسسات الحربية في « الواحة » ، فأدركوا مما يرون أنهم يزمعون الرحيل . كما أرتحل من قبلهم كثيرون !

.. فقد بدأت القوات الإنجليزية في الانسحاب من (سيوة) في العشرين من يونيو سنة 1942 على التوالي .. حتى إذا ما أنتصف اليوم الثلاثون منه ، كانت آخر فصيلة تغادر (الواحة) مخلفة إياها .. وليس بها غير بضع بنادق عتيقة ، ومع كل

بندقية جندي محلي من قوة البوليس ، يحمل عددًا من الطلقات ، لا تكفيه
لاصطياد أرنب بري ..!!

.. وهذه البنادق العتيقة التي لا تصل طلقاتها إلى مرمى النظر ، وهؤلاء الجنود
قليبي العدد ، ستواجه (الواحة) العزلاء ، جيش الغزاة اللجب ، الذي يتقدم على
الساحل نحو « الإسكندرية » بما معه من عدد وعدة .

.. وانقطعت بالواحة السبل ، فأسلاك التليفون لم تعد متصلة بينها وبين بلاد
القطر ، وجهازات اللاسلكي حملها المنسحبون معهم .. والطريق الممهّد سد
عليهم ، ولم يعد لهم من سبيل يستطيعون اجتيازه . نحو البلاد ، إلا طريق «
الواحات البحرية» وإنه لطريق وعر المسالك غير مأمون ..!!

.. وهكذا .. أصبحت الواحة بمعزل عن العالم أجمع ، فأستولى على الأهالي
والموظفين ، لون من القلق والأضطراب النفسي والفكري ، وباتوا وهم يتذكرون
ظلم الطليان واستبدادهم وما ارتكبوه من جرام في « طرابلس » و« برقة » ، وكأنما
الزمان قد راح يعيد على أسماعهم ، صيحات الغضب والفرع ، التي ترددت
أصداءها في آفاق العالم الإسلامي ، صيحات ذلك اللبيين ، الذين لا قوا على أيدي
هؤلاء القساة ، ما لم يلقه أحد من التعذيب ، حتى ولا من وقعوا في إسار القبائل
الهمجية ، في أواسط أفريقيا .. وسرعان ما أنتصب أمام أعينهم شبح ذلك الشيخ
المهيب ، فارس الصحراء الأوحّد ، وبطلها المغوار «عمر المختار» .

.. ودفعهم الخوف مما هم مقبلون عليه ، أو هو مقبل عليهم ، من هول .. لأن
يتذكروا فيما بينهم ، أقاصيص إخوانهم اللبيين ، الذين هاجروا إلى الواحة . فراراً
من طغيان الطليان وتعسفهم ، وأقاموا فيما بينهم حيناً من الدهر ، ، أخذين
بأسباب التجارة معهم ثم هجروا الواحة ، وهاجوا ثانية ، إلى مكان قصي في وادي
النيل . إمعاناً منهم في الحذر من غدر أولئك الفجرة الكفرة .. لما أن ظهرت في
الأفق بوادر ما سوف يكون لتقدم الغزاة المطرد على الساحل من نتاج .. خوفاً من

أن يقعوا في قبضتهم لثاني مرة .. فتكون القاضية !.

.. والتفت المجاهد «ابن قوبرش» فرأى الموقف المحزن وصاح في إخوانه الذين شقوا الطريق للخروج من الحصار قائلاً : «الحاجة التى تنفع عَقبَت ، أي تخلفت» . فعادوا لتخليص قائدهم ولكن رصاص الطليان حصد أغلبهم ، وكان «ابن قوبرش» أول من قتل وهو يحاول إنقاذ الشيخ الجليل وهجم جنود الطليان على الأسد الجريح دون أن يعرفوا شخصيته في البداية ، وتم القبض عليه وتعرف عليه أحد الخونة ، وجاء «الكمندتور داود ياتشى» متصرف درنة ليتعرف على الأسير وبمثل سرعة البرق نقل عمر المختار إلى ميناء سوسة محاطا بعدد كبير من الضباط والجنود الإيطاليين وأخذت كافة الاحتياطات لحراسة جميع الطرق والمواقع القريبة لتأمين وصول المجاهد العظيم إلى سوسه ، ومن ثم نقل إلى بنغازي عن طريق البحر .

.. يقول جراسياني في مذكراته :

.. فى صباح يوم (11 سبتمبر 1931 م) وصل الخبر برقيًا إلى الحكومة من متصرف الجبل هذا نصًا : (بالقرب من «سلطنة» فرقة الفرسان (الصوارى) قبضت على وطنى وقع من على جواده أثناء المعركة وقد تعرف عليه عساكرنا بأنه عمر المختار ، ونظرا للخبر المهم ومن أجل والتأكد والتحقق أمرت الحكومة متصرف الجبل الكومندتور (الوجيه داود ياتشى) فجهزت طائرة خاصة لنقله إلى (سلطنة) على الفور للتعرف على شخصية الأسير وثبت هويته أن كان هو زعيم المجاهدين عمر المختار وتأكد متصرف الجبل من أنه عمر المختار ، وسرى الخبر سريان البرق ، وصدرت الأوامر بنقله إلى سلطنة ومنها إلى سوسة تحت حراسة شديدة حيث وصلها عند الساعة عشر من مساء اليوم سبتمبر 1931م دون أى عائق أو حادث أثناء الطريق من سلطنة إلى سوسة مكث هناك فى انتظار الطراد الحربى (أورسينى) الذى تحرك من بنغازى خصيصا ليعود بالأسير إلى

بنغازى ، وفي الرحلة تحدث معه بعض السياسيين التابعين لإدراتنا ووجهوا إليه الأسئلة ، فكان يجيب بكل هدوء وبصوت ثابت وقوى دون أى تأثر بالموقف الذى هو فيه وفي (يوم 12 سبتمبر 1931 م) عند الساعة عشر وصل الطراد أورسينى إلى ميناء بنغازي حاملاً معه الأسير عمر المختار .

.. وقال أيضا : هذا الرجل أسطورة الزمان نجا آلاف المرات من الموت ومن الأسر ، اشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام ؛ لأنه الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية الإسلامية في برقة ، وذلك كان المنظم للقتال بصبر ومهارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة والآن وقع أسيراً في أيدينا .

.. وهذا الإعراف من «جراسياني» في مذكراته بأن عمر المختار قائد المعارك ردحاً طويلاً واعترف بأنه يتبوأ من أتباعه مكانة عالية جداً ، وإنه الرأس المفكر والقلب النابض للجهاد الإسلامي المقدس في برقة ، ثم الصبر والمهارة التى لا مثيل لها فهذا اعتراف من الجنرال جراسيانى خريج الكليات الحربية والأكاديمية العسكرية وله تجارب طويلة في حرب الاحتلال إلى الحرب العالمية الأولى حتى لقبه بنو قومه بلقب أسد الصحراء والفضل ما شهدت به الأعداء .

.. ثم يردف قائلاً :

.. عمر المختار كرئيس عربي مؤمن بقضية وطنه وله تأثير كبير على أتباعه مثل الرؤساء الطرابلسيين يحاربون بكل صدق وإخلاص ، أقول ذلك عن تجارب مرت بى أثناء الحروب الليبية، وكان عمر المختار من المجاهدين الكبار ، لما له من مكانة مقدسة بين أتباعه ومحبيه ، أن عمر المختار يختلف عن الآخرين فهو شيخ متدين بدون شك ، قاس وشديد التعصب للدين ، ورحيم عند المقدرة ، ذنبه الوحيد أنه يكرهنا كثيراً ، وفي بعض الأوقات يسلط علينا لسانه ويعاملنا بغلظة، كان دائماً مصاداً لنا ولسياستنا في كل الأحوال لايلين ابداً ، ولا يهادن إلا إذا كان الموضوع في صالح الوطن العربى الليبى ، ولم يخن أبداً المبادئ التى

ترسمها لنفسه التي تحدث منه في غير صالحنا .

.. ثم يذكر قائلاً :

.. أما عن وصف عمر المختار فهو معتدل الجسم عريض المنكبين شعر رأسه ولحيته وشواربه بيضاء ناصعة ، يتمتع بذكاء حافر وحاد ، كان مثقفا علميا ودينيا ، وله طبع مندفع ، يتمتع بنزاهة خارقة لم يحسب للمادة أى حساب متصلب ومتعصب لدينه ، وأخيرا كان فقيرا لا يملك شيئا من حطام الدنيا إلا حبه لدينه ووطنه رغم أنه وصل إلى أعلى الدرجات حتى أصبح عقلا كبيرا للسوسية كلها، وهذا وصف دقيق يدل بوضوح على عظمة المختار وامكاناته الذاتية التي وهبه الله فتقلد بسببها أمبر المناصب وخاض أكثر المعارك وصفه عدوه بصفات الورع والتدين ومثقف ثقافة دينية وعلمية ، وصفه بشدة المراس والصبر على الشدائد .

.. وعندما وصل الأمير إلى بنغازى لم يسمح لأى مراسل جريدة أو مجلة بنشر أخبار أو مقابلات وكان هناك مئات من المشاهدين عند نزوله في الميناء ولم يتمكن أى شخص مهما كان مركزه أن يقترب من الموكب المحاط بالجنود المدججين بالسلاح ونقل فوق سيارة السجن تصحبه قوة مسلحة بالمدافع الرشاش حيث أودع في زنزانة صغيرة خاصة منعزلة عن كافة السجناء السياسيين وتحت حراسة شديدة وجديدة ويقول مترجم كتاب البرقة الهادئة الأستاذ إبراهيم سالم عامر : كنت من الذين أسعدهم الحظ على أن يتكلموا مع بطل الجهاد عمر المختار أثناء قيامه في في السجن فقد أوقفوا كل الأهالي المعتبرين في مراكز الأمن والسجون وكان نصيبى في سجن بنغازى المركزى وعندما أتوا بعمر المختار غيروا الحراس المحليين بحراس إريتريين والموظفين بالاطاليين من الحزب الفاشيستي ، وبعد أن أودعوه في الزنزانة كان هناك سرير من خشب وقماش وعلى الأرض قطعة من السجاد البالى لأجل وضه الرجلين عليه فسحبها الشهيد بقرب الجدران وجلس عليها واستند على الجدران ومد رجليه إلى الإمام وعندما كان مدير السجن يتجول

على زنانات السجناء رأى الشهيد جالساً على الأرض ولم يستطع أن يسأله لماذا هو جالس على الأرض، لأن المدير لا يعرف العربية فناداني من السجناء السياسيين وطلب مني أن أترجم سؤاله فسألت الشهيد ، فأجاب بصوت هادر كالأسد الهصور : قل له أنا أعرف أين أجلس لا يحملهما فهذا ليس من شأنه ، فترجمت الكلام فانصعق المدير واصفر وجهه وقال : هيا ارجع إلى مكانك بلهجة الأمر غير أن قلبي كاد يطير من صدرى فرحاً عندما سمعت هذه الإجابة القاطعة .
رحم الله عمر المخترار كما كان عظيماً وهو قائم وأعظم وهو أسير .

.. ويقول جراسياني الجنرال الإيطالي الطاغية :

.. وأثناء الرحلة من «سوسة» إلى بنغازى أعطى لنا معلومات هامة عن كيفية سقوطه في الأسر والقبض عليه قائلاً : عندما قرب جواده وسقط على الأرض فجرحت يده اليمنى مما سببت له بعض التشقق في عظام ذراعه ورغم هذا الألم حاول جر نفسه لبيتعد ويختفي في أحد الشجيرات التى فى الغابة ، ولكن فرقة الفرسان حالت بينه وبين غرضه ، وقد تعرف عليه أحد الصواري من فرقة الفرسان وسرعان ما أحاطت به قوتنا ، وقد تأسف كثيراً أثناء حديثه بأن رفاقه حاولوا إنقاذه بكل وسيلة ، وقد ضاع منهم بعض الرفاق ولكن الكثرة حالت دون بغيتهم كذلك قلة الذخيرة لها عاملها الأسمى فى عدم إنقاذى وأثبت كذلك أن وقوعه فى الأسر لا يعنى توقف الثورة وإجهاذ ، بل هناك أربعة من القادة يحلون محلى : وهم الشيخ حمد بن موسى ، عثمان الشامى ، وعبد الحميد العبار ، يوسف بورحيل المسمارى ، وهذا الأخير هو أقربهم إليه لأنه كان دائماً بجانبه ، ولقد بالغ كثيراً بالنسبة لعدد الجنود فقد قال : أن دوره يتكون من (500 مقاتل عادى ، 400 فارس) ، واستطرد قائلاً شارحاً أن وقوعه فى الأسر لا يؤثر ولا يغير سير القتال أو وضع الدور ، بل سيزداد قساوة ، ثم أضاف : إنى أحارب الإيطاليين الفاشيستيين لا لأنى أكره الشعب الإيطالى ، ولكن دينى أمرنى بالجهاد فيكم لأنكم أعداء الوطن .

.. قلت : لكن قول «غراسياني» أن عمر المختار لا يبغض الشعب الإيطالي فهذا ادعاء منه ، وأما قول عمر المختار ديني أمرني بقتالكم فهذا الذي يليق بحاله .

.. واستطرد غراسياني في كتابه « برقة الهادئة» قال : لقد قال عمر المختار كلمات تاريخية : أن وقوعي في الأسر تأكيد بأمر الله وسابق في علمه سبحانه وتعالى، والآن أنا بين يدي الحكومة الإيطالية الفاشيستية وأصبحت أسيراً عندها والله يفعل بي ما يشاء ، أخذتموني أسيراً ، ولكم القدرة أن تفعلوا بي ما تشاءون ، والذي أريد أن أقول بكل تأكيد لم أفكر في يوم من الأيام أن أسلم نفسي لكم مهما كان الضغط شديداً ، ولكن مشيئة الله أرادت هذا فلا راد لقضاء الله .

.. وهذه بعينها عقيدة القضاء والقدر هي من أركان الإيمان ، وقد تجسدت في حياة عمر المختار قد كتب عليه ألا يحزن ولا ييأس .

.. أراد « الكمنداتور رينسي » «السكرتير العام لحكومة برقة » : في أمسية الرابع عشر من سبتمبر أن يقحم الشارف الغرياني في موقف حرج مع عمر المختار وهو في السجن وأبلغ الشارف الغرياني المختار طلب مقابلتك والحكومة الإيطالية لا ترى مانعا من تلبية طلبه ، وذهب الشارف الغرياني إلى السجن لمقابلة الشيخ الجليل وعندما التقيا خيم السكون الرهيب ولم يتكلم المختار فقال « الشارف الغرياني» هذا المثل الشعبي مخاطباً به السيد عمر « الحاصلة سقيمة والصفير ما يتخبل » وما كاد المختار يسمع المثل المذكور حتى رفع رأسه ونظر بحدة إلى الشارف الغرياني وقال له : الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، وسكت هنيهة ثم أردف قائلاً : رب هب لي من لدنك رحمة وهيب لي لنا من أمرنا رشداً ، إنني لم أكن في حاجة إلى وعظ أو تلقين إنني أو من بالقضاء والقدر ، وأعرف فضائل الصبر والتسليم لإرادة الله ، إنني متعب من الجلوس هنا فقل لي ماذا تريد؟ ، وهنا أيقن الشارف الغرياني بأنه غرر به فزاد تأثره وقال للمختار : ما وددت أن أراك هكذا ، ولقد أرغمت نفسي للمجئى ببناء على طلبك .. فقال الشيخ الجليل والجيل

الشامخ: أنا لم أطلبك ولن أطلبك أبداً ولا حاجة عند أحد، ووقف دون أن ينتظر جواباً من الشارف الغرياني، وعاد الأخير إلى منزله وهو مهموم حزين، وقد صرح بأنه شعر في ذلك اليوم بشيء ثقيل في نفسهما شعر به طيلة حياته مثل الشارف الغرياني عن نوع الثياب التي كان يرتديها عمر المختار أهى ثياب السجن أم قياب تلك التي وقع بها في الأسر ، كان جوابه هو البيتان الآتيان مستشهداً بهما:

عليه ثياب لو تقاس جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرها
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبرها

.. وفي يوم 16 سبتمبر من صباح يوم الأربعاء من سنة 1931 م عند الساعة التاسعة صباحاً نفذ الطليان في «سلوق» جنوب مدينة بنغازى حكم الإعدام شنقاً فيشيخ الجهاد وأسدالجبل الأخضر بعد جهاد طويل ومرير.

.. ودفعت الخسة بالإيطاليين أن يفعلوا عجباً في تاريخ الشعوب، وذلك أنهم حرموا على أن يجمعوا حشداً عظيماً لمشاهدة التنفيذ فأرغموا أعيان بنغازى ، وفي عدداً كبيراً من الأهالى من مختلف الجهات على خضوع عملية التنفيذ فحضر ما لا يقل عن عشرين ألف نسمة ، على حد قول غراسياني في كتاب (برقة الهادئة) .

.. ويقول الدكتور العنيزى : « لقد أرغم الطليان الأهالي والأعيان المعتقلين في معسكرات الاعتقال والنازليين في بنغازى على حضور المحاكمة، ومشاهدة التنفيذ وكنت أحد أولئك الذي أرغمهم الطليان على المحاكمة ، ولكنى وقد استبد بى الحزن شأنى في ذلك شأن سائر أبناء بلدتى ، لم أكن أستطيع رؤية البطل المجاهد على جبل المشنقة فمرضت، ولم يعفنى الطليان من حضور التنفيذ في ذلك اليوم المشؤم ، إلا عندما تيقنوا من مرضى وعجزى عن الحضور .

.. ويا لها من ساعة رهيبية تلك التى سار المختار فيها بقدم ثابتة وشجاعة نادرة وهو ينطق بالشهادتين إلى جبل المشنقة ، وقد ظل المختار يردد الشهادتين .

.. وإن كان صحيحاً لكل إنسان مفتاح لشخصيته ، فإن مفتاح شخصية عمر المختار الفذة إنه آمن بالله واستقرت معانيه في قلبه فأصبح لا يخشى إلا الله ، وهذا الصنف من المسلمين هو أقوى ما عرفته البشرية وهو الإنسان الحر في أعلى معاني الحرية .

.. فقد جرد قلبه من الأوهام ومن الضرار ، ومن الشبهات والشهوات ، وكان كثير المراقبة بالله ، ومن هنا كان شديد الخوف من الله ، يعلم إنه شديد العقاب .. ولذلك كان راسخاً كالجبل الأشد (□) مع أن محاكمته تمت أمام محكمة هزلية لا تغني ولا تثمر من جوع خرقت صميم القانون حتى أنه أطلق عليها « اسم المحكمة الطائرة » .

.. ونعود إلى واحة جغبوب ..

.. اعترف السنوسى فى إبريل 1917 بأن جغبوب هي جزء من مصر. وفى مذكرة لوزارة الحربية البريطانية فى 28 مارس 1917 جاء بها (إن بقاء جغبوب داخل الحدود المصرية من الناحية الاستراتيجية يعتبر ذا أهمية كبيرة) وفى مذكرة فى 19 يونيو 1919 من رئاسة أركان القوات البريطانية فى مصر جاء بها يدخل قطاع (ك) غرب السلوم ضمن حدود مصر لإعطاء عمق للدفاع عن السلوم. وعلى أن تدخل واحد جغبوب والآبار الواقعة إلى الغرب ضمن الحدود المصرية، فهذا هو أفضل موقع لمواجهة أى تحرك ضد سيوه من الغرب) رغم ذلك فإن بريطانيا غيرت موقفها ، وكان الثمن الذى طلبته مقابل التنازل عن أرض مصرية هو أن تعترف إيطاليا بالحماية البريطانية على مصر، فأرسل السفير الإيطالى فى لندن إلى وزارة الخارجية البريطانية يوم 16 أكتوبر 1919 رسالة جاء بها أن الحكومة الإيطالية

(1) راجع عمر المختار الأشهب ، وبرقة الهادئة لإبراهيم سالم ، و حياة عمر المختار مشار إليها فى الدكتور « علي محمد الصلابي » كتاب الثمار الزكية للحركة السنوسية فى ليبيا ، وكذلك « محسن محمد » واحة جغبوب .

مستعدة للاعتراف بالحماية البريطانية على مصر. وكان من ضمن ضغوط إيطاليا على بريطانيا إعلان إيطاليا أنها تشجع الثورة في مصر. وفي 9 إبريل أصبح الاتفاق على سرقة الواحة المصرية ملزمًا لمصر. وبعد أن اشتدت الثورة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي أعلن الجنرال فاكللي الإيطالي أن (جغوب لازمة لإيطاليا في حكم ليبيا) وفي 24 أغسطس أبلغ وزير إيطاليا المفوض وزارة الخارجية المصرية بأن حكومته علمت أن جغوب تستعمل كقاعدة لتموين الثوار. وطلب من مصر منع ذلك. وهذا اعتراف صريح بأن الواحة مصرية.

.. شنت الصحف المصرية حملة ضد إيطاليا فقدّم الوزير الإيطالي المفوض احتجاجًا إلى وزارة الخارجية المصرية. ولكنه قال (ليس في نية إيطاليا إحتلال جغوب) ونظرًا لأن الحكومة المصرية لم تتخذ موقفًا مبدئيًا ضد رغبة إيطاليا في إحتلال جغوب، فإن صحيفة السياسة هاجمت الحكومة المصرية على موقفها المتخاذل. وقال موسوليني أنه (إذا فشلت إيطاليا في الحصول على موافقة مصر على إتفاقية ملنر فإنها ستحتل جغوب بالقوة) ودخلت الصحافة الإيطالية المعركة ضد الصحافة المصرية. فكتبت معظم الصحف المصرية أن (الأهالي أعربوا عن رغبتهم في أن يكونوا تحت سلطة الحكومة المصرية وطلبوا إرسال جنود مصريين إلى جغوب) وشنت صحيفة الأخبار وصحيفة الحزب الوطني هجومًا حادًا على إيطاليا وكتبت صحيفة البلاغ أن جغوب مصرية ولايجوز التنازل عنها. ونشرت صحيفة السياسة مذكرتي مصر وإيطاليا عن الرسائل السرية المتبادلة وهاجمت المسؤولين المصريين. أدى دور الصحافة المصرية إلى أن صرّح زيورباشا أن الملك فؤاد (يعترض على التخلي عن جغوب) ومع ذلك فإن زيور تراجع وأعلن عن حل مؤقت وهو إقامة منطقة عازلة مؤقتة منزوعة السلاح حول جغوب لاتدخلها قوات البلدين. رفضت إيطاليا الاقتراح وتوغلت قواتها داخل حدود مصر. فعادت الصحف المصرية تشن الهجوم على الحكومة وكتبت صحيفة البلاغ الوفدية (نريد أن نعرف ماذا تصنع الوزارة في الاعتداء على الأراضي

المصرية. أن السلوم وجغوب هي أرض مصرية مثل القاهرة والإسكندرية. ولن نقبل أى اعتداء عليهما) ومن الأصوات الإنجليزية المتزنة الضابط بيل بك محافظ الصحراء الغربية الذى قال (جغوب هي مفتاح الدفاع عن مصر عن طريق سيوه فهى آخر مركز للتزود بالمياه. ومن العبث أن نقول أنه إذا صمدت السلوم فلن تجرؤ أية قوة على غزو مصر عن طريق جغوب أو سيوه. أن مصر لن تستطيع الاحتفاظ بالسلوم وحدها لأنه يمكن لقارب واحد أن يمزق دفاعات السلوم إربًا) وهونفس موقف الكابتن البريطانى ديكسون جونسون الذى ألقى خطابًا فى جمعية الشرق الأذنى أيد فيه حق مصر فى جغوب. وكتب أريك فيليبس السفير البريطانى فى باريس إلى وزارة الخارجية البريطانية عن أسباب تردد إسماعيل صدقى فى الموافقة على طلب إيطاليا أنه (بخشى أن يكون المسئول عن التفاوض الذى من شأنه أن تضيع من مصر واحة جغوب التى تضم مقبرة لأحد الفراعنة العظام) وذكر محسن محمد أن صدقى باشا كان معارضًا بعناد بخصوص الاستيلاء على جغوب. وأنّ الملك فؤاد رفض أن يُستدرج إلى ما يعتبره مسئولية غير شعبية. وتمثلت الكارثة فى بعض السياسيين فى حكومة زيور الذين وافقوا على منح الواحة لإيطاليا، رغم المعارضة القومية من كافة القوى الوطنية. وبناءً على التواطؤ البريطانى الإيطالى تنازلت بريطانيا عن مثلث فى أراضى السودان ومصر عرف باسم (معطن ساره) فأخذت إيطاليا هضبة السلوم والبردية وسيدى هارون وواحات ملفا وأركنر ونصف العوينات وجغوب، أى مساحة 40 ألف ميل من مصر، و50 ألف ميل من السودان.

.. وهذه الواحة المنهوبة هي الأخرى من مصر على يد بعض (زعمائها الحمقى الجهلاء).. وهي قرية « أم الرشراش » المصرية التى أختلستها إسرائيل من مصر فى غفلة من الزمن وملكيته ثابتة فى حق مصر بجميع المستندات الرسمية والوثائق الدولية .. ألم يأن الآوان لكى تنهض مصر فى سبيل استرجاعهما

من الغاصبين لهما بسند من أحكام القانون الدولي وبمقتضى المواثيق الدولية؟! .

.. وبرغم الجرائم الرهيبة التي ارتكبتها العصابات الصهيونية إبان احتلال أم الرشراش وقتل الجنود المصريين، واحتلالهم أرضا مصرية . فإن هذه القضية تم التكتم عليها باستثناء بعض الجهود الشعبية والوطنية التي حاولت استرداد الحق المصرى فى الأرض وحساب المجرمين عن الدم الذى سفك، فمثلا تشكلت الجبهة الوطنية لاستعادة أم الرشراش من عدد من الشباب الوطنيين عام 1997 بغرض فتح هذا الملف، وهناك من أقام دعوى قضائية لتحريك هذا الملف دوليا .

.. من خلال البحث فى هذه القضية وجدت بعض المهومين الذين قاموا بالتنقيب لإثبات الحق المصرى، مثل الدكتور مصطفى النشرى أستاذ الاقتصاد الذى لم يركن إلى تخصصه الاقتصادى، وإنما انشغل بهذه القضية، وأعد حزمة من الأبحاث والدراسات حولها ، مصرًا على أن جميع الدلائل تشير إلى مصرية أم الرشراش، كما رصد بعض المناطق الحدودية مع السودان وليبيا وغيرها الذى يصير على أنها مصرية .

.. ولم استغرب بالطبع اهتمام المهندس أحمد بهاء شعبان، بقضية أم الرشراش، فهو جزء من الحركة الوطنية منذ أن كان طالبا فى كلية الهندسة فى حقبة السبعينيات، وأصبح رئيسا لأحد الأحزاب السياسية الحالية التى تمتلك رؤيا للقضايا الوطنية كما لم أندعش لاهتمام الأستاذ الدكتور السفير عبد الله الأشعل أستاذ القانون الدولى ومساعد وزير الخارجية الأسبق الذى وضع ورقة بحثية حول أم الرشراش، وكذلك تيران وصنافير مبينا أنها مناطق مصرية ، وعندما زرنا طابا من أشهر قليلة خلت شاهدت قرية أم الرشراش المصرية التى أطلقت عليها إسرائيل « إيلات » واستبد بي الألم عندما رأيت أرضا مصرية تسرقها القوات الإسرائيلية.

.. وقبل أن نستطلع آراء المفكرين الثلاثة فإن القراءة التاريخية تشير بالفعل إلى
مصرية هذه القرية، وقد تصفحنا عددا من الكتب والمراجع التاريخية، فالنتائج
تشير إلى أن أم الرشراش أو المرشوش ترجع تسميتها إلى إحدى القبائل العربية
التي قطنت بها في العصر الإسلامي وسميت بمدينة الحجاج، وقد سقطت في أيدي
الصلبيين وحررها صلاح الدين الأيوبي وطردهم منها عام 1267م نهائيا وأقام
السلطان الفوري عليها قلعة لحمايتها كميناء مهم لمصر، وظلت هكذا إلى أن تولى
حكم مصر محمد علي 1805 وثار على الباب العالي واستولى على الحجاز ونصب
نفسه حاميا للحرمين الشريفين، ثم ثار صراع ما بين الدولة العلوية (محمد علي)
والدولة العلية (العثمانية) وبرغم أن الدولة العثمانية استردت الحجاز، فإن
القوات المصرية ظلت موجودة بقلاع الحجاز والمويلح الوجه وقلعة العقبة
وقلاع سيناء كقلعة النخيل لحماية درب الحجاج أو مدينة الحجاج، ولما أهمل
درب الحجاج البرى عبر سيناء بعد تحوله للطريق البحرى، طالبت الدولة
العثمانية محمد علي بقلاع الحجاز فسلمها محمد علي لهم، وكان آخرها قلعة
العقبة. بعدها أصدر السلطان العثماني عبد الحميد فرمانا بضم منطقة العقبة
للأراضي الحجازية، وبقيت أم الرشراش وطابا ورأس النقب تحت الحكم
المصرى، فيما سمى بفرمان 1892م، مع ولاية إبراهيم باشا. كما أصدر
السلطان العثماني فرمانا بأن تؤول ولاية مصر لأكبر أبناء محمد علي من الذكور،
مع إعطاء مصر حق إدارة بعض المدن الخارجة عن حدودها مثل العقبة وضبا
والمويلح، لتأمين طريق الحج البرى، وظل الأمر كذلك حتى عهد الخديوي
عباس حلمى الثانى وأراد أن ينزع السلطان منه سيناء غير أن هذا الأمر لم يتم.
وعلى إثر ذلك تم توقيع اتفاقية ترسيم الحدود عام 1906م، وعندما حدث
انفصال للأردن عن الحجاز وأصبحت لها سيادة مستقلة، لم يتغير وضع الحدود
مع مصر فكانت العقبة وأم الرشراش نقطتى الالتقاء ما بين مصر والأردن، وظل
هذا الوضع حتى عام 1948م. حيث قامت العصابات الصهيونية بالاستيلاء على

أراضى فلسطين ثم اتفاق الهدنة في 24 فبراير و20 يوليو سنة 1949 م. وبعد انسحاب الحامية الأردنية التي كانت خاضعة للجيش الإنجليزي، دخلت العصابات الصهيونية وقامت باحتلالها.

.. في البداية أجمل المهندس أحمد بهاء شعبان رئيس الحزب الاشتراكي المصري القضية على النحو التالي إذ قال: قرية أم الرشراش هي مصرية خالصة بموجب فرمان رسم الحدود مع فلسطين سنة 1906 م وأم الرشراش مساحتها كيلو متر ونصف الكيلو متر تقريبا وتقع بين مدينة العقبة الأردنية وطابا المصرية، أى تقع في أقصى الجنوب من فلسطين، وبدأ احتلال أم الرشراش من قبل إسرائيل في 10 مارس 1949 م، حيث استغلت العصابات الصهيونية الهدنة وانسحاب القوات الأردنية بأوامر من بريطانيا، وباغتت الحراسة المصرية التي كان قوامها 350 ضابطا ومجندا من حرس الحدود وارتكبت مجزرة بشعة للغاية، حيث قامت بقتل جميع الجنود المصريين آنذاك ودفنهم في مقابر جماعية اكتشفت عام 2005 م، وبعد ذلك تم بناء إيالات على أنقاض قرية أم الرشراش سنة 1952 م والتي تزعم إسرائيل أنها جزء من الأراضى الصهيونية المقدسة وأنه قد ورد اسمها بالتوراة في خمسة مواقع، وهو محض افتراء، فقد أثبت اثنان من العلماء الإسرائيليين المتخصصين في الجغرافيا وهما، إفرام ومناحيمتلي، عكس ذلك في كتابهما «معجم كل أراضى فلسطين» حيث أكدوا أن المدينة المقدسة التي تسمى «أيلا» لا تمت بأى صلة للموقع الحالى لإيالات أو أم الرشراش، وإنما هي موقع يبعد نحو 9 كيلو مترات في الداخل الفلسطيني وأنشئت عليه سنة 1918 م مستعمرة تحصل عليها البارون مورسيرش، أحد الجنرالات الصهاينة.

.. ويقول بهاء شعبان: أم الرشراش مصرية كاملة التبعية لمصر وتم اغتصابها بشكل ما، حتى يتسنى لإسرائيل وجود ممر مائى يطل على البحر الأحمر وإنشاء ميناء لأغراض الاستيراد والتصدير وتشبيد مدينة سياحية ومطارين .

.. وعندما ننظر إلى خريطة أم الرشراش نجدها تقع على القمة الشمالية لخليج العقبة فهذه المنطقة على درجة عالية من الأهمية الإستراتيجية فمن يسيطر عليها، يسيطر على خليج العقبة ومن الناحية التجارية يصبح له منفذ على البحر الأحمر والارتباط بالشرق الأقصى ومن غيرها كان لا يمكن لإسرائيل أن يكون لها موطئ قدم على البحر الأحمر، وتوجد الآن دعوى قضائية مرفوعة برقم 29277 من أجل استعادة أم الرشراش ونطالب بتشكيل لجنة قومية عليا من الخبراء والقانونيين استعدادا لتقديم ملف أم الرشراش للتحكيم الدولي.

وقال شعبان: أرى أننا كمصريين فرطنا كثيرا في حقوقنا وأراضينا التي سلبتها إسرائيل، حيث سرقت ثروات سيناء على مدار سنوات الاحتلال من بترول ومعادن وآثار. ولم نطالب نحن بمليم من حقوقنا نظير تلك الثروات المنهوبة على الرغم من أن القانون الدولي يتيح لنا ذلك. أيضا نحن فرطنا في دماء الشهداء المصريين الذين سقطوا في 1956 و 1967 ومنذ 10 سنوات نشرت إسرائيل فيلما عن أسر وقتل جنود مصريين ودفنهم في حفر أحياء على يد السفاح شارون وحاولنا بكل الطرق أن ندفع الدولة بكل قوة لاتخاذ موقف من تلك الانتهاكات ولكنها رفضت وبشدة، والآن جاء الوقت لفتح ملف قضية أم الرشراش، فأنا لا أؤمن بوجود سلام مع معتصيين وقتلة ولصوص.

.. أما الدكتور مصطفى النشرتي فقد شرح البعد التاريخي فقال: لقد بدأت القراءة في هذا الموضوع منذ 15 عاما، وكانت هناك مؤشرات قوية على أن هذه القرية مصرية وبدأت أبحث في التاريخ حتى فترة الصليبيين فاكشفت الخيط الأول عندما قام صلاح الدين الأيوبي بنقل المراكب إلى ساحل طابا وقام بتحرير أم الرشراش، لأنه لا يمكن احتلالها من البر، إذ إنها محاطة بسلاسل جبلية لا يمكن اختراقها، وبنجاحه في استرداد قرية أم الرشراش وإنشاء قلعة جزيرة فرعون، استطاع هزيمة الصليبيين والقضاء على أسطولهم في البحر الأحمر، فهذه كانت

البداية التاريخية التي جعلتني أتابع تلك القضية، وعندما نعود إلى تاريخ مصر المعاصر واستقلال مصر عن الدولة العباسية في عهد الإخشيد، نجد أن مصر كانت مقسمة إلى كور أى محافظات بالمعنى الحديث، وكانت هناك كورة مدين وأيلا وهي أم الرشراش ومدين الساحل الشرقى لخليج العقبة. والأدلة التاريخية ثابتة حتى في أيام المماليك وحتى هدنة سنة 1948م ولم تكن أم الرشراش ضمن خطوط الهدنة مع الجانب الإسرائيلي، وإنما كانت توجد بها قوة أردنية بقيادة إنجليزية وهذا الجيش انسحب فجأة وترك المصريين في اشتباكات مع الجيش الإسرائيلي وقتل وأسر في هذه المعركة 400 جندي وضابط مصري، وظهرت المقبرة الخاصة بهم منذ قرابة ثلاث سنوات عندما كانوا ينقبون عن البترول ووجدوا بملابس الجيش المصري ومعهم القرآن الكريم وفي حرب 1948م احتلتها إسرائيل وظلت منذ ذلك الوقت حتى اليوم تحت سيطرة إسرائيل، لكن في الوثائق التاريخية هي أراض مصرية منذ آلاف السنين،

.. وفي كتاب المؤرخ عز الحكم بعنوان «فتوح مصر وأخباره» نجد فيه أن «أيلا» هي إحدى القرى المصرية التي يمر بها الحجاج المصريون في طريقهم للمدينة المنورة كما يوجد كتاب «أطلس تاريخ الإسلام» الذى ذكر كل هذه الوقائع وخريطة الدولة الإخشيدية وخريطة الدولة الطولونية خريطة دولة المماليك والدولة الأيوبية، وحتى خرائط الصليبيين كل هذه الوثائق والمعلومات تؤكد أن قرية أم الرشراش مصرية 100٪.

.. ويشير الدكتور النشترى إلى أنه لا يوجد جديد في الأفق حول مستقبل القضية، فمنذ مفاوضات طابا، وكما جاء على لسان الدكتور الباز في ندوة له بجريدة «الأهرام» قال: إن مصر لديها ملف كامل يدعم حتها في أم الرشراش، وأن الرئيس مبارك قد هدد إسرائيل انه إذا لم ينته موضوع طابا في الحال، فإنه سوف يقدم ملف أم الرشراش للتحكيم الدولى والحصول عليها. فصاعت القضية لأننا قد وقعنا اتفاقية السلام مع لمسراشيل. لكن القانون الدولى يعتبر مثل تلك الحقوق، حقوقا

للأمة، والأمة صال أجيال الحالية والأجيال المقبلة. ومن حقهم المطالبة بها لأن حقوق السيادة لا تسقط بمضى المدة حسب القانون الدولي.

.. ومن زاوية القانون الدولي والموقف السياسى، يؤكد الدكتور عبدالله الأشعل أن أم الرشراش أرض مصرية خالصة وفقا لوثائق الأمم المتحدة وفي مذكرات السياسيين المصريين والإسرائيليين .

.. وقد ذكرت العديد من المصادر أن أم الرشراش كانت تحرسها وحدة أردنية ضمن توزيع المجهود الحربى للدول العربية فى حرب 1948م باعتبار أنها قريبة من العقبة، لكن المصادر المصرية القديمة جميعها تؤكد أن أم الرشراش كانت قرية معزولة، وأن إسرائيل ظلت تحوم حولها لأنها كانت تريد لها مكانا على خليج العقبة، وقامت إسرائيل بطرد القوة المصرية الصغيرة التى كانت فى أم الرشراش، وكان من الواجب على القوات المصرية فى ذلك الوقت أن تمنع إسرائيل من الأساس من السيطرة على أم الرشراش حتى لاتجعل لإسرائيل موضع قدم فى البحر الأحمر، لكن مصر رأت أن ترسل جنودا إلى جزيرتى تيران وصنافير المصريتين لكى تمنع إسرائيل من المرور عبر مضيق تيران إلى البحر المتوسط، وهذه هى الغلطة التى دفعت مصر ثمنها كثيرا سواء فى المعركة الدبلوماسية فى الأمم المتحدة أم على الأرض فأم الرشراش أرضنا مصرية خالصة ترابا ودمًا .. فهل تعود إلى أمها مصر .. وتؤوب إلى حضن الوطن بعد أن أغار عليها المحتل الإسرائيلي على نحو ما سبق ذكره وبيانه ، كما كان الأمر مع واحة جغبوب المصرية التى استولت عليها إيطاليا عنوة واقتداراً وانتزعتها من أمها المصرية ؟.

بحر الرمال الأعظم

هو معلم من معالم الصحراء الغربية .

.. ولكن .. ماهو بحر الرمال الأعظم ؟

.. هو منطقه توجد في الصحراء المشتركة بين مصر وليبيا ويقول بعض العلماء في تفسير ظواهر تحرك رماله كموج البحر وأنها أيضا تبتلع اي جسم كبير علي أنها تتكون من طبقات من الرمال المتحركة فوق طبقه من الجير الناعم وفوق كمية كبيره من المياه الجوفية وهذا هو سبب تلك الحركة الكبيرة ولذلك حديثا قد تم تحديد هذه المنطقة لتكون محظورة علي المرور فيها ويذكر التاريخ العديد من حالات الاختفاء في هذه المنطقة .. وابتلاع رمال هذا البحر لمن يجرؤ على الاقتراب منه لو حشية رماله الضخمة المتحركة.

.. وكلمة الرمال المتحركة تعني : خليط من الرمل والماء، التي تظهر صلبة ولكنها تتحول إلى متحركة وغير ثابتة عند تعرضها لأي تأثير، ومن المعروف الرمل العادي تتراكم حبيباته مكونة كتلة صماء، في وجود فراغات كبيرة بين الحبيبات محتوية على الماء أو الهواء، ولأن كثيراً من حبيبات الرمل طويلة ومنبعدة وليست مستديرة، فإن التراكم غير المحكم للحبيبات يؤدي إلى وجود فراغات ، ومن ثم تنهار الرمال أو تكون متحركة متى تعرضت لقوى خارجية مثل التحميل عليها، أو مرور مركبات ثقيلة، أو اهتزازات أو ارتفاع في منسوب المياه الجوفية، حيث يؤدي ذلك إلى انهيار قوى الاحتكاك بين الحبيبات بالكامل، وتظهر الرمال المتحركة في الأماكن التي تحتوي على ينابيع طبيعية، أو عند أودية

الأنهار المتدفقة من أعالي الجبال على هيئة أجسام مخروطية الشكل مكونة من حصى ورمال، وحول حافتي الأنهار بعد الفيضانات أو على الشواطئ عند حدوث مد منخفض، في هذه الحالات تفكك الحبيبات يكون بسبب ارتفاع المياه لأعلى خلال الحبيبات، وتظهر الرمال المتحركة أيضا في الصحراء، ولكنها نادرة جدا، وتحدث في الكثبان الرملية بالقرب من أماكن انطلاق الرياح، ولكن مقدار الغرز فيها لا يتعدى سنتيمترات قليلة، وذلك لأن الهواء الموجود بين الفراغات سرعان ما يزول، وتعود حبيبات الرمل مرة أخرى إلى الاندماج معا بصورة قوية.

.. الكثبان الرملية أو الرمال المتحركة ظاهرة شائعة في الصحراء، يشوبها الغموض تقبع في أعماقه وهي أحد أهم أسرار الطبيعة التي أبدع البارئ في خلقها، وأودع فيها ما خفي من جمال وأسرار ومخاطر، وهي ظاهرة للعيان، وباتت اليوم مارداً يحمل في زحفه خطراً بيئياً هو التصحر تعمل المجتمعات على درء أضراره البليغة التي تكلف العالم خسائر هائلة .

.. تقول الآية الكريمة :

﴿ أَفَأَمْنْتُمْ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الإسراء].

.. حيث يخشى البشر هناك عاصفة محملة بالحصي والحجارة وتدفنهم تحتها ولا يجد مرتاد الصحراء من العذاب ما هو أشد من الغرق في هذا البحر اللجي. ذلك أن مرتادي الصحاري يدركون أكثر من غيرهم رهبة هذا التهديد الرباني، إذ يعرفون كيف تؤدي ثورة الكثبان الرملية في الصحراء إلى دفع الرمال والأحجار إلى غير مواقعها لتتشكل تلالا تدفن في بطونها العابرين هم وقوافلهم.

.. وتعرف الكثبان الرملية بأنها: تراكمات من الرمال تكونت على امتداد العصور الجيولوجية نتيجة عوامل التعرية المختلفة خاصة تعرية التربة بالرياح.

وتشغل هذه الرمال التي يطلق عليها اسم النفود والدهناء في الربع الخالي نحو 640 ألف كيلو متر مربع من الصحراء في جنوب شبه الجزيرة العربية، و57 ألف في الجزء الشمالي منها، وفي شمال إفريقيا تبلغ أكبر مساحة تغطيها الرمال نحو 320 ألف كيلو متر مربع في منطقة الشيخ درار في موريتانيا، بينما بحر الرمال الأعظم في صحراء مصر الغربية يحتل نحو 150 ألف كيلو متر مربع ويطلق على الكثبان هناك اسم (بحار الرمال والغرود والسيوف).

.. وتتحرك الكثبان الرملية فوق الأراضي المنبسطة حين ينعدم وجود عوامل تثبيتها، وتصل حركتها في بعض المناطق إلى 60 متراً في السنة كما هو الحال في الكثبان الهلالية في الكويت، وفي المناطق المجاورة للكثبان الرملية تتعرض الأراضي الزراعية إلى زحف جزئي أو كلي للرمال عليها لذا يربط بعضهم بين زحف الكثبان الرملية والتصحر، ويعتبرونه حالة من التصحر كما ورد في المراجع.

.. وكان عالم الفيزياء « برونر أندريوتي » من جامعة باريس قد عكف على دراسة الكثبان الرملية في الصحراء المغربية، حيث تصدر هناك حين انهيارها طينياً يشبه طين طائفة نفاثة، ويمكن سماعه من على بعد كيلومترات، ولم يكن أحد يعرف السبب الذي يجعل الرمل المنهار يصدر نغمة رنانة وليس فقط دمدمة شديدة، إلى أن قام أندريوتي بقياس الاهتزازات في قاع الكثبان وفي الهواء المحيط بالكثبان، واستخدم البيانات المسجلة في معرفة كيفية إنتاج الأصوات، وتوصل إلى أن الطبقة الهابطة من الرمل تتصرف مثل غشاء السماع، بحيث تتحرك صعوداً ونزولاً بتردد يولد صوتاً مسموعاً. وتمتلئ بالمياه الجوفية.. وليست الموسيقى أهم أسرار الكثبان الرملية، بل ذهب عالم الجيولوجيا المصري الدكتور « فاروق الباز » رئيس مركز الاستشعار عن بعد بجامعة بوسطن في الولايات المتحدة إلى أن هذه الكثبان في صحراء الربع الخالي تتربع على بحر هائل من الماء العذب، وأن دول المنطقة يمكن أن تلجأ مستقبلاً إلى استخراج هذه الثروة المائية الهائلة إذا اضطرت لذلك، والجدير بالذكر سعي ليبيا للاستفادة من المياه القابعة أسفل

الرمال ببناء قناة طولها يزيد على ألفي كيلومتر تسحب المياه العذبة من وسط الصحراء إلى مناطق أخرى في البلاد بكلفة بلغت مليارات الدولارات .

.. وما زالت رمال الصحراء تدفن في طياتها إجابات لأسئلة كثيرة تتعلق بعصور تمتد لأكثر من مليون سنة بالقرب من الواحات البحرية في مصر حيث عثر على مجموعة من الديناصورات في العشرينات من القرن الماضي . وعثر في بداية القرن الحالي على ثاني أكبر ديناصور نباتي في العالم أطلق عليه اسم ايجبتو صورص .

.. وما زالت نفس الرمال تنتظر فك لغز وسر اختفاء جيش قمبيز الفارسي الذي دخل بحر الرمال العظيم في عام 525 قبل الميلاد ولم يعثر له على أثر حتى بعد أن خلف وراءه آثار المعبد الفارسي الوحيد في الواحات الخارجة معبد هييس .

.. وعلى ذكر « قمبيز الفارسي » من الجدير بالذكر أن نقول إن عيد النيروز الذي يحتفي به المسيحيون ليس هو أحد الأعياد الفارسية فمن غير المعقول كما عبر صاحب (مقدمة في الفولكلور القبطي) من اللغة الفارسية لكي يطلقوه على عيد وطني ديني له مثل هذه الدلالة في حياتهم القومية ، لذا فالأقرب إلى الصحة أن يكون لهذا الإصطلاح « نيروز » أو « ناروز » جذرا لغويا مصرياً نقى يعبر عن المعنى الخاص بهذا اليوم القومي المقدس ، وفي اللغة المصرية القديمة «الهيروغليفية» نجد عدة تعبيرات قريبة جداً من الكلمة وتعبر بدقة عن هذا المعنى المهيب لهذا اليوم في حياة وعقيدة المصرى القديم ومن بعده القبطى والمصرى بوجه عام على مر الأجيال، فالعبارة نور روج أو نوى روز أى الفيضان المنعش قد تكون هى الأصل، كما أن هناك عبارات مصرية قديمة أخرى مشابهة مثل نوى روج ونور روز وتعنى على التوالى وقت الازدهار والياه المنعشة.

.. هذا وقد ذهب الأنبا باسيلوس « مطران القدس الراحل » إلى أن كلمة النيروز مشتقة من أصل مصرى وقد استعارها الفرس خلال فترة احتلالهم لمصر . ونضيف إلى ما قاله الأنبا باسيلوس أن الفرس لم يعرفوا هذا الاسم قبل احتلالهم لمصر واتخذوا إلا

الذى يعبر عن رأس السنة المصرية لصفات عيد آخر هو عيد النسيم وبداية الربيع أى بداية السنة الفارسية، والذى يتوافق مع بداية السنة المصرية غير الزراعية أى عيد شمو أو شم النسيم، بينما النيروز المصرى يعبر عن عيد «أخت» أو الفيضان.

.. كما أن احتفاظ الأقباط المسيحيين بهذا التاريخ ثم صبغهم إياه بالطابع المسيحى عند اتخاذهم هذا العيد عيداً للشهداء واعتباره رأس أعيادهم يجعلنا نرجح أن يكون الاسم مصرياً فى الشكل والجوهر، فقصة النيروز القبطى المسيحى تبدأ بعام 384 ميلادية وهى السنة التى اعتلى فيها الإمبراطور الطاغية «دقلديانوس» عرش الإمبراطورية الرومانية، وكانت قد حدثت فى أيام حكمه أشنع الاضطهادات التى راح ضحيتها مئات الآلاف من المسيحيين خاصة من أقباط مصر فلما أراد الأجداد أن يخلدوا ذكرى شهدائهم الأبرار اعتبروا سنة اعتلاء هذا الطاغية العرش بداية لتاريخهم، وهكذا بدأ العام القبطى الأول، وهكذا العيد عند الأقباط عيد أزدهار الإيمان وإزدهار الشهادة والشهداء الذين ارتوت بدمائهم الأرض.

.. هذا إلى جانب الوحدات المندثرة الخالية من السكان وتقع على بعد مائتى كيلومتراً من واحة سيوه المصرية وهى تحتوي على بحيرات من المياه العذبة والمالحة وآثار لا تقدر بثمن، كما يؤكد علماء الآثار.

.. وكان فريق من العلماء المصريين والفرنسيين قد كشفوا النقاب عن أن هذه المنطقة هي منطقة سقوط النيازك فى الصحراء الغربية المصرية وأن هذا الكشف قد أسفر عن أكبر حقل لسقوط النيازك فى العالم على مساحة تصل إلى ثلاثة آلاف كيلومتر مربع، هذا ويقع الحقل إلى جنوب غرب الوحدات الداخلة. ويؤكد فريق البحث أن الفوهات التى تظهر فى الصور الملتقطة بواسطة الأقمار الصناعية ناتجة عن تساقط النيازك وليست فوهات بركانية كما ألمعنا فى هذا الكتاب فى بقعة صحراوية قريية.

.. والصحراء الليبية هي صحراء تقع فى شمال أفريقيا، وهى جزء من الصحراء الأفريقية الكبرى، وهى تشمل الصحاري الموجودة فى غرب مصر وشرق ليبيا

وشمال غرب السودان .وتغطي منطقة تصل إلي 1.100.000 كيلومتر مربع، بقياس 1000 كيلومتر من الشمال إلي الجنوب و1100 كيلومتر من الشرق إلي الغرب. ويطلق على الجزء الواقع داخل حدود مصر مسمى «الصحراء الغربية».

.. الصحراء في مجملها الأعمم غير مسكونة كما أنها عبارة عن سهل صخري كبير ويسمي «حمادة» أو «الحمادة» إضافة لجزء آخر يسمي بحر الرمال العظيم، يوجد بها 8 منخفضات رئيسية أهمها منخفض القطارة، كذلك يوجد بها واحات متعددة، ومن هذه الواحات واحة سيوة وواحة الداخلة وواحة الخارجة في مصر وواحة جغبوب، واحة الجفرة وواحة الكفرة في ليبيا التي ترتبط مياهها الجوفية بنفس المجري الذي يغذي واحة سيوة المصرية من واحة الفيوم في مصر، والتي تُغذي من النيل.

.. يوجد بالصحراء مجموعة جبال أكاكوس والعوينات الشرقية وحمات « مليتة» وحمم «ستافت» ومناطق صحراوية مثل أدهان أوباري، وأدهانمرزق، وأراضي صخرية مثل الحمادة الحمراء ومناطق بركانية خامدة مثل واو الناموس، والهروج السوداء.

.. استكشفت الصحراء الليبية بواسطة عدد من المستكشفين رغم أنها كانت ممراً لتجارة القوافل بين شمال أفريقيا والصحراء الكبرى، كما كتب عنها « ابن بطوطة» في كتاباته، وفي العصر الحديث اشتهر من مكتشفها أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي للملك فاروق الأول، والذي كشف جبل العوينات في 1924 م. وكتب عنها في كتابه الشهير « الواحة المفقودة ». والألماني فريدريك جيرهارد روهلفس. وتوجد في الصحراء بعض الحيوانات البرية المعرضة للانقراض. وكما يوجد بها حوالي 3 مليون لغم من بقايا الحرب العالمية الثانية.

.. وقد سبق لنا أن حذرنا المسؤولين في مصر إلى وجب العمل على نزع هذه

الألغام القاتلة والمنتشرة والمنتشرة في ربوع الصحراء الغربية التي قام بزرعها القوات الألمانية وكذلك الإنجليزية ناهيك عن الإيطالية في خضم الحرب العالمية الثانية في بقعة شاسعة من أرض مصر ولو أخليت من هذه الألغام التي تم زرعها في حدائق شيطانية في ربوع الصحراء الغربية⁽¹⁾.

.. ذكرنا في هذا المقال أن الصحراء تبلغ مساحتها 68% من مساحة مصر ويوجد بها مناطق جامدة غير مأهولة وذلك لإنتشار حقول الألغام بمساحة كبيرة من هذه الصحراء مما يطلق عليها حدائق الشيطان هذه الحدائق التي زرعت في الصحراء الغربية بين القوات الألمانية والإيطالية بقيادة الجنرال «أرفن روميل» من ناحية وبين قوات الحلفاء بقيادة الجنرال «ألفلد مارشال مونتجمري» من ناحية أخرى.

.. والذي لامرية فيه⁽²⁾ أن جريمة بث الألغام ، ودسها في اعماق أرض مصرية وهي الصحراء الغربية كانت من (صروف الدهر) (ولا يعاند الدهر إلا كل ذي خطر) ، ومسئول عنها كل من اقترفها في حق مصر إذ وضع بقعة غالية من تراب هذا الوطن في برزخ من الآلام ، وقد زلقت بها أرجل الدول الثلاث: ألمانيا وإيطاليا ، وإنجلترا وكما ألمعنا من خلال جحافل قوادها ، وجنودها الذين جاسوا خلال أرض مصر إثر حرب ضروس بينهم لم يكن لمصر فيها (ناقة ولا جمل) .. وقد باتت تحكم على أرض الكنانة أطرافها ، وتستتر فخاخها حتى لم يبق مع وجودها في قوس الصبر منزع؟! .

.. ولقد كشفت الدكتور إيمان غنيم مديرة معمل أبحاث الفضاء بجامعة نورث كارولينا الأمريكية أن المياه المنهمرة والتي هطلت على صحراء مصر الغربية منذ عشرات السنين من أنها قد حفرت بئراً يسمى «بئر كيفرا» كون امتداداً لخزان جوفي كبير قابع أسفل بحر الرمال الأعظم موضحة أن هذه المياه هي «تسريبات»

(1) القاضي المستشار محمد مرشدي بركات خواطر قاض الصحراء الغربية .. والحدائق الشيطانية؟! ص 63 دار المعارف 2013.

لممر مائي عملاق مدفون في باطن الأرض المصرية وتمثل ممراً هائلاً من المياه الجوفية مطمورة تحت الرمال، وهذا معروف لدى غالبية علماء الرصد الفضائي والجيولوجيا لأنه من الثابت علمياً أن أى نهر يجف لعوامل التغيرات المناخية والزمن يتجمع أسفله خزان جوفي، يتوقف حجمه على طبيعة الصخور والأرض الموجود بها مؤكدة أن طبيعة أراضي المنطقة المحيطة بهذا الممر تتكون من صخور حجر الرمل النوبي المعروفة بمساميتها الشديدة .

.. وأضافت الدكتورة الباحثة أن رصد هذا الممر استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل بالأقمار الاصطناعية الرادارية، التي تمكن من مشاهدة ما تحت الرمال بوضوح بالغ إنه طبقاً لتجارب علمية عديدة، يمكن القول أن أسفل هذا التجمع المائي توجد طبقات من حجر الرمل النوبي الذي شرب من مياه هذا الممر الأشبه بالنهر وقت سريان المياه فيه قبل آلاف السنين، ثم خزنها في مسامه، وقام بحفظها نقية .. فيما يشبه الثلجة الطبيعية .

.. وأوضحت الباحثة المصرية أن المنطقة المحيطة بهذا الممر المائي في الصحراء الغربية كانت قبل «خمسين ألف سنة» أشبه بالغابات الاستوائية، أو غابات «السافانا»، بسبب انهمار الأمطار بشدة غالبية العام، في هذه الفترة، لافتة إلى أن التغيرات المناخية وعوامل الطبيعة التي طغت على المنطقة بمرور الزمن تسببت في دفن ذلك المجرى المائي، واندثار الحضارة المحيطة به، وهذا يعني أن نهراً عظيماً يقبع داخل رمال هذه الصحراء يبشر بنهضة زراعية كبيرة فيما إذا لو استغل على النحو العلمي السليم بعد أن تعمل الدولة جاهدة على دفع الدول التي أجرت في حقها وفي تاريخها على نزع واقتلاع الحدائق الشيطانية التي عاقت تقدم النهضة في هذه البقعة الهامة من تراب مصر .

.. لما كان ذلك وكان القانون الدولي الإنساني (International Humanitarian Law) وهو مصطلح جديد ظهر ليطبق على النزاعات المسلحة الدولية وغير

الدولية .

.. ونص في البرتوكول الثاني (في الفقرة الثالثة من المادة الثالثة وكذلك الفقرة الثانية من المادة الرابعة) من الاتفاقية المنبثقة منه قد جاء مجرماً لزرع الألغام والأفخاخ المتفجرة وعلى حظر الإستعمال العشوائي للأسلحة التي تنطبق عليها هذه المادة وهي الألغام والشراك الخداعية ، كما أشار هذا البرتوكول إلى حظر استعمال الألغام في أية مدينة ، أو بلدة ، أو قرية ، واتخاذ الإحتياطات اللازمة لحماية المدنيين من آثارها .. كما جاء في عجز هذه المادة منع استعمال الألغام ما لم يكن كل لغم منها مزوداً بألية فعالة لإبطال مفعوله حيث لا يعود في وسعه أن يخدم الغرض العسكري الذي بث من أجله .

.. ولقد كان لآباء القانون الدولي الحديث ومنهما الفقيه الهولندي «جروسوس» و«فاتيل» ، الفضل في نص القانون الدولي على نظرية الخطأ ، وكذلك نظرية الفعل الغير مشروع (Acte illicite) ، ووجوب تعويض الدولة التي تصاب بضرر من دولة أخرى جراء العمل الغير مشروع نفتتت به الثانية على حق الأولى فهنا تنهض المسؤولية الدولية المطلقة لتقوم بواجبها بهذا الخصوص بالنسبة للدولة التي حيف عليها ووقع عليها الضرر وارتباط هذا الخطأ بذلك الضرر ارتباطاً لا يقبل التجزئة ، مكوناً علاقة السببية بينهما .

.. لما كان ذلك كذلك . وهو كذلك فلا جناح على مصر أن تتحرك في حينه لمخاطبة أولئك الذين زرعوا هذه الحداثق الشيطانية وهم ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا .. لما أن هذه الحداثق الشيطانية التي زرعوها في أرض مصرية هي بالفعل (حداثق) .. وليست حديقة واحدة؟! .. وقد أمست ذات حول وطول ، أن الأوان لإقتلاعها من جذورها حتى تستطيع مصر أن تعمّر قطعة عزيزة من أرضها أصابها الإهمال والنسيان وجر عليها الزمان.

قصاصو الأثر في الصحراء □

مهمة أشبه بالمستحيلة، تقترب في كثير من تفاصيلها إلى قراءة الكف والطالع، إلا أنه يحكمها علم دقيق، لم تسجله الكتب والمراجع العلمية، بل تحويه عقول وصدور أصحابها، يتناقلونها جيلا بعد جيل، ليحتفظوا لأنفسهم بأسرار فك شفرة الصحراء، تستعين العديد من الحكومات وأجهزة الاستخبارات العالمية بهم في كشف غموض الصحراء والمناطق المجهولة، «إنهم قصاصو الأثر».

رجال هذه المهمة تراهم يهيمنون عشقاً في الصحراء، ورمالها، وفي المقابل تبوح لهم بكل أسرارها . وحكاياتها، فيتمكن «قصاصو الأثر» من فك ألغاز وطلاسم العديد من الحكايات، ويكشفون المجهول لعشرات الخبايا من بين حبات الرمال.

ظهرت الأقمار الصناعية الحديثة، وأجهزة الـ «جى بى إس»، والبوصلة، وغيرها العشرات من الأدوات الحديثة إلا أنها لم تنه دور قصاص الأثر في كشف غموض العديد من الجرائم والحوادث، كما برز أسماء العديد من رجالها في السنوات الأخيرة في التصدي للعديد من العمليات الإرهابية والكشف عن عدد من الجماعات المسلحة.

حكايات مثيرة وقصص متنوعة سردها لـ «روز اليوسف» أصحاب المهنة

(1) هدى منصور: روز اليوسف، بتاريخ 28 أكتوبر 2017 م.

المتوارثة عن الأجداد، ولعب العديد منهم أدوارًا مهمة في مساندة الوطن لحمل الحوادث المعقدة.

مفتاح إدريس، أحد أبناء قبيلة «سمالوس» البدوية في الفيوم يقول إن مهنة قص الأثر يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، فمنذ الطفولة وفي عمر الـ 6 سنوات تقريباً يتحول أطفال القبيلة إلى جنود صغيرة للبحث في الصحراء، وتبدأ مرحلة تعلم المهنة تحت إشراف الأشقاء الكبار والآب وأبناء القبيلة الأكثر خبرة، وتنتهي مهمة التدريب عندما يجمع الطفل جميع مدارك الصحراء التي يعيش فيها، وهو أمر يعتمد على الفراسة والذكاء.

ويضيف: قصاص الأثر يتسم بالذكاء لربط التفاصيل ببعضها البعض، فلم يفشل أحد من أبناء القبيلة في الحصول على إرث أسرار الصحراء من جبالها ورمالها، لكن الأمر يتفاوت في مرحلة التعليم، وكأننا في مدرسة لكن من نوع خاص، فهناك من يبقى في المدرسة 3 أشهر، وهناك من يمكث بها 3 سنوات والاختلاف في علم الفراسة، فأنا تعلمت مع أشقائي الأربعة المهنة من والدي.

إدريس يؤكد أن قبيلته خبيرة في قص الأثر من صحراء طريق أسيوط الغربي وطريق الريان، ومساحة شاسعة في الصحراء الغربية، مشيراً إلى أن البحث في الصحراء ليس له تحديد مناطق، لكن قبيلته مشهورة في البحث الجيد بتلك المناطق السابقة ودائمة التردد عليها.

مفتاح الذي يبلغ عمره 46 عاماً، قضاها في حب الصحراء تبوح له بأسرارها، بعد أن امتلك مفاتيح الحديث معها ببراعة، مشيراً إلى أن مهنة قص الأثر، تختلف في فصل الشتاء عن فصل الصيف، ففي الصيف متاحة وبارزة بسبب بروز المعالم لمدة شهر كامل التي تتوافر لتحديد تفاصيل الموجودين ومن مروا في المكان، لكن في الشتاء من بداية شهر فبراير لا تصمد ملامح الأثر أمام مياه المطر والرياح والعواصف الشديدة عن يومين أو ثلاثة وتختفي.

إدريس يستطيع تحديد توقيت مرور شخص أو أي كائن من خلال القدم أو الفضلات، لكن القدم هي الحالة التي يبحث في تفاصيلها لكشف الأسرار، ففي أول يومين للأثر تكون عوامل التعرية بنسبة 2٪ تقريباً، وفي حالة تواجد القدم كما هي بدون أي تغير في ملامحها فتعرف أنها حديثة وصاحبها مر منذ ساعات فلم يكمل يوماً أو ساعة واحدة، والقدم يتم تقسيمها إلى عدة مراحل للكشف عن المدة الزمنية، أولاً أصابع القدم وهي المرحلة الأولى في اختفاء الأثر، فإذا اختفت من ملامح القدم على الرمال إذاً فقد مر هذا الشخص من هنا أو الكائن منذ 10 أيام لو في الصيف، وفي حالة اختفاء مؤخرة القدم من الخلف نحدد المدة الزمنية بعشرين يوماً، وفي حالة اختفاء القدم من مقدمته ونهايته فقط نعلم أن المدة شهر كامل.

قصاص الأثر لا ينتهي عند تحديد المدة الزمنية، بل نوع الشخص، بتأ كانت أو سيدة متزوجة أو حاملاً، أو الرجل، طفلاً كان أو شاباً أو عجوزاً، فالقدم تختلف في كل الحالات، الرجل الكبير قدمه على الأرض خفيفة نظراً إلى أن صحته ليست قوية لكبر سنه، لكن الشباب يكون القدم واضحة في الأرض تماماً فهو يتمتع بالصحة ويضغط على الأرض، كما أن السيدة الحامل قدمها واضحة بشدة، لكن في مقدمتها يكون هناك جر بسيط في الرمل من أول مشط القدم نظراً إلى أنها ترفع قدمها وتأخذ جزءاً من الرمال في قدمها لأن البطن ثقيلة بسبب الحمل فتجر قدمها من عند «المشط» وأستطيع تحديد وزنها من خلال ضغطة القدم على الرمال، فإذا كانت بارزة للغاية فهي من أصحاب الوزن الثقيل والعكس في حالة أنها نحيفة، والسيدة الكبيرة في السن تضغط على الرمال بشكل خفيف مثل الرجل العجوز.

وعن تحديد النوع، رجلاً أم سيدة، فيتم معرفته من خلال ملامح القدم نفسها في شكل الأصابع للرجل من المقدمة لا تغوص في الرمال، لكن السيدة فلا بد أن

تغوص أصابعها في المقدمة في الرمال.

وأشار إدريس إلى أن النساء أصبحن لا يسرن في الصحراء حالياً، لذلك نادراً إذا وجدنا قدمًا لسيدة في الصحراء وتكون في الأغلب سفاري فقط، لكن قديمًا كانت نساء البدو يخرجن للصحراء مثل الرجل.

مهام قصاص الأثر لا تتوقف عند هذا الحد، كما يرويها إدريس، الذي يوضح أن القصاص يقوم كذلك بتحديد المسافات بين الجبال والسير بينها، فهو على دراية بعدد الكيلومترات من الجبل للجبل الآخر، ومن قمة صخرية إلى أخرى، وهي علامات ثابتة للصحراء، وأقصى مدة للسير في الصحراء قبل الراحة 3 ساعات متواصلة.

كما يقوم القصاص بالاستعانة بـ«البول» كأثر، ويتم من خلاله تحديد المدة الزمنية للمار بالمكان وجنسه ذكرًا أم أنثى، فبول السيدة يغوص بشدة في الرمال، عكس الرجل يطفو بشكل نسبي على سطح الرمال، والزمن يظهر من تراكم الرمال عليه.

إدريس يؤكد أن مهنة قص الأثر عرف بها العرب البدو، فهم أبناء الصحراء، وهي مهنة لا تقدر بمال، لذلك لا يعمل معظم أبناء القبائل مقابل مال، فهم يتطوعون في دعم الأمن بالمعلومات عن الحوادث الشهيرة، والبحث عن التائهين في الصحراء، موضحًا أنه قام بنجدة ما يقرب من 30 شخصًا ضلوا طريقهم في الصحراء من الموت.

وعن كيفية قص أثر الجماعات الإرهابية، يقول إدريس: إن الأمر يختلف هنا، فبعد قص الأثر ومعرفة الملامح الشخصية للعناصر، وتحديد الأسلحة التي تمتلكها من خلال رؤيتها بالعين المجردة عن قرب من خلال خبايا الصحراء ومعالمها من الكتل الصخرية التي نختبئ خلفها ولا يرانا أحد نكشف كل أسرار الأشخاص الموجودين والمقيمين بها.

الحاج كامل عبد الونيس من قبيلة فايد بالفيوم، يبلغ من العمر 52 عامًا، يقول: إن قص الأثر ميراث في قبيلته التي يصل عدد سكانها إلى 9 آلاف نسمة، مثل قبائل البدو العربية الشهيرة، وقد ورث المهنة من والده وجدته في عمر الـ(5) سنوات، ويرى أن المهنة جزء من حياة البدوي، وتفصيلها لا يستطيع البدوي العيش بدونها، وإن كانت حياة المدينة دخلت لبعض القبائل، إلا أنهم لا يتخلون عن الجلوس معظم أوقاتهم في الصحراء، فهناك شريحة كبيرة من البدو يعملون في السياحة والسفاري وصيد الصقور الجارحة في أربعة أشهر من العام وهي: يوليو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر، وفي تلك الفترة يلتقي جميع العاملين في المهنة في الصحراء من جميع القبائل.

الحاج كامل يؤكد أن «قصاص الأثر» يستطيع ببراعة تحديد نوعية السيارات إذا دخلت أي منطقة، فضلاً عن أن هناك نوعيات بعينها تدخل الصحراء وهي سيارات الدفع الرباعي و504 فرنساوى، ولدينا الخبرة الكافية لتحديد نوع السرعة الخاصة بالسيارة والمسافة التي حضرت منها، من خلال عوامل التعرية وشكل «كاوتش» السيارة، وفي حالة أن تكون السيارة مؤثرة في الرمال بشدة يكون حملها ثقيلًا، لكن لا نستطيع تحديد كم فردًا داخلها، إلا من خلال الفضلات الموجودة في المكان.

قصاص الأثر عبد الونيس، يكشف عن أن هناك توقيتات ثابتة للتحرك في الصحراء على مدار العام وهي من الفجر حتى الساعة 10 صباحًا، ثم الجلوس في ظل هضبة أو جبل حتى العصر للبعد عن أشعة الشمس الحارقة، وبعد أن تنكسر درجة الحرارة يستطيع عابرو الصحراء السير مرة أخرى، لذلك الجماعات الخارجة عن القانون والمسلحة والإرهابيون لا يتحركون في الصحراء سوى في الليل حتى توقيت الفجر.

القصاصون يرفضون العمل كدلائل لأحد، لكن يتدخلون في حالة الإنقاذ أو

الخدمات الأمنية للكشف عن مسلحين في الصحراء - والكلام لعبد الونيس -
الذي أكد أن أبناء قبيلته شاركوا في العديد من الأعمال لخدمة البلد، خاصة أن
البدو يحرصون على أن تكون الجبال نظيفة من المسلحين.

محمود نصر قصاص أثر في صحراء الواحات وأبورواش، ليس من أبناء
القبائل، لكنه امتهن صيد الحيوانات فتعلم جيداً قص الأثر من والده وأصدقائه
المقربين، في سن الـ (10) سنوات، ويؤكد أن صحراء الواحات منذ ثلاثة أعوام
ممنوع الاقتراب منها للصيادين وحتى قصاصي الأثر، وأصبحت منطقة أمنية
محظورة، حيث يحذر الأمن القصاصين من الغوص في الصحراء، خاصة أن
القصاصين عندما يخرجون للصحراء لا تكون رحلتهم مجرد ساعة أو يوم أو
يومين، بل تكون أقل توقيت أسبوعاً.

يقول محمود إنه بحكم مهنته وجولاته في جميع صحاري مصر يستطيع تحديد
نوع المنطقة التي يحضر منها أي شخص، فضلاً عن أن رحلات الصيد تكون
خبرة كبيرة في قص الأثر، فمن خلال الحيوانات والزواحف التي نصطادها نتعلم
تفاصيل وأثر الكائنات في الصحاري الغربية والشرقية والبحر الأحمر، فلكل حيوان
لون مختلف حسب الصحراء القادم منها، فلون ثعلب البحر الأحمر أحمر نسيبياً،
ولون ثعلب صحراء الوادي الجديد أسمر نسيبياً، والصحراء الغربية يكون لونه
فاتحاً.

كما نستطيع معرفة وزن الثعبان على الأرض، لذلك بسهولة أستنتج حمولة أي
سيارة على الأرض وإلى أين تتجه من حجم وشكل «كاوتش» السيارة على الرمال،
وتوقيت مرورها.

أيمن عابد من شمال سيناء، يؤكد أن الحياة البدوية في سيناء تعتمد بشكل كامل
على مهنة قص الأثر خاصة في الظروف الأمنية الحالية، والهدف منها تحديد
الأماكن المناسبة للرعي والاستقرار بعيداً عن أي أمر مقلق، مشيراً إلى أنه ورث

المهنة في عمر الـ (5) سنوات ليساند والده في عمله بالصحراء، مما يتطلب منه التواجد في الصحراء بشكل يومي لمدة 5 ساعات، لكن أصبح توقيت التواجد في الصباح الباكر أو في العصر فقط، ثم العودة السريعة إلى المنزل قبل غروب الشمس.

وأكد أيمن أن القصاصين يساندون الأمن في أي تفاصيل تؤكد أن المكان يوجد به مسلحون من خلال الأثر الموجود أو اللافت للنظر لغير البدوين المترددين على الصحراء، مضيفاً أن خدمة الوطن من أهم الميراث الذي يرثه البدوي في سيناء عندما يتعلم المهنة، كما يساعدون الأمن في عودة المفقودين في الصحراء.

البدو .. والواحات .. والصحراوات

.. فالبدو هم قاطنوا الصحراء ، وكذلك الواحات .

.. ويقوم العربان بجولات بالغة الطول للغاية في متاهات الصحراء ، ويتوغلون فيها لمدة العشرين يوماً وأكثر . ويجعلهم تعودهم الطويل يتعرفون على السهول الرملية ، فهم يعرفون الأماكن التي توجد بها المياه . وليس ثمة من صحراء مهما كانت قاحلة لا تحتوي على مصادر للمياه ، أو على الأقل لا تحتوي على آبار للمياه الصالحة للشرب ، ولو كانت مالحة بعض الشيء . وفضلاً عن ذلك فهم يحملون على جمالهم الماء والمؤن الضرورية .

.. والبعض من البدو يعيشون على السلب ، ويقتسموه فيما بينهم حسب قواعد متفق عليها ما سلبوه حتى يتجنبوا الاقتتال فيما بينهم .

.. والحرية هي كنز العربان الثمين ، فهم ينفرون من أي نوع من الخضوع أو الخنوع ، وهم يفضلون أن يقدر عليهم البقاء في عزلتهم الواسعة تلك في الصحراء عن أن يتحملوا خضوعاً من أي نوع (□) .

.. والبدو nomads مصطلح يعني نمطاً اجتماعياً ، يدل على الإفتقار للإقامة والتوطن والاستقرار وقد مر على الوطن العربي ، وثمة بعض العائلات التي ترجع أصولها للقبائل البدوية التي كانت تاتي الواحات للتجارة، ومعا توالي قدومها

(1) علماء الحملة الفرنسية وصف مصر ترجمة زهير الشايب

أصبح البدو يشكلون عنصراً هاماً من البيئة السكانية في الواحات .

.. يذكر « تشارلز دوتي Charles Doughty » صاحب كتاب « Travels in Arbia Deserta » أن البدو يقيمون في الليل بلا خيام . أطفال عراة في البرد . مسيرة إجبارية لا يسأمون ركوب الجمال عظمة غروب الشمس وجلاله في الصحراء . جفاف ضروع ماشية الألبان بعد الرحلات الطويلة . التخيم داخل حدود البشر . ضياع صبي من الرعاة . التنقل الدائم . الركائز الحجرية في الصحراء الخالية . البدو يسأمون حياة الحاجة والعوز في الصحراء . النزاعات فيما بينهم . حكومة شيوخ الرحل الحكيمة (الرشيدة) المسير قبل طلوع الشمس في الصحراء .

.. هذا هو الموجز الذي أفتح به المؤلف كتابه المذكور سلفاً .

.. يردف المؤلف قائلاً :

.. كان الناس في أوروبا يأكلون لحم الذئب في العصور الوسطى .

.. ويعتقد الأعراب أن لحم الذئب به فائدة طيبة أو دوائية ، فهم يقولون : إن لحم الذئب مفيد جداً في الألام الساقين التي تشيع بين أولئك الذين يعرفون أرجلهم ويمشون حفاة في كل فصول السنة ويعتقدون أن أم الذئب هي عمه كلب الصيد ، والثعلب الذي يطلقون عليه اسم (الحصيني Hosseney) ، يلقون لحمه لكلاب الصيد في أغلب الأحيان ويجمع بعد لحم الأرنب البري من حيث الترتيب والبدو . يأكلون أيضاً لحم الضبع ، إذا ما أمسكوا به ويقولون أن لحم الضبع لحم جيد

.. والبدن الجبلية عندهم هي الماعز وهذه البدنة Bedan كما ورد في الكتاب المقدس .

.. والغزال الذي يقولون له البدو غزازيل ghrazel للمفرد وغزازلان

.. كما توجد أنواع كثيرة من الثعابين والحيات .

.. وإلى جانب الحيوانات البرية ، توجد الضباع الذي يطلق عليها البدو الرحل اسم «الذبة» ومن بعد الضباع يجيء النمر وهو ما نسميه نحن الفهد .. الفهد ليس شائعاً في الصحراء .. وقد ذكر أن مجموعة من البدو أمكنهم تربيتهم فهذا بينهم وأن صاحب ذلك الفهد كان يستعمله في صيد الغزلان .. والبلاد العربية كلها في كل وحدة منها خرافة من الخرافات .. والصقور على اختلاف أنواعها يمكن رؤيتها في كثير من الأحيان وهي تحوم في سماء الصحراء ، وكذلك العقاب الذي هو عبارة عن نسر أسود صغير، وكذلك الرخام er-rakham وهو نسر أبيض صغير ، يأكل الجيف ، من يرى هاذين النوعين من النسور وهما يطيران في الهواء يحسبهما نوعين من أنواع النورس البحري : ولم أر النسور الكاسرة في الجزيرة العربية ، ولم أر أيضاً أي نوع أخرى من النسور الكبير في صحراء هذه البلاد (فيما عدا شبه جزيرة سيناء) .. كما يوجد فيها جحافل الجراد تهب عليهم مرة كل سبع سنوات ، وأثنى الجراد تكون أكبر من الذكر ويميل لونها إلى اللون الرصاصي .

.. والبدو الرحل يقولون : (أن كلابهم تعض الذئب) ، وإن هذه الكلاب تظلل صاحبه طول الليل بينما يكون البدو نائمين .

.. وأن هذه الكلاب لا تلقى مطلقاً من الأعراب كلمة طيبة أو معاملة حسنة فهي تعيش حياة تعيسة في ديار الأعراب ، الذين يركلونها ويضربونها ولا يلمسونها بأيديهم (فيما عدا الجروان صغار الكلاب التي لم تفتطم بعد)

.. والبدو لا يسمحون إلا للكلاب السلوقي فقط بالبقاء فقط داخل الخيمة باعتبار أنهم من سلالة أصيلة وهي أي الكلاب تحرس اليوم بطوله كل أفراد المنازل التي تعيش فيها الكلاب هذا يعني أن تلك الكلاب إنما تحرس أهلها .

.. وعندما ينزل البدو عن مواشيهم في المكان المخصص لذلك ترى تلك الكلاب عندما يصبوها النصب في القبائل التي ترعى الأغنام عقب رفع قماش الخيام إلى الدلوف إلى الظل ، وتأخذ في الحفر بمخالبتها أسفل الرمل الساخن بغية الوصول إلى التربة الباردة الموجودة أسفل الرمل الساخن .

.. والصبية الصغار يتجردون من ملابسهم ويلقون غترهم (أغطية الرأس) أرضاً ، ولا يتبقى من هذه الملابس إلا الهبو Haggi (السروال) الذي يلفوه كل واحد منهم حول خصره النحيف .

.. والبدو الرحل ليست الوحشية من طباعهم

.. وإذا ما شب عراك أو شجار بين البدو أنفسهم .. أو بين قبيلة وقبيلة يتولى شيخ القبيلة هناك فض النزاع بينهم إما رضاءً وإما قضاءً بحكم مشمول بالنفاذ المعجل .

.. بالرغم من أن البدو لا يأكلون اللحم المحرم ، إلا أن البعض منهم يشربون ما يسمى (دم الكروم) الذي هو عبارة عن عصير العنب المتخمر وهو ينضج في منتصف فصل الصيف وإنه يحضر في منازلهم ، ويتوقون إلى ذلك الشراب المحرم بعد أن وفر في أذهانهم أن ذلك يمكن أن يساعدهم في مسألة معاشرتهم لأزواجهن .. إلا آخر ما ذكره «تشارلز دوتي» في كتابه سالف الذكر .

.. وقد ذكر بعض المؤرخين أن بعض أفراد قبيلة الأمازيج بأثيوبيا قد رحلوا إلى الواحات منذ زمن بعيد (□) .

.. قرأنا في رسالة ماجيستر عن شعب أو قبيلة « بني شنتقول » وهو الرابض علي أرض الحبشة ، أنهم جميعاً مسلمون وحرقتهم الزراعة ، وقد يكون البعض منهم قد هاجر إلي الواحات .

(1)البدو في الوطن العربي عبر العصور أبوأدهم ص 5 .

.. يري بعض العلماء من المتخصصين في الثقافة الإفريقية أن الحضارة المصرية ذات أصول زنجية وفي كتاب مهم يسمي الأصول الزنجية للحضارة المصرية (nations negres et culture) للدكتور السنغالي « شيخ أنتاديوب » والذي كان موضوع الأطروحة دكتوراة قدمت إلي جامعة باريس ، أكد هذا المفكر أن الحضارة المصرية زنجية الأصل ، قائلاً: إن الحضارة الإفريقية تتفوق علي الحضارة الأوربية وكان ديدنه في هذا الكتاب إثبات أن الحضارة المصرية القديمة هي حضارة زنجية واعتمد علي مؤرخين عظماء أبو التاريخ هيردوت ، الذي قال : أن مصر هي أرض السود ، وقال الرحالة الفرنسي « فولني » أن أسلاف المصريين كان من السود وأردف قائلاً أن المصريين لم يكونوا من الجنس الأبيض وفي هذا الخصوص استشهد بالآله « أزوريس » كان لونه اسوداً و« ست » آله الشر عند المصريين الذي قتل أخاه الذي كان أبيضاً .

.. ومضي يقول في كتابه هذا، إن المصريين لهم ملامح زنجية من خلال النقوش الجدرية والموميات ، وأن مصر فقدت استقلالها كدولة أم لإفريقيا مع غزو الفرس لها في القرن الخامس قبل الميلاد، وقام في كتابه هذا بشرح التشابه بين اللغة الهيروغليفية وبعض اللغات الإفريقية وأولها لغة الولوف في غرب أفريقيا وتناول في كتابه هذا النظام الاجتماعي في مصر وإفريقيا حتي التشابه التام في شرح الطبقات والعادات والتقاليد، ناهيك عن تطابق النظام الأمومي في مصر وأفريقيا ولم يكن المجتمعان المصري والإفريقي يعرفان حياة الرعاة في السلب والنهب .

.. وفي أطروحة للدكتوراة (غير منشورة) أن اصول سكان الواحات البحرية من الليبين السنوسيين، واستقروا فيها، واستدل علي ذلك من انتشار اسم السنوسي في الواحات البحرية ، ويرى آخرون عدم صحة هذا المعتقد إذا لا يُذكر دخول السنوسيين الواحات إلا في القرن الواحد والعشرين ، إبان الحرب العالمية الأولى (1914-1918) ودخولهم كان في شكل قوات تبحث عن مدخل آمن ، وقد قامت القوات الإنجليزية مدعومة بآليات عسكرية غير مسبوقه آنذاك بالفتك بعدد

كبير من السنوسيين وطاردت الباقيين منهم في الصحراء ، حول الواحات ، وتكوكبوا في اربعة عشر تجمعاً ما بين القصر وأمون الغربية والبويطي ومنيديشة ، والحارة ، الزبو ، وعين القصر وغيرها ، وللسنوسيين في الواحات قصة تاريخية نُؤجزها فيما يأتي .

.. قص علينا الدكتور علي الصلابي فقال :

.. إنه من خلال مرور ابن السنوسي علي طول الساحل الإفريقي تعرف علي أحوال مسلمي المغرب وكون فكرة عن أوضاعهم وواصل سيره داخل برقة وقبل وصوله إلي مدينة إجدابية ومنها إلي نجع شيوخ المغرب واستمر مع رحلته في الصحراء حتي وصل القاهرة

.. ويحدثنا العلامة «ابن خلدون عن البداوة والعمران والعصية والوازع» ، ويطالعنا بتحديد أقسام ما يكتب بوصفه « مورفولوجي » يكشف عن طريقته في التحليل البنائي فيقول :

.. « العمران هو التساكن والتنازل والتعاون على المعاش .. ومن هذا العمران ما يكون بدويا ، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلال المنتجة في القفار وأطراف الرمال ، ومنه ما يكون حضاريا ، وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها.

.. وعن الحضارة يقول ابن خلدون إنها « التفتن في الترف واستجادة أحواله . والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه .. وعلى قدر عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق فيها فهو يعتبر التجارة والصناعة من مميزات الحضارة. ويدخل العلوم بأصنافها في مجموع الصنائع . أما مميزات البداوة فهي تربية الحيوان ورقية ، والفلاحة. والبداوة مرحلة طبيعية تسبق الحضارة وتنتهي بها، وهذا الانتقال يكون بالتمدن ، ولذا نجد التمدن غاية البدوي. وأحوال

الحضارة ناشئة عن البداوة . والبداوة هي الأصل .

.. ولا يقصد ابن خلدون بكلمة البدو هنا مجرد أبناء البادية الرحل وإنما يستعملها للتعبير عن غير الحضريين من سكان المدن أيضا ، أى البعيدين عن الأخذ بأسباب التحضر من علوم وصناعات ، ولعل في ذلك استباقا ملحوظا لبعض نظريات علم، الاجتماع الريفي المعاصر .

.. أن مفهوم « البداوة » عند ابن خلدون المؤمن بحتمية التغير الدائم لأحوال العمران هو مفهوم دينامي وليس سكونيا. كما يؤكد ابن خلدون على التضايق بين هذا المفهوم ومفهوم « العصبية »، أو الانتماء المعبر عن «روح التضامن الجمعي»، والتي تلعب دورا حاسما إذ تقوم بمهمة القوة الموحدة للجماعة. فالعصبية خاصية جوهرية للقبيلة البدوية، وهى فى الوقت نفسه قاعدة نظامها ومصدر تقدمها. والبداوة تؤثر فى دور العصبية : فالصراع من أجل البقاء وأسلوب الحياة الخشنة يطبع العصبية بسمات ملائمة لهذه الظروف تتمثل فى التحفز والدينامية والعنف . فللعصبية دور حيوى فى الدفاع والهجوم. ولسلطة العصبية دور فى تسوية العلاقات الداخلية وكبح جماح الخارجين على قيم الجماعة.

.. ولقد لعب العرب دوراً هاماً فى تاريخ الواحات .. بل فى تاريخ مصر برمتها .

.. ذكر « ابن ألياس الحنفي » إنه فى يوم الأحد السابع عشر من شعبان 922هـ الموافق (1916م) وردت الأخبار على الأمير الدوادار بأن عربان بني عطية والتعليم نهبوا ضياع الشرقية ، وأخذوا منها نحو أربعمائة رأس من الغنم منها للسلطان والدوادار ودخلوا وادي العباسة ، فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك صلى الظهر ثم ركب وخرج إليهم وصحبته خمسمائة مملوك وكبس عليهم فهربوا من وجهه وغنموا ما نهبوه من الأموال والمواشي والغلال وغير ذلك ، فرجع الأمير الدوادار إلى داره . وفيه أخلع الأمير الدوادار علي الزيني بركات بن موسى وشف القاهرة ، وأشهر النداء بالأمان والأطمأن وأن المشاهدة والمجامعة بطالة وجميع

المظالم الحادثة بطالة ، وأن الزيني بركات بن موسى على عاداته. صار هو المتصرف في جميع أمور المملكة ليس على يده يد وقد مات الأمير الدوادار الجامكية فجلس محله الأمير طقطباي نائب القلعة ، والإشاعات قائمة بموت السلطات والأحوال مضطربة .

.. كما يكتب « ابن الياس » في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » يقول :

.. في هذه الأيام وقع القسام من العربان في الشرقية وغيرها من البلاد ، فنهبوا عدة بلاد من المنزلة وغيرها من ضواحي الشرقية ولم يبقوا لهم مواشي ولا بقراً ولا غنماً ، حتى أخذوا ذهب النساء ، وقتل من الفلاحين في هذه الحركة ما لا يحصى عددهم ، وانقطعت جميع الطرقات من المسافرين ولا سيما لما تحققوا من موت السلطان ، وصارت مصر في اضطراب والإشاعات قائمة بالأخبار الردية عما جرى المعسكر والسلطان . وكان أكثر من شن هذه الغارات أولاد شيخ العرب الأمير أحمد بن بقر وجماعة من العشير . وفعلوا ما هو أعظم من ذلك العسكر والتجار ، فقتلوا من العسكر والتجار ما لا يحصى عددهم وأخذوا أموالهم وجمالهم والذي سلم عروه ، وجرى على العسكر من العربان ما لا جرى عليهم من عسكر ابن عثمان ووقع لهم ذل بين «قطبا» و«الصالحية» عندما وصلوا إلى الأمان.

.. وقد بدأت هجرة القبائل العربية إلى مصر منذ فتح العرب ثم توالى هجرات القبائل إلى مصر مع كل والٍ جديد ، حيث كان يرفقه جيش كبير غالبية من العرب ، وكان ذاك يشجع القبائل التي ينتمي إليها هذا الحكم على الهجرة إلى مصر .

.. وإلى جانب ذلك نجد الدافع الديني والاقتصادي ، وطبيعة شبه الجزيرة العربية الطاردة للسكان هي السبب في ذلك.

.. وفي العصر الأموي وفد إلى مصر اثنان وعشرون قبيلة عربية . ووصل عدد

القبائل العربية الوافدة إلى مصر في العصر العباسي ثلاثاً وثلاثين قبيلة وفي العصر الفاطمي شجع الفاطميون القبائل العربية المستقرة على حدود مصر الشرقيون والتي كانت تشكل خطراً عليهم على الهجرة إلى مصر .

.. وفي العصر الأيوبي ازداد شأن العربان لدرجة أن أصبح هناك أحد الموظفين المختصين بشؤون العربان وقبائلهم .

.. أما في عصر سلاطين المماليك فقد توقفت الهجرات العربية إلى مصر بسبب كراهية المماليك للعنصر العربي ، وقد أنف العربان من الخضوع للمماليك لدرجة أن ثارت إحدى القبائل وقال زعيمها « أنا أحق بالملك من المماليك ، وقد كفى أنا خدمنا بنى أيوب وهم خوارج خرجوا عن البلاد !» .

.. ومن المعروف أن العربان لم يكن لهم من حسن النظام والمهارة الحربية وقوة الاستعداد ما يناظر المماليك ، ولذلك لم يستطع العربان الثبات طويلاً في وجه خصومهم ، وفي كل مرة كانت الهزيمة تحل بالعربان . ومع ذلك كانوا يعودون إلى الثورة بعد قليل حتى سببوا الكثير من الفوضى والمتاعب في ذلك العصر ، من ذلك ثورة حصن الدين بن ثعلب الذي ثار فيعهد السلطان المعز أيك الذي أرسل له جيشاً بقيادة الأمير فارس الدين أقطاي الذي أنزل بهم الهزيمة وأخضعهم عام 1253م .

.. وظلت العلاقة بين العربان والمماليك قائمة على الكراهية . وبالرغم من أنهم حازوا الكثير من الأمتيازات ، وتمتعوا باستقلال محلي محدود في إدارة مشيختهم . إلا أنهم لم ينسوا الكراهية والحقد الدفين فنفضوا عنه في ثوراتهم المستمرة ونهب إقطاعات الأمراء ، وقتل الفلاحين ، والاعتداء على الحجاج . والامتناع عن دفع الخراج .

.. وقد استمر الصدام بين العربان والمماليك ولم يتخلوا أبداً عن فكرة الوصول إلى حكم مصر . متناسين في ذلك طبيعة العصر والمتغيرات التي حدثت فيه ،

والتي مكنت المماليك من فرض سيطرتهم على المنطقة ، وحرمان هؤلاء العربان من تحقيق حلم إقامة سلطنة عمان .

.. ولم تسلم المدن الكبرى في عصر المماليك مثل أسيوط والإسكندرية بل والقاهرة من عبث العربان وإغارتهم عليها أو على أطرافها ، بغية السلب والنهب ، ولم تنقطع تلك الهجمات حتى في الساعات الحرجة ، فعندما أغارت جيوش ملك قبرص على الإسكندرية سنة 767هـ / 1366م ونهبت المدينة . كان العربان يدخلون في الليل ويستمرون في النهب حتى طلوع الفجر .

.. وظل عدم الارتياح بين المماليك والعربان سائداً ، حتى هم السلطان الغوري بالخروج لملاقاة السلطان سليم ، فأراد أن يشرك معه في جيشه عددًا من خيالة العربان في الشرقية والغربية والصعيد ، ولكنه سرعان ما صرف نظره عن هذا الأمر بناءً على نصيحة أمراء الجند الذين خشوا مغبة إشراك هؤلاء العربان في الجيش المملوكي .

.. وهكذا ظل العربان مصدرًا خطرًا من مصادر الفتنة وعدم الاستقرار في عصر سلاطين المماليك (□) .

.. وقد ذكر صاحب كتاب « الواحات المصرية جنان مصر البعيدة » محمد التداوي : أن ثمة غارات قبائل الصحراء من العرب « الأفارقة » حيث كانت هذه القبائل تتميز بملامح أفريقية وأن هاتيك الغارات قد خفت تدريجياً ؛ حتى أن « فردريك كايو » 1819 (أحد الرحالة الأوروبيين لم يذكر خلال زيارته للواحات أية قصة قريبة ذات صلة بتلك الأحداث) .

.. وكذلك كان الأمر مع بعض الرحالة أمثال « جيرهارد رولف » العالم الألماني الشهير الذي سبق ذكره وقد أرسله الخديوي إسماعيل عام 1874 لمعرفة ما إذا

(1) البدو في الوطن العربي عبر العصور نخبة من الباحثين دار المعارف

كان هناك نهر بلا ماء في المنطقة أم لا ، وحاوّل «رولف» اختراق بحر الرمال الأعظم والذي يقع إلى الغرب من الفرافرة وبعرض 300 كم إلى ليبيا فلم يتمكن ومن ثم أتجه شمالاً بقافلة مكونة من 100 جمل و90 رجلاً منهم 12 ألمانياً في مختلف فروع العلم سواء الجيولوجيا النبات الحيوان الآثار الفلك المساحة ، ونشر كتابه الشهير ثلاثة أشهر في الصحراء الغربية (□) .

.. لعل من المفيد أن نذكر أن البدو كان لهم شأن كبير إبان ثورة مصر عام 1919م بعد أن أُلقت سلطات الاحتلال البريطاني القبض على بعض الساسة المصريين وفي مقدمتهم الزعيم سعد باشا زغلول وفتحهم خارج الديار فثارت ثأرت البدو والفلاحين حتى أن هذا الأمر الخاص بمشاركة الفلاحين والبدو بثورة 1919م قد هال المستعمر الإنجليزي حتى أن السير م. تشتهام Sir M. Cheetham القائم بالأعمال البريطانية في مصر بعد رحيل السير ريجلند وبنجت Sir R. Wingate . قد عبر عن هذا بقوله أن مشاركة أولئك كان نوعاً من التفاهم في طبيعة الثورة الحالية وكان هذا الأمر أمراً محتوماً أن عاجلاً أم آجلاً

.. وهيئات وهيئات نجح المستعمر الإنجليزي في فصل البدو عن ثورة 1919م فقد لعبوا دوراً هاماً فيها ففي أسبوط توزعوا على طول البلاد وعرضها تعززهم عناصر الخارجين عن القانون من القاتلين في بيروت وفي البحيرة وبنى سويف والوسطى ، وفي مرسى مطروح وفي الواحات حتى حدود ليبيا مع عجز البوليس عن مواجهتهم حتى أن اللورد « كيرزون » قد جاءت إليهم رسالة من « تشتهام » سالف الذكر يقول له فيها :

.. إن الوطنيين كانوا يهددون رؤساء الإدارات المحلية ورجال البوليس ، ليفاضلوا بين الانضمام إلى الحركة الوطنية ، أو يأتون إليهم بالبدو .

.. وأن الأمير « عمر طوسون » قد قام بدور مهم بتنظيم العمليات التي يقوم بها

(1) محمد التداوي الواحات المصرية

البدو ، بعد أن لوحظ أن مشايخ البدو كانوا يزورنه بصورة مستمرة بفندق شبرد بالقاهرة .. وقد جاء تحرك البدو متناغمًا مع تحركات باقي القوى المصرية المشاركة في الثورة التي أشترك فيها البدو من الساحل بالإسكندرية إلى السلوم .. كما قام بعض العرب القاطنون بين أسوان والأقصر بتقديم المساعدة للأجهزة الإدارية في مصر أثناء الثورة ، حتى إنه تم الاستعانة بعناصر منهم في حماية السكة الحديد في جنوب الأصر ، والذين كانوا من قبيلة البشارية التي كانت دائماً موالية للسلطة ، واستخدم منها أغلب قوات الهجانة .

.. وتراجع قطاعات من البدو عن المشاركة في الثورة ، والقبول بالتعاون مع الإدارة ، لحماية خطوط السكك الحديدية والمنشآت العامة ، يجعل الاهتمام التي كالهال رجال الاحتلال للبدو الذين شاركوا في الثورة في غير محلها ، لأنهم لو كانوا يشاركون في الثورة كمرتزقة ، أو يهدف السلب والنهب لربما انساقوا جميعًا خلف هذه الأهداف ، وما وجدنا قطاعات من البدو ترفض الانخراط في الثورة .

.. ومما جعل نشاط البدو في ثورة 1919م أبعد ما يكون عن أعمال السلب والنهب ، أن تحركاتهم ارتبطت بتحركات الجماعة المصرية ، وبخاصة الفلاحين ، لاسيما بعد أن نقلوا نشاطهم الثوري إلى المناطق ذات التأثير في أداء سلطات الاحتلال ، والتي تجاوزت القرى التي تقع على أطراف الصحراء إلى مدن الأقاليم الأقرب إلى مواطنهم ، بمديريات الفيوم ، وبنى سويف وجرجا وقنا وأسوان وأسبوط ، كذلك امتدت تحركات البدو في ثورة 1919م إلى البحيرة ، والإسكندرية والمنوفية والشرقية والدقهلية .

.. وفي تلك المناطق شكل البدو مع الأهالي وكافة القوى الاجتماعية المصرية وبخاصة الفلاحين ، جبهة واحدة للقيام بأعمال للضغط على سلطات الاحتلال ، وإرباك حساباتها في مصر فقد أشارت بلاغات المسؤولين البريطانيين أثناء الثورة أن « الهجمات التي تعرضت لها أسبوط وتوابعها قام بها البدو وغيرهم من سكان

المراكز البعيدة . تعززهم العناصر التي لا تطيع قانوناً « وأن « الهجمات على مديريات أقصى جنوب مصر من جرجا وقنا وأسوان ، قام بها البدو وعناصر عادية من المصريين » ، كما « أن الهجمات التي استهدفت مناطق بشمال الشرقية والدقهلية والغربية وغرب البحيرة قام بها الرعاع من الفلاحين والبدو » . وفي « الفيوم تسبب رجال البدو وبعض السكان في إحداث أضرار بالغة في عاصمة الإقليم والمدن والمراكز المجاورة لها » . كما كان المهاجمون « لمركز الوسطى ببني سويف والقادمون من الفيوم والذين قدر عددهم بسبعة آلاف رجل كانوا من السكان والبدو » .

.. وطالما كان البدو جزءاً من الحراك الثوري الذي شهدته الساحة المصرية في 1919م فقد استهدفوا في تحركاتهم إبان الثورة ما استهدفه غيرهم من المصريين خارج القاهرة .

.. حيث استهدفوا الجسور ممثلة في الطرق وخطوط السكك الحديدية ومحطاتها . ومراكز البوليس ، والدواوين الإدارية ، لتعطيل دولابى العمل ، والحيل بين قوات الاحتلال والوصول إلى المناطق الثائرة ، بعد أن أصبحت الجسور لا تمثل لهم إلا وسيلة تستخدمها سلطات الاحتلال لقمعهم ، وسرقة فائض إنتاجهم .

.. لهذا كانت الطرق ووسائل النقل والمواصلات بما فيها خطوط السكك الحديدية والقطارات هدفاً لتحركات البدو في ثورة 1919م . لعزل القاهرة باعتبارها العاصمة عن جنوب مصر وشمالها ، وقطع الإمدادات المختلفة عنها . وإضعاف قدرة سلطات الاحتلال في السيطرة على الثورة ، بشل يدها في نقل قواتها خارج القاهرة والإسكندرية .

.. لهذا هاجم البدو القطارات على خط سكك حديد القاهرة أسوان ، وتساوي في ذلك القطارات هدفاً يتحرك في الاتجاهين ، ففي 18 مارس 1919م هاجموا

قطارًا كان قادمًا من الأقصر إلى القاهرة في ديروط ودير مواس ، كان يحمل بعض الضباط البريطانيين ، « كما هاجموا في الرقة القطار السريع القادم من القاهرة إلى أسوان ونهبت به عربة البريد وأمتعة ركابه من الأوربيين ، مما اضطرتهم للعودة إلى القاهرة » .

.. وفي الوقت الذي كانت تجري فيه اعتداءات البدو على القطارات . كانوا يحطمون خطوط السكك الحديدية ، حيث قاموا باقتلاعها في أنحاء مديرية الفيوم حتى الوسطى بمديرية بني سويف ، وقطعوا خطوطها بين الرقة وبني سويف .

.. ولم يتوقف إتلاف خطوط السكك الحديدية على الفيوم والمناطق الجنوبية من مصر بل أمتد إلى البحيرة ، والمنوفية ، والدقهلية . ففي « البحيرة قامت أعداد كبيرة من البدو الثائرين ، بالهجوم على وسائل المواصلات في القرى الكبيرة بالمنطقة » ، وفي المنوفية « وقعت حوادث تخريب للسكة الحديدية ... بعد أن بدأ البدو على حدودها يتشكلون مجموعات كبيرة وشنوا هجمات على وسائل المواصلات في القرى الكبيرة » .

.. وكان « حمد الباسل 1871 م 1940 م » الذي نشأ نشأة بدوية ، ينتمي إلى قبيلة أبو رماح بالفيوم وعين عمدة لها خلفاً لوالده محمود الباسل ، وأنتخب عضواً بالجمعية التشريعية قبل الحرب العالمية الأولى ، وعندما تأسس الوفد المصري في أعقاب الحرب أختير وكيلاً لها، وكان أكثر من أعضاء الوفد المصري جرئة حتى إنه تحمل مسؤولية الدعوى لعقد اجتماع للوفد بمنزله .

.. في 13 يناير 1919 أنهى هذا الاجتماع مرحلة من تاريخ الوفد حيث كانت أعماله تعلن بطريق غير المباشر وجاء هذا الاجتماع ليعطي الوفد فرصة لأن يعلن عن نفسه بصراحة وبشكل مباشر مما أدى إلى التفاف الناس حوله واهتمام رجال الإحتلال الإنجليزي الذين اعتبروه من المحرضين والمهيجين وأحد زعماء الإثارة الوطنية من حملة الباشاوية « سعد زغلول ، إسماعيل صدقي ، محمد

محمود ، حمدي الباسل « والذين تقرر إبعاده خارج البلاد في 8 مارس 1919 م .
.. وقد كان إلقاء القبض على الباشاوات الأربعة الشرارة التي اشعلت
مظاهرات الطلاب وفجرت أحداث ثورة 1919 بالعاصمة ، وقد كان ذات
الحدث وراء تحرك البدو في المشاركة بالثورة ، باعتقال حمد الباسل رمز البادية ،
والرئيس الروحي لجماعات الأعراب بمصر (□) .. الذين سيطروا مع غيرهم من
أهل القرى والديساكر والنجوع صفحة وطنية مشرفة في ثورة 1919 م .

(1) المرجع السابق ص 222 ، ص 223

الوداي الجديد

.. تقع منطقة الوداي الجديد في الجزء الجنوبي الغربي من جمهورية مصر العربية وتمتد غرب وادي النيل في الصحراء الغربية الشاسعة تحده من الشرق محافظات المنيا وأسيوط وسوهاج وقنا ومن الشمال محافظة مرسى مطروح والواحات البحرية ومن الغرب حتي حدود مصر الدولية مع ليبيا وإلي الجنوب حتي حدود مصر الدولية مع السودان . وكانت هذه المنطقة تسمى من قبل محافظة الصحراء الغربية . أما تسميتها باسم الوداي الجديد فترجع إلي عام 1958.

.. وتبلغ مساحة هذه المحافظة 3765.5 ألف كيلو متر مربع أي ما يعادل 37.6% من المساحة الكلية لجمهورية مصر العربية.

.. وتشمل هذه المساحة علي ثلاثة منخفضات رئيسية تبعد عن وادي النيل ما بين 200-300 كيلو متر وهي واحات الخارجة - الداخلة - الفرافرة. وهي مناطق مأهولة بالسكان.

.. وترتبط محافظة الوداي الجديد بوادي النيل من خلال شبكة من الطرق منها طريق القاهرة - أسيوط - الوداي الجديد . وطريق الأقصر - الخارجة ويتم حالياً إنشاء طريقين من الفرافرة إلي ديروط ومن الداخلة إلي أسيوط مباشرة. كما ترتبط مدن وقرى محافظة الوداي الجديد بشبكة طرق داخلية وسريعة أهمها طريق

الخارجة - الداخلة - الفرافرة. كما يوجد خط طيران منتظم بين القاهرة ومطار الوادي الجديد بالخارجة.

.. ومحافظة الوادي الجديد هي أكبر محافظات مصر مساحة ولكنها من أقلها كثافة في السكان حيث يقطنها نحو 150 ألف نسمة بكثافة سكانية نحو 0.4 نسمة في الكيلو متر المربع.

.. يحدثنا التاريخ أن الواحات المصرية التي تقع منذ فجر الحضارة في صحراء مصر الغربية لقد لعبت دوراً جدهام منذ عهد عهيد ، فكانت واحة الخارجة في العصر الفرعوني تسمى هيبس أي المحراث أما واحة الداخلة فكانت باسم (أوحات رسيت) أي الواحات الجنوبية أما الفرافرة (تآوحت) أي الواحة البقرة وكانت غنية بزراعتها وخيراتها . وفي العصر الفرعوني مثلت واحتا الداخلة والخارجة وحدة واحدة تتبع إقليم (ثني) بأبيدوس قرب سوهاج ومثلت كلها خط الدفاع الأول عن مصر في مواجهة الهجمات التي تعرضت لها من الغرب والجنوب .

.. وإثر وصول جيش قمبيز الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد كان قد بيت نيته على تدمير واحة آمون و حرق معبده في سيوة فما أن وطأت أقدام جيش قمبيز إلي واحة الخارجة حتي ضل طريقه بعد أن كان يقصد الوصول إلي معبد الوحي في سيوة وابتلعتهم رمال الصحراء فوقر في ذهن الفرس أن هذا الحادث الغريب كان غضباً من الإله عليهم فما كان من الملك (دار الأول)الذي خَلَف قمبيز إلا قيامه باسترضاء سكان الواحات في معبد هيبس بالخارجة ونهض علي إكمال نقوشه وهكذا داومت اليونان ومن بعدها الرومان علي الاهتمام بتطوير الواحات ، وحفر الرومان هناك عيوناً تناثرت بين جنباتها سميت بالعيون الرومانية (romans eyes) وفي عهدهم ازدهرت التجارة عبر درب الأربعين الذيعود اسمه إلي عصر الفراعنة الأقدمين ، ودار التاريخ دورته ووفد الإسلام إلي مصر حيث استقبلت قرية القصر الإسلامية بالداخلة المسلمين الأوائل عام 50 ولما تزال

أثارهم باقية حتي الآن.

.. وتضم الواحات على ما يربو علي مائة موقع أثري هام ففي الخارجة توجد العديد من المعابد الفرعونية والرومانية منها معبد هيبس ومعبد الغويطة ومعبد الناضورة قصر الزيان ومعبد دوش. وهي معابد تنتمي للعصور الفرعونية والرومانية والبطلمية وغيرها. كما توجد بها العديد من بقايا الحصون العسكرية مثل قلعة اللنجة والمنيرة ودوش إضافة إلي بقايا الدروب وطرق القوافل كدرب التبانة والأربعين والرفوف ودرب أبو سروال وغيرها. أما أهم الآثار المسيحية في الخارجة فتتمثل في جبانة البجوات التي شيدت في عصور المسيحيين الأولي وبقي بها 263 هيكلًا اثريا هاماً. وفي واحة الداخلة توجد العديد من الآثار الفرعونية أيضاً مثل معبد دير الحجر ومقابر المزوقة وبقايا معبد الاله تحوت. أما أشهر اثار الداخلة فهي مصاطب البلاط بقرية البلاط التي كانت مقرراً لسكان الواحات في عهد الدولة الفرعونية القديمة والوسطي . وتضم هاتيك المصاطب مقابر حكام الواحات في عصر الملك بيبى الأول تعلوها مقابر رومانية ، أما الآثار الإسلامية في الداخلة فهي عديدة مثل قبة وضريح الشيخ « البشندي » وقرية القصر الإسلامية.

.. وثمة متحف يقع في مدينة (بلاط) علي بعد 140 كيلومترا من مدينة الخارجة العاصمة وعلي بعد 35 كيلو مترا من مدينة موط العاصمة الثانية للوادي الجديد، وأخذت ذلك الإسم لأنها كانت مقرا للبلاط الملكي في العصر العثماني، وتهيمن علي مبانيها العمارة والفنون العثمانية في جميع مبانيها لتحويلها إلي مدينة إسلامية متكاملة بشوارعها ودروبها وحواريها ومنازلها، كما شيدت بالكامل فوق ربوة عالية لأغراض الحماية من الأعداء، كما حرص السكان علي بناء منازلهم من الطوب اللبن السميك لتلطيف درجات الحرارة، أضف إلي ذلك أن المنازل متلاصقة ، و تبدو وكأنها أحد منازل، علي حين أن الشوارع متدرجة وضيقة وعلي جانبيها بالكامل مبان مرتفعة مما يساعد علي وجود الظل طوال

ساعات النهار، لتعيش كل المدينة في جهاز تكييف مركزي طبيعي. (□)

.. ويرجع تاريخ المدينة للعصور الفرعونية، كما أن علي جدرانها يوجد صور ورسومات للإنسان المصري القديم، ولا تزال تلك الآثار خالدة علي مقابر بلاط الفرعونية، حيث توجد 6مصاطب مرفوع عليها بعض البنايات لمقابر رومانية وأخري لمقابر ترجع إلي الأسرة السادسة الفرعونية عام 2420 ق.م. كما توجد بها مقبرة حاكم المنطقة ومسلتان صغيرتان ومصطبة خنتيكا المعروفة باسم «قلاع الضبة». يبقى أهم ما في المدينة هم أهلها الذين لازالوا يتحدثون حتي الآن باللغة العربية الفصحى بالوراثة عن آبائهم وأجدادهم ..

.. وأرض الوداي الجديد جمعت بين الجمال والجلال بتكوينات الرمال الطبيعية والصخور التي أبدعت الطبيعة تشيكلها وعلي سبيل المثال فمنطقة الصحراء البيضاء التي تقع قرب الفرافرة تضم بين جنباتها تكوينات رسوبية أبدعت الطبيعة في تشيكلها حيث كستها باللون الأبيض الناصع مع وجود الآبار في واحة الداخلة والخارجة ومنها آبار موت وناصر وبولاق كما يوجد فيها مرسى الطيور المهاجرة وتنتشر فيها واحات النخيل والآبار المياه الرومانية مع وجود عدد لا بأس به من صنوف الحيوانات البرية كالغزلان والثعالب وغيرها من الحيوانات البرية .

الصحراء السوداء

.. تبعد الصحراء السوداء قليلاً عن شمال الصحراء البيضاء، لكنها قريبة من الواحات البحرية أكثر من واحة الفرافرة؛ بحيث تبعد 50 كم تقريباً جنوب مدينة البويطي. تأكلت الجبال لتغطي الصحراء بطبقة من المسحوق الأسود والصحور مما منح المكان اسمه. وعند طرف الصحراء السوداء توجد تلال بركانية سوداء ثارت منذ عصور ماضية وأخرجت مادة بركانية تسمى الجاسبر، وهي المادة التي تتكوّن منها الصحور السوداء. تسلّق الجبل الإنكليزي الذي يعتبر أعلى قمة في الصحراء السوداء وستستمتع بمنظر ساحر لهذا المشهد الغريب. يمكن رؤية الصحراء السوداء أثناء عبور الطريق من الواحات البحرية إلى واحة الفرافرة، ولكن إذا كنت ترغب في خوض مغامرة في داخلها، فإننا ننصحك بجولة إرشادية، ويمكن الترتيب للجولات بسهولة سواء من الواحات البحرية أو واحة الفرافرة.

.. في كان مكان تجد في الوادي الجديد صحورًا سوداء كانت نتيجة طبيعية لتفتت الصحور البركانية لتصنع أشكالاً كريستالية تتناثر هنا وهناك .

.. تغطي الصحراء السوداء بطبقة من الرمال والصحور ذات اللون الأسود ومن هنا جاء الاسم، والغريب أنه عند طرف الصحراء السوداء توجد تلال بركانية سوداء، ثارت منذ عصور ماضية وأخرجت مادة بركانية تسمى «الجاسبر»، وهي المادة التي تتكوّن منها الصحور السوداء، وهناك ما يسمى بـ«الجبل الإنكليزي» الذي يعتبر أعلى قمة في الصحراء السوداء.

.. فبعض التلال في هذه الصحراء يتميز بلون قاتم يتكون من مواد الدلوريت والكوارتزيت الحديدى وبعضها يميل لونه إلى الحمرة، حيث تتكون الصخور السطحية من الحجر الرملى الحديدى، وأما القليل من هذه التلال فيتكون من الحجر الجيرى الأبيض.

.. وقد اعتبرت محمية طبيعية بسبب غناها وتنوعها البيولوجي كمنطقة أبحاث علمية عالمية، وذلك بعد اكتشاف ثاني أضخم هيكل لديناصور في العالم بالقرب من جلي الدست والمغرفة على حدود الصحراء السوداء في منطقة متاخمة للوحدات البحرية.

واحة .. الفيوم

لما تزل الأديرة القديمة تشهد على تبطل المسيحيين الأوائل في محرابها شاهدةً على أن المسيحية قد ضربت بسهم وافر في هذه الواحة أو المدينة في أواخر القرن الأول الميلادي بعد أن عانى المسيحيون الأوائل من بطش الرومان بهم وتبلغ هذه الأديرة حوالي الثمانية أديرة. ناهيك عن الثلاث عشرة كنيسة ، وكانت ملاذاً للهروب من بطش الرومان يحيط بها سلسلة جبال ويوجد بالفيوم دير العزب ودير الملاك جبريال ودير الشهيد دميانة والقلامون ودير الحمام .

.. والفيوم عبارة عن منخفض دائري الشكل يقع في الصخور الجيرية التي تقع إلى الغرب من النيل وتحيط بالمنخفض من جميع جوانبه حوائط عالية وتقع أوطى نقطة فيه تحت سطح البحر ، وتفصل المنخفض عن وادي النيل تبة من الحجر الجيري يشقها مسيل طبيعي هو مجرى الهوارة الذي كان النهر يركبه ويصل عن طريقه إلى منخفض الفيوم في سابق العصر والأوان وفي غابر الزمان فيحوله إلى بيرة هائلة .

.. وينفرد إقليم الفيوم من بين جميع أقاليم مصر في أن المياه التي تأتيه من النيل لا تصرف في النهر فالبحر الأبيض المتوسط كباقي الإقليم بل يتم صرفها في بحيرة نصف مالحة تقع بداخل المنخفض على منسوب يقل عن منسوب البحر الحديث بحوالي 45 متراً وهي تعرف باسم بركة قارون وللفيوم لذلك أوجه شبه مع كلا من واحات الصحراء الغربية التي ليس لها صرف خارجي كأقاليم وادي النيل التي تروي بماء النيل .

.. وليس من شك أن «بركة قارون» كما أطلق عليها الدكتور «رشدي سعيد»^(□) أو بحيرة قارون هي كل ما بقي من البحيرة التي شغلت المنخفض في ماضي الزمان ، وقد أخطأ «هيردوت» تماماً عندما ظن أن المنخفض قد حفره الإنسان ، فكل الأدلة تقطع بما لا يدع أي مجال للشك بأن المنخفض ظاهرة طبيعية ومن المؤكد أنه كان مملوءاً بالماء ، وعلى شكل بحيرة كبيرة عندما زاره «هيردوت» وقد ساور الكثيرون شك كبير في مقولة «هيردوت» من أن البحيرة كانت كبيرة وقت زيارته بعد أن نشر «كاتون طونسون» و«جاردنر» أبحاثهما عن آثار ما قبل التاريخ في منطقة الفيوم ، والتي ذكر فيها أنهما وجدا مستوطنات وأدوات إنسان العصر الحجري القديم المتأخر في رواسب الشواطئ العالية للبحيرات القديمة التي كانت تملأ المنخفض وأنهما وجدا مستوطنات وأدوات للإنسان الحجري الحديث .

.. ولقد استمدت الفيوم اسمها من شكلها حيث يوجد بها خلجان تشبه شكل القرن وتحور الاسم من قرون الي قارون ومنها نال معبد دينيسوس اسمه فسماه الرحالة العرب الذين جاؤوا خلال الفيوم (قصر قارون) وحاكوا حوله الاساطير والروايات مستمدين ذلك من القصص القرآنية، وثمة معبد هو المعبد السالف ذكره والذي يقبع وسط قري الريف والاراضي الزراعية تتعامد الشمس فيه سمويا علي قدس الاقداس .

.. وأطلق علي الفيوم اسم «برسيك» .. أي دار التمساح ، حيث كان التمساح معبود أهلها وأطلق الرومان عليها اسم مدينة التمساح وسميت في العصر اليونان ، في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد اسم «أرسينوي» نسبة إلي اسم زوجة بطليموس الثاني الذي أهدها هذا الإقليم الذي يفيض بخيراته. ثم سماها القبط في منتصف القرن الأول الميلادي (بيوم Piom) ، أي قاعدة بلاد البحيرة، وهذه الكلمة تتكون من مقطعين وهما (Pi) التي تدل علي مكان ، والتعريف (Im) بمعني اليمّ أو

(1)الدكتور رشدي سعيد نهر النيل ص 94 95

البحر أو البحيرة. ومن (Piom) أخذ العرب كلمة (فيوم) ثم أضاف إليها أداة التعريف، فصارت (الفيوم) وهو اسمها المعروفة به إلى اليوم.

.. تعج الفيوم بآثار الفراعنة بدءاً من هرم (سيلا) إلى هرم (هوراة) الذي كنا نشد الرحال إليه ونحن ننتظم بفريق الجوالة بمدرسة الفيوم الثانوية عام 1954، والذي شيده (أممحات الثالث) وهرم (اللاهون) الذي شيده الملك سنوسرت الثاني، ومعبد (مدينة ماضي) القابع في الجنوب الغربي من الفيوم ، ومعبد (قصر الصاغة) ومدينة (كيما ن فارس) القديمة التي كانت مخصصة لعبادة التمساح، وسبق أن كتبنا عنها مقالاً بجريدة الأخبار 1954، ندعو فيها هيئة الآثار التنقيب فيها عن الآثار التي كثيراً ما كنا عند زيارتنا لها بقطع أثرية ظاهرة علي أديمها .. ناهيك عن الآثار القبطية التي تعود إلى العصر القبطي ومنها (دير الأنبا إبرام) و(دير الحمام).

.. كما أن ثمة آثار إسلامية تعود للعصور الإسلامية ، المملوكية والعثمانية ، كما توجد عدة مساجد أثرية علي أرض الفيوم ترجع إلي العصرين الإسلاميين المملوكي والعثماني ، ومن أشهرها: مسجد السيدة (خوند أصلباي) زوجة السلطان (قايتباي) وقبة مسجد الشيخ (علي الروبي) ومسجد الأمير (سليمان) المشهور باسم (الجامع المعلق) . وهذا غير ما تحويه أرض الفيوم من المحميات والمواقع الطبيعية الخلابة التي تميز هذه المحافظة من غيرها من محافظات مصر.

.. كانت الفيوم في العصور القديمة هي المقاطعة 21 من الأقاليم الإدارية للوجه القبلي وكانت تسمى Mc rt-pht تعنى الشجرة السفلي ، وكانت هي والمقاطعة 20 تكونان مقاطعة واحدة قبل أن تستقل كل منهما عن الأخرى.

.. وقد سميت الفيوم كذلك بإسم (مير وير) أى البحر العظيم يوم كانت المياه تغمر كل منخفض الفيوم ، ثم سميت شيدت sdt sdt أى أرض البحيرة المستخلصة بناءً على عمليات إستصلاح الأراضي باستخلاصها من مياه البحيرة ، وفي العصر اليوناني الروماني أطلق عليها اسم

(كريكوديلوبوليس Crocoddilipolis) لوجود التماسح بالمنطقة والذي كان معبوداً بها تحت إسم (الإله سبك) وكان يطلق عليها أيضاً إسم (برسوبك) أى دار الإله سوبك وتغير الإسم إلى (أرسينوى) تكريماً لأخت زوجة بطليموس الثاني فيلادلفوس ، وذكر في النصوص وهى أصل ديموطيقى أى بى يم معناها اليم أو البحيرة التى تحورت إلى فيوم وأضيفت إليها أداة التعريف العربية بعد الفتح العربي إضافة إلى أداة التعريف المصرية فأصبحت (الفيوم) .

.. خلال رحلات مدرسية كنا نذهب في فريق الجواله في غضون عام 1954، كما أسلفنا إلي وادي الريان الذي أصبح محمية طبيعية منذ عام 1980 وهو عبارة عن صحراء جرداء شاسعة بها تكوينات صخرية بديعة وحياة برية مميزة تضم أنواعاً من الحيوانات النادرة من ثعالب وغزالان وغيرها.

.. وتتخللها كثبان الرمال الكثيفة وتتناثر بقايا أصداف البحر المتحجرة ويطلق عليها قروش الملائكة ، هذه الأرض التي كانت قاعاً للبحر الأبيض المتوسط (بحر التيتش) حيث كانت تسبح الأسماك والحيتان ويتوسط ذلك جبل المدورة حيث توجد البحيرات الصناعية في الوداي وأضاف المزيد من السحر الي هذا المكان حيث تصب بها مياه ري الأراضي الزراعية وحيث ينخفض الوداي عن سطح البحر ، كما يوجد بها البحيرات الصناعية التي اضافت مزيد من السحر والجمال والدلال .

.. قمين بيانا أن نسرّد الأحداث التي مرت بمدينة الفيوم وكيف بناها كما قيل (سيدنا يوسف) عليه السلام .

.. يقول الشيخ « السيوطي » رحمة الله عليه :

.. عندما أصبح يوسف في صباه مملوكاً لعزير مصر عشقته « زليخا » وافترت عليه الكذب فسجنه «ريان» في مدينه الجيزة وقد ورد ذلك في القصص القرآني؟ إذ يقول الله تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ [يوسف 36/12] ولا يزال هذا السجن حتى الآن في جامع بلدة « بوصيرا » بالقرب من قصبه الجيزة في مواجهة مصر

العتيقة، وفي هذا الجامع أيضا يوجد الصندوق الذى وضع به موسى وليدا وألقى به في اليم ، أى أن يوسف قد نجا ببركة الصدق في هذا السجن وأصبح ملكا على مصر، وعندئذ دعا هذا الدعاء « اللهم إني غريب فأجعلها لي ! » ومن هنا فإن حيث كانت طوائف العبيد والغرباء هم القابضون على خيرات مصر وهم المعززون فيها.

.. هذا، وبفضل دعاء سيدنا يوسف أنزل الله سبحانه وتعالى على وجه الأرض عشر بركات خيرات، جعل لمصر منها تسعا ولسائر أقاليم الأرض واحدة، لأن مصر إقليم ليس كسائر الأقاليم، إذ فيه معادن وكنوز غريبة.

.. وبعد ذلك كله أدركت العناية الإلهية يوسف ، فنزلت عليه النبوة وهو في الأربعين من عمره بعد أن كان خليفة في الأرض. ولما كانت مصر أرض الجبارين فقد تركها ونزل إلى وادى الفيوم حيث الهواء المنعش والجو اللطيف ؛ فسعد بها وانتوى الإقامة فيها، لذلك بنى مدينة الفيوم في ألف يوم فسميت الفيوم تحريفا عن عبارة (ألف يوم) . ويجوز في اللغة العربية أن تخفف الكلمات ؛ فتحذف الألف واللام ويقال « فيوم » بمعنى المدينة التى شيدت وأنشئت في ألف يوم.

.. وبينما كان يوسف ينقل التراب المتخلف عن حفر الخليج بذيل ثوبه أمره جبريل الأمين بأن يهبط ويقدم يد المساعدة والمدد لحبيبه يوسف ؛ فنزل جبريل كالبرق الخاطف أطاح بجناحه بحيرة الفيوم بضربة قوية ، فأطار تراها وأنقاضها واطلالها إلى السماء وانزلها إلى (أسفل الغبراء)، وضرب جناحا آخر جهة الأعلى ففتح ترعة من النيل جرى فيها الماء حتى بحيرة الفيوم التى لما تزل بحيرة واسعة عميقة هي بحيرة « قارون » التى تعيش فيها مئات الألوف من الكائنات والمخلوقات العجيبة والزواحف البحرية .. وإن كان الدهر قد عدا عليها أخيراً فتلون ماؤها الأبيض الرقاق إلى لون غامق بعد أن تلوث بمياه الصرف مما أدى إلى نفوق الأسماك وحل الخراب بعشرات الصيادين الذين أصبحوا بلا عمل إلا البكاء على أطلال هذه البحيرة التى كانت في عهد القدماء المصريين تدر الخيرات

آنذاك على أهل مصر جميعًا .

.. وعن النيل فقد وجد في العديد من معابد روما القديمة تماثيل له لعل أشهرها ذلك التمثال الذي نقل إلى متحف الفاتيكان من موقع أحد المعابد الرومانية القديمة لعبادة الإله « سيرابس وإيزيس » ، وفي هذه اللوحة يتمثل النيل كرجل متكئ وملتحى بجوار تمثال لأبي الهول وبجواره تمثال لتمساح ويحيط به ستة عشر طفلاً طول كل طفل ذراع وكان الأطفال الستة عشر يرمزون إلى الارتفاع المناسب لغمر الأراضي بمصر بالمياه كما كانت الأوسمة والنياشين تدق في عصر الإمبراطور (تراجان) وعليها تمثال النيل ولملك يشير بأصبعه إلى الرقم 16 ، وهو يدل على مجىء الخير والسعادة إلى مصر (□)

.. وكان أولياء الأمور في مصر يقومون بتطهير الترع والقنوات كل سنة بمئات من الأبقار والثيران والأنفار ، في حين أن التربة اليوسفية هذه - لكونها من آثار جبريل الأمين لا يحدث بها جرف أو شق ولا يبقى فيها طمى قط يؤدي إلى توقف الفلك بل يجرى فيها النيل دائماً. أن ماء النيل إذا دخل البحيرة ينقلب ماؤها مرراً أجاباً. وفي ضواحي هذه البحيرة توجد ثلاثمائة وست وستون قرية ، كل واحدة منها تشبه إرم ذات العماد أو جنة غناء. وسنذكر أن شاء الله وصف مدينة الفيوم في المكان المناسب.

.. هذا ، ولما اشتد فراق يوسف على والده يعقوب (عليه السلام) بادر يعقوب بالرحيل من بلده كنعان مع أولاده وعياله ، وتوجه نحو مصر لزيارة يوسف الذى كان حينئذ مقيماً في الفيوم . ومن خلال ذلك خرج الملك « ريان » من عزلته وتقدم نحو يعقوب بموكبه طالباً دعاءه ، ثم أكرمه غاية الإكرام وبعثه وحاشيته إلى الفيوم فهب لمقابلته سيدنا يوسف بالحفاوه اللائقة به. وقد اجتمعوا في مكان لا يزال يسمى « ميلين بوسف » على مسافة ميلين من الفيوم حيث البساتين والكروم. ولما تعانق الوالد والولد بحرقة وشوق وفرح وسرور وصبور ودبت الحياة في جسم يعقوب، وعاد النور إلى

عينيه فقدتا بصرهما من شدة البكاء على يوسف وفراقه . ثم بادر يوسف إلى عتق تسعين غلامًا من غلمانة المماليك شكرًا لله ، وفرح يعقوب فرحًا شديدًا ودعا لابنه بالخير والبركة من صميم قلبه ، وقد مكث بمصر ستة عشر عامًا متمتعًا ببصره الذي عاد إليه إلى أن وافته المنية وتوفاه الله ، فبادر ابنه يوسف حسب وصية الأب إلى نقل رفاهه إلى جبرون (أو) حبرون في القدس الشريف حيث يرقد بجوار خليل الرحمن .

.. وبعد وفاة يوسف وضعت جثته في صندوق من النحاس الأصفر وألقى به في اليم ، فبقى هذا الصندوق في النيل حتى عهد سيدنا سليمان (عليه السلام) حيث قدم ذات يوم إلى شاطئ النيل مع خدمه وحشمه وبطانته من الإنس والجن ، فإذا بعجوز ساحرة شمطاء ذات عقل ودهاء تتقدم إليه وتقول: « يا سليمان لقد ألقى بالصندوق الذي يحتوي على جثة سيدنا يوسف في هذا المكان . فمن الخير والحكمة أن تسارع إلى إخراجه » ، فما كاد يسمع سليمان ذلك حتى أصدر أوامره إلى العفاريت والجان بإخراج الصندوق ، وفي لمح البصر تم انتشال الصندوق ونقلوه إلى القدس حيث دفن بجوار والده « يعقوب » في جبل حبروت . ولا يزال قبره معروفًا يزوره الناس .

.. كانت الفيوم موئلنا منذ عام 53 حتى 57 اذا كان والدي رحمة الله عليه قاضياً لمحكمتها والتحقت أنا واخواتي هناك في مدارسها وعشنا فيها زمنا رغدا وكنت إبان دراستي هناك ملتحقا بفريق الجوالة بعد أن كنت احد اعضاء فريق الكشافة في مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية ، وقبلها محرم بك الابتدائية ، وكذلك مدرسة الرصافة الابتدائية ومن بعدهما كرموز الابتدائية حيث كان يدرس لنا المرحوم الأستاذ شوقي عبد الناصر شقيق الرئيس الراحل عبد الناصر مادة اللغة الانجليزية وكان على صداقة كبيرة بابن عمي ، وكان آنذاك شابا مثقفا يتميز بالأدب الرفيع ورقة المشاعر يجمع تلاميذ المدرسة علي محبته وتقديره وكثيرا ما اصطحبني وديعا إلي منزلنا القابع امام المنزل الي كان يقطن فيه مع أسرته بمحرم بك بالإسكندرية . في

شارع ابن بهرام الذي كان يقطن فيه الرئيس جمال عبد الناصر.

ويود بالفيوم بحيرة قارون التي تقع في الجزء الشمالي الغربي لمنخفض الفيوم، وتعتبر من أقدم البحيرات الطبيعية في العالم، وهي البقية الباقية من بحيرة موريس القديمة وتبلغ مساحتها 55 ألف فدان ، أي ما يعادل 230 كم².

.. ويذكر أساتذة التاريخ أنه على جزيرة داخل بحيرة قارون شمال غرب مدينة الفيوم كان يعيش الإنسان الأول منذ عصور ما قبل التاريخ مروراً بالعصور الفرعونية واليونانية والرومانية وحتى العصور الإسلامية وكانت تلك المنطقة تحمل اسم « جزيرة القرن الذهبي » التي تقع في وسط بحيرة قارون ، ويقال أن لها تاريخاً قديماً حيث كانت ملاذاً لملك مصر السابق فاروق حيث كانت قبلته المفضلة وأيام الصيف لقضاء وقتاً مع هواياته الأولى صيد الطيور .

.. وهذه الجزيرة تعتبر راعية للسياحة البيئية وحاضنة للطيور المهاجرة في المنطقة حيث يستوطنها الألوف من هاتيک الطيور المهاجرة ، ومنها التي بات يهددها خطر الانقراض مثل طائر « الفلامنجو » الذي ما أن يدق الشتاء أبواب مصر وترى العين هذا الطائر الجميل بألوانه الزاهية وهو يفرض جناحيه على ضفاف البحيرات في الواحات محركاً سيقانه الرفيعة في استعراضات فريدة تعلم الإنسان منها أصول الرقص التعبيري ومن هنا جاءت رقصة (الفلامنجو) الأسبانية الشهيرة والتي تعلمها الإنسان الإسباني من هذا الطائر الجميل .

. كما تعتبر هذه الجزيرة الوجهة المثالية للاستمتاع بخوض أكثر المغامرات إثارة في عالم الطبيعة المدهشة وتصلح لممارسة الرياضات المائية منها الشراع وصيد السمك . بالإضافة إلى شاطئ القرن الذهبي الذي يعد أحد أكثر الشواطئ المذهلة من شواطئ بحيرة قارون ويمتد بطول 2500 متر (□).

(1) محمود عمر جزيرة الإنسان الأول تنادي عشاق المغامرات جريدة الأخبار بتاريخ

.. وقد سلطت الصحف الضوء على هذه الجزيرة البديعة الصنع والرائعة الجمال.

.. كما يوجد في هذه المدينة جبل قطراني الذي زرناه وشاهدناه أثناء إقامتنا بمدينة الفيوم عام 1953 ، وهو يقع في الشمال الغربي لبحيرة قارون. وله شهرة عالمية لتوافر رواسب حفزية بحرية ونهرية وقارية ، وأظهرت الدراسات أن المنطقة تحتوي علي حفريات حيوانات ونباتات قديمة يرجع عمرها إلي حوالي 40 مليون سنة ، منها حيوان الفيوم الضخم الذي يشبه الخريتيت ويسمي أرسينوثيريوم، حيث يختلف عنه في وجود أربعة قرون ممتدة من الجمجمة - وليس قرنين ترسيبية عاشت عليها أسلاف الأفيال القديمة مع حيوان الفيوم وأسلاف الطيور التي تعيش في إفريقيا الآن . كما ظهرت بالمنطقة حفريات (أقدم قرد) في العالم (قرد إيجيبتوبتكس) الذي يرجع عمره إلي عصر الأليجوسين، إلي جانب وجود بعض الأشجار المتحجرة.

.. وفي الفيوم كثيرا ما شددنا الرحال داخل هذه المدينة الجميلة وخارجها في المناطق المحيطة بها من فيديمن الي كيما ن فارس إلى سنورس وأبشواي حيث توجد آثار الفراعين الأقدمين الي هرم اللاهون الي كوم أو شيم الي عين السليين الي بحيرة قارون إلي وادي الريان وغيرها وغيرها . وكنا نستمع آنذاك إلي أسطورة يتناقلها أهل الفيوم « أن ثمة قصرًا يدعي قصر قارون هو يعود لقارون الذي كان من قوم نبي الله موسى مع أنه ليس ثمة ارتباطًا بين قصر قارون ذاك وبين القصر الموجود حاليا في الفيوم» .

.. وكوم أو شيم ، هذه البقعة الهادئة من محافظة الفيوم الثرية اثارياً، التي تضم معبدين وحماما اثريا ، ومتحفًا مفتوحاً خصصه المندوب البريطاني لنفسه أيام احتلال انجلترا لمصر كي يقضي فيه ردهًا من الوقت بين الحين والحين.

.. كما يوجد مدينة الألباز والكنوز الغامضة .. أسرارها سجلت على أوراق

البردى .. كثير منها تم نهبه .. وما وصلنا منها يؤكد أنها كانت مدينة عظيمة .. إنها مدينة «أم البريجات» التي تقع على بعد 30 كم جنوب غرب الفيوم بالقرب من قرية قصر الباسل التابعة لمركز إطسا، ونمت وازدهرت في العصر اليونانى الرومانى، وعثر بها على معبد كبير للإله «سبوك» من بداية العصر البطلمى كما عثر على عدد كبير من البرديات التي تكشف عن الحالة الاقتصادية لهذه المنطقة خاصة في القرن الأول الميلادى.

.. وذكر محمد سيد «باحث أثري» أن منطقة أم البريجات تعد من أهم المصادر التي أمدتنا بالبرديات اليونانية عن هذه الحقبة من تاريخ الفيوم ومصر، حيث ذكر اسم قرية تبتنيس «أم البريجات» 1052 مرة في 707 وثائق بردية في العصر الرومانى، وذكرت الإحصائيات العلمية أنه تم اكتشاف ما يقرب من 1400 وثيقة بردية في قرية «تبتنيس» وهناك الكثير منها محفوظ في جامعه ميلان.

.. ووجد الباحثون آثارًا يعود تاريخها إلى ما بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الحادى عشر بعد الميلاد أى حتى العصر الفاطمى وبعدها أهملت المدينة وتركت .. ويشير إلى أن أول تنقيب عن الآثار في هذه المدينة كان عام 1899- 1900 وكان الهدف البحث عن أوراق بردى في غرب وجنوب الموقع، وتم اكتشاف مومياء مع أوراق بردى تحيط بتماسيح محنطة من العصر البطلمى المتأخر وبرديات من العصر الرومانى.

.. وأضاف أن المدينة الأثرية لم تسلم من النهب الأجنبى ليس لكنوزها الأثرية فقط، بل أن رعاة الأغنام من السكان المحليين للقرى القريبة منه كانوا يأخذون أتربة المدينة، ويهدمون حوائطها التي كان كثير من مبانيها من الطوب اللبن، ليستخدموها «سباخا» للأرض الزراعية فاختمت أجزاء من المدينة تماما وكان هؤلاء الفلاحين يعثرون على الكثير من أوراق البردى ويبيعونها، وعثرت البعثة الإيطالية عام 1988 أثناء التنقيب للمرة الثانية على المزيد من المخطوطات لأوراق البردى في جنوب

المدينة، ووضعت في بعض المتاحف ولتعدد بعثات التنقيب وسطو السكان المحليين على أطلال المدينة لا يعرف أحد حصرا دقيقا لأوراق البردى المكتشفة لكن يقدر الآثريون ما تم اكتشافه بأكثر من 100 ألف بردية.

.. ومن اللازم اللازم أن نذكر نتفة في هذا الصدد عن فنان البناء «حسن فتحي» الذي شيد ابنية جميلة «مدينة باريس» بالوادي الجديد .

.. يذهب «أندريا بلاريو» أستاذ النظريات المعمارية في الكلاسيكية الجديدة إلى أن المعايير التي ينبغي استخدامها في الحكم على المباني في العمارة الكلاسيكية كان قد وضعها المعماري الروماني وصاحب النظريات المعمارية «يوليو ماركوس» في القرن الأول قبل الميلاد ، وفي عام 1570 كتب يقول :

.. «أوصي بالنظر في ثلاثة أمور بشأن فن المعماري وهي : مدى النفع أو الراحة ، والقدرة على الصمود ، ناهيك عن الجمال هذه المعايير الثلاثة تستخدم في الحكم على المباني».

.. وفي عام 1962 بني فيلسوف المعمار ومهندس الفقراء حسن فتحي في مدينة باريس بمحافظة الوادي الجديد قرية فريدة من نوعها، وحملت اسم «قرية باريس»، لتكون نموذجا للعمارة البيئية بأقل التكاليف، بحيث يتم تعميمها في كافة الواحات الأخرى مثل الخارجة والداخلة والفرافرة وباريس وبلاط، واستخدم في تصنيع طوب المباني الخامات المحلية من الطفلة والرمل الأصفر وقش الأرز والقمح، سواء لخفض التكاليف أو لتوفير جو صحي رطب لسكان تلك المنازل باستخدام الهندسة المعمارية، ووضع تصميمات من شأنها التخفيف من درجات الحرارة داخل تلك المساكن، كما حرص علي أن يكون موقعها فوق ربوة عالية بعيدا عن المياه الجوفية، وتمر السنوات والعقود والقرية علي حالها يسكنها الإهمال والقبح بعقد استئجار طال لمدة تزيد عن نصف القرن.

.. مدينة أو قرية باريس تضم كل الاحتياجات، من سكن لرئيس القرية وأماكن لبيع السلع للتجار، بالإضافة إلى مسرح لإقامة الأهالي أفراحهم، وتعد النموذج الوحيد المتكامل البناء من حيث المنظر والتشكيلات الهندسية، ويلمس أي زائر لها اختلاف درجات الحرارة خارج المبني عن داخله ويشعر بالهواء الرطب القادم من «ملاقف الهواء»، رغم حرارة الجو المرتفعة خارج المبني، كما توجد أماكن صممها الراحل حسن فتحي كمخازن لحفظ الغلال أسفل مباني القرية، ويشير إلي أن هذه المدينة هي الأثر الوحيد المتكامل لعمارة الفقراء صديقة البيئه التي كان ينادي بها الراحل حسن فتحي، كما أنها أفضل بكثير من قرية «القرنة» التي بناها الراحل في النوبة، حيث مازالت حالة المباني جيدة جدا وتقف شامخة متماسكة الجدران.

.. وعلي الوضع الحالي للقرية الذي اعتوره السوء برغم المحاولات التي ينفذها قطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة لاستغلال هذه القرية كمرسم عالمي، طالب البعض بضرورة تحويل المشروع إلي واقع، بحيث يحضر إليها كل فناني العالم ليعيشوا بين أحضان الطبيعة الخضراء والجبال ومزارع النخيل، موضحا بأنه سبق مخاطبة هيئة قصور الثقافة لوضع برنامج لتطوير المكان، إلا أنه حتي الآن لم تتم الاستجابة.

.. ويقترح البعض أن تطرح القرية للإستثمار السياحي ويستطيع أي مستثمر باستغلال طبيعته الخاصة ومقوماته أن يحوله إلي جنة فيحاء ، ويوجه هذا البعض رسالة إلي محافظ الوادي الجديد لتبني فكرة طرح الموقع بالكامل للإستثمار السياحي بحيث تقوم وزارة الإستثمار بتسويقه وجذب أكبر عدد من المستثمرين الذين يقدرون اسم الراحل حسن فتحي وبما يمثل دفعة كبيرة للإستثمار بالوادي الجديد.

.. وعن ضواحي الفيوم وأودياتها يذكر المرشد السياحي « محمد سيد » أن

جبل المدورة بمحمية وادي الريان ممكن أن ترى ما يمكن أن تراه في أي مكان في العالم ، ولا سيما أن منظر البحيرة التي يطل عليها وهي تقع بمركز يوسف الصديق ويوجد بها جبل بين النهدين ، ويستوقف الرأي بهذا المكان من خلال الصعود إلى أعلى قمته منظر البحيرة السفلي الذي تعتبر بحيرة طبيعية هادئة وجميلة وخالية من التلوث .

.. وبسبب التدرج الجيولوجي لطبقات الأرض تكونت الشلالات وعددها أربعة ويأتي ماؤها من البحيرة العليا لتصب بعد مرورها علي البحيرة السفلي وكانت تلك الشلالات قبلة الكثير السينمائيين لتصوير أفلامهم مثل مذكرات مراهقة ، إذ كانت الفيوم وجهة مثالية للمخرجين بدا من « دعاء الكروان » و« المرأة التي هزت عرش مصر » و« المهاجر » ، ويرى الرائي في الفيوم أسراب الطيور المحلية والمهاجرة في لوحة بديعة تسر الناظرين .

.. كما يكثر بها أطلال المعابد ^(□) الذي بناها امنحاتب الثالث والرابع من الأسرة الثانية عشر وفي العصر الروماني أضيفت إليها إضافات اخري ، كما تجد فيها تماثيل الأسود وأبي الهول والتمثال الروماني ، وكانت معابدها مكرسة لعبادة التمساح ، ومازال المعبدان الشمالي والجنوبي هناك يحتفظان بروعتها ، وفي كل معبد حوضاً كبير مخصصاً لوضع التماثيل المحنطة بعد موتها وفي قدس الأقداس كان يسجي التمساح ويدخل الكاهن وهو حلقة الوصل بين الملك والإله في غرفة سفلية صغيرة يتلقي الوحي وينقله الي الملك .

.. وفي مدينة كرانيس يمكن أن تطل علي الفيوم من الأعلى في مشهد بديع يتخلله الأراضي الزراعية التي تحيط بحضرتها اليانعة.

.. وفي منطقة الحمام تبصر أحواض الاستحمام تزينها النقوش وعلي ارض

(1) راجع الدكتورة «عائشة التهامي» ملامح من حضارة الفيوم .

الفيوم تقع بعض الأهرامات التي تبدو علي هيئة تلال أشهرها هرم اللاهون وهرم سقارة ، لقد ذهبنا إليها مرارا وتكرارا في رحلات جماعية ، وهذا الهرم الذي بناه الملك سنوسرت الثاني من الطوب اللبن علي ربوة مرتفعة يكسوه الحجر الجيري، وهرم هوارة الذي بناه امنمحات الثالث فيحتوي علي دهاليز وحجرات كثيرة ، تنتهي بحجرة الدفن وبجانب هرم هوارة ، توجد بقايا قصر التيه أو « اللايرنيت » ومن المرجح أن يكون جزءا كبير منه مدفون تحت الأرض .

.. ويوجد في طريق وادي الريان بالواحات البحرية: يسمي دير المنحوت يقع علي بعد 115 كيلو من مدينة الفيوم و170 جنوب القاهرة قمنا بزيارة أثناء توجهننا إلى وادي الحيتان أقامه الأب متي المسكين - وهذا الأب الراهب سبق وأن التقيت به مع قداسة البابا شنودة بمستشفى السلام بالمهندسين، وكنت آنذاك في غاية السعادة بلقاء هذين الراهبين الجليلين وقد أنشأ هذا الدير هو وتلاميذه في الستينيات من القرن المنصرم بعد أن رحلوا عن وادي النطرون وقد حفروا عدة مغارات في منحدرات الطرف الشمالي للتعبد ، تمجيداً للأبنا مقار الذي نشأ في مدينة الإسكندرية وكان يعتكف للعبادة في إحدى المغارات في وادي الريان كما تشير بذلك إحدى المخطوطات القديمة المحفوظة في الدير ، وظل الأب متي المسكين بالدير المنحوت حتي دعاه البطريك كيرلس السادس للعودة لوادي النطرون. جاء إليه منذ عدة سنوات حوالي 14 راهباً وأعادوا فتحه للتعبد .

.. وقد وقع علي هذا الدير تعديات علي الألف الأفدنة من محمية وادي الريان تتمثل فيما شاهدناه إبان رحلتنا إلى وادي الحيتان وقرأناه في تعدي راهبان الدير المنحوت علي مساحات كبيرة من المحمية يبلغ طولها حوالي 10 كيلو مترات وكذلك الاستيلاء علي أراضي شاسعة من أراضي الدولة تقدر ب 9000 فدان من المحميات الطبيعية في منطقة تسمي العيون السحرية magic springs كما يوجد بهذه المنطقة الصحراوية التي تمثل محمية طبيعة حيوانات مهددة بالانقراض محرم صيدها محليا ودولياً ، وقد أنكرت الكنيسة المصرية هذا الأمر

ونشر هذا في الصفحة السادسة من جريدة الجمهورية 31 أكتوبر 2015 وافقت الكنيسة علي اتخاذ الإجراءات القانونية ضد اي من التعديلات .

.. ويعتبر قصر قارون موقع أثري وهو عبارة عن معبد في مدينة اثرية يقع بالقرب من بحيرة قارون بمحافظة الفيوم ومن المعروف أن «معبد قصر قارون» هو معبد من العصر اليوناني، ولا علاقة له بقارون الذي جاء ذكره في القرآن الكريم؛ الذي قال تعالى عنه «فخسفنا به وبداره الأرض» كما ألمعنا سلفاً .

.. معبد قصر قارون وكما يذكر في المصادر الاثرية هو معبد من العصر اليوناني الروماني وخصص لعبادة الإله سوبك و«ديونيسوس» إله الخمر والحب «عند الرومان» ولكن سكان المنطقة في العصور الإسلامية أطلقوا عليه تسمية قصر قارون لوجوده بالقرب من بحيرة قارون المجاورة له؛ والتي تم تسميتها بهذا الاسم لكثرة القرون والخلجان بها فأطلق عليها في البداية بحيرة (القرون)، وحرفت إلى بحيرة قارون؛ مع العلم أن هذه البحيرة في الأصل البقية الباقية من «بحيرة موريس» في التاريخ الفرعوني، ، وبالنسبة لعدد الحجرات في المعبد فإنها اقل من مائة حجرة، وكانت تستخدم لتخزين الغلال واستخدامات كهنة المعبد في هذا الوقت.

.. إما عن الطريق الذي يربط المدينة التي يقع بها المعبد « قصر قارون » وبين الإسكندرية فالحقائق التاريخية تؤكد وجود طريق برى يصل بين الفيوم والإسكندرية، كان يستخدم في نقل البضائع أيام الرومان من الفيوم ومحافظات الصعيد إلى ميناء الإسكندرية ثم إلى أوروبا.

.. وبالطبع لا وجود لكنوز في المعبد لأنها حقيقة ذكرها القران الكريم لكنة ذكر أن الله سبحانه وتعالى خسف بقارون وداره الأرض،بالإضافة إلى أن مكان وجود قارون غير معروف في مصر خاصة وأن القران لم يحدد مكانه أو مكان قصره، وإنما فقط أورد القصة للعبارة دون تحديد لمكانه.

.. إحدى الدراسات الحديثة أكدت تعامد الشمس على معبد قصر قارون في يوم 21 ديسمبر من كل عام، وتم تشكيل لجنة من علماء الاثار والتي أكدت ما جاء بالدراسة وأن الشمس تتعامد على قدس الأقداس بالمعبد في هذا التوقيت ويستمر التعامد حوالي 25 دقيقة (□).

.. كما توجد استراحة الأميرة فوزية على بحيرة قارون تم بناؤها على الطراز

السويسرى



.. الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق آخر ملوك مصر، كانت من المقربات له ولذلك فقد قام ببناء استراحة لها تطل علي بحيرة قارون بالفيوم لتكون مقرًا لها تأتي إليه وقتما تشاء لتتعمد بجو وسحر الفيوم ومياه بحيرة قارون، والاستراحة بنيت علي الطراز السويسري علي مساحة 5 أفدنة، وتتكون من طابقين.

.. واستراحة الأميرة فوزية هذه أو قصر الأميرة كما يطلق عليه أهالي الفيوم يعتبر تحفة معمارية تقع علي ضفاف بحيرة قارون، حيث يقع في بقعة سحرية أمام البحيرة، وشيده الملك فاروق لشقيقته المفضلة الأميرة فوزية لتقضي فيه أوقاتها وتستمتع بسحر وطبيعة الفيوم، مشيرًا إلي أن الاستراحة مكونة من طابقين يتوسط

الأول سلم من الأرو للصعود للطابق الثاني، ومكتب صغير تحت السلم، ويوجد أسفله مخزن للمأكولات، والطابق الأرضي يتكون من حجرة زجاجية تستخدم للتمتع بدفء الشمس في الشتاء، ويتصدر مدخل الاستراحة لوحة بها مربعات زجاجية عليها رسم للمبني ومعالم المكان الذي يضم الصالون والأنتريه والمدفأة، ويوجد بها غرفتان للنوم، وتطل الغرف علي الشرفة والحديقة، بالإضافة إلى حمام تركي وحجرة مكتب بأبواب حديدية مفتوحة.

.. ويشير إلي أن الاستراحة بها حديقة رائعة تحيطها الأشجار الباسقة والخضرة الليانة من كافة الجوانب، ومشكلة الاستراحة في السور الذي يحيط بها فهو قصير ويمكن التسلل إلي داخل الاستراحة من خلاله، ولذلك فإن الأجهزة الأمنية رفضت أن يقيم فيها الرئيس الراحل محمد أنور السادات عند زيارته للفيوم، واستبدلت إقامته بأحد الفنادق .

.. وهي عجيبة في تكوينها ومكوناتها غنية بتاريخها عبر العصور، وتنفرد بموقع متميز علي خريطة مصر الجغرافية داخل منخفض مساحته 4549 كيلو مترا مربعا، علي بعد 90 كيلومترا جنوب غرب القاهرة

.. ويطلق عليها البعض اسم «مصر الصغري»، لوجود البيئات المختلفة بها سواء أكانت زراعية أم صحراوية أم ساحلية أم بدو وحضر.

.. ومنخفض الفيوم يقع في غرب النيل ويستمد مياهه من ترعة بحر يوسف التي تخرج من النيل في ديروط بمحافظة أسيوط وتصب في هذا المنخفض وكانت تحوله في بداية العصر الفرعوني إلي بحيرة كبيرة تتسع وتضيق طبقا لمنسوب مياه النهر ويقوم علي شواطئها عدد من القرى المصرية، وقد انحسرت هذه البحيرة بالتدريج ولم يتبق منها سوي بحيرة قارون والتي يبلغ مساحتها حاليا 55 ألف فدان وقد أطلق علي هذه البحيرة اسم «بايم» أي «اليم» وتم تطويرها في القبطية إلي «بيوم» ثم «فيوم» في اللغة العربية وادخل عليها أداة التعريف فأصبحت الفيوم وهو

الاسم الذي أطلق علي المحافظة ولم يثبت تاريخيا وجود علاقة علي الإطلاق بين الفيوم وما يتردد بين العامة عن أن سيدنا يوسف قام بحفر ترعة بحر يوسف في ألف يوم والتي أصبحت بعد ذلك الفيوم نسبة إلى هاتيك الأيام الطوال التي صاحبة حفر هذه التربة .

.. ويشير «الشورة» مدير آثار الفيوم إلي الأساطير التي تحيط بالفيوم، وأشهرها ذلك المعبد اليوناني الروماني في أقصى الجنوب الغربي من بحيرة قارون، والذي يسميه الأهالي «قصر قارون» السابق ذكره وأحاطوه بالكثير من الأساطير من بينها أن عدد الحجرات به 365 حجرة بعدد أيام السنة، أو أن له طريقا من تحت الأرض يصل بين قصر قارون والإسكندرية، ويوضح أن البحيرة كانت مليئة بالتماسيح ولذلك كان الإله «سوبك» أول إله للإقليم علي هيئة تمساح، كما يشير مدير آثار الفيوم إلي وادي الريان، ويصفه بأنه أهم المحميات الطبيعية المتواجدة بمصر

.. وكان عدد من الباحثين الأثريين قد قاموا بنشر أبحاث عن تعامد الشمس علي قدس الأقداس في المعبد في هذا التاريخ من كل عام، والذي يوافق الانتقال الشتوي، والشئ المؤكد هو صحة تعامد الشمس علي المقصورة الرئيسية واليمنى في قدس الأقداس ولم تعامد الشمس علي المقصورة اليسرى، وهو ما أكده البحث لان هذه المقصورة كان بها مومياء التمساح رمز الإله (سوبك) إله الفيوم في العصور الفرعونية والذي لا يجب أن يعرض للشمس حتى لا تتعرض المومياء للأذى، خاصة وأن هذه المومياء من المفترض أن تكون في العالم الآخر بينما الشمس تشرق علي عالم الأحياء.

الحيتان

.. جاء ذكر الحوت في كتاب الله الكريم ، فقال جل شأنه:-

﴿ وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٧﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣٨﴾ فَالْقَمَمَةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٠﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤١﴾ فَبَدَّدَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٢﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الصفات]

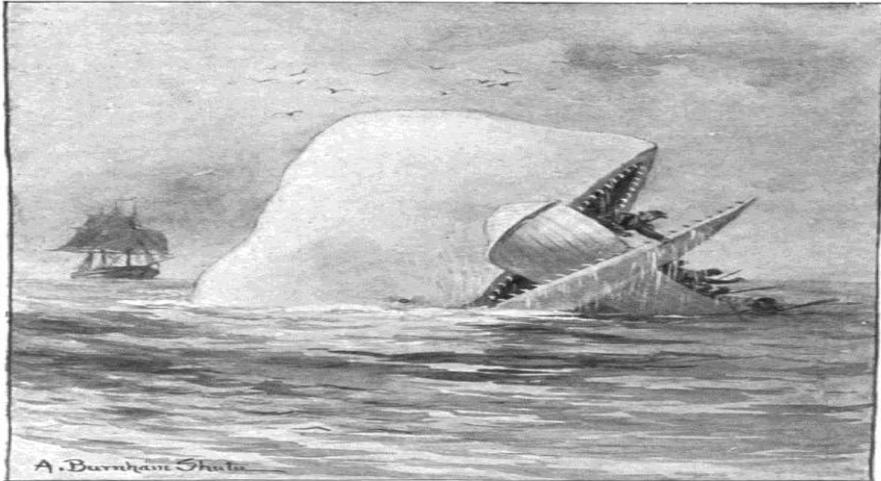
.. كما أخبرنا الكتاب المقدس عن حوت رينان . كان «رينان» نبياً من أنبياء اليهود ، أمره الله أن يدعو قومه إلى سلوك الطريق الديني القويم المستقيم ، وأن يعبدوا الله في حياتهم والإيمان بالخالق، بيد أنه إذ ورع وخرج إلى ساحل مدينة نينوي هروباً من بلده وأستقل سفينة كانت راسية علي مرفأ البحر، وفي أثناء شق السفينة لمياه البحر المتلاطمة تعرضت للغرق ، فأحس راكبوها أن ثمة شخصاً غير مرغوب فيه استقل السفينة معهم فأحل عليهم جميعاً غضب الله ، وتساءلو من منا هذا الشخص الذي اعتوره غضب الله ، ولن تمخر السفينة عباب اليم آمنة سالمة ، ولن يكتب الله الحياة طالما أن هذا الشخص علي متنها ، رفع رينان يده قائلاً : أنا هو هذا الشخص

.. فقدفه ركاب السفينة إلى أعماق البحر الهائج ، فالتقطه الحوت وظل أياماً ثلاثة في جوفه ، يستغفر لله علي عصيانه لأمره ، فما كان من الحوت إلا أن لفظه علي الشاطئ .

.. ويمم وجهه إلي قومه يدعوهم إلي ما أمره الله به . ولقد ذكرت الحيتان أربعة

مرات في الكتاب المقدس ، وليس علي أنها مخلوقات من الطبيعة بل أدوات لإرادة الخالق

.. وفي العصور الوسطي ظهرت الحيتان علي أنها أعظم من أسماك القرش، وبدأ الإسكندنافيون في صيدها علي أنها من الأسس التجارية في القرن التاسع ، غير أن صيادي الحيتان كانوا هم الأوائل الذين طاردوا الحيتان لما هو أبعد من سواحل أوروبا وإلي الشمال الأطلنطي . خلال عصر التوسع العظيم لصيد الحيتان التجاري في القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر عُد هذا الحيوان أكثر خطورة ، ودخل الخوف الي وعي أهالي الأرض من خلال عدد ضخم من القصص الرومانتيكية حوله صيد الحيتان، التي كتبها السير والتر سكوت، جيمس فينيمور كوبر، وعدد آخر من كتاب أقل شهرة. لم يكن لأي منهم خبرة شخصية مع الحيتان، عدا مع تلك الميتة والمجروفة علي السواحل القريبة. لقد اعتمدوا عوضاً عن ذلك بقصص صيادي الحيتان، الذين عكسوا شراستهم هم علي فرائسهم، حتي أنهم أطلقوا علي قطاع الحيتان الرمادية المسالمة عادةً أسم السمكة الشيطانية.



.. Both jaws, like enormous shears, bit the craft completely in twain."
— Page 510.

.. وكلما اشتدت حدة صيد الحيتان اشتد معها مقدار العنف بين الإنسان

والحيتان، عندما كانت تُهاجمهم وكانت هذه الحيتان معروفة بقدرتها علي كسر وإغراق ليس فقط قوارب صيد الحيتان الصغيرة بل السفن الكبيرة .

.. والحوت له عينين يوسعان نطاق الرؤية أو يحدوا ، فأنت تري الأمام أو الجانبين، ولكن موقع عين الحوت يسمح له برؤية ما يجري خلفه ، أيضاً بعين واحدة ، كما يري ما هو أمامه بالعين أخري ، ولكن تراه عين ولا تراه الأخرى، فكل منهما ثابتة في موضعها واتجاهها فإذا أراد الحوت مهاجمة فريسة له اتجه إليه من الأمام مباشرة وإذا أراد استطلاع ما حوله وقف في الماء ودار بكل جسمه .

.. ولقد ظهر ذلك لنا جلياً عند مشاهدتنا لفيلم (الحوت القاتل) ، وهو فيلم عالمي كانت عبقرية المخرج والمصور تتجلي ، بدايةً لنا عندما صور لنا هذا الحوت القاتل الذي أرد الانتقام من صياد قتل أنثاه ، وعندما غاص البحار في عمق المحيط ورآه الحوت ، وتبين له أنه القاتل تتبعه في المياه حتي فتك به فتكاً ذريعاً .
.. ويقال أن للحوت ذاكرة قوية حديدية لا يفتأ أن يعود إليها عندما يحوط به الأخطار .

و (الحبار العملاق) أضخم لافقاري في المملكة الحيوانية ولديه أكبر ثاني عينين بها ومن ثمة يتفوق في الحوت علي ذلك في قطر كل عين منهما يصل إلي 30 سم وهذه العيون الضخمة تمكن الحيوان من الصيد تحت عمق 30 متر وكلما كبر حجمه كبر حجم عينيه كما أن لديه ما يشابه التلسكوب مما يعطه قدرة هائلة علي تحديد المسافة بينها وبين كائن آخر في حالك الظلام.



Moby Dick swam swiftly round and round the wrecked crew.

.. ويقص علينا التاريخ البحري أن بحارة كانوا علي متن سفينة تدعي Essex غرقت في مياه المحيط الهادي وابتلعها الموت الغاضب بعض أن ضربها حوت ضخم في عام 1820 .

.. وفي عام 1851 أصبح صيد الحيتان علي وشك التراجع، وكانت الثروة البترولية هي السبب في ذلك .

.. ويذكر صاحب كتاب الساحل البشري the human shore لمؤلفه John R. Gillis أن حوت موكا ديك كان حوت سى السمعة وهو حوت أبيض تمت ملاحظته في البداية عبر جزيرة موكا في الساحل التشيلي في العام 1810 ، وهو حوت كان يعربد في مياه المحيط وهو المسئول عن عدد من الإعتداءات عندما جرت ملاحظتها برماح صيد الحيتان علي مدي عقدين كاملين من الزمان.

.. موبي ديك (Moby Dick) هي رواية من تأليف الروائي الأمريكي هيرمان ملفيل صدرت في 18 أكتوبر 1851، تدور حول صراع تراجيدي بين حوت وإنسان تتخذ من هذا الصراع الضاري وسيلة لتأمل الوضع البشري وعلاقته بالوجود كما تحوله إلى كيان رمزي معقد، وعن المشروع الاميركي الذي

وجد في عمل «ملفيل» شكلا من اشكال التعبير عن نفسه في منتصف القرن التاسع عشر أي حين كانت أميركا تكتشف ذاتها كقوة كونية وامبراطورية إمبريالية أمريكية بالقوة والإمكان. فكانت رواية موبى ديك وروايات «ملفيل» الأخرى بمثابة نبوءة لما ستصير اليه هذه القوة الكامنة.

وعن الحيتان تحتل القصة مكانة مرموقة بين كلاسيكيات الأدب العالمي، فهي إضافة إلى كونها الملحمة الكبرى المكتوبة حول الصراع والتحدي بين الحوت والإنسان، الا انه مر على صدور «موبى ديك» للمرة الأولى زهاء المئة وخمسين عاما لاقت الرواية خلالها من الاهمال ما جعل نفس كاتبها تمتلئ باليأس والإحساس بالعجز ليصرف بقية حياته موظفا في سلك الجمارك الاميركية ويموت مهملا مجهولا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ولم يلتفت إلى الرواية وينظر إليها بصفتها أحد الكتب العظيمة سوى عام 1907 أي بعد وفاة صاحبها بستة عشر عاما، عندما تم ادراجها ضمن سلسلة «ايفري مان لايراري» الشهيرة التي تنشر الكلاسيكيات الكبرى ولم يهتم النقد بالرواية الا في العشرينات من القرن الماضي حين بدأ الباحثون والنقاد وأساتذة الجامعات يكتبون عن هذا العمل الروائي المدهش الذي طور شكل الكتابة الروائية في منتصف القرن التاسع عشر وجعل الرواية الأميركية تحتل مكانة متقدمة في تاريخ الرواية العالمية.

.. ولقد قام الممثل العبقرى «جريجورى بيك» بتمثيل تلك الرواية في فيلم حيث قام بأعظم أدواره على الإطلاق في تمثيل شخصية البحار الباحث عن غريمه «موبى ديك» عبر البحار وهذا الفيلم حصل على العديد من جوائز الأوسكار.

.. وعند صدور هذه التحفة الأدبية الرائعة لم يكن صيد الحيتان مصحوبا بالتغير العالمي لعملية صيد الحيتان بحد ذاتها، أن لاحظت هذه الثدييات العملاقة بشكل كبير مجددا في الخيال الشعبي. لقد عاد الحوت ليس علي أنه ذلك الشئ الضخم من الماضي ، ولا علي أنه مصدر الرعب في أعلي البحار ، بل علي أنه

نموذجاً للأجناس المهددة بالانقراض. ومع انتقال صفاتها كقاتلة إلي سمك القرش، تحولت الحيتان إلي نجوم للمنتزهات البحرية مثل « عالم البحار» لقد بدأت عملية مشادة الحيتان التجارية خلال سبعينيات القرن العشرين حيث حفرت الطريق في العام 1982 لمنع صيد الحيتان التجاري عالمياً. لقد أصبح الآن مقبولاً أن تهاجم الحيتان فقط إذا كانت في حالة دفاع عن النفس، عندما تحاول أن تدافع عن نفسها وعن صغارها. في وقتنا الحالي، تعتبر الحيتان «رموزاً وتمثل كل ما هو غامض، ورائع، ومعطاء للحياة في المحيط». ووحشية الحيتان ما هي إلا نتاج جهلنا وليست نتاج طبيعتها، وهو الموضوع الذي نراه حقيقة بالنسبة إلي سمك القرش.

وللحيتان تاريخ في عالم السينما يبدأ من الفيلم العالمي (Moby dick) السالف ذكره عن قصة المؤلف سالف الذكر وصراع بطل هذا الفيلم الممثل العالمي جريغوري بيك والبحارة المرافقين له مع الحوت القاتل، ولقد شاهدت هذا الفيلم - تقريباً- عام 1957 مرات ومرات، وهو يحكي عن هذا الصياد الذي قتل الحوت أحد أقاربه وأعتقد أنه أباه، أخذ يغالب الأمواج الغالبة الصاخبة الهادرة متعقباً هذا الحوت رغبةً في الانتقام لقتله، كتب قصة هذا الفيلم «ميلفل» Herman Melville المذكور آنفاً، ثم جاء الفيلم الأخير عن الحوت المسمي in the heart of the sea وهي قصة حقيقية، حيث تطارد فيه الفريسة الصياد، وتحكي عن قصة البحارة الذين يودون الحصول علي هذا الحوت بغية استخراج زيتته منه، فزيت الحوت بالنسبة لهم يساوي الصراع حول الحوت .

.. وقد ذكرني هذا الفيلم بقصة فيلم The Revenant المستوحاة من قصة حقيقية لتلقى الضوء على حياة رجل اتسم بقوة غير عادية وبروح وثابة لا تجد لها مثيل . لتحكى عن «هوج جلاس - (ليوناردو ديكابريو) والذى ذهب في اواخر القرن التاسع عشر في بعثة استكشافية للأماكن البرية بأمريكا . ويتعرض للخيانة

من زملائه - على رأسهم فيتز جيرالد - «توم هاردى» - بعد هجوم احد الدببة عليه وتسببها له بجروح بالغة . ويتركوه للموت ويدفنوه حيا .. عليه الآن الصمود أمام الشتاء القدم وتضميد جراحه البالغة .

.. وجاء في كتاب الوحوش الغريبة لمؤلفه روي تشاجان أندروز أن مجموعة متيانية من الوحوش الغريبة ملأت الأرض منذ ملايين السنين ومنها وحش البلوخستان الذي عاش علي الأرض منذ حوالي 20-30 مليون عام والذي اكتشف عظامه وبقاياها السير كلايف فورستر ومنها الحوت

.. كما اكتشف العالم بوريسياك في أثناء الحفر علي حيوان ثديي له نفس الحجم المذهل ، كان يرتفع ثمانية أمتار فوق الأرض إذا مد رقبتة إلي أعلي .

.. وكذلك الماموث ودينوهيوس وإيو هيوس ، نهايك عن وحش (أمبولوثيريوم أندروزي) ويعني (وحش أندروز ذو الأنف الهدام) ، ناهيك عن الأسود المتوحشة والذئاب الضارية وغيرها من ذات الأحجام العظيمة ، وجاءت فترة عصر الثدييات (فترة الباليوسين فترة الأيوسين أو فترة الفجر ، فترة الأليجوسين فترة الميوسين أو الفترة الوسطي فترة البليوسين فترة البليستوسين - وتشمل العصر الجليدي - الفترة الحديثة) عاشت خلال هذه الفترات كائنات في عصر الثدييات الذي بدء منذ حوالي 72 مليون عام ، حين اختفت الديناصورات .

.. كما أثبت ذلك السجل الحفري ، والحفريات بقايا نباتات أو حيوانات عاشت في وقت ما علي سطح الأرض أو في الماء وهي عبارة عن عظام ولكن يمكن أن تكون إنطباعات علي الصخر أو آثار أقدام وتساعدنا هذه الحفريات علي فهم قصة الحياة علي وجه البسيطة . حتي جاء حيوان البر الذي نزل إلي البحر وهو حوت «الكبريت» منذ أكثر من 100 مليون سنة والحيوانات المكتشفة الغريبة لا تضارع حوت الكبريت طولاً أو وزناً وكان يبلغ طوله حوالي 25 متراً، وتنقسم الحيتان ناهيك عن حوت الكبريت ، حوت الزعنفة الزهرية ، حوت الثاي وحوت

الرمح وحوت الأزرق والحوت الأحذب القبيح.

.. وها هو ذا الحوت الأحذب العملاق يظهر على شواطئ مرسى علم .

في غضون هذا العام رصد الراصدون أن طوله يتعدى عشرة أمتار وقيل أن الحوت الأحذب مسالم وصديق للإنسان ، وإنه يألف العيش في المياه العميقة القريبة من السواحل ، ويوجد في كل بحار العالم تقريباً وهو رومادي أسود من جهة الظهر داكن من الجهة السفلية للجسم ، ويتنقل صيفاً وشتاءً بين المياه الباردة والدافئة بعد فترة حمل تدوم 12 شهر تلد الأنثى صغيراً واحداً يفطم بعد 11 شهر

.. وقد اشتقت كلمة حفرية من الحفر

.. وعندما وطأت قدمي أرض الفيوم عام 53 مع أسرتي ، والدي ووالدي رحمهما الله وإخواتي - كما ألمعنا - ، قضينا أحلي أيام حياتنا في هذه المدينة الساحرة ، وجبنا ضواحيها ، وبقاعها المختلفة فمن النواير التي تدور بدفع المياه بمنظر بهيج إلي هرم هواره ، فهرم اللاهون إلي بحيرة قارون ، فوادي الريان ، وكنا قد ذهبنا إليها عقب نقل والدي إلي الفيوم . كانت الدموع تملأ مقالينا . إذ أبصرنا والقطار يتهدى بنا إلي محطة المدينة الحجاره والصخور تحيط بنا يميناً ويساراً فظننا في مدينة الفيوم الظنون مع أننا كما سبق القول عشنا فيها أجمل أيامنا كذلك كنا نعيش في مدينة سوهاج عقب نقل الوالد إليها من الإسكندرية عام 1949 ، وغادرنا الفيوم في مشارف عام 1957 والأسف يعتورنا علي تركنا لها حيث نقل والدي منها رئيساً لمحكمة مصر وكانت العشرة قد الطيبة قد دامت واستدامت بيننا وبين أصدقائنا وزملائنا وجيراننا مسلمين ومسيحيين وأحبائنا في هذه المدينة الساحرة الجميلة التي لانكل ولا نمل من ذكرها والإشادة بها .

..وقد كانت الفيوم (□) ذات يوم بعيد من أهم جهات الاستصلاح الأراضي في مصر القديمة والوسيطه حيث تم بناء الجسورة والقنوات وصرف المياه التي كانت تغمر أجزاء كبيرة من الدلتا ، ويمكن لنا أن نستشف روح المغامرة في هذه العمليات من نقوش الفراعنة التي كانوا يسجلون فيها بالفخر أعمال أمراء هذه المناطق في تأسيس المدن وتعمير المناطق غير المأهولة ، وقد أسس مدير الأعمال الخاص (الخولي) للملك رمسيس الثالث حوالي سنة 1070 ق.م ، مزرعة من الفواكه على النهر الغربي (الفرع الكنوبي للدلتا) أهدها إلى الإله آمون في أرض استخلصها من بركة من الماء .

.. والفيوم جزء لا يتجزأ من الصحراء الغربية بل هي كما اعتبرها الأقدمون إحدى واحات الصحراء الغربية بل هي أهم واحة فيها كما إرتأى جل الأثريين والجغرافيين كما سبق ذكره.

.. لم نكن نعرف بعد عن أرض الصحراء الغربية إلا النذر القليل ، وأنها سوف تلفظ من أعماقها منذ تاريخ بحر « التيتش » الذي غيض ماؤه منذ ملايين السنين حيثانا ضخمة يعود زمانها إلى حقب غائرة في التاريخ ، فشددنا الرحال عبر التاريخ إلى هذا المكان حيث كانت الصحراء التي تحيط بنا من كل حذب و صوب تقبع تحت سطح البحر. وأسفرت خلال رحلات استكشافات عن العثور على حفريات فقارية مذهلة ، يعود تاريخها لأربعين مليون سنة في وادي الحيتان .

.. وعلي مسافة تبعد 170 كيلومتر جنوب غرب القاهرة ، إجتزنا بوابة محمية وادي الريان لنبدأ السير بالسيارة في طريق غير ممهد وغير أسفلتي يحده علي الجانبين حجارة لا تسمح لك بأي تجاوز أو الخروج عن المسار المحدد في عمق الصحراء المترامية الأطراف وبعد رحلة شاقة ، نصل إلى متحف هو الأول من

(1)الدكتور رشدي سعيد نهر النيل ص 210

نوعه يحتوي علي حفريات، يرجع عمرها لملايين السنين ويعرض داخل المتحف الذي لم يكن مسموحاً لأحد أن يدخله ، لتجد نفسك أمام حوت (الباسيلو سورس إيزيس) وهو أضخم حوت متحجر، يظهر للرأي الأطراف الخلفية له ، تمثل الدليل القاطع علي انتقال الحيتان من كونها كانت كائنات أرضية تعيش علي اليابس إلي كائنات بحرية تعيش في مياه البحار والمحيطات.

.. وقد كتب الكثير من علماء الغرب ناهيك عن علماء العرب ومنهم المسعودي وأخوان الصفا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الكثير عن أشكال سطح الأرض ، والمتغيرات التي تحدث بالسواحل نتيجة للتبادل بين اليابس والماء ، والجبال التي تنشأ عن الحركات الباطنية التي تسبب الزلازل والبراكين وتدفق المياه الباطنية وانبثاقها في هيئة عيون وينابيع .. وهذا ما حدث في الواحات.

.. نقل المسعودي المؤرخ والجغرافي العربي المتوفي سنة 956م (صاحب مروج الذهب ومعادن الجوهر) عن كتاب المنطق لأرسطو فكرة المتغيرة والتبادل بين اليابس والماء ، فلا البحر يبقى بجزراً دائماً ، ولا اليابس يدوم يابساً ، وذلك لصب الأنهار فيها ، وانقطاعها عنها. وطبق هذا الرأي على بلاد العراق مبيناً أثر نهري دجلة والفرات ، وما يجلبانه من كميات ضخمة من الرواسب ، في ظهور أراضي جديدة . كما أوضح تغير مواضع الأنهار وأثر هذا التغير في اختلاف مواقع العمران ، وذلك حينما ذكر انتقال مجرى نهر دجلة من موضع لأخر شرقي بغداد ، وأشار إلى تعمير أمكنة وخراب أمكنة أخرى بسبب هذه الأنتقال .

.. وعلى ذكر بحر التيش الذي تحول جزءاً كبيراً من مائه إلى أرض كتب إخوان الصفا⁽¹⁾ (القرن الرابع الهجري أي العاشر الميلادي) رسائل مشهورة في مختلف ألوان المعرفة ، واحتوت تلك الرسائل الكثير من أفكار الأغريق والرومان ، ومن بينها أيضاً التبادل بين اليابس والماء .

(1)الدكتور «جودة حسنين جودة» الجيومورفولوجيا علم أشكال سطح الأرض

.. فالبحر يصير يابساً بما يرد إليه من رواسب تحملها إليه الأنهار ، فتتراكم على قاعة ، وبمرور الزمن يعلو هذا القاع مكوناً جبلاً وتالاً ، وبذلك ترتبع المياه في البحر وتعلو ، وتطغي على اليابس الذي يصير بحراً .

.. ويظهر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) محمد بن الحاسب الكرخي ، الذي ألف كتاباً أسماه (أنماط المياه الخفيفة) وفيه يشرح كيفية استخراج المياه الجوفية . وفي مقدمة كتابه وصف للأرض ، يذكر فيه أن بها حركات دائمة ، يترتب عليها أنهار الجبال ، وتفتت موادها ، ونقل تلك المواد بواسطة المجاري المائية ، وإرسابها في أماكن أخرى ، حيث تجتمع ، فتتحرك الأرض طلباً للمساواة والتعادل ، فتتغير لذلك عروض البلاد ، ويكون ذلك سبباً في انتقال البحار ، وظهور عيون ، واختفاء عيون أخرى ، ويكون ذلك كله بالتدريج . وفي هذا الحديث أفكار واضحة عن دورة التضاريس والتوازن الأرضي .

.. ويعالج أبو الريحان البيروني الصلة بين اليابس والماء بأمثلة واضحة حينما يذكر أن شمال الجزيرة العربية كان جزء من البحر ، وأدلته على ذلك واضحة تتمثل فيما ذكره من العثور على مستحجرات (حفريات) بحرية عند حفر الآبار (أصداف وودع) . أو حينما يؤكد أن سهول الهند كانت بحراً قديماً ملأته الرواسب الضخمة التي تأتي بها الانهار ، بل أنه وصف التصنيف الأرسابي لتلك الأنهار حسب أحجام الرواسب في مجاريها العليا والوسطى والدنيا .

.. أما «أبو علي الحسين بن سينا» فقد كان عالماً طبيعياً كما حاذقاً في الفلسفة والطب . ولا يكاد يخلو كتاب الجيومورفولوجي من ذكر ابن سينا ضمن الرواد الأول الذين وضعوا لبنات في صرح هذا العلم وقد علاج ابن سينا ظواهر جيومورفولوجية متعددة ، منها كيفية تكوين الجبال : فقال أن بعضها ينشأ عن عمليات باطنية رافعة كتلك التي تصاحب الزلازل ، وهذه تحدث دفعة واحدة ،

وبعضها الآخر ينشأ نتيجة لفعل المياه الجارية والرياح ، وهذه تحتاج إلى وقت طويل لتشكيلها ، مما يدل على أن هذا الرجل كان واعياً بمبدأ التطور المتدرج البطيء للأشكال الأرضية التي تنجم عن فعل عمليات التعرية .

.. وقد أدرك ابن سينا فكرة التتابع الصخري في هيئة طبقات متفاوتة الأعمار ، وأشار إلى الوقت اللازم لتحول الرواسب المفككة اللينة إلى صخر صلب ، كما استخدم هو والبيروني الحفريات البحرية للدلالة على التغير والتبادل بين اليابس والماء .

.. كان المسح الجيولوجي لمصر عام 1902 قد رصد وسجل ، بقايا متحجرة في تلك المنطقة دون تحديد طبيعة هذه الحفريات أو حدود هذا المكان .

.. وفي عام 1989 ، وعلي أثر اكتشاف الدكتور «فيليب جنجرش» حوتاً ظاهراً معاً وجود بقايا الأطراف والأقدام الخلفية، أعلنت منطقة وادي الريان بالفيوم كمحمية طبيعية .

.. وفي عام 1989 أعلنت منطقة وادي الحيتان التي هي جزء من وادي الريان كمحمية طبيعية .

.. ثم جاء عام 2005 حيث أعلنت المنطقة كتراث طبيعي من قبل اليونسكو .
.. وتذكر «مها عمران» في تحقيقها الصحفي المميز المعنون باسم «رحلة خاصة عبر الزمان والمكان» في مجلة صباح الخير 9 فبراير 2016 ، أن الدكتور محمد سامح



– مدير إدارة الجيولوجيا
والحفريات – قد أنها إليها أن
علاقته بوادب الحيتان بدأت
منذ عام 2000 ، وانه قد كان
يحلم بعشر نقاط لهذه المحمية
الرائعة والمتميزة ، وأن أهلامه

تحققت بالكامل من خلال تحديده لنقاطاً معينة ، أولها : أن يحدد طريقاً واضحاً وسهلاً للدخول للوادي دون أي إضرار بالموقع .

.. أما إسراء صابر - الباحثة بإدارة الجيولوجيا والحفريات ، بقطاع حماية الطبيعة - والتي تقيم بالموقع في معسكر الصحراء ، وتذكر أن هذه المنطقة غنية جداً بالحفريات لأنها مرت بعدة عصور جيولوجيا ، حيث كان هذا المكان مغموراً بمياه ببحر التيتس وهو الاسم القديم للبحر الأبيض المتوسط ، حيث كانت شواطئه ممتدة عبر الجزء الشمالي لمصر ، وخلال العصر (الأيوسيتي) وصل البحر جنوباً إلى الأقصر ، ثم تراجع شمالاً بعد ذلك وكان وادي الحيطان خلال الحقبة الأخيرة من العصر الأيوسيتي ذو مناخ أكثر رطوبة فهطول الأمطار الغزيرة شكل أنهاراً نقلت الكثير من الصخور والرواسب .. تفاعلت الأنهار الموسمية مع مياه البحر مما جعل المنطقة غنية بالغذاء وكانت منطقة ضحلة بها تيارات مائية ضعيفة جذبت الكثير من الكائنات البحرية المتنوعة المفترسة . بالإضافة إلى أنه هناك منطقة جبل قطراني والذي ينتمي لعصر (الألوجيسي) (30-35 مليون سنة) وهي منطقة تتمتع بخصائص بيئة برية متميزة .. حيث استطعنا التوصل إلى أجزاء كبيرة من حيوان الفيوم القديم والذي يشبه (وحيد القرن) ..

.. وثمة مهرجان قد أقيم في الساحل الشمالي ببحيرة قارون بالقرب من منطقة جبل قطراني بعد أن قامت الفنانة التشكيلية اللبنانية «إنجيلا عشروالي» بتصميم أكبر شجرة في مصر بصورة مبهرة عرضت بهذا المهرجان الذي سمي (بمهرجان أشطورة) (□)

.. دلفنا إلى متحف وادي الحيطان الذي ألفينه يختفي معظمه تحت الأرض ولا يظهر منه سوى القباب ، فالبناء تحت الأرض يمنح المكان تبريداً طبيعياً وبعد أن

(1)محمود عمر شجرة أشطورة الأخبار 5/5/2016

فحصنا المتحف وشاهدناه علي الطبيعة عدنا أدرجنا إلي القاهرة بعد أن أسدل الليل سدوله علي المكان برمته . وبعد أن ألقى الليل للنور وشاحه .

.. ووادي الحيتان يذكر عنه التاريخ أنه في عام 1903 كان العالم تيد بيل يقوم بالمسح البيولوجي بمصر عندما اكتشف حفريات لعرض الكائنات البحرية بصحراء الفيوم بمنطقة وادي الريان .

.. تلك الحفريات كانت للحوض المعروف باسم الباسبولوسورس إيزيس والتي يصل طولها إلى 18 متر وجود الدورويرون أثروكس وهو أقل حجمًا ، وقد عرفت كأنواع جديدة للحيتان في متحف التاريخ الطبيعي بلندن عام 1902 م .

.. سميت المنطقة باسم وادي الحيتان ، الذي اشتهر بوجود حفريات لحيتان كاملة كانت تعج بها المنطقة قبل 40 مليون سنة عندما كان الوادي يقع تحت محيط ضخم ، بالإضافة إلى حفريات بحرية عديدة يمكن رؤيتها في المتحف المفتوح الذي يتيح للزائرين إمكانية رؤية الحيتان وعدم المساس بها لحمايتها (□).

.. وفي عام 1898 م أكتشف فريق العمل المكون من علماء الحفريات المصريين والأمريكيين أول عينات مائية لهيكل الحوت الباسيلوسورس والدورويورد أثروكس بأرجلها وأقدامها الصغيرة .. وفي عام 1996 تم اكتشاف حوت آخر قديم يبلغ طوله 5 أمتار هو حوت « أتشيرنوس سيمونس » .

.. وفي العام 2005 م تصنيف منطقة وادي الحيتان كمطقة تراث عالمي واختارتها اليونسكو كأفضل مناطق التراث العالمي للهيكل العظيمة للحيتان .

.. وفي عام 2006 م تم اكتشاف أول حفرية من الثدييات البحرية وهي من أجداد الفيل وتعرف باسم «بيراثيوم» وفي عام 2007 تم تسمية الحوت الذي يبلغ

(1)مجلة فكرة وادي الحيتان . دار العلم للنشر

طوله 10 أمتار باسم « ماسوا سيتسي ماركجريف » .

.. كما تم العثور على حفريات لعروس البحر وأسماك القرش وأحياء بحرية أخرى والتي تصور نشاط هذه الكائنات التي عاشت منذ أكثر من 40 مليون سنة وأسلوب حياتها وتحولها من حيوانات أرضية إلى حيوانات بحرية وتعد حفريات المنطقة هي الأكثر عددًا وتركيزًا وجودة مقارنة بالمواقع الأخرى .

.. كما تعتبر وادي الحيتان بيئة طبيعية للحيوانات المهددة بالانقراض مثل الغزال الأبيض والغزال المصري و ثعلب الفنك و ثعلب الرمل والذئب والطيور المهاجرة النادرة مثل صقر شاهين و صقر العزال والصقر الحر والعقاب النساري وأنواع أخرى من الطيور المهاجرة مثل أنواع البط والسمان وأنواع البلشون والعنز وغيرها ومن النباتات البرية مثل الأتل الرطريط الأبيض العاقول السمار الغاب البوص الغردق الحلفا وغيرها .

.. ويمثل الوادي متحفًا جيولوجيًا مفتوحًا فريدًا في نوعه وهو ما يجعل المنطقة من أجمل بقاع العالم لوجود التلال الرملية الصغيرة والتتوءات الصخرية من الحجر الرملي ذات الأشكال المتنوعة . وقد تكونت من خلال الرواسب الناتجة من تأثير العوامل الجوية من صخور يطلق عليها الصخر الأبوي – فيما أعتقد (□) .

.. وقد ذكر « جوناثان سويفت » في كتابه (Swift Gulliver's Travels) الحيتان التي ألقاها في أحد الممالك التي جابها ، فقال :

.. إنه يصدف من حين لآخر أن يرمي البحر حوتاً علي الصخور ، فيتمتع بأكله عامة الناس . وهذه الحيتان التي عرفتها ضخمة الحجم جداً بحيث لا يستطيع احد العملاقة أن يحمله علي كتفيه وأحياناً تحُمل في سلال إلي العاصمة للفرجة .

.. ويذكر سوفيت أن جلفر رأي أحد الحيتان مطبوخاً علي مائدة الملك

(1) راجع شيريل جاكاب – دورات الأرض ص 21 .

باعتباره طبخة نادرة، ولكن الرحالة جلفر لاحظ أن الملك لا يحب أكله ، لأنه في الحقيقة يقرّف من الأشياء الضخمة ، ثم يعود جلفر فيذكر : أنه رأى حوتاً مهولاً في جرينلاند من رآه يدب الرعب في سويداء قلبه.

وادي الحيتان

.. التماسيح هي من فصائل أسلاف الحيتان كانت مُفترسات بحرية تعيش في الأنهار والبحيرات، وقد شغلوا مرتبة بيئية مُشابهة للتمساحيات. وقبل ذلك بكثير، قبل عصر الزواحف، كانت بعض أنواع البرمائيات هي أول الحيوانات التي تبنت بنية الجسم والموضع البيئي هذين.

.. وقد قيل أن « باماكو » بالفرنسية (Bamako) مدينة تحرسها التماسيح .

.. وباماكو هذه هي عاصمة جمهورية مالي التاريخية والاقتصادية والثقافية .

.. وباماكو (ظُهر التماسح) كما يطلق عليها نشأت من خلال روايات ثلاث :

.. تقول الرواية الأولى وهي أشبه بأسطورة ، أن موقع متحف باماكو الحالي كان عبارة عن ترعة تعيش فيها ثلاثة تماسيح ، تخرج من فترة لأخرى لتجوب القرية ثم تعود إلى مسكنها .. وأضاف دو كوري : « أن أنول حاكم فرنسي أقام في مبنى البلدية عانى الكثير من الزيارات المفاجئة لهذه الكائنات الشركة ، لدرجة أنه أصدر أمراً بالقضاء عليها ، حيث كانت التماسيح الثلاثة تقتحم مكتبة فجأة وتتجول فيه ثم تغادر بسرعة إلى الترعة وقد أصدر أمره بالقضاء على هذه التماسيح: فاخفت من حياته ، وهذا ما جعل بعض الناس يطلقون على هذه

التماسيح مصطلح (دوغو داسيري) ويعني « حراس المدينة» أو «درع المدينة» .
.. أما الرواية الثانية عن تأسيس باماكو فتشير إلى أن علاقة صداقة ومحبة ربطت بين ثلاثة رجال من ثلاث قبائل : (بامبا سانوغو) الأول صياد من قبيلة سينفو والثاني (تال مامان توري) شيخ من أصل عربي قدم من قرية (تواتي) : وهي منطقة تابعة لموريتانيا حالياً وهو مؤسس حي (بغداد) في باماكو ولايزال أحفاده يتربعون على زعامة هذا الحي ، والثالث (سيريبا جان نياغاتي) ويعمل صياداً من قبيلو بانمبرا .

.. ألتقى الرجال الثلاثة عند موقع المدينة ، ثم جلب كل واحد منهم عشيرته وقومه للإقامة في هذا المكان . واتفقوا على إعطاء اسم القرية لأول من وصل منهم وهو الصياد « بامبا» الذي كان يترصد التماسيح في بحيرة «كو» التي أقام الرجال الثلاثة حولها ، وبالتالي فإن اسم (باماكو) ماهو إلا تحريف ل «بامباكو» وتعني بحيرة الصياد بامبا .

.. أما الرواية الثالثة فتقول إن إحدى قبائل «البانمبرا» والملقبة ب«نياري» هي التي قطعت الغابات الكثيفة التي كانت تغطي المنطقة ، وأقامت فيها بزعامه صائد شجاع اسمه (سيريباجان نياغاتي) تمكن من القضاء على التماسيح الخطرة المنتشرة في المستنقعات المحيطة بالغابة ، والتي كانت تهدد الوجود البشري في المنطقة ، ولم يبق منها إلا على ثلاثة تماسيح فقط لذا فإن بامكو هي في الحقيقة كلمة من مقطعتين «باما» و«كو» باما مع التشديد تعني التمساح ، أما «كو» فتعني البحيرة .. وبالتالي فإن باماكو هي « بحيرة التماسيح» .

.. وقد كانت بحيرة الحيتان وسط صحراء قاحلة مما يعد ضرباً من الخيال ، ولكنها حقيقة تراها بمجرد أن تطأ قدمك وادي الحيتان في مصر.

.. باتجاه محافظة الفيوم جنوباً، وعلى بعد 150 كلم من العاصمة المصرية

القاهرة، تستريح بقايا أحفورية منذ ملايين السنين بعد أن تركها انحسار البحر
التيهي الذي غمر المنطقة في عصور سحيقة .

.. أذمنا الذهاب إلى وادي الحيتان وفي رحلة عبر مدقات زرعت في الأراضي
زرعاً توجهنا مع رفقائي إلى وادي الحيتان في جنوب الفيوم ذات نهار مشرق بدأ
الصباح فيه جميلاً جميلاً . ساحر الفجر ندي الهواء ، أنا وصحبي المكونة من
العقيد بدوي مأمور الفيوم والأخ « علي الليبي » ، ونجلي « المستشار خالد بركات »
القاضي بمجلس الدولة ، لمشاهدة هذا الوادي الذي جمع بين جنباته آثار الحيتان
التي قذف بها البحر في غابر الزمان على صحراء الفيوم ، وفي المنطقة المجاورة
لجبل قطراني الشهير الذي كثيراً توجهنا إليه عبر الرحلات المدرسية باعتباره أثراً
تاريخياً من آثار الفيوم أو بالأحرى من هبات الطبيعة الجغرافية .

.. وقد جاء ذكر الحيتان في أساطير ألف ليلة وليلة

.. إذ قالت « شهرزاد » في ليلة 174 إن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من
البحار .

.. عشرات من هياكل الحيتان التي يمكن للزائر رؤيتها في المتحف
المفتوح، وبقايا أحفورية لأسماك القرش، وأصداف وحيوانات بحرية، وأعشاب
وأشجار المنجروف المتحجرة، جميعها تشكل كنزا من الأدلة للعلماء الذين
يسعون إلى فك لغز المراحل التي مرت بها الأرض والحقب الزمنية للعصور
الجيولوجية لتكون الأرض وتشكلها.

.. وقد تعرضت الحيتان عبر سنوات طوال إلى الذبح والإبادة .

.. فالفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر مخر عباب مياه
المحيطات سفن الصيد الضخمة من أجل أصطياد الحيتان ، وبسبب جشع العالم
وشهيته التي لا تشبع أو تكتفي من زيت الحوت وتمخض ذلك عن كارثة أدت

إلى القضاء على الحيوان الثديي الأطول عمراً في العالم وهو حوض البوهد Bowhead لتجبره على مواجهة خطر الإنقراض ، فقد قضت السفن الهولندية وحدها على 50000 حوض بعد أن كان بحر « بارنتس » مليئاً بالحياتان بكثرة كانت تعوق حركة السفن ، وكان يشقون طرقهم خلالها وكأنها قطع جليدية ضخمة كما قال قبطان أحد السفن الهولندية التي كانت في رحلة إلى « سفالبارد » عام 1612م وبعد تلك المذبحة الوحشية للحياتان حول الصيادون وجهتهم إلى حيوانات الفظ Walurs سعياً وراء أنيابها ذات القيمة الاقتصادية العالية ، ولم يبق من الحياتان سوى 10000 حوض البوهد قطبي على قيد الحياة(□).

* وادي الحياتان عبارة عن منخفض عميق كان مغطى بمياه ما يعرف بالبحر التيتش في غابر الزمان والذي جاء ذكره في هذا المؤلف .

.. وفقاً لعلماء الجيولوجيا، فقد مرت الأرض بمراحل مختلفة في التكوين الجيولوجي، وبرزت شواهد دالة على هذا التغير في جيولوجية الأرض مكنت الباحثين من دراسة الحقب الزمنية التي مرت بها الكرة الأرضية والفترات المناخية التي رافقت هذه التغيرات.

.. ففي عصر «ال إيوسين» ما بين 56 و40 مليون سنة كان أبرز معالم هذا العصر تغطية ما كان يدعى البحر التيثي لشمال أفريقيا ومصر مروراً بوسط الجزيرة العربية والمحيط الهندي، قبل تكون البحر الأحمر في حقبات لاحقة.

.. ويرجع عمر مساحات واسعة من الأرض من ضمنها وسط أفريقيا ومصر، إلى مرور الأرض بطقس دافئ منع تكون الجليد في القطبين الشمالي والجنوبي، مما تسبب في ارتفاع منسوب مياه المحيطات.

.. واستمر وجود البحر التيثي في شمال قارة أفريقيا مئات ملايين السنين،



.. ويعد وجود هياكل عظمية للحيتان في صحراء وادي الحيتان أحد أهم المكتشفات الحديثة لدراسة الحقبة الزمنية لعصر «الإيوسين» الأوسط.

.. والوادي عبارة عن منخفض عميق كان مغطى بمياه البحر التيشي قبل أن ينحسر مكونا ما يعرف حاليا بالبحر الأبيض المتوسط، وتحجرت كائناته منذ العصر الإيوسيني الأول، أي منذ 60 مليون عام.

.. فوادي الحيتان كان شاطئاً لبحر التيشي كما ألمحنا، حيث توجد أشجار المنجروف والتيريدوليتس التي يبلغ طولها 18م، إضافة إلى غنى المنطقة بالبقايا الأحفورية، كلها مؤشرات ودلائل تثبت ذلك.

.. يشكل «وادي الحيتان» متحفاً جيولوجيا مفتوحا وفريدا من نوعه، تستلقي عليه رمال الصحراء التي تزينها تنوعات صخرية نحتها الزمان بدقة بالغة على

مساحته البالغة 400 كلم² داخل وادي الريان الذي تبلغ مساحته 1759 كيلو متر مربعاً.

.. وتعد محمية وادي الريان التي يقع ضمنها «وادي الحيتان» تراثاً طبيعياً هاماً للمعرفة الإنسانية، نظراً لاحتوائها على المئات من البقايا الأحفورية لحيوانات بحرية منقرضة، لعل أهمهما اكتشاف بقايا حوت «باسيلوسورس إيزيس» الذي يبلغ طوله 18 متراً.

.. ويقول المشرف على المحمية إنه تم تنفيذ «نحو 1300 حفرة في الوادي بين عامي 2005 و2012، اكتشف منها في المتحف المفتوح نحو 406 هيكل عظمية لبقايا أحفورية. وكانت أولى الاكتشافات للبقايا الأحفورية في الوادي عام 1903 بواسطة العالم «بيد تل» خلال زيارته إلى مصر لإجراء بعض المسوحات الجيولوجية.

.. وأعلنت الحكومة المصرية وادي الريان محمية طبيعية عام 1989 وصنفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) وادي الحيتان كمناطق تراث عالمي عام 2005، واختارتها كأفضل مناطق التراث العالمي للهيكل العظمي للحيتان والبقايا الأحفورية.

.. ويرجع سبب الاختيار إلى المعيارين الثامن والتاسع من معايير اختيار المناطق الأثرية لدى اليونسكو، حيث يجب «أن تكون الأمثلة البارزة التي تمثل المراحل الرئيسية من تاريخ الأرض - بما في ذلك سجل الحياة - شواهد بارزة وكبيرة على ما جرى من عمليات جيولوجية في تطوير تضاريسها، أو ملامح شكل الأرض أو أخرى فيزيوغرافية كبيرة».

.. ولعل الطبيعة الصحراوية الشديدة القسوة التي تميز بها وادي الحيتان هي ما حماه من العبث البشري، وهو ما أكدته المشرف على الواحة أن العنصر البشري

«يمثل الخطر الحقيقي على المحمية باعتبار الوادي مفتوحا والحراسة قليلة فيه، والموارد الأثرية للبقايا الأحفورية غير قابلة للتجدد».

.. وأنشئت ممرات محددة في الوادي لا يسمح بتجاوزها لاحتمال تعرض البقايا الأحفورية للأذى والتفتت. ويمر الزائرون والسياح عبر هذه الممرات لمشاهدة البقايا الأحفورية. ويقول عوض «لم ندعم إقامة طريق إسفلتي حتى يظل الوادي بعيدا عن العبث وحركة الوافدين التي تتراوح بين عشرين وثلاثين ألفاً سنوياً».

.. وتسعى إدارة محمية وادي الحيتان إلى تنمية المنطقة ووضع تصور لتحويلها إلى متحف مفتوح للبقايا الأحفورية، بهدف اعتمادها وجهة للسياحة البيئية والعلمية والجيولوجية.

.. إذ أن الهدف الأهم هو إنشاء المتحف الطبيعي ومركز الأبحاث المتقدم في وادي الحيتان، ليحتوي البقايا الأحفورية والآثار المنتشرة على طول الوادي وما سيتم اكتشافه لاحقا، ليتم حفظها بصورة أفضل.

.. ويعد هذا المتحف الأكبر في الشرق الأوسط وفق أحدث المعايير العالمية في بناء المتاحف الجيولوجية، وتبلغ تكلفته نحو ثلاثة ملايين جنيه، ليتضمن إضافة إلى البقايا الأحفورية مركز أبحاث عالميا لدراسات الأحفوريات و جيولوجية الوادي.

الخرافات والجن في الواحات

.. ما هي الخرافة ؟

.. في اللُّغة مأخوذة من الخَرَف وهو فساد العقل، وهي أيضًا الحديث المُسْتَمَلح من الكذب. ومن أمثال العرب: حديث خرافة: قيل أن خرافة رجلا من العرب اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى، يعجب منها الناس، فكذبوه، فجرى حديثه على ألسن الناس. والخرافة مُعْتَقَد ظهر في كثير من المجتمعات مُعللاً بأن شيئاً أو حدثاً مُعَيَّناً يُسبب أو ينبئ بأحداث غير مترابطة، كما يفعل العرافون. ومن ذلك أن بعض الناس الذين يعتقدون بالخرافة يزعمون أن حمل قدم الأرنب يجلب لهم الحظ السعيد، وبعضهم يعتقد أنه إذا مرّت أمامهم قطة سوداء، فإن حظهم سيكون سيئاً. وهذا يذكرنا بعادات أهل الجاهلية التي أبطلها الإسلام، كاعتقادهم في السانح والبارح من الحيوانات والطيور حتى أن بعضهم ليترك سفره إذا طار طير عن يساره، أو يمضي في سفره إذا طار الطير جهة اليمين. وربما كان بعض الناس يعتقدون أنه إذا وقعت سكين أو شوكة طعام على الأرض، فذلك يعني أن ضيوفا سيحضرون. فمثل هذه الاعتقادات جميعها خرافات حينما يُزعم أن هناك صلة بينها كالذين يربطون بين قدم الأرنب

والخصوبة.

.. ووجدت الخرافة عبر التاريخ في معظم المجتمعات البشرية. ويؤمن البعض حتى الذين تلقوا تعليماً عالياً بالخرافة، من وقت لآخر. وقد سخر العديد من البشر من لمس الخشب لتفادي الحظ السيء، أو تجنب المرور تحت السلم لذات السبب. ويعتقد بعض العلماء أن معظم الخرافات قد ظهرت في وقت قريب نسبياً.

.. وترتبط كثير من نشاطات البشر بالخرافات؛ بما في ذلك الأكل والنوم والعمل واللعب والزواج والولادة والمرض والموت. كما أن أوقات الخطر ولحظات فقدان اليقين جلبت العديد من الخرافات. وتشمل الخرافة أيضاً الحيوانات والملبس والبحار، والجبال، والأسماء، والأعداد، والكواكب، والنجوم، والجو، وأجزاء الجسم.

.. والخرافات أنواع فهناك الخرافة الأسطورية وهي أقدم أشكال الخرافة، والخرافة الحماسية التي دخلت في إطار الأدب الشعبي، والخرافة الحيوانية، وخرافة التكرير على أساس تكرار أفعال متماثلة ومتشابهة، والخرافة الملائكية أو الروحانية، الخرافة السحرية وتتميز هذه الخرافات وغيرها بأنها تختلف كثيراً عن عالم الواقع .. والخرافة في مجملها هي المجهول .

.. ويرى « بويكارت Will Erich peuchert » أن الحكايات الخرافية نشأت في أحضان الحياة الزراعية الأولى في بلدان الحضارات القديمة في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط .

.. ويعد يوهيميروس المسييني 316 ق . م أول من حاول أن يقدم تفسيراً للخرافات أو الأساطير في كتابه « التاريخ المقدس » ويعرض لرحلة خيالية إلى إحدى الجزر الواقعة في المحيط الهندي وهي جزيرة « باناكي » وهناك في معبد « زيوس » يوجد نقش مكتوب عليه أن « زيوس » ولد في جزيرة كريت ورحل إلى

الشرق وهناك نصب إلهاً قبل عودته إلى وطنه .

.. ويذكر مؤلف كتاب « صانع الأسطورة في الشعر العربي الحديث » (□) أن الآلهة الوثنية - كما يعتقد - البعض كانت بشراً يوماً ما ، « زيوس » كان أحد ملوك كريت ، وبرومثيوس خالف الإنسان من طين وصلصال ، وأطلس عالم فلكي بصير بمواقع الكواكب والنجوم .

.. وللأسطورة تعريفات عديدة لا نستطيع أن نحصرها مهما حاولنا أن نتبع في كل الكتابات التي اهتمت بالأساطير خصوصاً في الكتابات الأدبية فهي كما يقول «فاروق خورشيد» كلمة يحوطها سحرًا خاص يعطيها من الامتداد ما لا يتوافر الكثير من الكلمات في أية لغة من اللغات إذ هي توحى بالامتداد عبر المكان وعبر الزمان .. إنها تراث الإنسان.

.. في كتابه « الحكاية الخرافية » يذكر « فردرنيش فون دير لاين » ترجمة الدكتورة « نبيلة إبراهيم » أن الحكاية الخرافية لها تاريخ ضارب في القدم .. ويبدو أن الحكاية الخرافية عاشت إزدهاراً في القرن السادس قبل المسيح في كل من بلاد الإغريق والهند . أما عصر الإزدهار الثاني وهو يعد بحق أكثر عصور أزدهارها فهو الذي عاشته الحكاية الخرافية في عصر الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر وما تلا ذلك من القرون ، ففي هذا الوقت ظهرت المجموعات الكبيرة للحكايات الخرافية في الشرق ونخص بالذكر منها مجموعة « ملتقي التيارات لمختلف الحكايات » للشاعر الكشميري «سو ماديو» ، كما تطورت في هذا العصر في مصر مجموعة حكايات ألف ليلة وليلة حتى أستقرت على الصورة التي هي عليه الآن . أما في الغرب فإن مجموعات الأناشيد الدينية الكبيرة قد تضمنت الكثير من الحكايات الخرافية والأساطير والحكايات الشعبية ، والأناشيد الشهيرة التي ترجع

(1)الدكتور « عبد الناصر حسن » صانع الأسطورة في الشعر العربي الحديث كتابات نقدية

إلى القرن الثالث عشر تحت عنوان « أعمال الرومان (Gesta Romanorum) والأساطير المذهبة (Legenda Aurea) .

.. وسرعان ما ظهرت إلى جانب هذه المجموعات التي ذاعت باللغة اللاتينية أعمال باللغات الشعبية . ومنذ بداية القرن الثالث عشر أخذت تظهر في إيطاليا مجموعات عدة من القصص والحكايات الخرافية كلما احتوت مجموعة « دي كاميرون Decamerone لبوكاشيو Boccasio على مادة وفيرة من الحكايات الخرافية . وقد ظل تأثير المجموعات الإيطالية الشهيرة قويا فيما بعد زمننا طويلا ، بل أن «الأخوين جرم » تأثرا بها بعد ذلك كذلك ، بالأخص بمجموعة « ثلاث عشية ليلة ممتعة » ل «استرابارولا Straparola » الذي كان يعيش في «كارافاجيو» بالقرب من «كريمونا» . وقد ظهرت هذه المجموعة في بين 1550-1554 م محتوية على محدد هائل من الحكايات الخافية . وكذلك تأثر الأخوان بمجموعة «بتاميروني» التي احتوت على خمسين حكاية خرافية لشاعر نابولي «جحيام باتستا بازيل» الذي توفي عام 1634 م . وتتميز مجموعة «بازيل» بأنها كتبت باللغة العامية كما أنها تحتوي على إضافات قليلة على النقيض من مجموعة «سترابارولا» على أن لغتها كثيرا ما تكون سوقية شاذة .

.. وبعد ذلك بسنوات قليلة قبل أن تظهر مجموعات «الأخوين جرم» في فرنسا إحدى مجموعات الحكايات الخرافية الشهيرة واسمها «حكايات أمي لوي» «شارل بيرو» وقد استمد «بيرو» حكاياته من الشعب ولكنه أضفى عليها طابعا فنيا غنيا بالرشاقة ورهافة الحس . هذا وقد تركت حكاياته هذه مرة أخرى أثرها في الشعب . بل إن أعدادا هائلة من الحكايات الخرافية الألمانية قد تأثر بمجموعة «بيرو» نذكر من ذلك على سبيل المثال حكاية « ذات الرداء الأحمر » وحكاية « الوردة الشائكة » ثم حكاية « الذئب والنعاج السبع » وعلى أثر ذلك ظلت الحكايات الخرافية تظهر على الدوام في فرنسا ، تؤلفها السيدات بصفة خاصة . وقد ضمت هذه الحكايات بعضها إلى بعض في مجموعة رائعة تكون في النهاية

واحدا وأربعين جزءا ، وأطلق عليها اسم « مجمع الجان » . على أن الكثير من هذه الحكايات لم يكن حكايات خرافية شعبية بالمعنى الصحيح ، وإنما هي حكايات مخترعة أو حكايات قديمة صيغت صياغة جديدة . على أنها تحكي بطريقة شائقة مشبعة في الغالب بأسلوب فن « الروكوكو » أي المبالغة في التصوير ، إلى درجة أنها تركت أثرها في حكايات الشعب الخرافية الرائجة حينذاك .

.. ثم كان القرن الثامن عشر ، عصر العقل والاستنارة ، وإن يكن كذلك عصر السحر والذوق المرهف . ولم تكن الحكاية الخرافية تلائم كلية مزاج هذا العصر ، على الرغم مما ظهر فيه من مجموعات كثيرة ؛ ذلك لأن الحكاية الخرافية ليست منطقية وإنما هي خيالية ، وهي غير غنية بالمغزى ولا يسودها نظام ، وإنما هي فيما تبدو خلط لا شكل له ولا بنية . ومن هنا كانت الحكاية الخرافية التي حكاها الصبية في مصانع الأعمال اليدوية ، وبالمثل حكايات الأمسيات في بيوت القرى ، ذات بنية تختلف عن بنية الحكايات التي ظهرت في مجموعات هذا العصر . وإذا كان لا بل للحكاية الخرافية التي ظهرت في مجموعات هذا العصر ، وإذا كان لا بد للحكاية الخرافية أن تصمد أمام ذوق العصر ، فلا بد من أن تحتوي على مغزى ، ولا بد من أن يصبح اللامعقول فيها معقولا ، كما لا بد أن ينتظم الخلط في شكل شائق منظم .

.. وقد سار البحث حينذاك في طريقتين (□) . وقد اختار « موزويس » الأستاذ بجامعة فيمر أحدهما فجمع الحكايات الخرافية من الشعب وحكاها ثانية عريقة ساخرة متروية ، ثم جعل ما فيها من عناصر خيالية وأمور خارقة للطبيعة تظهر بوصفها مجرد شيء عرضي ، كما حاول بعد ذلك أن يضمها مغزى بأن أضاف إليها مثلا أخلاقية يقتدي بها تماما كما صنع « بيرو » من قبل . ومع ذلك فيمكننا أن نقرأ اليوم حكايات « مرزويس » ، ذلك لأن جوهرها يتميز بالصدق ، كما أن

(1) الدكتورة « نائلة إبراهيم » المرجع السابق

الإنسان يحس في وضوح ما فيها من نعمة شعبية إلى درجة أن الأسلوب الساخر والحكمة المقحمة لا يسيئان إليه إلا قليلا. وعلى العكس من ذلك حاول «فيلاند» أن يشق طريقا آخر. فقد أخضع مادة الحكاية الخرافية للصياغة الشعرية وأكسبها وشاقة وسهولة وسحرا. ومع ذلك فإن أشعاره لا تعيش بيننا اليوم إلا نادرا، كما أننا لم نعد تقريبا نلمس فيها أثرا للحكايات الخرافية القديمة.

.. أما استخدام «جوته» للحكاية الخرافية فقلما يخرج بها عن حدودها، فكم أثبت هذا المجال أنه وريث عصر الركوكو وأنه في نفسه أحد أتباع «هيردر» ومُرْهص بظهور الرومانتيكية .

.. لقد استمع «جوته» إلى أمه وهي تحكي له كثيرا من الحكايات الخرافية، مثل حكاية الحائك الذي تزوج بالأميرة، وحكاية حدائق الجان التي تختال روعة، والتي سمح لطفل مفضل أن يراها مرة، مرة واحدة فحسب، ثم ضل طريقه بعد ذلك إليها. كما عرف حكاية الجبل الممغنط الذي كان يجتذب السفن إليه، كما كان يجتذب الحديد والمسامير وكذلك حكاية الأميرة التي كانت تخدمها أياد بلا شخوص وعزوا ذلك إلى الجن.

الجن في الواحات

.. ذكر الجن في القرآن الكريم في العديد من الآيات .

.. قال الله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنعام]

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام]

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَلْهَاتِنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ وَكَذَلِكَ نُوحِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذِذُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام]

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُمُوهَا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِضْنَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف 38]

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [الإسراء]

﴿ وَحِشْرَ لَسْتِمَنَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل]

﴿ قَالَ عِزِّيَّتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفُرُكُمْ مِنْ شُكْرٍ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرْيَمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل]

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة]

﴿ وَسَلِّمَنَ الرِّيحَ عُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُادِنُ رَبَّهُ وَمَنْ يَزِيغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَنَمْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَأَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ]

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنِّي كُنْتُ عَابِدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنُقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سبأ]

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الصفات]

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾
[الذريات]

﴿ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمَعَشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْتَلَعُ مِنْ دُونِهِ ءِإِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرحمن]

﴿ فِيهِنَّ قَصْرَاتٌ لِّطَرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِئْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الرحمن]

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْجَنَّاتِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِئْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الرحمن 73 75]

﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقَهُ لَِئْسَ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنَا نَقُولَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنَ بَيْعَتُ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثِّتَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنَا نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَأَمْنَا بِهِ ءِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنُفْنِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن 119]

.. وقد جاء في الكتاب المقدس في (العهد القديم) سفر اللاويين (19 : 31)

.. لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى الْجَانِّ وَلَا تَطْلُبُوا التَّوْبَاعَ، فَتَتَجَسَّسُوا بِهِمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.

.. وتحدث الشيخ «محمد الغزالي» فقال :

« ذاع بعض المخبولين أنه متزوج بجنية أو أن رجلاً من الجن متزوج بإنسية، أو أن أحد الناس احتل جسمه عفريت ، واستولى على عقله وإرادته فكيف يحتل الجني جسمًا ويصرفه رغم أنف صاحبه المسكين ؟ .

.. الشيطان يملك الوسوسة والتحصن منها سهل بما ورد من آيات وسنن ، فلا تفتحوا أبوابًا للخرافات بما تصدقونه من مرويات تصل إليكم .

.. وقال « ابن عاشور » في تفسيره للآية (83) من سورة الأنبياء : أن الشيطان لا تأثير له في بني آدم بغير الوسوسة .

.. وقال « ابن حزم الأندلسي » : « إنما يلقي الشيطان في النفس يوسوس فيها ، فهذا فعل الشيطان فقط أما أن يتكلم على لسان أحد فحمق عتيق وجنون ظاهر » .

.. والحديث عن الجن يدخل في منظومة الخرافات .

.. والعرب جُلهم يؤمنون بهاتيك الخرافات ، وأكثر هذه الخرافات للاعتقاد بالجن ، ويقال : إن الجن أصلهم سابق على آدم ، وإنهم هذه الخرافات اعتباراً الاعتقاد بالجن . ويقال تتوسط بين الملائكة والأنس ، وتقل عنهما فضلاً ، وإنها خلقت من نار ، وتستطيع أن تتشكل بأشكال الأناس والبهائم والوحوش الخيالية ، وتختفي عن الأنظار كما تريد . والجن يشربون ويأكلون ، ويتناسلون مثل البشر أو معهم ، كما أنهم عرضة للموت ، وإن كانوا يعيشون أجيالا عديدة . ويسكن الجن سلسلة جبال قاف التي يزعمون أنها تحيط بالأرض جميعها ، كما ذكر في الفصل السابق . ويعتق بعض الجن الإسلام ، والآخرون كفرة . ويسمى هؤلاء الكفرة أيضاً شياطين ، ويرأسهم إبليس ، إذ أنه تبعاً للرأي السائد ، جنياً مثل غيره من الشياطين ، لأنه خلق من نار ، بينما خلقت الملائكة من نور .

.. ويخشى العرب الجن أختياره وأشراره كثيراً ، ويكونون لأختيارهم احتراماً عظيماً . وقد جرت العادة عند بعض المصريين والعرب ، عندما يصب أحدهم ماء أو غيره على الأرض أن يصيح أو يدمدم : (دستور) ، مستأذناً أو مستغفراً الجني الذي قد يوجد هناك . ويظن أن الجن ينتشرون في طبقة الأرض الصلبة ، مثلما ينتشرون في السماء حيث يقتربون من حدود السماء الأولى ، فيسترقون المسع عن المستقبل ، ويستطيعون هكذا أن يساعدوا العرافين والسحرة . ويعتقدون أيضاً أن الجن يسكنن الأنهار والخرائب والآبار والحمامات والأفران والمراحيض . ولذلك عندما يدخل أحد مرحاضاً أو يدلي دلواً . في بئر أو يوقد ناراً . يقول : (دستور) أو (دستور يامباركين) . ويتلو الداخل بيت الراحة هذه العبارة مبتهلاً إلى الله أن يحميه من الأرواح الشريرة . إلا أن البعض لا يذكرون اسم الله باعتبار أنه لا يليق النطق به في مثل هذا المكان ، فيكتفون بقولهم : أعوذ بك من الشياطين ذكوراً وإناثاً » وتفسر هذه العادات إحدى قصص ألف ليلة وليلة التي يحكي فيها أن تاجراً قتل جنياً بنواة تمره كان يأكلها . ويظهر الجني في القصة نفسها وفي غيرها قادمًا في زوبعة من الرمل أو الغبار . والاعتقاد العام عند عرب مصر ، أن الزوبعة التي تثير الغبار أو الرمال ، وتكسح الحقول والصحاري ، يسببها تحليق هذه الكائنات . ويفوه المصريون عادة ، عندما تبدو الزوبعة قريبة منهم ، بتعويدة لابتعادها ، فيهتف بعضهم : (حديد يامشئوم) ، إذ يظنون أن الجن يخافون معدن الحديد كثيراً . ويصيح المصريون عندما يرون شهاباً ساقطاً : (سهم الله في عدو الدين) . ويسمى العامة الشياطين بالعفاريت ، وقد ورد ذلك في القرآن بهذا النص (قال عفريت من الجن) (سورة النمل ، آية 39) . وقد ترجم سيل Sale هذا اللفظ : (Aterrible genius answered) : بالجن الهائل ويعتقدون أن العفاريت يختلفون عن الجن الآخرين بعظيم قدرتهم ودوام شرهم . ويسمى الشيطان الأقوى مارداً

.. يرتبط تاريخ الجن بعدة أساطير لم يذكرها القرآن ، ولذلك لا يؤمن بها المسلمون العقلاء. ويتفق الجميع على أن الجن خلقوا قبل الإنسان ، إلا أن البعض يقولون بطبقة أخرى من الكائنات السابقة على آدم ذات طبيعة مشابهة ويعتقد العامة أن الأرض كان يسكنها قبل آدم جنس من المخلوقات يختلف عن البشر شكلاً وقوة ، وأن أربعين ملكاً من هؤلاء ، أو اثنين وسبعين تبعاً لقول آخر ، سمي كل منهم سلمان ، حكموا هذا الشعب تبعاً . وكان آخر هؤلاء المسلمين يسمى جان بن حان ، ويتوهم البعض أن الجن ، ويسمون أيضاً جاناً ، أستقوا تسميتهم من اسم الملك . ومن هنا يعتقد البعض أن الجن يشبهون هذا الجنس السابق ، ولكن البعض يؤكد أن الجن كانوا طبقة من الكائنات مختلفة أخضعها الجنس الآخر .

.. ويعتقدون أن الجن كثيراً أو دائماً ما يتشكلون بأشكال القطط والكلاب والحيوانات المفترسة .

.. ويحكي الكاتب الصحفي الأستاذ « أحمد مصطفى » في كتابه « مع الجن والعمارة » ما ينف عن الأربعين قصة كتبها عما صادفه ورأه من خلال معيشته مع قصص الجن ومنها ما يحير الألباب ومنها إحضار مخ ذئب وعفريت نصاب وأبو فتحي الجهنمي والحاجة سامية ومعجزات القرآن واعترافات قارئة الفنجان .

.. وقد روى الشيخ خليل المدابغي ، وهو من أشهر علماء مصر وقد ألف كتباً عديدة في مختلف العلوم ، وتوفي في سن متقدمة أثناء زيارته الأولى لمصر ، الحكاية التالية : قطاً أسود ينام على ذيله . ففي منتصف إحدى الليالي سمع طرقاتاً على الباب دارة ، فقام القط وفتح مصراع الشباك وهتف : (من ؟) فأجابه صوت : (أنا فلان الجني « وذكر اسماً غريباً » افتح الباب) ، فقال قط الشيخ : (أن المزلاج قرئ عليه اسم الله « فقال الآخر : « إذن أقذف لي رغيفين من الخبز » فأجاب القط : « إن سلة الخبز سمي عليها » . فقال الغريب : « حسن ، أعطني على

الأقل جرعة ماء » . ولكنه رد عليه بأن وعاء الماء محفوظ بالطريقة نفسها . فسأل ماذا يستطيع أن يفعل وهو يوشك أن يموت جوعاً وعطشاً ؟ فأشار عليه القط أن يذهب إلى باب الدار التالية . وذهب هو بنفسه وفتح الباب ثم لم يلبث أن عاد ، وفي الصباح التالي ، غفل الشيخ عن عادة كان يراعيها دائماً ، فأعطي القط نصف الفطيرة التي كان يفطر بها ، بدلاً من قطعة صغيرة اعتاد أن يعطيه إياها . ثم قال له : «يا قطي ، أنت تعلم أنني فقير ، فجئني إذن ببعض الذهب » فاختفي القط في الحال بعد هذا الكلام ، ولم يره الشيخ بعد ذلك . والحكايت من هذا النوع تستوجب السخرية .

.. ويؤكد العامة أن أشرار الجن كثيراً ما يعتلون الأسطح والشبابيك ، ويقذفون بالقراميد والحجارة في الشوارع والأفنية ، وقد أخبرت من أيام قليلة محادثة من هذا النوع أفزعت سكان أهم شارع في القاهرة أسبوعاً بأكمله ، إذ كانت القراميد تقذف بكثرة من بعض المنازل كل يوم طول هذه المدة ، ولم يصب أحد . وقد ذهبت إلى مكان هذه الدعابة الجنية المزعومة للنظر والاستقصاء ، ولكن قيل لي عند وصولي أن الرجم انقطع . ولم أجد أحداً أنكر قذف القراميد ، أو شك في أنه من أعمال الجن . وكانت الملاحظة العامة عند ذكر هذا الموضوع قولهم : «الله يحفظنا من شر أعمالهم» .

.. ويجب أن أشير هنا إلى بقية عجيبة من خرافة مصرية قديمة . إذ يعتقدون أن لكل حي من أحياء القاهرة حارساً خاصاً من الجن ذا يظهر على صورة أفعى رقطاء .

.. ويعتقدون أن القبور المصرية القديمة والهياكل المظلمة تسكنها العفاريت وقد أستحال على أن أقنع أحد خدمي بدخول الهرم الأكبر معي ، لرسوخ هذه الفكرة في ذهنه . وينسب الكثير من العرب بناء الأهرام ، والآثار المصرية المدهشة جميعها ، إلى «جان بن جان» وأتباعه الجن . فهم لا يتصورون أن تقيم هذه الآثار يد بشر .

.. تطلق عبارة عفريت على الشيطان ، وينسج من هذه حكايات لا يقبلها العقل ،

كما أنها تلقي في نفوس العامة رعباً هائلاً . إلا أن هناك من يخشاها إطلاقاً . بعيد دخوله خدمتي ، يدمدم ويهتف على السلم .

.. ويذكر أحد المعتقدين في الجن أنه سمع صوتاً تكرر عدة مرات فنادى عليه وسأله من يتحدث . فأجاب : « إنه عفريت جندي تركي صعد من البئر وجلس على السلم يدخن ويرفض أن يتحرك . وقد قيل له ، فيما بعد .

.. هكذا يؤمن البعض من قاطني الواحات .. ولا محيص لهم عن هذا الاعتقاد ولا معدى لهم عنها وقد توارثوا هذا الاعتقاد من خلال النشأة التي نشأوا عليها وما صبه الأجداد والآباء والأمهات في آذانهم .

.. البعض هناك يتحدثون على أن السراب الذي يظهر أحياناً أمام الرائي ثم يختفي ما هو إلا أحد قبيلة الشياطين .

.. وبعض آخر يؤمن بأن الليل البهيم يسوده الكثير الشياطين .

.. وكذلك الاعتقاد بأن الخرزة الزرقاء ترد عيون الحساد من أكثر الخرافات ليس في الواحات فقط بل في المنطقة العربية برمتها .

.. تقول إحدى الخرافات أن تعليق حدوة الحصان على مدخل البيت يجلب الحظ ويبعد العفاريت من الجن عن هذا البيت .

.. واذكر في هذا الصدد أن بيتاً قد أضرمت فيه النيران في عام 1948 في محافظة سوهاج نشرت الصحف آنذاك هذا الخبر مزيلاً باعتقاد جازم من الأهلين هناك أن الذي أضرم النيران في البيت هو عفريت من الجان ، وكان هذا مثار حديث متصل من الصحف حيث أنه بعد أحرق البيت وأمسى خراباً يباباً عاد إلى وجوده مرة أخرى بما يؤكد أنه ولا بد أن يكون الجان وراء ذلك .

ما يزعمون أنه من عمل الجن

وأهل تدمر⁽¹⁾ يزعمون أن ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام بأكثر مما بيننا اليوم وبين سليمان بن داود عليهما السلام، قالوا: ولكنكم إذا رأيتم بنياناً عجيباً، وجهلتهم موضع الحيلة فيه، أضفتموه إلى الجن، ولم تعانوه بالفكر. وقال العرجي:

سدت مسامعها لقرع مراجل من نسج جن مثله لا ينسج⁽²⁾

وقال الأصمعي: السيوف المأثورة هي التي يقال إنها من عمل الجن والشياطين لسليمان بن داود عليهما السلام، فأما القوارير والحمامات فذلك ما لا شك فيه، وقال البعيث:

(1) تدمر: مدينة بالشام.

(2) المراجل: جمع مرجل، وهي القدر من النحاس، بالنسج: الصنع.

بني زياد لذكر الله مصنعة
من الحجارة لم تعمل من
كأنها غير أن الإنس ترفعها
مما بنت لسليمان الشياطين
وقال الأعشى في المعنى الأول، من بناء الشياطين لسليمان بن داود عليهما
السلام:

أرى عاديًا لم يمنع الموت ربه
وورد بتيماء اليهودي أبلق (□)
بناه سليمان بن داود حقة
له جندل صم وطى موثق (□)

زواج الأعراب للجن

ومن قول الأعراب أنهم يظهرون لهم، ويكلمونهم ويناحكونهم، بذلك قال
شمر بن الحارث الضبي:

ونار قد حضأت بعيد هدء
بدار لا أريد بها مقاما (□)
سوى تحليل راحلة وعين
أكالئها مخافة أن تناما (□)
أتوا ناري فقلت: منون..؟ قالوا
سراة الجن. قلت: عموا
فقلت: إلى الطعام، فقال منهم
زعيم: نحسد الإنس الطعام

(1) المصنعة: ما يصنعه الإنسان من الآبار والأبنية والقصور.

(2) عاديًا: جد السموم بن غريص بن عادي اليهودي، وإليه ينسب بناء حصن تيماء. ربه: أي لم يمنعه
الموت ربه، الورد: الأحمر الذي تضرب حمرة إلى صفرة حسنة، عنى به الحصن، وإنما قيل له
الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة.

(3) الجندل: الحجارة، الموثق: المحكم.

(4) حضأت: أشعلت، الهدء: أن تهدأ الرجل والليل.

(5) أي أقمت بها قدر تحلة الإيمان، أي تحليلها، أكالئها: أراقبها.

(6) منون أنتم: من أنتم، عموا ظلامًا، أي انعموا ظلامًا، وهو تحية المساء.

وذكر أبو زيد عنهم، أن رجلاً منهم تزوج السعلاة، وأنها كانت عنده زماناً،
وولدت منه، حتى رأت ذات ليلة برقاً على بلاد السعالي، فطارت إليهن، فقال:

رأى برقاً فأوضع فوق بكر
فلا بك ما أسأل وما أغاماً⁽¹⁾

فمن هذا التناج المشترك، وهذا الخلق المركب عندهم، بنو السعلاة، من بني
عمرو بن يربوع، وبلقيس ملكة سبأ.

وتأولوا قول الشاعر:

لاهم إن جرهما عبادكا
الناس طرف وهم تلادكا⁽²⁾

فرعموا أنا أبا جرهم من الملائكة الذين كانوا إذا عصوا في السماء أنزلوا إلى
الأرض، كما قيل في هاروت وماروت.

رؤية الجن

قال الأعراب: وربما نزلنا بجمع كثير، ورأينا خياماً وقباباً، وناساً، ثم فقدناهم
من ساعتنا.

والعوام تروى أن ابن مسعود، رضي الله عنه، رأى رجلاً من الزط⁽³⁾ فقال:
هؤلاء أشبه من رأيت بالجن ليلة الجن.

قال: وقد روى عنه خلاف ذلك.

(1) أوضع: سار الإبضاع، وهو ضرب من السير، والبكر، بالفتح: الفتى من الإبل، بك، أي بحقك، ما
أسأل، أي لم يسأل البرق الماء، وما أغام: لم يحدث غيمًا، أي سحابًا.

(2) الطرف، بالكسر: أصله المستحدث من المال، عنى أنهم مستحدثون، والتلاد: القديم، وأصله ما
ورثه عن الآباء قديمًا.

(3) الربط: جبل من الهند.

ومما يدل على ما قلنا قول أبي النجم، حيث يقول:

بحيث تستن مع الجن الغول (□)

فأخرج الغول من الجن، للذي بانت به من الجن، وهكذا عادتهم: أن يخرجوا الشيء من الجملة بعد أن دخل ذلك الشيء في الجملة، فيظهر الأمر خاص.

وفي بعض الرواية أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة، وأن خالد بن الوليد حين هدم العزى (□) رمته بالشرر، حتى احترق عامة فخذه، حتى عادته (□) النبي ﷺ.

وكانوا يقولون، إذا ألف الجنى إنساناً وتعطف عليه، وخبره ببعض الأخبار، ووجد حسه ورأى خياله، فإذا كان عندهم كذلك قالوا: مع فلان رنى من الجن (□).

وممن يقولون ذلك فيه: عمرو بن لحي بن قمعة، والمأمور الحارثي، وعتيبة بن الحارث بن شهاب، في ناس معروفين من ذوي الأقدار، من بين فارس رئيس، وسيد مطاع.

وقد كان مسيلمة يدعي أن معه رثياً في أول زمانه، ولذلك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخذعه (□):

بيضة قارور وراية شادن وخلة جني وتوصيل طائر (□)

(1) استن في عدوه: مضى على وجهه.

(2) العزى: صنم كان له ببطن نخلة، هدمه خالد بن الوليد سنة ثمان من الهجرة، وكانت العزى ثلاث سمرة.

(3) من عيادة المريض في مرضه.

(4) الرثى: ما يتراءى للإنسان من الجن.

(5) المخاريق: يعني بها الأمور الخارقة للعادة.

(6) كان مسيلمة يدخل البيضة في قارورة ضيقة الرأس ثم يخرجها بحيلة خاصة، والشادن: الطيبي قوى

ألا تراه ذكر خلة الجنى..؟!!

ويقولون: من الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف صورة الإنسان، واسمه شق، وإنه كثيرًا ما يعرض للرجل المسافر إذا كان وحده، فربما أهلكه فزعًا، وربما أهلكه ضربًا وقتلاً.

قالوا: فمن ذلك حديث علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث الكناني، جد مروان بن الحكم: خرج في الجاهلية وهو يريد مالاً له بمكة، وهو على حمار، وعليه إزار ورداء، ومعه مقرعة، في ليلة إضحيانة^(١)، حتى انتهى إلى موضع يقال له حائط حرمان، فإذا هو يشق، له يدر ورجل وعين، ومعه سيف، وهو يقول:

علقم إني مقتول وإن لحمي مأكول
أضربهم بالهدلول^(٢) ضرب غلام شملول^(٣)
رحب بالذراع بهلول^(٤)

فقال علقمة:

يا شقها مالي ولك^(٥) اغمد عني منصلك^(٦)
تقتل من لا يقتلك

جسمه وترعرع، وكان مسيلمة ينزع ريش الطائر فلا يستطيع الطيران، ثم يخلو بالطائر ويعزز له ريشًا في موضع الريش المنزوع فيطير به.

(١) إضحيانة: مضيئة لا غيم فيها.

(٢) الهدلول: عنى به سيفه.

(٣) الشملول: الخفيف السريع.

(٤) البهلول: السيد الجامع لصفات الخير.

(٥) أي يا شق هذه الأرض.

(٦) اغمد: أراد اغمدن بالنون الخفيفة، فحذفها للشعر، والمنصل: السيف.

فقال شق:

عييت لك عييت لك كما أتيج مقتلك
فاصبر لما قد حم لك (□)

قال: فضرب كل واحد منهما صاحبه، فخرا ميتين.

فممن قتلت الجن: علقمة بن صفوان هذا، وحرب بن أمية، قالوا: وقالت الجن:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر
قالوا: ومن الدليل على ذلك، وعلى أن هذين البيتين من أشعار الجن أن أحداً لا
يستطيع أن ينشدهما ثلاث مرات متصلة، لا يتتبع فيها، وهو يستطيع أن ينشد أثقل
شعر في الأرض وأشقه عشر مرات ولا يتتبع.

وقال: وقتلت مرداس بن أبي عامر، أبا عباس بن مرداس.

وقتلت الغريض (□) خنقاً بعد أن غنى بالغناء الذي كانوا نهوه عنه. وقتلت
الجن سعد بن عبادة بن دليم، وسمعوا الهاتف يقول:

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد به عبادة
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده (□)
واستهوا سنان بن أبي حارثة ليسفتحلوه فمات فيهم، واستهوا طالب أبي
طالب فلم يوجد له أثر.

(١) أي قدر لك.

(٢) الغريض لقب له، واسمه عبد الملك، وكان من الموالي وكان خياطاً فأخذ الغناء من ابن سريج،
وكان بعض مولات ابن سريج تعلمه النياحة فبرز فيها، ويروون أن الجن نهته أن يغني في لحنه:
وما أنس مل أشياء لا أنس شادنا بمكة مكحولاً أسلاً مدامعه

لأنه من طائفة منهم فاتقلوا عن مكة من أجل حسنه.

(٣) أي لم يخطئ فؤاده، وفي هذا البيت وسابقه ما يسمى الحزم، وهو زيادة في أول البيت.

واستهوا عمرو بن عدي اللخمي الملك، الذي يقال فيه: شب عمرو عن الطوق، ثم رده على خاله جذيمة بن الأبرش بعد سنين وسنين.

واستهوا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في إحليله فصار مع الوحش.

ويروون عن عبد الله بن فائد بإسناد له يرفعه أن النبي ﷺ قال: خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين، وأنه تحدث يوماً بحديث فقال امرأة من نسائه: هذا من حديث خرافة..! قال: لا، وخرافة حق.

الغيلان في المعتقد الشعبي

.. ثلاثة من النوادر أو بالأحرى من المستحيلات، الغول، والعنقاء، والخل الوفي

.. وبعض قاطني الواحات يؤمن ببعض هاتيك المستحيلات.

.. إذ يعتقد المصريون وبعض الشرقيين بوجود الغيلان أيضًا. ويحسبون أن هذه الكائنات طبقة من الشياطين. ويقال إنهم يظهرون في أشكال حيوانات والوحوش، وأنهم يسكنون المقابر وغيرها من الأماكن المنعزلة، وأنهم يأكلون الجثث ويقتلون من يوقعه سوء الحظ في طريقهم ويلتهمونه. من هنا يطلق عبارة الغول على آكلي لحم البشر. (□)

(1) المستشرق الإنجليزي إدوارد ولیم لين المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ص 165 -

.. وقد كان « جان دي لافونتين » Jean de la Fontaine ، وهو خير من تحدث عن عالم الخرافات إذ أمضى طفولته وصدر شبابه في الغابات الملكية التي كان يشرف عليها والده الذي ألحقه بكلية الحقوق وبعد أن تخرج فيه زهد في دراسة القانون وأنصرف إلى تنمية ميوله الأدبية وقد استفاد في كتابه هذا من كل من سبقه من أمثال إيسوب Esope اليوناني ، وفيدر Phèdre اللاتيني ، ويلبي Pipay (بيدبا) الهندي ، ومن أدباء الخرافة الفرنسيين في العصور الوسطى ، وفي القرن السادس عشر من أمثال مارو Marot ، ورابوليه Rabelais ، ومن الكتابات المختلفة في الخرافة عند الأمم القديمة شرقية وغربية ناهيك عن الكاتب الروسي الساخر « إيفان كريلوف Ivan krylov » الذي سطع نجمه في النصف الأول من القرن التاسع عشر الذي له حكايات رمزية شعبية ومتأثراً بحكايات إيسوب السالف ذكره و« كليلة ودمنة » فضلاً عن لافونتين الذي له الحكاية الأشهر في عالم الخرافات والتي انتهت إلى مأثورة تقول « أن الوحدة خير من الرفيق الأحمق » والتي قصت علينا « قصة الدب والجنايني » فبينما كان الثاني مستغرقاً في نومه وقفت ذبابة لى رأسه خشى الدب أن تزعج الذبابة صاحبه وتوقظه من سباطه فالتقط حجراً سلطاً كبيراً من الأرض وهوى به على الذبابة ، فرت الذبابة وقتل صاحبه .

.. وقد أشار إلى هذه القصة « جلال الدين الرومي » في كتابه « المثنوي » الذي طبع منه طبعات متعددة ونسخ مخطوطة منتشرة في مكتبات العالم .. قال الرومي في كتابه هذا : حب الأبله مثل حب الدب الذي قتل صاحبه ، يقيناً ، فحقدته حب وحبه حقد وعهده خراب ، وعقله أسير .. فحذار من حب الجاهلين .

.. ومن بين الخرافات التي سجلها « إيفان كريلوف Ivan krylov »

.. اتفق دب أسود، وحمار أحمر، وتيس أشقر، وقرد أبتري، على تكوين فرقة موسيقية. حصلوا على كل ما يلزم الفرقة: آلات موسيقية. جلسوا تحت شجرة

(زيزفون) في مفترق طرق وبدأوا العزف، بغية تشنيف أذان المستمعين. بعد قليل، صاح القرد: مهلاً أيها الزملاء.. إنى أشعر أن موسيقانا مزعجة حقاً.. ألم تلاحظوا أن المستمعين قد وضعوا أصابعهم في آذانهم؟ لعلنا إذا بدلنا مواقعنا يتحسن عزفنا. فيا أخى (الدب)، تعال واجلس هنا أمام أختينا (التييس)، وأنا أجلس هنا خلف أختينا (الحمار)، ولما انتظم مجلسهم، بدأوا يعزفون ألحاناً تزعج الأحياء والجماد. نهق «الحمار»، ثم قال: (أرى أنى قد اكتشفت سر هذه الفوضى في موسيقانا، فإذا غيرنا وضعنا وجلسنا جنباً إلى جنب، صفاً واحداً، فلا بد أن عزفنا يصل إلى درجة من الإتقان ترضى كل الأذان). جلس الأربعة كما اقترح «الحمار»، وبدأوا يعزفون ألحاناً نشازاً مضطربة. ارتفعت أصواتهم بتبادل اللوم والسباب... سمع صخبهم عندليب كان قابعا في أعلى الشجرة. اقترب منهم، فلما رآه توسلوا إليه، بكونه موسيقار الطيور الأشهر، أن يرشدهم إلى الوضع الذى يجب أن يتخذوه في جلوسهم لكى يضمّنوا حسن العزف على آلاتهم. نظر إليهم العندليب من مكمنه، وهز رأسه أسفاً وحسرة، ثم قال: أيها الرفاق الأعزاء، يؤسفنى جدا أن أجيبكم بما يخيب آمالكم، فقد قالوا قديما: (حق يضر خير من باطل يسر)، وإنه كان يجب عليكم أن تعلموا، قبل التفكير فى تأليف فرقكم، أن الموسيقى فن لا يمكن أن يحسنه إلا الذين درسوه ومارسوه من أصحاب الذوق السليم، أما نظام جلوس أفراد الفرقة فهو لا يقدم ولا يؤخر.

.. وقد وسم «لافونتين» كل ما أخذه من عالم الخرافات بطابع فنه وهذا هو سر عبقريته ونبوغه .

.. وقد أدرك «موليير» ملامح هذه العبقرية لدى لافونتين، فأسّر إلى صديقه راسين قائلاً:

.. «لا ينبغي أن نسخر من هذا الشخص الطيب، فربّما سيعيش أكثر منا جميعاً». وصدقت نبوءة رائد الملهة الفرنسية، وسطع نجم لافونتين في فرنسا وخارجها،

وحفظت خرافاته في الذاكرة الشعبية العالمية وفي أروقة الأدب وساحات التقد، وذاع صيته في الصالونات الأدبية لكبار الفلاسفة والفنانين العالميين، وعجز من جاء بعده عن محاكاته، ودفنت مدوناتهم الخرافية، فكان بمثابة الطفرة في فنّ الخرافة، والتّمثال الذي يستحيل محاكاته، كما تساقط خصومه كأوراق الشجر في زمن الخريف، ومن أراد أن يسأل فرنسا عن سبب سرورها في القرن السابع عشر فستجيبه: «بسبب خرافات لافونتين ومسرحيات موليير»

.. وقد ترك « لافونتين » فنوناً أدبية متنوعة كانت محل كتاب « الدكتور نفوسة زكريا سعد » بعنوان « خرافات لافونتين في الأدب العربي »

.. يأتي حديث الجن في الواحات كأنه خرافة من خرافات لافونتين والبعض يؤمن به إيماناً راسخاً.

.. فللجن تاريخ ضارب في القدم عند المصريين ضربوا عليه ونظروا إليه على أنه الحقيقة التي لامراء فيها ، ولا سبيل لتكذيبها أو إنكارها.
.. ومن التاريخ القديم تأتي هذه القصة :

.. يوجد على مقربة من معبد الكرنك وهو معبد صغير للإله بتاح اشتهر بأنه مقر غول فظيعة وأن هذه الغولة تأكل الأطفال ، وقد نشأ هذا الاعتقاد من أنه خلال حفائر كانت قد أنهارت بعض أتربة الكوم فدفنت سبعة أطفال صغار ماتوا ولم تظهر جثثهم أو عظامهم بعد ذلك على الإطلاق . حيث يوجد كهف الغولة التي التهمتهم حينذاك . وقد بلغ من اعتقاد الأهالي في صحة هذا الزعم أنهم يتحاشون ما أمكن المرور في هذا المكان المشئوم ليلاً ، فإذا اضطروا أحدهم إلى ذلك أعترته رعدة من الخوف وأخذ يتلو وهو يمر بالمكان ما كان يحفظه من تعاويذ يتقى بها شر الغولة وعفاريت الأطفال الذين ماتوا . وفي الواقع فإنه قد كشف في هذا المكان بعد فترة من الوقت شبحاً ضخماً من الجرانيت الأسود داخل مقصورة تقع ضمن هذا المعبد . وكل من رأى الآلهة سخمت (ورأسها رأس لبؤة) يذكر

أي منظر مخيف تثيره في النفس حين تبرز من الظلام متوجة بقرص الشمس وهي تتجه إلينا ممسكة بعمود من زهر البردي يتفتح بين نهديها المتجردين . هكذا بدأت الآلهة تظهر وتبرز كلما عملت يد عمال الحفائر في الكشف عنها مما جعل العمال تنعقد ألسنتهم من الدهشة وهم يرون الغولة تظهر من بين أطباق الثرى فتزيدهم رعباً على رعبهم .

.. فقصه هذه الغولة التي تأكل العيال تتفق تماماً مع ما نعرفه عن الآلهة التي أرسلها «رع» لتعمل في الناس ذبحاً وتقتيلاً جزاء على سخريتهم به، فظلت تلغ في الدماء بعد أن أستطابت منظرها وأضطر رع بعد أن أخذته الرحمة والشفقة على الجنس البشري أن يصطنع لها خمرًا تشرب منه فتتشى وتنسى ماهي فيه من قتل ودماء فتقف عن عملها الممقوت . فطبيعة (سخت) كآلهة للقتل والتدمير في الأسطورة المصرية القديمة التي تُعرف بهلاك البشر تتفق تماماً مع القصة الشائعة الآن عند الغولة التي تأكل ضحاياها .

.. وليست الآلهة «سخت» فحسب هي التي تبعت الرعب في نفوس الفلاحين في أقاصيصهم الحديثة، فإن المسعودي قد ذكر في كتابه مروج الذهب قصة طريفة يرويها عن عصره ترينا إلى أي حد حافظ الناس مع مضي هذه الأزمان الطويلة على ذكرى الآلهة الأقدمين التي كانت تُعبد في هذه الجهات. يقول المسعودي إن والي مصر عبد العزيز قد علم بوجود كنز في تل عال فبدأ يحفر في هذه الجهة إلى أن كشف عن رأس ديك يلتمع في عينيه بريق يشبه البرق يأخذ بالأبصار وما لبث هذا الديك أن رفر ف بأجنحته وصاح صيحة مدوية اهتزت لها أركان المكان وهاجت الأرض وماجت ثم انفتحت ثغرة فيها ابتلعت كل من كان في المكان وعددهم يناهز الألفين من العمال والرؤساء . ولما رأى عبد العزيز ذلك استولى عليه الرعب وترك البحث والتنقيب . وهناك قصص كثيرة من هذا النوع تسمعها في كل جهة من جهات الصعيد وإحدى هذه القصص تقول إن فريقاً

من الفلاحين حاول مرة أن يقتحم خرائب بنى حسن وبينما هم يرفعون حجراً إذ وقف أمامهم حارس الخرائب ، وهو ديك بعينين براقتين لم يكذب يصيح حتى انفتحت الأرض وابتلعتهم دون أن يظهر لهم أثر بعد ذلك .

.. ويروى أن طائفة من الفلاحين كانوا يذهبون كل عام إلى « الأشمونين » ، وخطر لهم حين مرة أن يذهبوا إلى المعبد لبيحثوا في خرابته عن الكنوز التي يصورها لهم خيالهم الخصب ، وبينما هو يحاولون في أحد الأيام أن يهدموا جداراً إذ ظهر لهم ديك أرتجت لظهوره أركان المكان وهاجت الأرض وماجت وانطبقت الخرائب على هؤلاء اللصوص فدفتهم في بطونها .

.. فهذا الديك الذي يظهر فينكل بمن تحدثه نفسه الاقتراب من المعابد والآثار، هذا الحارس الأمين يمكن أن يفسر على أنه الإله حوروس معبود بني حسن أو الإله تحوت معبود الأشمونين .

.. وكان جورج أورويل George Orwell ، واسمه الحقيقي «إريك آرثر بلير» Eric Arthur Blair أما الاسم الأول فقد اشتهر به (25 يوليو 1903م - 21 يناير 1920 م) وهو صحفي وروائي بريطاني . عمله كان يشتهر بالوضوح والذكاء وخفة الدم والتحذير من غياب العدالة الاجتماعية ومعارضة الحكم الشمولي وإيمانه بالاشتراكية الديمقراطية. كتب أورويل في النقد الأدبي والشعر الخيالي والصحافة الجدلية. أكثر شيء عرف به هو رواية 1984 التي كتبها في عام 1949م وروايته المجازية مزرعة الحيوانات عام 1945م والتي تم بيع نسخها معاً أكثر من أي كتب أخرى لأي من كتاب القرن الواحد والعشرين. كتابه تحية لكتالونيا في عام (1938م) كان ضمن رصيد خبراته في الحرب الأهلية الإسبانية عام 2008م وضعته صحيفة التايمز في المرتبة الثانية في قائمة «أعظم 50 كاتب بريطاني منذ عام 1945».

.. كان هذا الكاتب الفذ يؤمن بالخوارق وقد كتب في كتابه « عصر في مثل هذا»

عام 1920 م 1940 م الذي استهله بكلمة « لماذا أكتب ؟ » إنه كان يخطط منذ نعومة أظفاره أن يصبح كاتباً، إلا أنه كاد يتخلي عن ذلك وهو في عمر بين السابعة عشرة والرابعة والعشرين، ثم عاد مدركاً أن ذلك ضد طبيعته، وأنه إن آجلاً أو عاجلاً عليه الإستقرار علي تأليف الكتب، ولأنه كان من النادر أن يري والده حين كان طفلاً يقول:

.. «لذلك ولأسباب أخري كنت وحيداً، بطريقة أو بأخري، وسرعان ما تطورت سلوكياتي غير المقبولة التي جعلتني منبوذاً أيام الدراسة، فاكسبت طباع الطفل الوحيد، من اختلاق القصص، والتحاور مع شخصيات وهمية، وأعتقد منذ بداياتي المبكرة اختلطت طموحاتي الأدبية مع إحساسي بالانعزال والتقليل من شأن نفسي، إلا انني كنت أعرف امتلاكي براعة التعامل مع الكلمات، والقدرة علي مواجهة الحقائق غير السارة، مما ساعدني علي خلق نوع من العالم الخاص الذي مكنتني من مواجهة فشلي في الحياة والإيمان بالخوارق».

.. وكان يقول من خلال إيمانه بهاتيك الخوارق بأن زميلاً له في «إيتون» يدعي «فيليب يوركب» تمزق قدمه ثم توفي بعد فترة قصيرة بسرطان الدم، بعد لقائه العابر مع شبح بمقبرة.

.. والآن لنعد إلى الأفسر مرة أخرى ولنقف لحظة أمام معبد «خنسو» بالكرنك فاننا لاشك واجدون أمامه البوابة العظيمة التي أقامها بطليموس ولكن هذه البوابة لا تعرف بهذا الاسم عند العوام ومن على شاكلتهم من الأهالي وإنما يسمونها بوابة عطا الله لاعتقادهم أن عطا الله كان يتخذ لنفسه منزلاً يقيم فيه فوقها . وأنت إذا سألت أحد الأهالي عن عطا الله هذا أجابك بأنه قزم مشوه الخلقة ، عجيب الهيئة والتركيب يراه الفلاحون أحياناً في المساء فتأخذهم رعدة الخوف فإذا استوضحته الأمر قال لك وهو يرتعد أنه رجل قصير القامة ولكنه ممتلئ الجسم له وجه عريض وعينان براقتان أنف أفطس ولسان يتدلى من فمه ، أما

ذراعاه فطويلان وساقاه فيميلان إلى القصر وهو يجرى هنا وهناك ويصرخ بين آونة وأخرى في حنق وغضب ، فإذا سمعته الحيوانات ولت هاربة من وجهه وأخذت الكلاب تجري صامتة إلى حيث تختبئ ويلجأ كل إنسان إلى بيته ليتقى شره .

.. وهكذا فإن علم الميثولوجيا أو الأسطورة تمتد بجذورها إلى عصر الفراعنة .
.. قال المسعودي في مروج الذهب..

.. وللناس كلام كثير في الغيلان والشیطان والمرد والغادر وهو نوع من الأنواع المتشيطنة يعرف بهذا الاسم ويظهر في أكناف اليمن وأعلى صعيد مصر .. ولقد تنازع الناس في الهواتف والجن فذكر فريقا منهم أن من تذكره العرب وتنبئ به من ذلك إنما يعرض لها من قبيلة توحده في القفار والتفرد في الأودية والسلوك في المهمة والطرق الموحشة لان الإنسان اذا سار في هذه الأماكن يتتابه الخوف، وتصيبه رعدة تعصف به عصفاً .

.. تعود بي الذاكرة إلى سنواتٍ طويلةٍ خلت ومازلت أتذكر قريتي منية المرشد القابعة، علي مقربة من البر الشرقي من مدينة رشيد ويفصلها عنها نهر النيل حيث كنت أترك مدينة الإسكندرية ، وأذهب إليها لأقضي فيها أجازة نصف السنة ومعظم أجازة الصيف في بيت جدي وبيت جدي رحمهما الله وكانت مسامعي تصطك بالقصص والروايات التي كانت تحكيها لي عمتي سكينه غفر الله لها ، فكانت تنهي إلي أن العفاريت والشياطين تسكن منشئ القرية الواسع العريض تعربد فيه وتقبض علي من يجوس خلال أرضه (فالمارد الرهيب) يتربص الدوائر بكل إنسان يراه في هذا المكان ناهيك علي أن بعض القبور التي كانت غير مغطاة تخرج من داخلها الكثير من المردة والشياطين تلحق الأذي بكل من تراه في هذا المكان ، ناهيك عن الذئاب الشرسة المتوحشة التي كانت تمرح في القرية قبيل الفجر وكذلك المارد الذي يتحدث بالعربية ، فضلاً عن الذئاب التي تتحدث

بذات اللغة وتقول «بختنا خروف ويكون معلوف» أما في ساعة القيلولة بعد آذان الظهر فمن تطأ قدمه الطريق الملاصق (للكنال) ، فهو يرى الويل والثبور وعظائم الأمور من خلال العفاريت التي تطبق عليه في تلك الساعة ، والكنال هو نهر يشق أطراف القرية تذهب فيه النسوة يومياً لملء جرارهن بالماء العذب، بعضهن يرتوي منه والبعض الآخر يبيعه لمن يشاء ، وكنا جميعاً نتحاشي المشي في هذه الساعة التي تسمى ساعة القيلولة .

.. وكان هناك في قريتي « منية المرشد هذه » طريقاً ضيقاً يسمى «السرب الضيق» يربط ما بين شطري القرية تواترت الخرافات واثالت الخزعبلات من أفواه قاطني القرية بأن هذا السرب يغلق تماماً بفعل الجن إذا ما روادت نفس أحد علي أن يعبره خلال الهزيع الثاني من الليل... أي ليل .

.. وكان يجيش بخاطري أن أتيقن من صحة هاتيك الخرافات من عدمه ، فقد نشأت منذ حداثة السن وأنا لا أخاف من الخوف ، ومن ثم كنت بعد أن أقضي سحابة يومي وأخرج مع لداي وأصدقائي متوجهين صوب قناطر ادفيينا نجلس علي حافة النيل نتسامر وتتضحك ويقص كل منا علي الآخر ما في جعبته من نوادر وحكايات أو نتجاذب أطراف الحديث كل يخرج ما عنده ولا سيما أن أغلبنا كان من القارئين .

.. ثم أووب مع صحبتي بعد أن يكون الليل قد أرخي سدوله علي القرية متفرقين ذاهبين إلي بيوتنا ، بيد أنني كنت أيمم وجهي تجاه هذا السرب المظلم باحثاً فيه عن العفاريت عبر هذا الزقاق الموحش المهجور والذي يتخيل الناظر إليه أنه مسكن الجن ، أو مأوى الغيلان ، وما أن أدلف من مدخله حتي أهرع بالجري السريع .. أركض ركضاً .. تجاه منفذه الآخر حرصاً علي أن لا يغلق علي هذا السرب وكنت بالطبع أخرج سليماً منه دون أن يقابلني الجن أو تعترضني العفاريت؟! .

.. ولما عنّي لي أن أسير في هذا السرب في ساعات متأخرة من الليل في الهزيع

الثاني منه لم أر عفريتًا .. ولم أقابل جنياً .. أو أغلق على هذا السرب كما كانوا يزعمون .

.. كانت هاتيك الخرافات تُقص على مسامعنا حتى أصطكت بها آذاننا ، إذ كانت تتلي علينا يومياً وتنسب دائماً إلى الجان .

.. ومن هاتيك الخرافات نقرأ عنواناً مثيراً يقول :

.. جثامين « الميت » تتحدى الطبيعة ! (□)

.. يعتبر واحداً من أشهر مساجد المنوفية، وبالإضافة إلى مكانته الروحية يتناقل أهالي مدينة شبين الكوم حكايات تقترب من حافة الخرافة، لكنها الطبيعة البشرية التي تعشق كل ما هو غير مألوف وهو مسجد (الميت ولي) .

.. ويقع هذا مسجد بالحي القبلي بالمدينة، ويردد أهله أن هناك عشرات من جثث جيش الفتح الإسلامي تقبع أسفله بعد أن استشهد اصحابها في إحدى المعارك، حتى هنا تبدو الحكاية قابلة للتصديق، لكن الحي الشعبي لا بد أن يضيف إليها بعض الإثارة، حيث أكد الأجداد أن جثث المائة شهيد لم تتحلل أو يصبها العفن، ثم جاء عدد من الأحفاد ليضيفوا انهم شاهدوا الدليل بأعينهم خلال صيانة تمت بالمسجد قبل سنوات.

.. يقول قائل : «أسكن أمام المسجد منذ أن ولدت وإلى الآن، وكنت شاهداً على حالات العثور على جثث كاملة من أسفله أثناء قيام مسؤولي الأوقاف بالمحافظة بتجديده في عام 1990 بعد تهالك أجزاء كثيرة من محتوياته حتى أصبح مهدداً بالانهيار بسبب عوامل الزمن».

.. ويواصل : «شاهدت بعيني اللوادر التي تقوم بأعمال رفع آثار الإحلال والتجديد وهي تصطدم بجثث كاملة فتوقفت على الفور عملية رفع الأنقاض، وتم

إخطار الشرطة والأوقاف والصحة لاتخاذ ما يلزم وتم استخراج عدد من الجثث بحالتها لم تبل واذكر منها جثة لشيخ كبير يدعى الشيخ «الميهي» من العراق وتم معرفة اسمه وبلده من خلال كتابات عثر عليها مدونة على يديه وتم رفع الجثث إلى ضريح سيدي «المرفوع» بالقرب من المسجد ومنذ تلك اللحظة تحول المسجد إلى مزار ديني ومقصد لكثير من الأهلين والمريدين.

.. ويضيف آخر : «أنني أعمل بمنطقة مسجد الميت ولي منذ قرابة 40 سنة ما زلت أسمع تلك الروايات وغيرها من كبار السن هنا وعواجز الحارة، والذين أكدوا لنا ما شاهدوه بأنفسهم من كرامات».

.. فيما يشير أحدهما هو يعمل «قصاباً» إلى أن الكثير من تلك الروايات انتشرت بقوة خلال مباشرة الأوقاف أعمال رفع أنقاض المسجد، لكنه يؤكد أهميته التاريخية، كما يطالب أهالي الحي في نهاية الأمر بضرورة ضم المسجد إلى وزارة الآثار باعتباره يحمل أهمية كبيرة للسياحة الدينية.

.. يعد المعتقد الشعبي ثقافة شعبية قديمة متوارثة يمتزج فيها القديم والحديث، ويعطى تفسيراً لجميع الرموز وجميع الأشياء غير الواضحة وغير المرئية في عالمنا الواقعي (□)

.. أى المعتقدات التى يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجى والعالم فوق الطبيعى، ويبدو أن هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام، أو أنها كانت أصلها معتقدات دينية - إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك - ثم تحولت فى صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة، بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال.

.. واستطاع الخيال الشعبى أن يجسد مخاوفه من المجهول على شكل

(1) الغول والإنسان الوحش فى المعتقد الشعبى جريدة الأهرام د.أماني الجندي 23 يوليو 2016 .

مخلوقات عجيبة من طير السماء أو وحش الأرض أو الماء .. واعتاد حين يرسم هذه المخلوقات أن يجمع لها كل صفات العنف والقسوة من ناحية وكل القدرات الخارقة التي تفوق قواه المحدودة من ناحية أخرى، كما اعتاد أن يجمع في مخلوقاته المتخيلة هذه، سمات من هنا وهناك، أيا من حيوان البر، أو وحش البحر أو طير السماء، بحيث تخرج شيئاً مزيجاً من كل ما هو مهول مخوف من أعضاء هذه المخلوقات التي يراها ويعرف قوتها وبطشها، ويعرف أيضاً مواطن القوة والبطش فيها .. فيختار هذه المواطن أو يتخير منها، ويضيف بعضها إلى البعض، ثم يضيف من ذكرياته ما يزيد هذه المخلوقات هولاً على هول.

.. والغول في المعتقد الشعبي هو طائر متوحش، له عينان كبيرتان كعيني الإنسان تقريباً، أما حجمه فإنه أكبر من حجم «الحدأة» يصدر أصواتاً مثل «بم، بم» وهو أقرب الشبه إلى البومة، أيضاً يمكن أن يتشابه في المعتقد الشعبي مع كائن آخر يطلقون عليه اسم «الدرج»، وهو كائن ذو شكل قبيح يشبه قردة الغوريلا تماماً وغالبا ما يوصف بشكل الإنسان الغاضب يأكل الإنسان أو المواشى فهو بحجم الفيل أو سبع البحر ويظهر في الجبال أو الصحارى.

.. أما (أبو رجل مسلوخة) فهو من الشخصيات التي تستخدم لتخويف الأطفال، وهي في الغالب نوع من العفاريت ويوصف بأنه: مخلوق نصفه الأعلى كالإنسان ونصفه الأسفل كالحمار، وله ذنب وبفخديه سلوخ في الجلد ومن المعتقد أن يكون دوره تربويا عند الأباء يؤدي ذكرها إلى إثارة الرعب والهلع لدى الأطفال.

.. وهناك المارد وهو نوع من الصل أو العفاريت، ولا يظهر إلا في شكل إنسان فقط، ويستطيع التضخم طولاً أو الانكماش «ويظهر ليلاً فقط» على شكل نخلة أو عمود طويل، وعندما يتحدث معه أحد فإنه يقصر من طوله. وغالبا ما يظهر في نصف الليل وفي الأماكن المهجورة التي ينقطع الناس عنها.

.. أما القرين في المعتقد الشعبي، فيوضح أن لكل فرد قرينا يلازمه حيث يعتقدون أن الشخص الملبوس، قد لبسه قرينه . ولتفادي أذى القرين تذهب النساء عادة إلى العطار وتحضر مجموعة من المواد (لبان دكر - صندل - حبوب خضراء - وشيح) وتتبخر بها ... وهناك البراق ويصفه المعتقد الشعبي انه جواد ذو أجنحة كبيرة، وله أربع أرجل ، ووجه يشبه الإنسان، لونه أخضر، منقوش بالأبيض والأسود، ويتدلى من أذنه «حلق» وحول رقبته «خلاخيل» كثيرة حمراء.. وهو من التراث الديني.

.. والأشكيف (اشاكو) في المعتقد الشعبي البابلي هو أحد ملوك الجن السبعة يعمل على نقل الأوبئة بين البشر

.. وهناك «المسيح الدجال» أو «أبو عين واحدة» يتصوره الناس في المعتقد الشعبي رجلا يركب دابة «ركوبة» كل رجل من أرجلها فيها حبل وهو يقوم بإصلاح هذه الركوبة ليقوم بإفساد الدنيا، غير أن الملائكة تقوم بمواجهته وإفساد ما يقوم به، وعندما يتغلب عليها يأتي إلى الدنيا ويزفها بالطبول، فمن يتبعه كان مصيره النار، وسوف يستطيع سيدنا عيسى أن يقتله في الحبشة بمساعدة الملائكة، ثم يتولى شؤون الحكم في الأرض من بعده.

.. أما «الصل» فهو الكائن الشرير بالمعتقد الشعبي الذي يؤذى الناس، وهو المارد وهو روح القتيل التي تظهر في مكان القتل أو بالقرب منه والتي تتشكل بأشكال مختلفة أهمها جميعا النار التي تختفي عندما يقترب منها الإنسان، والصل أو العفريت لا يظهر إلا للإنسان ضعيف الإيمان والقلب حسب المعتقد الشعبي.

.. وهناك (النداهة) ويشخصها المعتقد الشعبي في صورة أنثى تذهب لزيارة البيوت عند الفجر أو في منتصف الليل، خاصة وان سمعتهم يتعاهدون على العمل ويتفقون على الإستيقاظ مبكرا لعمل شيء أو للذهاب لمكان ما تذهب مدعية أنها الشخص الذي اتفق معه، في صورة فلاح يساعده في ري الأرض ليلاً، أو في صورة

صياد يذهب مع الإنس لصيد الأسماك، مجسدة صوته وهيئته، وتمت المواجهة بينهما بعد ذلك، بعد التعرف على صفاتها، بأن يكون لها ارجل ماعز وبها شعر غزير، ويكون لها اصابع من حديد وغالبا ما تحاول جذب الرجل إلى الماء لأن قوة الجان تظهر في الماء.

.. ومن هذه المخلوقات قدم الخيال الشعبى الرخ والسعلاة والتنين والهايشة والزبرقان الذى وصفه المسعودى فى مروج الذهب. والعنقاء والهام . وغيرها كثيرا يفوق الحصر والوصف. وقد ربط الخيال الشعبى بين هذه المخلوقات وبين قوى الجان والعفاريت ربطا عضويا، فمثل هذه المخلوقات الضارة المدمرة هى من مخلوقات الشيطان، أو بينها وبين الجان نسبا، إذا هى إما مخلوقات حقيقية تمارس قواها الخارقة ، وإما شياطين تحولت إلى هذه الصورة لترعب الإنسان وتذهب بلبله وتنال منه ومن شجاعته ومن وجوده كله .. كثيرا ما نجد أن البطل الشعبى حين يضرب هذه المخلوقات بسيفه «الطلسم» ينتزع عضوا من اعضائها، لا يقطر بسيفه دماء، إنما تخرج الحياة من هذه الحيوانات على شكل دخان، بينما يحترق الجسد كله ويتلاشى الحيوان بين اللهب والدخان، إيماء إلى أنه مخلوق شيطانى من النار خلق وفى النار يحترق، ورماد يعود ممزوجا بالدخان.

.. أيضا ربط المعتقد الشعبى بين هذه المخلوقات وبين الكهنة والسحر .. فالكاهن والساحر يستطيعان بحكم قواهما السحرية أن يستدعيا الوحش لتدمير من يريدان، أو لإخافة شخص ما.. والخيال الشعبى العربى مغرم بربط الجان بسيدنا سليمان والقدرات التى أعطاها الله له ليسيطر على قوى الطبيعة من رياح وأمطار وغيرها التى يمكن أن نصفها بأنها قوى الطبيعة من رياح وأمطار، وعلى كل اللغات بما فيها الطير والحيوان والهوام أيضا، وإذ سرق كتاب عن السحر من تحت إيوانه تعلم منه السحرة والكهنة الكثير من الأسرار وامتلكوا الكثير من القوى التى أعانتهم فى كثير من الحكايات - القدرة على التحكم فى الحيوان وفى الجان وفى الطبيعة أيضا. استمد الخيال الشعبى إذن شكل وحشه المخيف من الحيوان، بل

ربط هذه الوحوش بمأثوره المتوارث حول الحيوان، وربط هذه الوحوش بقوى الشيطان والجن، كما ربطها بقوى السحر، وعلوم الأفلاك .. ولهذا أخذت هذه الوحوش الخيالية صفات حيوانية من ناحية الشكل وصفات شريرة من ناحية المضمون، وأحييت بالأسرار والهواجس ومظنة السحر والطلاسم .. إلا أن الحيوانات سواء منها عابرة السماء أو سابحة الماء أو جائلة الأرض .

.. وقد بالغ الضمير الشعبي في صفات هؤلاء البشر مبالغات كثيرة تتفق مع ما تصوره له من قدرة على الشر والإيذاء .. ومن أشهر الحكايات التي تجسد فيها نموذج الغول والإنسان الوحش هي رحلة السندباد البحري الثالثة .. ففي هذه الرحلة ترمى الريح مركب السندباد إلى جبل القروذ . وهم أقزام يشبهون القروذ في أشكالهم وعليهم شعور مثل لبد الأسود ورؤيتهم تفرع ولا يفهم أحد كلامهم «وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الحلقة طول كل واحد منهم أربعة أشبار» وينهب هؤلاء السفينة ويحطمونها على جبلهم، ويقودون البحارة إلى الجزيرة حيث يمكنون فيها مرغمين .. وواضح أنهم وإن لم يأكلوا لحوم البشر إلا أنهم في خدمة الغول ساكن الجزيرة يقودون إليها السفن السيئة الحظ التي يرميها حظها العاثر إلى جوار جبلهم .. وفي الجزيرة يرى الناجون من المركب قصرًا عظيمًا في وسطها فيقصدون إليه بحثًا عن الأمان، وطمعًا في وجود إنسان يدلهم على كيفية الخلاص من ورطتهم هذه ..

وفي الصباح التالي ترتج الأرض رجا تحت أقدام الغول الذي جاء يبحث بينهم عن طعامه، ويصف السندباد هذا الغول بقوله: «شخص عظيم الخلق في صفة إنسان وهو أسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة، وله عينان كأنهما شعلتان من نار وله أنياب مثل أنياب الخنازير، وله فم عظيم مثل البئر وله مشافر مثل مشافر الجمال مرخية على صدره، وله أذنان مثل الحرامين مرخيتان على أكتافه، وأظافر يديه مثل مخالب السبع» .. ووسط الرعب الذي أحدثه ظهور هذا

«الشخص» كما يسميه السندباد يتقدم نحوهم ليحبسهم واحدا واحدا «مثلما يحبس الجزار ذبيحة اللحم»، ثم يختار اسمهم، وأكثرهم شحما ولحما، وهو «ريس المركب» أو الربان .. ويحكى السندباد ما فعله الغول به فيقول: «قبض عليه مثلما يقبض الجزار على ذبيحة ورماه على الأرض ووضع رجله على رقبته وجاء بسبخ طويل فأدخله في حلقة حتى أخرجه من دُبره، وأوقد نارا شديدة وركب عليها ذلك السبخ المشكوك فيه، ولايزل قلبه على الجمر حتى استوى لحمه، وأطلعه من النار وحطه قدامه وفسخه كما يفسخ الرجل الفرخة، وصار يقطع في لحمه بأظافره ويأكل منه، ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل لحمه ونهش عظمه ولم يبق منه شيئا ورمى بقية العظام بجانب القصر (□).

.. الخرافات في أدبنا العربي قديمة النشأة، موغلة في التاريخ، وعلى سبيل المثال قصة «ذات الصفا» التي جاءت لتفسير هذا المثل الذي يعد من أمثال العرب المشهورة «كيف أعاونك وهذا أثر فأسك». يقول الميداني. أصل هذا المثل على ما حكته العرب على لسان حية، أن أخوين كانا في إبل لهما، وكان بالقرب منهما واد خصيب، وفيه حية تحميه من كل أحد.

فقال احدهما للآخر: يا فلان لو أنى أتيت هذا الوادي فرعيت فيه إبلى وأصلحتة! فقال له أخوه: أنى أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحداً يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته؟ قال فو الله لافعلن. فهبط الوادي ورعى به إبلى زماناً، ثم أن الحية نهشته فقتلته. فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خير، فلاطلبن الحية ولأقتلنها أو لأتبعن أخي. فهبط ذلك الوادي وطلب الحية ليقلتها، فقالت الحية له: ألس ترى أنى قتلت أخاك، فهل لك في الصلح فأدع بهذا الوادي تكون فيه، وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت، قال: أو فاعله أنت؟ فقالت: نعم، قال: إني أفعل فحلف لها وأعطاها الموائيق لا يضرها، وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً،

(1) المرجع السابق.

فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً ، ثم إنه تذكر أخاه فقال : كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي ! فعمد إلى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ، ووقعت الفأس بالجبل فوق حجرها فأثرت فيه . فلما رأت ما فعل قطعن عنه الدينار ، فخاف الرجل شرها وندم ، فقال لها : هل لك أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت : « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك » وأصبح هذا القول يضرب لمن لا يفي بالعهد (□) .

.. وقد نظم النابغة الذبياني هذه القصة فقال :

وإني لألقى من ذوى العيِّ منهمُ وما أصبَحْتَ تشكو من الشَّجْوِ سَاهِرَهُ
 كما لقيت ذات الصِّفَا مِنْ حَلْفِهَا وكانت تُرِيهِ المَالَ غِبًّا وَظَاهِرَهُ
 فلمَّا رأى أن ثَمَرَ الله مَالَهُ وأثَّلَ مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفَاوِزَهُ
 أكبَّ عَلَى فأسٍ يُحَدُّ غُرَابَهَا مُذَكَّرَةً مِنَ المَعَاوِلِ بَاتِرَهُ
 فقام لها من فوق جُحْرِ مُشِيدٍ ليقتلها أو يُخطئ الكفَّ بَادِرَهُ
 فلمَّا وقَّاهَا اللهُ ضَرْبَةَ فأسِهِ وللشَّرِّ عَيْنٌ لا تُعَمِّضُ نَاطِرَهُ
 فقال: تَعَالَى نَجْعَلُ اللهُ بَيْنَنَا عَلَى مَالِنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ
 فقالت: يَمِينُ اللهُ أَفْعَلُ؛ إِنِّي رَأَيْتُكَ مَشْؤُماً يَمِينُكَ فَاجِرَهُ
 أبى لي قبر لا يزال مُقَابِلِي وَضَرْبَةَ فأسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

.. وهكذا كانوا في الواحات يطلقون الشائعات من خلال الصفيير المستمر من الرمال بين الحين والحين على أن أديم الصحراء ينام عليه الجن ليلاً يلتحفون الغبراء ، ويستظلون بالسماة ويتذكرون دائماً القول القائل : أن الجن تعيش دائماً في الخلاء بمعتقد ديني وقر في أذهانه .

(1)الدكتورة «نفوسة زكريا سعيد» خرافات لافونتين في الأدب العربي .

.. وهذا الخلاء يتمثل أمام أعينهم في بحار الرمال وحقول الكثبان الرملية التي تغطي مساحات شاسعة في الواحات ، فهي تنتشر علي منحدرات وسطوح الهضاب وقيعان المنخفضات وهي تشمل النصف الجنوبي من بحر الرمال العظيم، والنصف الشمالي من غطاء سليمة، ومعظم غرد أبو محرك، وحقل رمال العوينات حيث يعتبر غطاء أبو سليمة أكبر بحر رمال في محافظة الوادي الجديد ويمتد جنوباً داخل السودان، وتم تسميته بهذا الاسم بواسطة (باجنولند - Bagnold) اشتقاقاً من أهم معلم جغرافي فيها الغطاء الرملي وهو « واحة سليمة السودانية» . وتبلغ المساحة الكلية لهذا البحر الرملي حوالي 103،200 كيلومترا مربعا، ويرجع الاستواء الشديد لهذا الغطاء الرملي إلي السطوح المستوية للسهل ، ومعظم هذه الرمال التي يتكون منها الغطاء الرملي قد نتجت من قيعان الأودية القديمة التي كانت تقطع السهل خلال عصر البليوستوسين . أما المصدر الثاني للرمال، فهو من رمال بحار الرمال التي تقع إلي الشمال من هذا الغطاء الرملي العظيم . بالإضافة إلي الغطاءات الرملية التي تسود هذا البحر الرملي، هناك التموجات الرملية الضخمة ونطاقات الكثبان الرملية التي تنتشر في أجزاء مختلفة.

.. وقد كان لوجود بحر الرمال العظيم الذي يمتد من جنوب منخفض سيوة حتي هضبتي الجلف الكبير وأبو رأس في الجنوب بمساحة تقرب من 60 ألف كيلو متر مربع ، وعلي الأطراف الشرقية له تبدو الكثبان الرملية وكأنها ظهور حيتان whale backs ... هذا البحر ذو المساحة الرهيبة الذي يتلج كل من يحاول أن يقترب منه ، كان سبباً في قصص الجن التي يتناقلها أهل الواحات ، هذا البحر المجهول .. (والإنسان يكره ما يجهله، بل ويخشاه)

.. هذا بالإضافة إلي واحة « زرزورة » هذه الواحة المجهولة والتي ردد ذكرها كثيرون ممن زاروها أو جابوها ، وإن كانت تمثل الخير المأمول لوجود وفرة عيون الماء بها إلي كثرة محاصيل الفاكهة بأنواعها ، إلي قطعان الخراف والغزلان البرية التي يتوق الإنسان إلي إمكانية صيدها من الصحاري البعيدة .. هذه الواحة

الطريق إليها يدخل إلى عالم المجهول حيث أن الوصول إليها لا يتحقق إلا لتائه ضل الطريق إلى الصحراء ، وهي تقع في الاتجاه الجنوبي للداخلية ، وهي منطقة شاسعة مترامية الأطراف تصل مساحتها إلى آلاف الكيلومترات كما هو وارد في الصفحات التالية.

واحة زرزورة .. هذا المجهول .. المخيف

.. من المعروف أن القدامى من الرحالة العرب والأجانب ، كانوا يستمدون معظم معلوماتهم بطريقة شفاهية، أي من حكايات الجماعات في تلك المجتمعات الصحراوية البعيدة، خاصة إذا كانت هذه الأخبار والحكايات تدور حول مكان جغرافي متميز ومثير للدهشة، مثل واحة زرزورة...!!! كما تذكر المراجع.

.. وقد كان لسعي هؤلاء الرحالة نحو المبادرة، والسبق التاريخي والريادة في محاولة اكتشاف تلك الواحة (المجهولة) وتسجيل يوميات رحلاتهم الاستكشافية في الصحراء بحثاً عنها، إنما كان له عظيم الأثر في تغذية هذا المعتقد المحلي في الواحات الداخلة ، التي كانت علي مر العصور محطة الانطلاق للرحلات الكشفية في الجزء الجنوبي من صحراء مصر الغربية، باعتبارها النقطة الأخيرة في أقصى جنوب المعمور المصري.

.. وفي أوائل القرن التاسع عشر كثرت بعثات البحث عن هذه الواحة المجهولة في الصحراء الغربية لاستقصاء أخبارها واكتشاف أمرها، وقد كانت كتابات الرحالة العرب بما حملته من خيالات وغيبيات حول المناطق البعيدة المجهولة،

حافظاً مشوقاً لكل من يريد الاستكشاف، خاصة في صحراء مصر الغربية.

.. ولكن بعد فشل الحملات الاستكشافية ل « زرزورة »، خمدت المحاولات، وتناسي الناس أمر هذه الواحة، وإن ظلت في الذاكرة الجمعية الشعبية لسكان الواحات الداخلة. إلي أن اكتشف الرحالة أحمد حسنين باشا واحتى العينات وأكنو، فانبعثت الخرافات من جديد، وانطلق المكتشفون خلفها، وكان حلم «زرزورة» هو القبلة الرئيسية لرحلاتهم.

.. (« زرزورة » هو اسم محلي لعصفور صحراوي جماله بديع الألوان، يصدر صوتاً رائعاً في الصحراء يشبه الجملة الموسيقية ذات الإيقاع الهادئ).

.. كانت المجلة الجغرافية (الإنجيزية) مسرحاً للدراسات والأبحاث والجدل حول ظهور واختفاء هذه الواحة اللغز، وأن كانت كتاباتهم ودراساتهم لم تخرج عن كونها نتاجاً طبيعياً للحدس والاستنتاج من أقوال المؤرخين العرب القدامى الذين اعتمدوا على استقصاء الأخبار والروايات من أهالي الواحات الداخلة أو من الكتب التاريخية المصرية القديمة من اغريقية ورومانية ، وأيضاً عربية.

.. وقد أشيعت عن هذه الواحة قصص خيالية تجعل من الوصول إليها نسجاً من الخيال، وفي كتاب (الدليل إلي مصر) الذي طبع سنة 1896م ورد عن مكان واحة زرزورة استناداً إلي أقوال بعض العرب الرحل رأيان، الأول يرجع أنها تقع في بحر الرمال الأعظم، بينما الرأي الثاني يتجه إلي أنها توجد في جنوب الواحات الداخلة، ولكنها، وحتى الآن لا تمثل إلا خيالاً مجهولاً في ذاكرة أبناء الواحات الداخلة كما ذكر أحد المراجع.

.. في مقابل واحة (الخير) زرزورة ، تأتي معتقدات مقابلة حول مكان آخر، ولكنه يتسم بالسلبية، أي أنه يمثل الشر.

.. فأكثر الأماكن شهرة في سكني الجان، هي (الجارة السوداء) أو (الهضبة

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

السوداء) والجارا هذه، تشبه من بعيد الهرم الأسود، تراها من فوق المرتفعات بالعين المجردة وهي تقع جنوب مدينة موط، حيث لا تقع أية قري أخرى في هذا الاتجاه (سوي العوينات) التي لم تعرف إلا في العصر الحديث.

.. تقول الحكايات الشعبية عنها، أن الكثير من الناس حاولوا الوصول إليها دون جدوي ، ولا يصل إليها الا التائه فقط الذي يتوه بعد أن يصل إليها فلا يستطيع الإياب...!!!

.. ومن المثير للعجب في ذلك، أن معظم من كانوا يعانون من التخلف العقلي، وضلوا الطريق خارج الواحة، قد عثر عليهم موتي إلي جوار هذه الجارة السوداء....!!

.. ويبرر العامة هنا هذا الأمر بأن هذه الجارة يسكنها الجن والعفاريت التي تنادي التائمين، والعديد من القصص يتداولها الناس حول من تعرضوا لهذه (النداهة) السابق ذكرها في الصحاح السابقة

.. «النداهة» من أشهر الحكايات في التراث الشعبي بالريف المصري. وتروى الحكايات أنها امرأة جميلة وغريبة، تظهر في الليالي المظلمة، تنادي شخصا معنا باسمه فيقوم مسحورا، ويتبع النداء إلى أن يصل عندها، ثم يجدونه ميتا في اليوم التالي، ولا يمكن لأحد مقاومة سحر صوتها الجميل، الذي يأسر القلوب والأذان. فهل هي مجرد حدوتة نسجها الخيال الريفي؟



.. تقول الروايات أنها تظهر في الليل للايقاع بالسطاء، وتختار فريستها وتناديه فينساق بلا وعى منه ليلقى مصيره، فالفلاحون يروون أن الشخص «المندوه» يكون مصيره الموت أو الجنون ويتصرف بشكل غريب، أو تصيبه هلاوس فيكلم نفسه، ويسكن «الغيطان» ويصعب تعقبه، ثم يختفي.

.. ويردد البسطاء أن النداهة إذا أحببت شخصا تأخذه إلى عالمها السفلى لتتزوج، وربما يظهر ميتاً إذا رفض العيش في عالمها السفلي، وتقتله خشية إفشاء أسرار عالمها.

.. توارثت الأجيال هذه الحكايات، وورثت معها الخوف من غواية «النداهة»، فالأحمق «الذي نادى عليه النداهة وذهب وراءها» تجاهل تحذيرات الأجداد، وتذهب تفسيرات إلى أن البسطاء وجدوا فيها مهرباً من شقاء المعيشة، ومن جانب أستغلت لارتكاب جرائم كبيرة بمسمى النداهة، لتقيد ضد مجهول، بينما أصل الشخصية مثير للحيرة.

.. ورأت تفسيرات أخرى أن النداهة دلالة على حرمان الشخص من العاطفة، ورغبته في العشق حتى لو كان مع كائن لا وجود له. والأسطورة من زاوية البحث عن الحب تشبه القصص الإغريقية القديمة، حيث يؤمن الإغريق بوجود عروس البحر التي تنادى البحارة بصوتها الجميل، وتأخذهم إلى الأعماق ليعيشوا قصة حب بعيداً عن الناس.

.. ويذهب الدكتور «مرسى السيد» أستاذ التراث الشعبي بجامعة القناة إلى أن

الشعوب تلجأ إلى تجسيد الأمور الغريبة التي تصعب على عقولهم بقدر ثقافتهم ومعرفتهم، فيدعون أن الشخص المصاب بمرض عقلي «مندوه»، وينسحب هذا على رجال تعرضوا للكبت العاطفي، أوالمبعد عن النساء لأى سبب، فيفعل أشياء غريبة للفت الأنظار، ليثبت أنه مرغوب من امرأة جميلة، هى «النداهة» وحتى لا يصبح منبوذاً. ولأن تلك المجتمعات تحافظ على سلامة المرء وأخلاقه ابتدعت هذه الأسطورة لمنع خروج الرجال ليلاً للحد من الرذيلة.

.. وهناك أسطورة «أم الدويس» التي تحمل طابعاً مصرياً خالصاً بدءاً من اشتقاق الاسم من كلمة «نده» أو النداء، ويختلف من بلد لآخرى حسب ثقافتهم، ففي دول الخليج، خاصة الإمارات، نجد أسطورة «أم الدويس» أو «أم الصبيان» وهى جنية بالغة الأنوثة والجمال، تفوح منها رائحة عطور خاطفة، تلاحق الرجال ليلاً وتفتنهم وما أن يقع الرجل فى شباكها تقتله وتأكله، وأشيع أيضاً أنها تخاف النساء وتظهر فقط للرجال. وقيل أن هذه الأسطورة مختلقة لتخويف الرجال من النساء الغربيات وإبعادهم عن المعصية.

.. وفى اليونان بلد الأساطير، تحمل اسم «السيرينات» أو «عروس البحر» التى تفتن البحارة بالغناء بصوت ساحر، ووجه بالغ الجمال، ومن يفشل فى مقاومة إغواء الغناء يخطفنه إلى البحر، ومصير البحارة يختلف من حورية لأخري، فإذا كانت طيبة وملائكية تأخذهم إلى شاطئ آمن، ليعيشوا معها نعيماً، وإذا كانت شريرة تخطفهم إلى بحر الظلمات وتقتلهم. وفى أسطورة «لا لورونا» فى إسبانيا، التى تستهدف تخويف الأطفال، تظهر كامرأة حزينة تخرج ليلاً على ضفة النهر، وتبكى حين يقترب منها الأطفال لتغويهم وتقتلهم، ويقال أن وراءها قصة حزينة لامرأة دفعتها الغيرة على زوجها إلى قتل أولادها بإلقائهم فى النهر، وأصابها الندم بعد أن فعلت ذلك فألقت نفسها وراءهم ومن يومها وشبحها يطوف عند النهر يخطف الأطفال ويصيب النساء باللعنة نفسها وتدفعهن لقتل أطفالهن.

.. وهناك أسطورة يابانية «كوشيساكي أون» أو «المرأة ذات الفم المشقوق»، ويقال إنها امرأة جميلة ذبحها زوجها الغيور فعادت لتنتقم منه في كل الرجال. وأصبحت شبها يظهر للرجال ليلاً مرتدية قناعاً يخفي وجهها المشوه، وتقرب من ضحيتها، وتسأله بنعومة «هل أنا جميلة؟» فإذا قال لا تقتله فوراً، ومن يقول نعم تخلع أمامه قناعها ليظهر وجهها المشقوق المرعب من الأذن إلى الأذن، وتسأله «ماذا عنى الآن؟» فإذا أجابها بلا تقتله فوراً، أما إذا أجابها بنعم فتشق له وجهه تماماً مثل وجهها وتركه. ويرى الدكتور مصطفى رجب أستاذ علم الاجتماع وعميد تربية جنوب الوادى سابقاً أن «النداهة هي القهر والرغبة الداخلية التي تسيطر على الإنسان وتدفعه إلى السعى لتحقيقها وإشباعها بكل شكل ممكن». و«هذه الأسطورة التي حكاها الأجداد تتكرر بشكل أو بآخر، حيث تخطف النداهة العصرية الرجال من أسرهم وحياتهم ويتبعونها إلى أن تنتهي حياتهم، ليس شرطاً أن يجدهم الناس جثة ولكن يكفي أن تدمر حياتهم تماماً»، ويعتقد أن النساء كن وراء هذه الأسطورة في البداية، وتحمل مدلولاً بأن الرجل الذي يهيم على وجهه خارج بيته معرض لإغواء امرأة جميلة تتسبب بإفساد حياته إذا تبعها، والظلام أو الليل يرمز إلى تتبع الرجل لشهوته، لأن الشهوة والخطأ يحدثان دائماً في الظلام والخفاء، والشائع أن الرجل الذي يمشى وراء نزواته وشهوته يفقد عقله، وهناك تفسير شائع بأن وراء الأسطورة كبتاً عاطفياً يدفع الرجل للتوهم بأن هناك امرأة جميلة ترغبه بقوة، لكن ذلك يحدث مع النساء أكثر من الرجال فالفتيات شائع بينهن توهم وجود عاشق مفتون بهن ويخشى مصارحتهن بحبه لأن شيئاً يعوقه، ويمكن تفسير الأسطورة بطريقة إيجابية بأن النداهة هي «الشغف» الخاص بكل شخص، لا سيما إذا كان مبدعاً، ويدفعه إلى أن يغير مسار حياته بأكمله ليتبعه، فإما ينجح وتكون النتيجة إبداعاً، وإما يقوده شغفه إلى الجنون، ومع ذلك «فأثر النداهة مستمر إلى الآن، ووراء الكثير من الجرائم التي ترتكب لإشباع الرغبات أو تحقيق الثراء السريع، فالنداهة هي الرغبة الداخلية التي تسيطر على الإنسان بشكل جنوني وتدفعه إلى السعى لتحقيقها وإشباعها بكل شكل ممكن، مهما

كانت العواقب، وهى الإحساس بالقهر النفسى والاجتماعى والذى لا يشترط أن يكون ناتجاً عن التعرض للظلم فقط، ولكن القهر أيضاً يأتى من شعور الإنسان بقلّة الحيلة وعدم القدرة على تحقيق أحلامه أو حتى إشباع شعوره بالحرمان الشديد من شيء ما (□).

.. ولعل ذلك مما يزيد اعتقاد العامة في سحرية هذا المكان... برغم أنها لا تخرج عن كونها مجرد كومة مرتفعة من الأحجار سوداء اللون، والمسافر علي طريق الداخلة العوينات، يراها إلي يساره، ولكنها ليست قريبة، وقد سألت بنفسى الكثير ممن يترددون بالسيارات علي هذا الطريق: هل وصلتكم (بأقدامكم) إليها...؟؟؟

.. وكان الرد دائماً بالنفي، وقد برروا ذلك بقولهم: إنك تستطيع رؤيتها علي يسار الطريق فقط ولكنها بعيدة...!! تماماً مثلما الناس يرونها من الواحة، كأنها قريبة، وهى غاية في البعد، وكأنها المجهول...!!

يقول صاحب كتاب «الجن في الواحات»:

.. ظلت الجارة السوداء تمثل جانبا مهما في الثقافة الشعبية للواحة، ذلك الجانب المتمثل في فرط العزلة، والخوف من كل ما هو خارج الواحة، فرغم رؤيته ببالعين، إلا أنه هو ذلك المجهول الذي لم يصل إليه أحد، مثله في ذلك مثل (واحة زرزورة) تلك الواحة المجهولة التي تداعب وتحاكي الخيال الشعبي بأنها جنة الله التائهة وسط الصحراء الغربية، والمليئة بالمياه وأشجار الفواكه النادرة والحيوانات البرية والطيور.. الخ، وزرزورة هنا تقع علي طرفي النقيض مع الجارة السوداء، بين الواحة، مبعث الخير من ناحية، والجارة السوداء موطن الجن والعفاريت، لا يصل إليها إلا من أصابه مس من الجن، فتناديه، ويلبى ندائها ويذهب إلي نهايته، اذن فهي تمثل بؤرة الشر في الخيال

الشعبي ، في مقابل خير زرزورة...!!!

.. وللجان قصص كثيرة ، منذ القدم تقول:

يظنّ الكثيرون أن الأسطورة مجرد كذبة أو حديث ملفق مختلق يتساوى في هذا الفهم من لا علم له وبعض الأكاديمين وقد واجهني أمثال هؤلاء وأنا اعد أطروحتي للدكتوراه «الأساطير العربية قبل الإسلام وعلاقتها بالديانات القديمة» إذ كتب أحد الدكاترة في اللغة العربية عن موضوع شراء قصي للكعبة من خزاعة بزجاجة خمر .

.. كتب الدكتور «قصي الشيخ عسكر» في كتابه «معجم الأساطير والحكايات الخرافية العربية قبل الإسلام»

.. إن الأسطورة تعني فكراً خاصاً يعتمل في عقول معتنقيها تنجس منهم ، كما ينجس الماء من الصخور وهذا الفكر قد يرجع إلى الكهنة الوثنيين حيث كانوا يضعون النبيذ المعتقد في المعابد القديمة ، واتخاذ بعض القسس النبيذ الأحمر رمزا لدم المسيح مما جعلها أحياناً عند البعض من هؤلاء مقدساً أسطورياً .. وكذلك ما قيل من خلال اعتناقهم بالخرافات من طواف النساء عاريات في الكعبة قبل الإسلام ، أو عند الحروب ، إذ يمثل العري طقساً عبادياً عند الأقباط القديمة لكن مظاهره امتدت إلى الجزيرة العربية .

.. ناهيك عما كانوا يؤمنون من أن طواف أحدهم حول الكعبة المشرفة لكي يتحلل من نذر أو طلب الشفاء من المرض

.. ويردف قائلاً: لقد بدأت في جمع هذا المعجم منذ عام 1990 تقريباً وحين ألفت أطروحتي حذفت منه الكثير مما درسته فيها تلافياً للتكرار وكان السبب المباشر لوضعي هذا المعجم هو أنني تابعت بكل اهتمام من خلال اللغتين الإنكليزية والدنماركية أساطير الأمم الأخرى كذلك اطلعت على المعاجم المترجمة إلى العربية فلم أجد لنا نحن العرب قاموساً أو معجماً يضم أساطيرنا مع

العلم أن لنا تراثا غنيا في هذا الحقل لكن تجاهلنا للأمر أسوة بالآخرين إلى غض النظر عن تراثنا على سبيل المثال كتاب مهم مثل أساطير في أصل النار الذي جمع أساطير عالمية عن النار منها أساطير للهنود الحمر في كندا لا يذكر مؤلفه شيئا عن نيران العرب وقاموس مهم آخر هو معجم الأساطير لا يذكر مؤلفه ماكس شايبير و رودا هندريكس أساطير عربية مهمة كأسطورة حياة أمريء القيس الشبيهة بحياة أوديب ولا قصة زرقاء اليمامة التي وردت بعض ملامحها في أحد مؤلفات شكسبير الشهيرة .

.. دراسة الأساطير العربية القديمة بشكل علمي من الأمور الصعبة، لأن مصادر التاريخ قليلة وغير موضوعية، والأدب العربي القديم ضاع بسبب عدم وجود الكتابة عند العرب، ومعظم ما كتب عن تاريخ الجاهلية كان بين 500 و622م أي مئة سنة قبل الإسلام، وقد وصلتنا عن طريق النقوش والرواة أخبار متقطعة مبعثرة مثلالأساطير البابلية التي اكتشفت في الألواح السبعة ونقوش الساميين الشماليين، والأدب العربي الذي نعرفه يتعلق بالجاهلية قبل الإسلام بفترة قصيرة، حيث دونه الكتاب ووصلنا عن طريقهم مثل سيرة ابن هشام، وأخبار عبيد بن شرية، والإكليل، وحياة الحيوان للدميري، وفي كتب المتأخرين مثل الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومروج الذهب للمسعودي، والأزرق، والبلخي، والقزويني، والثعالبي، والألوسي .

.. كانت الأسطورة عند عرب الجاهلية تمثل علاقتهم بالكائنات، وآراءهم في الحياة، ومشاهداتهم، وكانت مصدر أفكارهم، ألهمتهم الشعر والأدب ، وكذلك الدين والفلسفة معاً.

.. لم يستطع العربي الجاهلي أن يتصور ما وراء الطبيعة، ولم يتخيل حياة بعد الممات، وطبيعة بلاده الصحراوية جعلته يؤمن بالدهرية، ويقدمس الحجر، والحيوان، والأشجار.

.. تأثر العربي الجاهلي بالوثنية البابلية، وحين اشتهرت الأديان في شبه الجزيرة العربية، تأثراً بالأديان اليهودية والمسيحية، وتأثراً بآراء الصابئة خاصة في عبادة النجوم.

.. وحسب آراء المؤرخين المهتمين بأنساب العرب، يشترك العرب مع الفينيقيين والآشوريين والبابليين في أصولهم لأنهم يتشابهون في أجسادهم وعاداتهم، ثم افترق العرب عنهم وصار لهم مميزات خاصة بسبب بيئة البادية. فالعرب هم بقايا الشعوب السالفة المبعثرة، وحسب رأي الباحث رابرتسن سميث «إن الأمم التي تشعبت من أصل واحد قد تشترك في اتخاذ العقائد والشعائر الوراثية دينية أو غير دينية».

.. وأثرت البيئة الصحراوية في الحجاز، ونجد على طبيعة العرب، فالأشجار نادرة، والآبار والعيون قليلة، مما جعل العربي الجاهلي يصبح اتكالياً، يعتمد على القضاء والقدر، ويتنظر المطر، ولا يميل إلى الأمور المعقدة، وكان صافي الذهن يحب الكلمة الصريحة والبيان الواضح، وقد وصف العربي القديم المرثيات بدقة، ومالت غرائزه إلى المادة أكثر من المعاني والروح، وعرف العرب بالعرفاء التي تمثل طورا من تطور أوهام العرب بدأ من الطيرة والتفاؤل والتشاؤم، وتطور حتى وصل إلى عبادة وتقديس الأصنام، وصار العربي يستقسم بالأزلام، والعرفاء عند العرب نظرية مادية بحتة مبنية على الاستنباط من المحسوسات والعلامات، وعرف العرب أيضا بالفراسة والقيافة ومعرفة الأثر.

.. خلط الجاهليون معنى الدهر بالقضاء والقدر وتطورت هذه العقيدة حتى خضعوا لسلطان (مناة وعوض)، وهي أصنام تعني الدهر، فصار الدهر إلها من آلهة العرب، وكانت غايتهم الخلود. وفي الأساطير العربية أن الملك ذو القرنين طمح إلى الخلود، ووصل مع الخضر إلى عين الدهر، يشرب منها الماء الذي يعطيه حياة أبدية، لكنه مُنع من ذلك، وطمح لقمان بن عاد إلى الخلود، وارتبط خلوده

ببقاء سبعة نسور على قيد الحياة آخر نسر اسمه لبد ويعني الدهر، لكن النسور ماتت واحدا تلو الآخر حتى جاء دور لبد الذي مات وانتهت حياة لقمان بموته.

.. كان خيال الجاهليين قادرا على توليد الأسطورة والخرافة بشكل تصوري، فقد تصوروا الأشياء، واسترجعوا التجارب وركبوا تصورهم السمعي كما يظهر في الأساطير العربية، وفكرتهم عن الأشياء الروحية تأخذ تصورا خاصاً لهم مادياً، فقد تصوروا الروح في شكل الهامة، والعمر الطويل في شكل النسر، والشجاعة في شكل الأسد، والأمانة في الكلب، والصبر في الحمار، والمكر والدهاء في الثعلب.

.. وقد سخر القرآن الكريم من الأسطورة ومن كل من استندت به الهواجس والظنون .

.. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آٰيَاتُنَا قَالُوۡا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا اِنْ هٰذَا اِلَّا اَسْطٰٓيِرُ الْاَوَّلِيۡنَ ﴿٣١﴾ وَاِذْ قَالُوۡا اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَتْ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجْرًا مِّنَ السَّمَآءِ اَوْ اٰتِنَا بَعْدَابٍ اٰلِـِٔمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: 31، 32]

.. كما قال :

﴿ بَلْ قَالُوۡا مِثْلَ مَا قَالَ الْاَوَّلُوۡنَ ﴿٨١﴾ قَالُوۡا اءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظْمًا اٰنَا لَمَّبْعُوۡنَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَاٰبَاؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ اِنْ هٰذَا اِلَّا اَسْطٰٓيِرُ الْاَوَّلِيۡنَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المؤمنون: 81-83].

.. وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَالُوۡا اَسْطٰٓيِرُ الْاَوَّلِيۡنَ اَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلِّىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَّاٰصِيَلًا ﴿٥﴾ قُلْ اَنْزَلَهُ الَّذِىۡ يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوٰتِ وَاَلْاَرْضِ اِنَّهٗ كَانَ عَفُوۡرًا رَّحِيۡمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان: 5، 6].

﴿ وَقَالَ الَّذِيۡنَ كَفَرُوۡا اءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّاٰبَاؤُنَا اٰيٰتًا لَّمْخْرُجُوۡنَا ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ

وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ [النمل: 27، 67، 68].

.. ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفِي لَكُمْ أَنْتَ دَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ اللَّهُ وَيَلِكْ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: 17:46].

.. ﴿ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلْفٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَزَ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القلم: 10-15:68].

.. ﴿ وَيَلُومُ بَوْمٍ ذِي لُؤْلُؤٍ يَمَسُّ لِيَلِيبَنَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المطففين: 10-13:83].

.. وثمة سؤال هام :

.. ولكن لماذا انقطع الإيمان بالأساطير بعدما انتقل محمد ﷺ من مكة إلى المدينة؟

.. السبب واضح ، فالبيئة التي انتقل إليها محمد كانت قد تثقفت ثقافة كتابية بفضل أهل الكتاب، فانتشرت الحقائق وسادت محل الأساطير والخرافات. وبما أن القرآن نتاج بيئة ومُعبّر عنها، فقد اختفت الأساطير باختفاء بيئتها، ولم تكن المدينة وسطاً صالحاً لنمو مثل هذه الأراجيف التي نفيدنا إلى عصور الطوطمية!

.. وقد عرفت بعض مظاهر الطوطمية عند الجاهليين، وهي تقديس الحيوان ويكون هو الطوطم، والطوطمية (Totémisme, Totemism) هي صورة أولية للتعبير الديني تقوم على الاعتقاد بوجود صلة حميمة بين مصير الإنسن والحيوان أو نبات ما . ويرى فريزر أن طوطمية ليست دينية لأنها لا تؤمن بالآلهة ، بينما يرى درو كايم أنها دينية لأنها تنطوي على فكرة « المقدس » ولأنها الصورة الأولية للدين.

.. والطوطم كذلك مجموعة من الأشياء المادية ينظر إليها الرجل البدائي في احترام وخشوع دون أن يكون هناك سبب معقول يدفعه لذلك . ويعتقد الناس ، في القبائل الطوطمية ، أنهم ينحدرون عن ذلك الطوطم كما تسمى القبيلة بامه ، أي أن الطوطم عندهم هو رمز للأب والبديل عنه .

.. وأن معظم الطوطم تتألف من أنواع من الحيوان والنبات ، وأن الحيواني منها أكثر من النباتي .. والغالب في الطوطم أن يكون نوعاً لا فرداً معيناً أو أفرداً معينين (□)

.. وهناك قبائل تسمت بأسماء الحيوان، مثل بني كلب، وبني نعامة، وظنوا أن الحيوان يحميهم كما يحمي الطوطم أهله، وكانوا يكفنون الحيوان ويدفونونه مثل الإنسان، ويحزنون عليه، وتفاءلوا بالطير، ونباح الكلاب على مجيء الضيوف، وتشاءوا من الثور مكسور القرن، والغراب، ف قيل: «أشأم من غراب البين»، وعبدوا الشاة، وغيرها من الحيوانات، ولم يكن هناك حيوان مخصص لقبيلة بعينها. وتظهر الفكرة الطوطمية في تصور الجن حيث اعتقدوا أنهم خلقوا من بيضة، وأنهم من نسل الحيوان، وكذلك الغيلان والسعالى والهوام، حسب قول المسعودي في مروج الذهب، وتطورت فكرة الجن بحيث إذا تحولت السعلاة إلى صورة امرأة تبقى رجلاها مثل رجلي الحمار أو العنزة. ونسبوا الأفراد والقبائل إلى نسل الجن، وقيل أن بلقيس ملكة سبأ وذوي القرنين من أولاد الجن، وكان الجن يمثلون قوة الشر التي يقاومها شجعان القبيلة مثل تأبط شرا، ولم تكن الجن طوطما ولا أبا للعرب لأنهم خافوا منها.

.. «والطوطمية هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرة طبيعية أو مظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة

(1) راجع الدكتور مراد وهبه المعجم الفلسفي مكتبة الأسرة 2016

بالارتباط به روحياً. وكلمة طوطم مشتقة من لغة «الأبجوا» الأمريكية الاصلية. .. وفي الأساطير العربية يمسح الإنسان حجراً أو شجراً أو حيواناً، جاء في عجائب المخلوقات للقزويني أن الصفا والمروة كانتا رجلاً وامرأة ثم مسخا صخرتين، وفي حياة الحيوان للدميري ورد أن أساف ونائلة كانا رجلاً وامرأة فصارا صنمين، وجاء في أخبار مكة للأزرقي أن العربي لم يأكل الضب لأنه كان بظنه شخصاً إسرائيلياً مسخ

.. يقول المقرئزي في أخبار وادي حضرموت العجيبة إنه كان بوادي حضرموت على مسيرة يومين من نجد قوماً يقال لهم الصيغر يسكنون القفر في أودية، وفرقة منهم تنقلب ذئاباً ضارية أيام القحط، وإذا أراد أحدهم أن يخرج إلى هيئة الإنسان تمرغ بالأرض، وإذا به يرجع إنساناً سوياً. واختلفوا في رؤيتهم للمسح، بعضهم زعم أن المسح لا يتناسل، ولا يبقى، وبعضهم زعم إنه يبقى ويتناسل، حتى جعلوا الضب والأرانب والكلاب من أولاد تلك الأمم التي مسخت في تلك الصور كما جاء في كتاب الحيوان للجاحظ.

.. ومن معتقدات الجاهليين أن الجبال تؤثر في الإنسان، فجلب أبي قبيس يزيل وجع الرأس، وجبل خودقور يعلم السحر. واعتبروا شجرة النخيل من أقربائهم، وتصوروا أنها تشبه الإنسان، وكان الجاهلي يجعل شجرة الرتم حارساً على زوجته أثناء غيابه، وقد قدسوا الأشجار وعبدوها، فكانت طوطما، ورأوا روح الشر في بعضها مثل الحماطة وهي شجرة تشبه شجرة التين، وعبد العرب كل ما يتعلق بالأشجار من أغصان وجذور وقشور، وعبدوا العظم والريش والنبات والمخلب والحافر والسن والظفر والحجر، وقدموا لها القرابين، واتخذوها تميمة تحميمهم، وكانوا يعلقون على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفاً من الخطف والنظرة. وعبدوا النار وكانوا يرونها في الأشجار، وبطن الأحجار، والجبال.

.. عبد الجاهليون الأصنام التي تحولت حسب العصر، لكنها لم تصل إلى مرتبة

الآلهة حتى القرن السادس قبل الميلاد، لأن الجاهلي لم يكن يعتقد أن الصنم خلقه أو خلق الكائنات، فكان تارة يقده، وتارة يسبه ويشتمه، وقد يصنع صنما من التمر، وحين يجوع يأكله، وتأثر الجاهليون بالوثنية البابلية والرومانية واليمينية، فعبدوا الزهرة، ومردوخ، أو بعل إله الشمس والمطر والخصب مثل البابليين. وكلمة صنم أصلها آرامي، فقد ورد عن أصنام تهامة أن لوح تهامة يذكر أسماء الأصنام الآرامية الثلاثة صلح وسنكال وعشرة، وصلح هو بعل نفسه، ولم ينحت العرب الأصنام بل جلبوها من الخارج، وأشهرها هبل وهو إله الخصب، وهو نفسه مردوخ في بابل، ويسمى تموز أيضا في بابل، وهو من أعظم الأصنام التي نصبتها قريش في جوف الكعبة، وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، جعلت له قريش يدا من ذهب، وكان إله مكة والكعبة، ومناة ويعني المنا أي القدر، وكان هذا الصنم منصوبا على ساحل البحر بين المدينة ومكة، وعبده الهذليون وعظمه كل العرب خاصة الأوس والخزرج. واللات وهي اسم للشمس وقد أخذها العرب عن النبطيين وكانت صخرة مريعة بيضاء في الطائف، ونسبوا لها فصل الصيف. والعزى، وهي نفسها عشتار عند البابلية، إلهة فصل الربيع والحب، وكان لها تمثال أو رمز تحمله قريش في حروبها، وسميت الزهرة، ونجمة الصبح. وود ويعني شجرة الحب في البابلية، وقيل إنه صنم إغريقي الأصل لأنه يشبه الصنم إيروس إله الحب عند اليونان، فكان تمثاله على شكل رجل يرتدي حلتين، وقد تقلد السيف، وتنكب القوس، وبين يديه حربة وجعبة فيها نبل، وقد استمرت عبادته من عصر النبي نوح عليه السلام حتى العصر الإسلامي، وكان يمثل الحب عند الجاهليين، وهناك أصنام أخرى لا يتسع المجال لذكرها، ثم تأثر الجاهليون باليهود والمسيحيين، ومزجوا وثنتهم باليهودية، فكان لكل قبيلة صنم يعبدونه ويحلفون به، ويعتبرونه إلههم، وهكذا نرى أن الجاهليين لم يعرفوا معنى التوحيد، عدا بعض الأشخاص مثل ورقة بن نوفل، وعبد الله بن جحش، الذين اعتنقا المسيحية، وغيرهم من الحنفاء، حتى جاء النبي محمد عليه الصلاة

والسلام برسالة الإسلام والتوحيد، وعبادة الله الواحد.

.. ومن الأساطير العربية قبل الإسلام :

1-الله: سيد الآلهة وكبيرها، فهو الخالق والرازق ومنزل المطر. كانت العرب تتقرب إليه بطلب الوساطة من الآلهة الأدنى.

2-اللات :إلهة الخصوبة عند العرب قبل الإسلام وتمثل كذلك الأرض وأخواتها هن العزه ومناة وهؤلاء الأصنام هن الغرائق العلى وممن عبد اللات بني ثقيف.

3-هبل : هو أحد المعبودات لدى العرب القدماء قبل الإسلام، وهو صنم على شكل إنسان وله ذراع مكسورة، قام العرب بإلحاق ذراع من ذهب بدل منها. كان موجودا داخل الكعبة وقد كان يطلق عليه لقب صاحب القداح. ويقال أن هبل أيضا هو إله الشمس.

3-مناة :أقدم أصنام العرب، وهى آلهة القدر أو المصير نصبت على ساحل البحر من ناحية الشمال بقديد بين مكة والمدينة. وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما حولهما

4-العزى :كانت تمثل كوكب الصباح وقد عبد هذا الإله قبائل بني سليم وغطفان وجشم ومن المعتقد أنها نفس الإلهة أفروديت عند الرومان ونفسها هي إيزيس إلهة من مصر القديمة وتستطيع تبع آثارها فيالبراءبوضوح تام

5-طاغوت:وهو الشيطان (إبليس) ورد اسمه في القرآن.

6-ذو الشرى :أحد آلهة العرب في جنوب سوريا، كان معبودا في المنطقة

7-ود :واد أو وَدَّ إله بشكل رجل وهو إله بني كَلْبٍ بِدُومَةَ الْجَنْدَل قال الماوردي:

8-سواع : إلهة بشكل امرأة وهو إله بني هُدَيْل

9- يعوق : ياعوق أو يعوق إله بشكل حصان وهو إله بني همدان وفيه يقول
مَالِكُ بْنُ نَمَطِ الْهَمْدَانِيِّ:

«يَرِيشُ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَيَبْرِي وَلَا يَبْرِي يَعُوقُ وَلَا يَرِيشُ»

10- نَسْر: إله بشكل نسر وهو إله بني حمير

11- يغوث : كان من آلهة قبيلة مراد ثم لبن عطيف بالجرف عند سبأ وقال فيه
أبو عثمان النهدي:

« وَكَانَ مِنْ رِصَاصِ، وَكَانُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَى جَمَلٍ أَحْرَدٍ، وَيَسِيرُونَ مَعَهُ وَلَا
يُهَيِّجُونَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَبْرُكُ، فَإِذَا بَرَكَ نَزَلُوا وَقَالُوا: قَدْ رَضِيَ لَكُمْ الْمَنْزِلُ ؛
فَيَضْرِبُونَ عَلَيْهِ بِنَاءً يَنْزِلُونَ حَوْلَهُ »

12- إساف : وهو صنم كان مكانه على الصفا وهناك حكاية تروى عن قصة
عشق بين اساف ونائلة، وملخص الحكاية أن اساف ونائلة كانا يعشقان بعضهما
لكنهما مارسا الرذيلة داخل الحرم فمسخا إلى صنمين احدمها على الصفا والآخر
على المروة.

13- نائلة : إله فوق جبل المروة من آلهة مكة

14- دوار : إله كانت له حظوة عند الفتيات الصغار السن.

15- ذو الخلصة: إله صنم كانت تعبدته قبائل بجيلة وخنعم وأزد السراة وبنو
الحارث بن كعب وجرم وزبيد والغوث بن مر بن أد وبنو هلال.

16- عائم : إله صنم كانوا يعبدونه قبائل أزد السراة.(1)

17- الأرواح

وتشمل الجن والعفاريت والمردة، وتتميز تلك المخلوقات حسب

(1) محمد عبد المعيد خان الأساطير العربية قبل الإسلام 1937 ..

الاعتقادات القديمة بقدراتها الخارقة للطبيعة وتحكمها في حياة البشر.

18-الوحوش

.. ومنها النسناس، والغول، والبهموت، والتي كان يعتقد أنها سمكة ضخمة تحمل الأرض على ظهرها وكان يعتقد أن رأسها تشبه رأس وحيد القرن أو الفيل. .. قبل بدء الكشوفات الميدانية وبالتالي التنقيبات الأثرية المنظمة في عموم بلاد الرافدين والتي بدأت تحديداً على أيدي الأوروبيين في منتصف القرن التاسع عشر كان الاعتقاد السائد قبل ذلك وأنداك عند عموم المفكرين ورجال الدين الغربيين وخاصة اليهود منهم بأن جميع الشرائع القديمة وقصص الأولين والأساطير والملاحم الدينية وغير الدينية منبعها (العهدين القديم والجديد)..إلا أنه وبعد الكشف عن الأدلة النصية التي ظهرت اثناء أعمال التنقيب المنظمة والتي لا تقبل الشك، والمتمثلة بالنصوص الدينية الوضعية والنصوص الأدبية لسكان بلاد الرافدين الأقدمون أقنعت الجميع أن العكس هو الصحيح. أي أن المنبع الحقيقي لجميع الشرائع والملاحم والأساطير الدينية منها وغير الدينية هي بلاد الرافدين وليس العهدين القديم والجديد.

.. وكلما زادت أعمال التنقيب والتحري الأثري في بلاد الرافدين ازدادت الأدلة والبراهين على أصل الشرائع والأساطير والملاحم بما فيها قصة الخليفة ونوح الطوفان والثواب والعقاب بعد الممات والتي ورد ذكرها في العهدين القديم والحديث.

.. وعند مطالعتي لمجلة العالم (The World) التي تعنى بالآثار والتراث الصادره في شهر (يوليو – أغسطس) للعام 2012، شدي مقالاً تحت عنوان (Monsters from Mesopotamia) للآثري الأمريكي الجنسية (روبرت لبلنك- Robert Lebling) والترجمة تعني (وحوشاً من بلاد ما بين النهرين). اختلط فيها الحابل بالنابل .. والواقع بالخيال.

.. ولا ننسى أن نشير إلى أسطورة المستنذيين (werewolf) والتي من خلال

سردها يتحول البشر الى ذئاب مفترسة. وغيرها من الأساطير التي يحسبها القراء والسامعين والمشاهدين بأنها من أدبيات عالم الغرب الحديث.

.. وقد حدثني صديقي الدكتور «أسامة سعيد بركات» - أستاذ تقنية المعلومات بالجامعة الليبية (طرابلس) - فقال:

.. يوجد كهف في منطقة الهروج السود في وسط ليبيا يسمي كهف الجنون حيث تذكر الأسطورة أن السكان القدامي كانوا يعتقدون أن الكهف يحتضن بداخله أناسا من الجن يتربصون الدوائر لمن تسول له نفسه ولوج هذا الكهف الذي يكتنفه الظلام دائماً. [JUSTIFY] كهف الجنون أو كما يسمي عند الطوارق بـ «أيندينان» هو عبارة عن جبل يمتد لمسافة نصف كيلو طويلاً وشكله البارز يتكون من تكوينات صخرية ويقع في بلدة غات جنوبي ليبيا.

.. ويقول الباحث الطارقي الشيخ «محمود محمد» وهو من سكان بلدة غات بالأناضول أن «كهف ايندينان كما هو معروف عند الطوارق أو كما يعبر عنه بالمصطلح الحديث بكهف الجنون هو مملكة للجان لدي الطوارق كما تقول الأساطير».

.. ويضيف أن «مسألة وجود الجن أمر معروف ولا خلاف عليه ومذكور حتى في القرآن الكريم وفي الصحراء له دور اساسي ومعتقد مهم جداً عند الطوارق».

و«الطارقي دائماً يحمل معه سكيناً أو سيفاً وخاصة في المناسبات الاجتماعية كالزواج بالرغم أن السيف ليس لمقاتلة الجن، ولكن الطوارق يعتقدون أن الجن «يخاف من الحديد وكما سبق ذكره وما يجعلهم متمسكين بتلك السيوف حتى في عصرنا هذا».

.. ويشير الباحث الطارقي إلى أن هناك العديد من القصص عن «كيل اسوف» أو الجن عند الطوارق في هذا الكهف وتعتبر جزء كبير من الاسطورة ومن تراث

الصحراء للرجل الطارقي وهناك عدة وقائع حصلت بالمنطقة لكثير من الناس مشهود لهم بالصدق.

.. ومن بين هذه الوقائع «رؤية غزال في الكهف ليلاً وهذا الغزال لا يمكن اصطیاده، حيث يعتقد أن الجن تتمثل في هذا الغزال، وهناك رؤية أخرى لأحد الطوارق وهو يبحث عن الإبل بناء على طلب والده، وعندما جاء إلى موقع الكهف جن الليل ولم يستطع الرجوع إلى منطقته حيث نام بجانب الإبل وعندما مضى جزءاً من الليل سمع صوتاً غامضاً بالكهف يناديه «انهض لكي تتعشى»، وهو ما أصابه بالرعب وفر هارباً.

.. ويرد القائل قائلاً: في هذا الكهف بشكله المخيف تروى عدة قصص تختلط بها الحقيقة والخيال، ولا نستطيع أن نجزم بحقيقتها ولا بعدم صحتها حول وجود الجن وهناك عدة محاولات لاستكشاف الكهف وأسراره، وقد حاول البعض أن يتسلق الكهف ولكن الجبل هش وهذا ما أعطاه نوع من السرية والخوف منه».

.. وثمة جماعة تسكن جنوب نهر الزنبيري بجنوب أفريقيا يطلق عليهم اسم البوشمون (bush men) وهم رجال الأحرار ويتميزون بصفات جسمانية تلائم بيئتهم الصعبة . وهم يؤمنون إيماناً راسخاً بعالم الأرواح ويعتقدون أن بمكنتهم أن يتحولوا إلى حيوانات مفترسة وفي سبيل ذلك يلجؤون للرقص ويظلوا يرقصون حتي يسقطون أرضاً مع نريف من أنوفهم ورغاوي من أفوههم وإتيانهم بحركات مبهمه أقرب لتشنجات تواصل كما ألمعنا لعالم الأرواح .

.. من خلال هذه الواحة .. واحة زرزورة كتبنا ما سبق من حيث هاتيك الخرافات التي إنثال ذكرها على الألسن ، وتحركت بها الشفاه واستقرت في سويداء قلوب بعض أهل الواحات شأنها شأن الخرافات التي ماجت في قلوب المصريين وغيرهم من الشعوب الأخرى التي لا تنفك عني تريد الأحاديث التي

تطير منها القلوب شَعَاعًا.

قمبيز

دبجت براعة أمير الشعراء أحمد شوقي «رواية قمبيز» وكتب عنها (ناقدًا إياها) عملاق الفكر الأستاذ عباس محمود العقاد⁽¹⁾.

.. وعن «قمبيز» قال أمير الشعراء «أحمد شوقي»:

لا رَعَاكَ التَّارِيخُ يَا يَوْمَ قَمْبِيهِ لا رَعَاكَ التَّارِيخُ يَا يَوْمَ قَمْبِيهِ
دارت الدَّائِرَاتُ فِيكَ، وَنَالَتْ دارت الدَّائِرَاتُ فِيكَ، وَنَالَتْ
فبمصر مما جِئْتَ لمصرِ فبمصر مما جِئْتَ لمصرِ
نكدَّ خالِدٌ، وبؤسٍ مقيم نكدَّ خالِدٌ، وبؤسٍ مقيم
يَوْمَ مَنْفِيَسَ، والبلاذُ لكسرى يَوْمَ مَنْفِيَسَ، والبلاذُ لكسرى
يَأْمُرُ السِّيفُ فِي الرَّقَابِ، وَيُنْهَى يَأْمُرُ السِّيفُ فِي الرَّقَابِ، وَيُنْهَى
جِيءَ بِالْمَالِكِ الْعَزِيزِ ذَلِيلًا جِيءَ بِالْمَالِكِ الْعَزِيزِ ذَلِيلًا
يُبْصِرُ الْآلَ إِذْ يُرَاحُ بِهِمْ فِي يُبْصِرُ الْآلَ إِذْ يُرَاحُ بِهِمْ فِي
بنتُ فرعونَ فِي السَّلاسلِ تَمْشِي بنتُ فرعونَ فِي السَّلاسلِ تَمْشِي
فكأنَّ لم يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرُ فكأنَّ لم يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرُ
زَ، وَلَا طَنْطَنْتْ بِكَ الْأَنْبَاءُ زَ، وَلَا طَنْطَنْتْ بِكَ الْأَنْبَاءُ
هذه الأُمَّةُ اليَدُ العَسْرَاءُ هذه الأُمَّةُ اليَدُ العَسْرَاءُ
أَيُّ دَاءٍ، مَا إِنْ إِلَيْهِ دَوَاءُ أَيُّ دَاءٍ، مَا إِنْ إِلَيْهِ دَوَاءُ
وشقاءٌ يَجِدُّ مِنْهُ شِقَاءُ وشقاءٌ يَجِدُّ مِنْهُ شِقَاءُ
والملوكُ المَطَاعَةُ الأَعْدَاءُ والملوكُ المَطَاعَةُ الأَعْدَاءُ
ولمصرِ عَلَى القَدَى إِغْضَاءُ ولمصرِ عَلَى القَدَى إِغْضَاءُ
لم تُزَلْزَلْ فَوَادَهُ البَأْسَاءُ لم تُزَلْزَلْ فَوَادَهُ البَأْسَاءُ
موقفُ الذَّلِّ عَنَوَةٌ، وَيُجَاءُ موقفُ الذَّلِّ عَنَوَةٌ، وَيُجَاءُ
أزعج الدهرَ عُرْيُهَا والحفَاءُ أزعج الدهرَ عُرْيُهَا والحفَاءُ
رُ، وَلَا سَارَ خَلْفَهَا الأَمْرَاءُ رُ، وَلَا سَارَ خَلْفَهَا الأَمْرَاءُ

(1) عباس محمود العقاد - رواية قمبيز في الميزان - العقاد ناقد المسرح . دراسة أحمد حسين الطماوي.

.. جاء في كتاب مصر القديمة للعلامة سليم حسن :

.. أنه لم يجسر ملك من ملوك (آشور) علي إعلان نفسه ملكا شرعيا علي عرش الكنانة ، أي لم يعلن واحد منهم نفسه فرعوناً علي مصر ، وحتى عندما أستولي (آشور نبيبال) علي كل البلاد المصرية ، ريفها وصعيدها لم يترك أثراً يدل علي أنه كان يحمل لقب الوجه القبلي والبحري ، وهو اللقب الذي كان يحمله كل ملك تسلط علي (مصر). وتدل شواهد الأحوال علي أن الآشوريين لم يتركوا لنا آثارا توحى بأنهم كانوا يبحثون وراء الاحتفاظ بمصر بصفة جدية أو يرغبون في التتويج بالتاج المصري، ويحملون الألقاب الفرعونية كما فعل الفرس بعدهم، فقد أعلن ملوك الفرس أنفسهم فراعنة لمصر، وأسسوا أسرة أطلق عليها الأسرة السابعة والعشرون ، وقد جاءت هذه الأسرة بعد القضاء علي آخر ملك من ملوك الأسرة السادسة والعشرين .

.. وقد كان (قمبيز) أول عاهل فارسي استولي علي الديار المصرية عام 525 ق.م ، غير أن فكرة فتح (مصر) كانت في الواقع موضع تفكير قبل ذلك في نظر ملك الفرس (كورش) (سيروس Cyrus) ، وكان قد أعد العدة بصبر وأناة لفتح أرض الكنانة غير أن الأجل لم يمتد به لتنفيذ ما أراد . فلما تولى (قمبيز) ملك (فارس) من بعده عمل جهده لاعداد العدة بذلك، قد بدأ يستعد بتجربة (أحمس) (أمسيس) الثاني من حلفائه . فتحالف هو مع كل من (بوليكارت) ملك جزيرة (ساموس) وملك (فتيقيا) ، فكان ذلك من الأسباب التي سهلت له تقوية الحملة البرية علي (مصر) بوساطة أسطولة البحري وأساطيل حليفه . يضاف إلي ذلك أن (قمبيز) قد حصل علي مساعدة بدو خليج السويس . هذا وقد ضمن (قمبيز) لنفسه وجود قاعدة قوية ينقض منها علي الحدود المصرية بالتصريح لليهود ببناء معبد أورشليم ، وفضلا عن ذلك نجد أن الفرس قد اكتسبوا إلي جانبهم عواطف الجنود المرتزقة اليهود الذين كانوا في خدمة الفرعون. وقد ساعدت الأحوال الفرس علي هروب (فانس) أحد أبناء (هاليكارنس) وكان رئيساً من رؤساء الجنود المرتزقة الذين كانوا في خدمة (أحمس الثاني) ، وانضم إلي معسكر الجنود

المرتزقة (قمبيز) وأطلعه علي أسرار كل الترتيبات التي وضعها المصريون لمقاومة الفرس . وبعد أن انتهى قمبيز من استعدادته جمع جموعه في (فلسطين) وأرسي أسطوله في ميناء (عكا) . وقد كان موت (احمس الثاني) في هذه اللحظة الحاسمة وتولي ابنه (بسماتك الثالث) خلفا له علي العرش سبب هزيمة المصريين وفقدان مصر استقلالها لمدة من الزمن.

.. وقد بدأ (قمبيز) هجومه علي مصر في ربيع 525 ق.م ، فزحف الجيش الخارجي من غزة وتقابل مع الجيش المصري وهزمه في مدينة (بروز) (فارما) وفي أعقاب ذلك سقطت فيها مدينة منف العظيمة وكان قد احتمي فيها بسمتيك الثالث الذي هزم علي يد الغازي الفارسي بن قوش ، والذي اتسم بالدموية والهمجية حتى أضحى في الضمير المصري بصمة سوداء في تاريخه.

.. وكان (قمبيز) يعد العدة للقيام بحملات نحو الجنوب ونحو الغرب أسفرت حملاتها عن خضوع كل من ليبيا وبرقة ، وبعد ذلك حول (قمبيز) لإخضاع الواحات ، وبلاد قوش التي كان يعد فتحها من الأمور الضرورية لإتمام فتح مصر، فصار من طيبة جيشان أتجه الجيش الرئيسي منهما وهو الذي كان علي رأسهم واخضع القوشيين وسلمت لهم الواحات دون قتال .

.. كان يحكم مصر آنذاك فرعون مصر «عجموزة» الذي دخل سجلات التاريخ باسم «أحمس» تارة ، و(أمازيس) تارة أخرى ، قفز إلى العرض إثر انقلاب عسكري قضى خلاله علي الفرعون (إيرياس) حيث كان فرعوناً شعبياً يأنف من الطقوس والبروتوكولات التي تفرض علي الفراعين أن يتشبهوا بالآلهة كي يعظمهم الناس ، ولم يكن يأنف من الجلوس إلى أصدقائه ينادمهم ويشاركهم الطعام والشراب ويبادلهم النكات .. كان عرييداً لطيفاً جميل المعاشرة وبخاصة مع أصدقائه من كبار القواد أو التجار اليونانيين الذين كانوا يأتون إلى مصر ، وإلى جانب ذلك كان أمازيس فطناً ذكياً استطاع أن يقود سفينة الملك في فترة مضطربة فترات التاريخ .

.. مات أمازيس قبيل بضعة شهور من مقدم الوحش الفارسي ، بعد أن حكم مصر أربعة وأربعين عاماً وتركها أمانة في عنق ابنه (بسمتيك) الذي أطلق عليه صديقنا الأستاذ «جمال بدوي» رحمه الله اسم (الدلوعة) لأنه ⁽¹⁾ قضى زهرة صباه بين أيدي الغواني والمحظيات ، ولم يتمرس على شئون الحكم .

.. تقدم قمبيز على رأس جيشه إلى سيناء الذي ألفها مفتوحة أمامه على مصرعيها .

.. ووقف المصريون يرقبون قمبيز وهو يشق طريقه إلى عقر دارهم وسط برك الدماء وأشلاء القتلى .

.. وكان من بين جيش (قمبيز) الضابط اليوناني (فانيس) الذي خدم في جيش مصر وخان جيش مصر حيث إنضم إلى عدوها .

.. قد عبر المصريون عن أشمزازهم من خيائته بأن أحضروا ولديه ، وذبحوهما أمام عينيه ، ثم جمعوا الدماء في قوارير وخلطوها بالماء والنيذ وطافوا بالأقداح على الجنود ليأخذ كل منهم رشفة لعلها تطفأ نار الغضب الذي أندلع في أفئدتهم .

.. كانت الشمس قد ولت من خدرها وغاصت في مغيها إنهمز المصريون شر هزيمة وكسرت شوكتهم وإنسدلت سحب الظلام على أرضها .

.. ويذكر «جمال حمدان» ، في هذا الصدد أن هذه أول مرة في التاريخ تسيطر فيها إيران على مصر .

.. وتقول إحدى الروايات أن قمبيز قد جاء إلى مصر لينتقم من الملك أمازيس الذي خدعه في أعز ما يملك ، وهو شرفه الفارسي الأثيل (!!) وذلك أن (فانيس) الضابط اليوناني الخائن ، بعد أن لجأ إلى بلاط قمبيز أخذ يحدثه عن جمال وفتنة ورشاقة الفتاة المصرية (نفريت) ابنة الملك أمازيس ، حتى أن الوحش الإيراني صمم على امتلاكها ، فأوفد بعثة شرف إلى فرعون مصر يطلب منه يد ابنته ، ولما كان أمازيس

(1) جمال بدوي في رحاب الفكر .

الفرعون اللشقى الذي يلعب بالبيضة والحجر يعرف وحشية قمبيز ، ويعرف أيضًا إنه لن يستطيع أن يرد له طلبًا ، فقد تفتق ذهنه عن حيلة يتقى بها شره ، فبعث إليه بفتاة أخرى هي (نتيناس) ابنة الفرعون السابق على إنها ابنته هو ، طناً منه أن الوحش الإيراني لن يكتشف الفرق بين الفتاتين وغادرت نتيناس أرض النيل إلى مهوى النار ، مضحية بنفسها من أجل الحفاظ على أمن وطنها من غدر قمبيز ، ولكن ... ما أن ظهرت الفتاة في البلاط حتى أوقعها حظها العاثر في طريق (فانيس) الذي كان يعرفها جيداً ، ووشى بالخدعة إلى سيده الذي استشاط غضباً وأقسم بشرف النار المقدسة عنده أن يؤدب ملك مصر لأنه باع له بضاعة مغشوشة (!!).

.. هذان هما السببان اللذان من أجلهما وقت مصر فريسة سهلة بين فكي قمبيز ، ولكل منهما دلائل تاريخية موثوقة ، والعيب أن قصة الحب التي كانت سبباً في احتلال مصر لم يتنبه إليها أحد من أدبائنا باستثناء أمير الشعراء أحمد شوقي بك فجعل منها إحدى روائع مسرحه الشعري ، وتحمل اسم (قمبيز) ولا أعرف إذا كانت هذه المسرحية قد ظهرت على المسرح أم لا .. ولكنني أعرف أنها دخلت زاوية الإهمال ، ولم تجد من الاهتمام ما يتناسب مع المعاني النبيلة التي تبثها في نفس القارئ والمُشاهد ، ويكفي أنها ظهرت معاني التضحية والفداء في سبيل مصر الخالدة .

.. وانفرط عقد الجيش المصري ، وتحول إلى شراذم تهيم على وجوهها في أدغال الدلتا بحثاً عن ملاذ يقيها سيوف الفرس ، كان منظر الفلول الهاربة يملأ نفوس المصريين حسرة وهم يتذكرون أمجاد العسكرية المصرية أيام تحوتمس ورمسيس ، ثم ينظرون حلوهم فلا يجدون جيشاً مصرياً وإنما مرتزقة في ثياب مصرية ، فلا لوم عليهم أن هم ألقوا السلاح وولوا الأدبار .

.. وقف الوحش قمبيز يلتقط أنفاسه بعد هذا النصر السريع ، ويستعد للجولة القادمة مع ملك مصر الشرعي «بسمتيك» الذي لاذ بالفرار إلى الصعيد .. إلى منف العاصمة المقدسة ، ليجمع الأهالي وينفث فيهم روح المقاومة ، ويدعوهم إلى

الضمود في وجه الغزاة الفرس

.. وعلم قمبيز بما يجري في منف فبعث إليها سفينة ترفع راية الهدنة وينطلق منها صوت جهير يدعو الناس إلى إلقاء السلام ، والاستسلام .. وكان أهالي القرى على الضفتين يسخرون من صوت المنادي ثم يتقدمون نحو منف وقد أعدوا له استقبالا عنيفاً يليق بالوحشية الفارسية ، وما أن أُلقت السفينة مراسيها بالقرب من منف حتى أطبق عليها الأهلي من الجانبين ، وأخذوا يفتكون بكل من فيها من رسل وبحارة وجند ، ثم سحلوا جثثهم إلى داخل المدينة ، وطافوا بها في الشوارع ليكونوا عبرة لمن بعدهم .

.. فقد أدى حادث السفينة إلى إشعار نار الحقد في صدر قمبيز ، وزاد جنونا على جنونه ، وأقسم بأن يدخل منف ويهدمها على رؤس أهلها ، ويذل ألهتها ، ويحطم كبرياءها . ثم أعطي لقواته إشارة الزحف إلى منف ، فعبر النيل عند رأس الدلتا .. بينما قواته البرية تسير بمحاذاة النهر واستطاع بحركة التفاف مفاجئة أن يستولى على قلعتها حيث كان يوجد ملك مصر بسمتيك ، فقبض عليه ولكن لم يقتله وأثر أن يبقيه حياً ليموت في رداء الذل والهوان . واقتحم الجيش الفارسي مدينة منف ، وانطلقت الوحوش الكاسرة تفتك بكل من يصادفها ، وتهدم المعابد، وتحطم التماثيل ، وتدمر البيوت ، وتهتك الأعراس .. حتى تحولت منف إلى أطلال يخيم عليها البؤس ، ويحيط بها الخراب واليباب إحاطة السوار بالمعصم.

.. أستقر الأمر لقمبيز ، وبدأت عملية الإنتقام والتتكيل بكل الذين شاركوا في حادث السفينة ، وكان الحكم يقضي بقتل عشرة من الأشراف المصريين مقاب لكل بحار أو جندي لقي حتفه في الحادث . ثم جاء الدور على ملك مصر ليلقى جزاءه ، فجاءوا به في ثياب رثة وأجلسوه على مقعد هزيل على سبيل السخرية من عرش مصر . وأعلنوا على الملأ أن ملك كصر سوف يستعرض جيشه (!!) بينما جنود الفرس يسخرون ويتهكمون (!!) .

.. وكانت المقدمة تضمن كوكبة من بنات الأشراف المصريين في ثياب العبيد .. وقد انسدت شعورهن الشعثاء على وجوه ملطخة بالوحل .. ويحملن الجرار على رءوسهن .. ولمح الملك المصري ابنته (نفريت) وهي تسير بينهن في خطوات ذليلة . وكان قمبيز يتوقع من بسمتيك أن ينهار ويبكي لمشهد ابنته وهي تمضي نحو مصيرها التعس ، ولكن ملك مصر تماسك ، وضبط أعصابه ، ولم يذرف دمعة على ابنته وهي على هذه الصورة المهينة ، وكل ما فعله أن أحنى رأسه .

.. وأعقبه طابور الرجال يتقدمه ابن الملك ومن ورائه ألفان من زهرة شباب مصر ، والأغلال في أعناقهم ، وفي فم كل منهم لجام (!!) وتحمل الملك الصدمة الثانية ، وكظم غيظه ، وخيب أمل الوحش الفارسي ، ولكنه لم يصمد عندما حملق في الطابور فشهد أحد كبار النبلاء المصريين وقد بلغ من العمر أرذله وهو يجر ساقين منهكتين عاجزتين عن مواصلة السير ، على جسده أسمال باليه ويسأل الناس كسرة خبر يسد بها رمقه قبل أن يلفظ أنفاسه بينما قمبيز وزبانته يتضحكون .. عندئذ فقط أنهار ملك مصر وأجهش بالبكاء .. وسمع العاهل الفارسي نحيب بسمتيك فتملكه العجب ، ونهض إليه قائلاً : إنني في دهشة من أمرك .. تبكي من أجل أحد رجالك .. ولا تبكي من أجل ابنتك وابنك؟! (□).

.. عندما غادر (قمبيز) الديار المصرية عائداً إلى مقر ملكه في فارس وضع مقاليد الأمور في فارس التي أصبحت إقليمًا من إمبراطوريته .

.. وقد مات قمبيز في سوريا 522 ق.م وهو في طريقه إلى فارس .

.. إذا فالذي لا جدال فيه أن قمبيز لم يهلك مع جيشه في واحة سيوة - كما يعتقد البعض إذ أنه لم يكن علي رأس هذا الجيش بدليل أن المؤرخين قد اتفقوا علي أنه قد فارق الحياة في سوريا كما سبق ذكره وبيانه .

(1) جمال بدوي في رحاب الفكر

.. ومن غرائب الأمور أن الباحثين والمغامرين مازالوا يحلمون باليوم الذي يتم فيه العثور علي جيش قمبيز في الصحراء الغربية هذا الجيش الذي كان يتكون من أكثر من 50,000 فهل يختفي بهذه الصورة؟

.. وحاول العديد من الأجانب استخدام الطائرات والعربات بل وهناك العديد من الأجانب الذين مازالوا يجوبون الصحراء للعثور علي أي دليل للجيش الفارسي، ونسمع العديد من القصص حول هذا الكشف، لأن هناك العديد من الأجانب الذين يذيعون اكتشافات وهمية عن هذا الجيش ولكن بلاشك أن رمال الصحراء مازالت تخفي الهياكل العظمية لهؤلاء الجنود والأسلحة والمعدات، فنحن لانعرف ماذا تخفي الرمال من أسرار في طبيعتها وأغوارها.

.. يسجل مخطوط سيوة أن هناك جيشين دفنتهما العواصف الرملية في العصور الحديثة ويعتقد أن هذه روايات وغير حقيقية وما هي الا صدي لاختفاء جيش قمبيز. ويبدو أن الإله آمون كان له صدي واسع في العالم الخارجي وخاصة عندما نعرف أن القائد الأثيني الشهير سيمون بن ملتيداس حاصر جزيرة قبرص عام 450 ق.م ولكن أهالي الجزيرة قاوموا هذا الحصار مدة طويلة وطلب نبوءة آمون هذا بالإضافة إلي الشاعر الغنائي اليوناني مسنذار الذي عاش في 438 518 ق.م والذي كان من أشهر المعجبين بنبوءة آمون وهناك نبوءة أخرى شهيرة عن طريق الإله آمون عندما تنبأ بفوز يوستياس بجائزة سباق العدو في الدورة 93 للأولمبياد عام 408 ق.م ويبدو أن يوستياس كان واثقا من الفوز واخذ معه تمثالا لنفسه وعندما فاز شاهد الجماهير تمثال البطل وهذا يجعلنا نؤكد أن هذه الروايات والقصص الكثيرة عن نبوءة الإله آمون قد جعلت الإسكندر الأكبر يذهب إلي سيوة ليس لكسب ود المصريين فقط، بل لأنه يريد أن يعرف مستقبل الإمبراطورية التي يريد أن يشيدها في العالم القديم.

.. ويبدو أن تلك المعرفة التي اكتسبها الإسكندر الأكبر عن نبوءة آمون قد

يرجع الفضل فيها إلي معلمه أرسطو الفيلسوف اليوناني الأنا لانستطيع أن ننكر تلك الثقافة الواسعة التي تحلي بها الإسكندر فقد قرأ ملحمة الملاحم الإلياذة والأوديسة للشاعر اليوناني العظيم هوميروس .

.. ولذلك يعتقد العلماء أن ما قاله اريانوس الكاتب اليوناني والذي قدم لنا حياة الإسكندر الأكبر كاملة حتي وفاته أن الإسكندر بعد أن أسس مدينة الإسكندرية جلس يفكر في مستقبله، ولذلك قرر أن يذهب إلي سيوة لرؤية نبوءة جوبتر آمون وخاصة لان أغلب النبوءات جاءت من هذا الإله الذي ارتبط بالإله جوبتر وقد يفسر ذلك انتشار عبادة آمون في العديد من المدن الإفريقية وبناء معابد له في أثينا وقد جعل إنشاء مدينة الإسكندرية والحياة فيها ووصول الفلاسفة اليونانيين إلي مصر مثل صالون الاثيني الشهير افلاطون وغيرهم يؤكد أن مصر هي مهد الحضارة والعلم والموسيقى والفنون وهذا ما أكده هيرودوت أبو التاريخ عندما زار مصر وتحدث باعجاب عن حضارة لم ير لها مثيلا من قبل لذلك فإن نبوءة آمون لم تكن غريبة عن الفاتح المقدوني الإسكندر الأكبر.

.. وتعتبر نبوءة سيوة واحدة من أشهر سبع نبوءات في العالم القديم وقد حاول الحكماء أن يثنوا الإسكندر عن زيارة واحة سيوة لخوفهم من أن المياه التي سوف يحملونها معهم لن تكفي القافلة، بالإضافة إلي خوفهم من حدوث رياح عاصفة كتلك التي أهلكت جيش قمبيز ولكنه صمم علي ضرورة الوصول إلي سيوة ومقابلة الإله آمون. ويقال أن الإسكندر الأكبر قد تاه في الصحراء ولم يستطع الأدلاء إرشاده إلي الطريق الصحيح ولكن يبدو أن الإله آمون ساعدهم وجعل الطيور ترشدهم الي الطريق وعندما وصل الإسكندر الأكبر الي الواحة ذهب إلي المعبد مباشرة فاستقبله كهنة المعبد بحفاوة بالغة ورحبوا به علي أنه الإسكندر الأكبر ابن زيوس آمون سيد كل البلاد ودخل المعبد وزار الإله آمون في قدس الأقداس حيث قاربه المقدس وقدم اليه القرابين.

.. اكتشف العالم الألماني « كولمان » الذي يعمل في ترميم وحفر المعبد اكتشف قصرًا داخل المعبد يعتقد أن هذا القصر قد تم بناؤه قبل عصر الإسكندر وقد شيد هذا المعبد علي صخرة أغورمي وطبقا للنصوص المسجلة علي جدران قدس الأقداس فإن تاريخ تشييده يرجع إلي الأسرة 26 حوالي 664 ق.م وبالتحديد في عهد الملك أمازيس (526 569 ق.م) وإن كانت قد أجريت عليه بعض التعديلات وأضيف اليه بعض الاضافات في الأزمنة اللاحقة.

.. ويبدأ تخطيط المعبد بمدخل يؤدي إلي ممر وفي نهاية الممر نجد علي اليمين مدخلا صغيرا يؤدي إلي مسجد إسلامي ذي مئذنة بني من كتل الأحجار القديمة وتقع أمامه مباشرة البئر القديمة.

.. وحتى وقت قريب كانت واجهة المعبد تختفي وراء جدران منازل القرية وكان المعبد نفسه تسكنه عدة عائلات بعد أن اقيمت عدة جدران داخل وفوق المعبد ويقع جدار المعبد الخلفي الآن علي حافة الصخرة المتصدعة. والمعبد بصفة عامة في حالة جيدة وأمامه يمتد الفناء الذي كان يسير فيه موكب الإله آمون ويتكون المعبد الذي يقع مدخله علي المحور الجنوبي من صالتين يكتنفهما قدس الأقداس الذي يقع مدخله علي المحور الرئيسي للمعبد. أما الفناء المفتوح الذي يتقدم المعبد فيقع علي مسافة قصيرة من الصخرة الهابطة داخل الحصن والفناء الثاني أعلي منسوباً من الفناء الأول ويوجد في الجدار الشمالي من الفناء الثاني ثلاثة مداخل يؤدي الأوسط منها إلي قدس الأقداس الذي دخله الإسكندر وحده لسماع إجابات نبوءة آمون وتعتبر تلك المنطقة من المعبد هي الجزء الوحيد الذي يحتوي علي نقوش والتي تبدأ علي جانبي المدخل وتستمر حتي الجدران الجانبية. والمناظر بصفة عامة خاصة بالإله آمون وثالوثه المقدس وهناك مناظر أخرى تمثل حاكم سيوة متشبهاً بالأوضاع الملكية يقدم القرابين لثمانية من الآلهة.

.. ويذكر الدكتور « زاهي حواس » أنه قد وقف داخل قدس الأقداس

وبجواره، الصديق الكاتب عادل حمودة ويقول: وعلي غير العادة لم يسألني سؤالاً أثريا! ولكن ظل الصمت هو سمة هذا اللقاء واعتقد بأننا كنا نفكر في اللحظة التي دخل فيها الإسكندر الأكبر قدس الأقداس وسمع النبوءة وبعدها غادرنا معا المكان وهنا قلت: إن الإسكندر عندما غادر سيوة لم يكن طريق عودته من الطريق الذي حضر منه وهو براتيونيوم (مرسي مطروح حاليا) ولكنه سار في اتجاه الواحات البحرية وهناك استقر بعض الوقت وأمر بإنشاء المعبد الوحيد الذي بناه الإسكندر في مصر للإله آمون. وقد قمت بنفس الرحلة العام الماضي متتبعا لخطوات الإسكندر الأكبر في طريق صعب إلا أن السير فيه مغامرة تستغرق حوالي ثمان ساعات. وفي اليوم الأخير لوجودنا بالجنة المفقودة أقيمت محاضرة باللغة الانجليزية للسفراء الأجانب بناء علي طلب الوزيرة فائزة أبو النجا موضوعها عن اكتشاف وادي المومياوات الذهبية بالواحات البحرية والمفاجأة أن أهالي سيوة حضروا المحاضرة بل وسألني احدهم هل يمكن أن تصبح سيوة في شهرة الواحات البحرية؟ فقلت له أن عام 2004 هو عام سيوة خاصة لان هوليوود تنتج فيلما عن الإسكندر الأكبر وهناك أيضا العديد من القنوات العالمية تنتج الآن فيلما عن خطوات الإسكندر الأكبر.

.. عندما بدأ الحفر في الواحات البحرية للبحث عن آثار الفراعين الأقدمين وعن مقابر وادي المومياوات الذهبية، اهتز العالم كله وقتها لأخبار الكشف عن المومياوات المغطاة بالذهب وتسابقت الصحف ومحطات التلفزيون العالمية لنقل أخبار الكشف الأثري الكبير عن وادي المومياوات الذهبية والحصول علي صور المومياوات المذهبة. وأطلقت الصحافة العالمية علي هذا الكشف اسم توت عنخ آمون العصر اليوناني الروماني، واحتلت صور المومياوات المغطاة بالذهب والمرسوم عليها مناطق الآلهة المتصلة بالعالم الآخر أغلفة المجالات والصفحات الأولى من الصحف العالمية علي الرغم من هذه المقدمة المفعمة

بالفخر التي تؤكد مدي اعتزازي بهذا الكشف المهم.. إلا أنه وللحقيقة فإنني أحيانا اعتبره أحد الأخطاء التي تسببت بشكل أو بآخر بتغيير نمط الحياة العامة في الواحات البحرية كلها..

.. والقصة أن الواحات البحرية قبل هذا الكشف كان يوجد بها فندقان فقط ويزورها عدد محدود من السائحين كل عام، وبعد الكشف وتسهيل وسائل الإعلام المختلفة الضوء عليها تغيرت الواحات البحرية تماما وصار بها العديدمن الفنادق بمختلف درجاتها، وبدأت أعداد السائحين تتضاعف عاما بعد آخر وصارت جنة الواحات متاحة لكل إنسان، وأخذت المباني تأخذ طرزا مختلفة عن الطراز الواحاتي الأصيل وهو ما جعلني أحس بالأسى، وزاد الأمر بعدما بدأت أشعر أن عادات أهل الواحات الجميلة بدأت تتغير وأخشي أن يأتي يوم لا نستطيع فيه أن نفرق بين الواحاتيين والقاهريين ويختفي تراث وعادات ظلت حية لآلاف السنين.

.. ويرد عالم الآثار قائلاً: ولعل من قصص الاكتشافات المثيرة في الواحات البحرية.. أتذكر يوم أن وجدت عشري شاكر مدير آثار الواحات في ذلك الوقت يأتي الي وبصحبه شايبين يبلغاني بوجود مقابر أسفل منازل منطقة سوبي نسبة الي ضريح الشيخ «سوبي» الموجود بها، وتقع المنازل علي هضبة صخرية عالية، وبعدها قمنا باستكشاف المنطقة عثرنا علي المقابر الثلاث الجميلة التي كان أحمد فخري قد كشف عنها منذ أكثر من سبعين عاما وبعد تركه للواحات اختفت معالم المنطقة وجاء الناس وبنوا منازلهم أعلي المقابر ولم يستطع أحد أن يحدد مكان وجود هذه المقابر.

.. والي جانب هذه المقابر الثلاث عثرنا علي مقابر أخري لم يتحدث عنها أحمد فخري من قبل، وبعدها قمنا بالنزول الي نفق أرضي بعمق أكثر من 12 مترا وجدنا العديد من المقابر الملونة التي تؤرخ بعصر الأسرة 26 المعروفة باسم العصر الصاوي (525 664 ق.م).. وتزداد قمة الإثارة بعدما وجدنا جدارا من الحجر قمنا بإزالة جزء منه وعمل فتحة صغيرة نظرت من خلالها لتقع عيني علي أشياء

رائعة، وهي نفس العبارة التي نطق بها هوارد كارتر مكتشف مقبرة توت عنخ آمون في 1922، عندما سأله لورد كارنانفون عما يري وكان كارتر قد قام بعمل فتحة صغيرة في الجدار وأخذ ينظر منها الي داخل مقبرة الفرعون الذهبي ..

.. أما عن الذي رأيته وأنا أنظر من خلال فتحة الجدار فقد كانت حجرة دفن يتوسطها تابوت ضخم من الحجر الجيري وعليه نقوش جميلة تستطيع أن تراها علي ضوء الشمعة التي كانت معي، وبعد أن دخلنا الي هذه الحجرة وجدنا أن غطاء التابوت يزن أكثر من 22 طنا، وبدأنا في رفع غطاء التابوت أن قمنا باستدعاء الرئيس طلال وأخيه أحمد الكريتي من العائلة الشهيرة بخبراتها في نقل الآثار الضخمة وفتح التوابيت والمقابر باستخدام الطرق القديمة مثل الفراغنة تماما.. ويعتمدون في عملهم علي أدوات بسيطة للغاية من الجبال والباراطيم الخشبية والاسطوانات الحديدية، وكذلك أداة هيدروليكية يسمونها العفويته، وقد نجح أفراد هذه الأسرة من رؤساء الحفائر في فتح ونقل توابيت ضخمة داخل مقابر الفراغنة، منها تابوت إيوف عا موظف القصر في عصر الأسرة 26، والذي كشفت البعثة التشيكية عنه في منطقة أبوصير بالقرب من أهرامات الجيزة، وكذلك عمل الأخوين طلال وأحمد معي في حفائر سقارة وقمنا بفتح تابوت الملكة سششت أم الملك تتي أول ملوك الأسرة السادسة. وبعدما قمنا بفتح التابوت الذي استطعنا من خلال النقوش المكتوبة عليه أن نحدد اسم صاحبه وهو جد خنسو ايوف عنخ حاكم الواحات البحرية في عصر الملك أحمس الثاني أمازيس عثرنا علي تابوت ثان من الألباستر المصري وبفتحه وجدنا بقايا مومياء حاكم الواحات وحوله العديد من التمايم الدينية من الذهب والأحجار الكريمة.

.. وباستكمال أعمال الكشف عن هذه المقبرة، عثرنا علي سرداب آخر يؤدي الي مقبرة زوجة حاكم الواحات البحرية، وعند فتح التابوت الخاص بها عثرنا علي بقايا المومياء وعليها نحو مائة قطعة ذهبية من تمايم ترمز لآلهة وربات حماية..

وبجوار التابوت وجدنا أكثر من مائتي تمثال صغير من الفيانس الأزرق تسمي (تمثال الشوابتي) أو (تمائيل المجيبين)، وكان دورها هي أن تعمل في حقول العالم الآخر بدلا من المتوفي، وقد سجل علي هذه التماثيل اسم زوجة حاكم الواحاح ناعسة وهو الاسم الذي لا يزال شائعا الي الآن.

.. بعد هذا الكشف، كان يجب علينا استرداد المنطقة مرة أخرى من الأهالي لصونها وحمايتها، خاصة أن الجميع بدأ يتحدث عن وجود آثار وكنوز دفينه أسفل منازلهم والتي بنوها دون وجه حق في هذه المنطقة، وقد قمنا بإزالة عشرات المنازل بعد تعويض أصحابها بمنازل بديلة، وبدأنا في استكمال أعمال الكشف التي كان راهب الصحراء الدكتور أحمد فخري قد بدأ في البحث عنها، وحاليا يقوم تفتيش آثار الواحاح باستكمال العمل علي إزالة المنازل واكتشاف المنطقة الأثرية التي تقع أسفلها ويرأس فريق العمل الأثري سامي شريعي مدير عام آثار الواحاح البحرية وأحد أبناء الواحاح، وقد استطاع اقناع الأهالي بترك منازلهم بعد تعويضهم قطع أراض بديلة. وفي الواحاح منطقة تعرف باسم القصر، وللأسف تمكن بعض الأهالي من استعمال مقصورة أثرية لحاكم الواحاح البحرية جد خنسو ، كحجرة معيشة وظلوا علي هذا الحال سنوات طويلة حتي استطاع الأثريون إزالة هذا المنزل والكشف عن المقصورة.

.. أما عن المنطقة الأولى منطقة الشيخ سوبي فبعد ازالة عدد من المنازل قمنا بالكشف عن بئر للدفن تؤدي الي مقبرتين أثريتين.. وعندما نزلت بالحبال الي داخل المقبرة الأولى التي تقع أسفل سطح الأرض بنحو ثمانية أمتار.. وجدت أن المقبرة تتكون من حجرتين إحدهما الي الناحية الغربية والأخري الي الناحية الشرقية.. وداخل الحجرة الغربية عثرنا علي ثلاثة توابيت من الحجر الجيري منها تابوت مغلق تماما أي لم يفتح منذ نحو 2500 عام، وقد قام المصريون القدماء بغلق جوانب التابوت بمونة الجص لكي لا يتسرب الهواء الي داخل التابوت، وأخذ العمال يغنون وهم يقومون بفتح التابوت وأنا جالس بجواره أقوم

بتوجيههم لفتحه دون تدميره علي الرغم من أنهم مدربون علي مستوي عال ولهم خبرة طويلة في هذا المجال.

.. وتأتي لحظة انتظار فتح تابوت مغلق وما يمكن أن يوجد بداخله كأحد أهم لحظات «الأثري» وأكثرها إثارة في حياته، ولا يمكن أن يصفها بكلمات.. وفتح التابوت وكان بداخله مومياء رائعة تأخذ شكل مومياءات العصر الصاوي ومغطاة بطبقة من الراتنج الأسود.. وعندما قمنا بفحص المومياء وجدنا بداخل اللفائف تمائم كثيرة وضعها الفراعنة لكي تحمي المتوفي في العالم الآخر.

.. بعدها توجهنا الي الحجرة الشرقية ووجدت بها تابوتين يبدو أنه قد تم فتحهما من قبل لعدم وجود طبقة المونة في موضعها حول صندوق التابوت وغطائه مما يدل علي أن هذه المقبرة قد دخلها اللصوص من قبل، وبالفعل قمنا بفتح أحد التابوتين لنجد مومياء مثل الأولى تماما.

.. وبينما أنا أحاول الخروج من المقبرة وجدت بالمصادفة فتحة مغلقة بدبش الأحجار، وعندما كنت أزحف للخروج من البئر اصطدمت يدي بهذه السدة لتتهار وخلفها أجد مومياء رائعة بدون تابوت ووجدت نفسي ابتسم وأقول انني أبدو كما لو كنت أطارد المومياءات.. لم أدخل بعد الي المقبرة الثانية واتفقت مع فريق العمل علي أن ينتظروا لحين إزالة بعض المنازل لكي يتم حفر الموقع كله.. أما عن سر ثراء أهل الواحات البحرية في العصور الفرعونية الذي جعلهم يملكون المال ويغطون مومياءاتهم بالذهب هو أنهم كانوا يتاجرون في صناعة النيذ الفاخر وكان نيذ الواحات البحرية مما يتمناه المصري القديم في العالم الآخر.. إنها مطاردة مثيرة للمومياءات .

.. وبمناسبة الحديث عن آثار الفراعنة ، لقد أصبح من اللازم اللازب الحديث عن لعنة الفراعنة فقد أفاضت العديد من الكتب الأجنبية والعربية في سبر غور هذا الموضوع الذي استولي علي العقول والألباب .

.. ولعل من المفيد أن نشير إلى ما خطه هذا العالم الجليل الدكتور زاهي حواس عميد الثاريين المصريين في هذا الصدد:

.. مازالت لعنة الفراعنة ملتصقة بالمصريين القدماء ومازلنا حتي الآن نعتقد فيها، والدليل علي ذلك أنه في أثناء فحصنا الأخير لمومياء الفرعون الذهبي الصغير توت عنخ آمون بالأشعة المقطعية، حدثت عاصفة مدوية محملة بالأمطار الغزيرة، قبل دخولنا المقبرة، وبعد أن وضعنا المومياء داخل الجهاز توقفت تماما دون معرفة السبب، ثم عادت للعمل مرة أخرى من تلقاء نفسها، وفي نفس اليوم اصيب الفنان فاروق حسني وزير الثقافة بأزمة قلبية نقل علي أثرها الي مستشفى دار الفؤاد، وبعدها خرجت الصحف المصرية والأجنبية تعلن أن مومياء توت عنخ آمون تطارد فاروق حسني وكل من قام بفحص المومياء. وهناك العديد من أصدقاء الذين يؤمنون بلعنة الفراعنة، ومنهم الكاتب الكبير أنيس منصور، الذي ألف كتابا مهما عن لعنة الفراعنة، ودائما يؤكد لي أن صديقه كمال الملاح اصيب بمرض جلدي خطير بعد أن وضع يديه داخل حفرة المركب التي كشف عنها بجوار هرم خوفو.

.. ويرد حواس قائلاً:

.. ومن الطريف انه في أثناء تسجيلي لبرنامج (ضي الليل) مع المذيعة عزة مصطفى بالقناة الأولى منذ أيام، وكان ضيفنا الدكتور مصطفى الفقي وكنا نتحدث عن لعنة الفراعنة، وفجأة قلت له أرجو أن تكف عن الحديث عن لعنة الفراعنة لأن اللعنة يمكن أن تنصب علينا أو علي آلات التصوير، وفجأة تعطلت الكاميرا، وانتظرنا ساعتين حتي وصلت كاميرا أخرى، وشكونا الي صديقي أنس الفقي وزير الإعلام فقال ضاحكا: واحنا مالنا الي حصل من لعنة توت عنخ آمون، وضحكنا جميعا فالموضوع ما هو إلا مصادفة ومن القصص الأخرى التي تقع تحت مقولة لعنة الفراعنة، ما حدث في الواحات البحرية، فبينما كنت أحفر هناك اسفل منازل

أهالي قرية البايطي وعلي عمق نحو 10 أمتار تحت سطح الأرض، للكشف عن مقبرة حاكم الواحات البحرية وأسرتة، عثرنا داخل المقبرة علي تابوت ضخمة، وقد احضرت الرئيس طلال الكريتي وأخاه أحمد من منطقة سقارة لتحريك غطاء التابوت الذي يصل وزنه الي 22 طنا، وهما مشهوران في العالم كله بأنهما يستطيعان تحريك الأحجار والتوابيت الضخمة باستخدام نفس أسلوب الفراعنة، وعندما وصلا الي الواحات البحرية جلسا معي لشرب الشاي، وفجأة جاء لهما خبر وفاة والدهما وتوجها الي القاهرة عائدين في نفس اليوم، وانتشرت في الواحات كلمة اللعنة، لعنة الفراعنة التي اصابت الرئيس طلال واخاه أحمد. وفي اليوم التالي كنت أحفر تحت الأرض في نفس المكان وكانت في يدي اليمنى فأس صغيرة ازيل بها الرمال من داخل فتحة صغيرة اعتقدت انها توصل الي مقبرة أخرى، وفي يدي اليسرى مصباح كهربائي تم توصيله بالكهرباء لانهارة السرايب السفلية التي تعمل فيها، ويمكنكم أن تتصوروا هذا الجو الخائق الصعب المليء بالغبار والتراب، هذا بالإضافة الي اننا لا نعرف ما يخبئه لنا القدر، ولكن لحظة الكشف هي أجمل مفاجأة ومعها لا يشعر المرء بالخطورة، وفجأة جاءت هذه اللحظة ووجدت أمامي عيون تمثال براقه تنظر الي، ولذلك قمت بشد سلك الكهرباء كي اقرب المصباح وحتى أشاهد هذا الكشف، وفي لحظة انقطع سلك الكهرباء وصعقتني الكهرباء وسقطت علي الأرض في إغماءة استغرقت نحو نصف دقيقة، وبعد أن نهضت وأفقت من الصدمة كان بجوارني الزميل محمود عفيفي وقلت له لو كنت توفيت من هذه الصدمة لاعتقد الناس أن السبب في موتي هو لعنة الفراعنة، كما قيل من قبل في نهاية فبراير عام 1923 م، عندما لدغ اللورد كارنارفون بعوضة في أثناء حلقته لذقنه، وأصابه تسمم دموي ومات اللورد في 5 ابريل عام 1923، بعد كشف « هوارد كارتر » عام 1922 م لمقبرة الفرعون الذهبي توت عنخ آمون بنحو خمسة شهور فقط، وجاء موت اللورد كارنارفون فرصة لاختلاق العديد من القصص حول لعنة الفراعنة عن طريق عدد من الصحفيين الذين كانوا مستائين من عدم إعطائهم فرصة لنشر

اكتشاف المقبرة، وهكذا بدأت لعنة الفراعنة في النمو.

.. وعرفت لعنة الفراعنة قبل ذلك باسم (لعنة المومياء) وبدأ ذلك في عام 1827، حيث كان هناك كاتب روائي انجليزي شاب يدعي جان وب لودن كتب رواية خيال علمي باسم المومياء وتحكي هذه الرواية عن باحث شاب يسمى ادريك، يحارب مومياء غاضبة عادت للحياة، وكانت هذه هي المحاولة الاولى التي يتعرض لها الكاتب للحديث عن لعنة المومياء، وتبعته كاتبة صغيرة تسمى لويز ماي الكوت، حيث صدرت لها رواية عام 1869 م عرفت باسم الهرم المفقود ولعنة المومياء، وفي هذه القصة يستخدم البطل قطعة من جسد أحد الكهنة كشعلة تنير له الطريق داخل الهرم، وعثر داخله علي صندوق ذهبي به ثلاث حبوب ذات شكل غريب جدا وعاد بالصندوق الي امريكا، وقامت خطيبته بزرع تلك الحبوب، وارتدت زهور تلك النباتات في حفلة زفافها، وعندما استنشقت رائحتها غابت عن الوعي تماما ولم تفق وتستمر الأحداث مع لعنة المومياء.

.. ولكن هذه القصص وغيرها من الحكايات والروايات الأخرى، تعد خيالاً علمياً مثلها مثل تلك القصص التي تحكي عن دراكولا ومصاصي الدماء أو فرانكشتين، وكانت مثل هذه القصص قد ظهرت لأول مرة بعد الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون في 4 فبراير 1922، وبعد فتح المقبرة مباشرة. ففي الوقت الذي كان فيه اللورد كارنارفون الانجليزي الذي قام بتمويل الكشف عن المقبرة يرقد مريضاً في غرفته بفندق شبرد بالقاهرة، انتشرت قصة اللعنة بواسطة الصحفية الانجليزية ماريا كوريلا حيث ادعت انها تمتلك كتاباً عربياً نادراً عن التاريخ القديم للأهرامات، وادعت أيضاً أن موت كارنارفون لا يمكن أن تسببه البعوضة فقط، ومن المؤكد أن هناك سبباً آخر واخترعت اسم لعنة الفراعنة، ويبدو أن هذا الموضوع قد انتشر مرة أخرى بعد وفاة اللورد، كما ذكرت سلفاً، حيث كتب احد الصحفيين انه عندما كان اللورد راقداً في سريره بالفندق في مصر أخذت الأنوار فجأة تضاء وتطفأ عدة مرات، وبعدها بدأ اللورد في الحديث بلغة غير مفهومة قبل

أن يموت، وهناك أيضا ما اذاعه ابن اللورد كارنارفون وأخذ يردده أكثر من مرة من أن كلب والده أخذ ينيح بشكل غريب وقت وفاة والده بالقاهرة ثم توفي بعد ذلك، وادعي صحفي آخر أن البعوضة التي كانت سببا في وفاته اتت من نفس المكان الذي انتزع منه قناع توت عنخ آمون، وقامت الصحف بنشر صورة للمقصورة الذهبية التي كانت تحوي الاواني الكانوبية (وهي تلك الاواني التي اعتاد المصري القديم أن يضع داخلها احشاء جسده التي تستخرج قبل اتمامعملية التحنيط، وكانت تلف وتوضع داخلها وسميت بذلك الاسم لأنه عثر عليها في البداية ببلدة كانوب بالإسكندرية).

.. هذه المقصورة الذهبية كان عليها نص هيروغليفي يقول: هؤلاء الذين سيدخلون المقبرة المقدسة سوف تزورهم أجنحة الموت سريعا، وقد قاموا ايضا بترجمة النقوش الهيروغليفية الموجودة علي مقدمة تمثال الإله أنوبيس خطأ، فجاءت كالتالي: سوف اقتل من يعبرون هذه العتبة الي المنطقة الملكية المقدسة، بالاضافة الي عدد آخر من الحوادث الجانبية التي ألصقوها بلعنة الفرعنة، منها وفاة أخي اللورد كارنارفون فجأة في سبتمبر 1923 م ووفاة عالم المصريات الانجليزي ارثر ماس الذي عمل في المقبرة، ووفاة خبير الأشعة الذي استدعاه كارتر لفحص المومياء ومات وهو في طريقه الي مصر، وايضا وفاة الأمريكي جاي جولد بعد زيارته للمقبرة حيث كان مصابا بالبرد، والذي تحول بعد الزيارة الي التهاب رئوي وادي الي وفاته، وتوفي أيضا أثري فرنسي يسمي جورجيس بينديت كان من ضمن فريق العمل بالمقبرة، وفي أثناء العمل سقط وتوفي بعدها بفترة متأثرا بجروحه، وفي ذلك الوقت قُتل أمير مصري في فندق بلندن علي يد زوجته، وزعمت الصحف أن روح الفرعون توت تملكّت الزوجة وقتلت زوجها، ليس هذا فقط فأبي حادثة قتل وقعت في مصر بعد وحتى قبل اكتشاف مقبرة الفرعون الذهبي الصغير نسبت الي لعنة الفرعنة، فعلي سبيل المثال يعتقد البعض أن وفاة

العالم الفرنسي جان فرانسوا شامليون في تلك السن الصغيرة كانت بسبب لعنة الفراعنة.

.. وهناك حادثة أخرى ارتبطت بلعنة الفراعنة، ففي نهاية القرن التاسع عشر تم الكشف عن تماثيل في غاية الروعة والجمال وعثر عليهما في صندوق لشخص يدعي « رع حوتب » رئيس الجيوش وبجواره زوجته الجميلة نفرت، ويعود تاريخهما الي عصر الملك خوفو صاحب الهرم الأكبر بالجيزة، ونظرا لروعة وجمال هذين التماثيل اعتقد انهما يخصان أحد الملوك أو انها تماثيل آلهة، حيث مازال هذان التمثالان يحتفظان بألوانهما ويبدو كما لو انه تم نحتهما بالأسس، وكان التمثالان مخبئين بداخل مقصورة وعثر عليهما الاثري الفرنسي الشهير أوجست مارييت عام 1871 م، ويقول البعض أن (مارييت) ارسل احد العمال لفتح المقبرة وعند الكشف عنهما وعندما رأى العامل التماثيل وبريق عينهما في الظلام الدامس ظن انهما إنسانان حقيقيان، ويقال انه صرخ ووقع ميتا .

.. وعادت لعنة الفراعنة الي الظهور مرة أخرى في عام 1970 م عندما تم اختيار عدد من كنوز توت عنخ آموت لتذهب في رحلة حول العالم لعرضها، وكان يرأس هيئة الآثار في هذا الوقت محمد مهدي، وفي اليوم التالي الذي وقع فيه عقد المعرض والسماح ل 50 قطعة من آثار توت عنخ آمون للسفر للولايات المتحدة الأمريكية ولندن وفي اثناء مغادرته المتحف المصري صدمته عربة مسرعة ومات.

الأنبا «بولا» ... والغراب

.. الغراب من أقدم الطيور في العالم وله ذكر في القرآن الكريم كما ألمعنا وهذا الغراب كان سبباً في تسمية القاهرة بالقاهرة حيث كان أطلق عليها اسم المنصورية في عهد القائد جوهر الصقلي؟

.. ويذكر «ابن ظهيرة» عن سبب تسمية المعز القاهرة بهذا الاسم: وكان قد غير اسمها من «المنصورية» وسماها القاهرة، والسبب في ذلك أن جوهرًا لما قصد إقامة السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس، فجعلوا قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس، وأعلموا البنائين أن ساعة تحريك (هذه) الأجراس ترمون ما بأيديكم من الطين والحجارة (في الأساس)، فوقف المنجمون لترقب هذه الساعة، فاتفق من مشيئة الله سبحانه وتعالى أن وقع غراب على خشبة من تلك الأخشاب، فتحركت الأجراس، فظن الموكلون بالبناء أن المنجمين قد حركوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس، فصاح المنجمون: لا، لا، القاهرة في الطالع، فمضى ذلك، وخاب ما قصدوه. وكان الغرض أن يختاروا طالعاً لا يخرج البلد عن نسلهم وعقبهم، فوقع أن المريخ كان في الطالع، وهو يسمى عند المنجمين القاهر، (فعلموا أن الأتراك لا بد أن يملكوا هذا الإقليم والبلد لا تزال تحت حكمهم).

.. فلما قدم المعز من القيروان وأخبروه بالقصة، وكانت له خبرة تامة بالنجوم، وافقهم على ذلك، وأن الترك يكون لهم الغلبة على هذه البلدة، فغير اسمها الأول وسماها القاهرة، وكان كما قال، فملكها الترك إلى وقتنا هذا، فله الأمر من قبل

ومن بعد . (قال صاحب السكردان ومعناها خزانة الشراب أو خوان الشراب أو أداة حمل الشراب : وبعض الناس يزعم في القاهرة أنها سميت باسم قبة في قصور الفاطميين تسمى القاهرة، وهي موجودة إلى الآن، والصحيح ما قلناه) .

.. وللغراب قصة مع راهب المسيحية « الأنبا بولا » أول السواح كما قيل عنه ، وإن كان « الأنبا أنطونيوس » أول من نشر الرهبانة في مصر وفي العالم .

.. ولد « الأنبا بولا » في مدينة الإسكندرية حوالي سنة 228 م. ولما توفي والده ترك له ولأخيه الأكبر بطرس ثروة طائلة، فأراد بطرس أن يغتصب النصيب الأكبر من الميراث. إذ اشتد بينهما الجدل أراد القديس أنبا بولا أن يتوجه إلى القضاء. في الطريق رأى جنازة لأحد عظماء المدينة الأغنياء، فسأل نفسه أن كان هذا الغني قد أخذ معه شيئاً من أمور هذا العالم، فاستتفه هذه الحياة الزمنية والتهب قلبه بالميراث الأبدي، لذا عوض انطلاقه إلى القضاء خروجه من المدينة، ودخل في قبر مهجور يقضي ثلاثة أيام بلياليها طالباً الإرشاد الإلهي.

.. ظهر له ملاك يرشده إلى البرية الشرقية، حيث أقام بجبل نمرة القريب من ساحل البحر الأحمر. و ستجد المزيد عن هؤلاء القديسين هنا في موقع الأنبا تكلا في أقسام السير والسنكسار (التقويم القبطي) والتاريخ وأقوال الآباء

.. عاش أكثر من ثمانين عامًا لم يشاهد فيها وجه إنسان، وكان ثوبه من ليف وسعف النخل، وكان الرب يعوله ويرسل له غرابًا بنصف كسرة خبز كل يوم، كما كان يقتات من ثمار النخيل والأعشاب الجبلية أحيانًا، ويرتوي من عين ماء هناك.

.. ولما أراد الله سبحانه وتعالى به خيرا فإذا قداسة الأنبا بولا يرسل له القديس الأنبا أنطونيوس ويخبره بأن في البرية إنسانا لا يستحق العالم وطأة قدميه؛ من أجل صلواته يرفع الله عن العالم الجفاف ويهبه مطرًا.

.. إذ سمع القديس هذا الحديث السماوي انطلق بإرشاد الله نحو مغارة

القدّيس أنبا بولا حيث التقيا معاً، وقد ناداه أنبا بولا باسمه، وصاروا يتحدّثان بعضائهم الله. وعند الغروب جاء الغراب يحمل خبزة كاملة، فقال الأنبا بولا: «الآن علمت أنك رجل الله حيث لي أكثر من 80 عامًا يأتيني الغراب بنصف خبزة، أما الآن فقد أتى بخبزة كاملة، وهكذا فقد أرسل الله لك طعامك أيضًا.»

.. في نهاية الحديث طلب الأنبا بولا من الأنبا أنطونيوس أن يسرع ويحضر الحلة الكهنوتية التي للبطريرك البابا أنثاسيوس لأن وقت انحلاله قد قرب. رجع القدّيس أنبا أنطونيوس وهو متأثر للغاية، وإذ أحضر الحلة وعاد متجهًا نحو مغارة الأنبا بولا رأى في الطريق جماعة من الملائكة تحمل روح القدّيس متجهة بها نحو الفردوس وهم يسبحون ويرتلون بفرح.

.. بلغ الأنبا أنطونيوس المغارة فوجد الأنبا بولا جاثيًا على ركبتيه، وإذ ظن أنه يصلي انتظر طويلاً ثم اقترب منه فوجده قد تنيح، وكان ذلك في الثاني من أمشير (سنة 343 م). بكاه متأثرًا جدًّا، وإذ صار يفكر كيف يدفنه أبصر أسدين قد جاء نحوه، فأشار إليهما نحو الموضع المطلوب فحفرا حفرة ومضيا، ثم دفنه وهو يصلي.

.. حمل الأنبا أنطونيوس ثوب الليف الذي كان يلبسه القدّيس وقدمه للأنبا أنثاسيوس الذي فرح به جدًّا، وكان يلبسه في أعياد الميلاد والغطاس والقيامة، وقد حدثت عجائب من هذا الثوب.

.. تحوّل الموضع الذي يعيش فيه القدّيس إلى دير يسكنه ملائكة أرضيون يكرسون كل حياتهم لحياة التسييح المفرحة بالرب.

.. الشئ بالشئ يذكر فقد زرت أنا وأولادي دير «الأنبا بولا» منذ سنوات قريبة أثناء توجهنّا إلى مدينة الغردقة، أتجهنا يمينًا من نهر الطريق أمام نقطة شرطة قائمة هناك وقد أحسست أنا قائد النقطة قد فزع وأرتاع ثم همّ مسرعًا إلينا والسيارة التي

تقلنا على وشك الدخول إلى الدير الذي يبعد حوالي 85 كيلو عن وقوفنا ، ثم تخترق بعدها طريقاً أوصلنا إليه، ولقد شاهدنا الدير وألفيناه والرهبنة تحيط به .. رهبنة رهبان الله ، وسعدنا بزيارته ثم عدنا أدراجنا من ذات الطريق الذي جئنا منه ويممنا وجوهنا نحو الغردقة .

.. قلنا إن القلق قد استبد بقائد الشرطة حينما رأنا نخرج متجهين نحو الدير فسألنا إلى أين نحن ذاهبون ؟.

.. قلما أجبته : أننا ذاهبون إلى زيارة دير الأنبا بولا وعرفته بنفسه فلما قرأ الاسم وعرف أن ديانتني هي الإسلام وأن وظيفتي المدرجة بالبطاقة هي رئيس محكمة استئناف القاهرة إنفرجت أساريه وارتسمت البسمة على وجهه وقال لي بالحرف الواحد: « بارك الله فيك ياسيادة المستشار وبارك الله في أولادك » .

الغراب .. والاسكندر الأكبر

وعلى ذكر (غراب) آمون.. حري بنا أن نخط عن هذا الطائر ما يلي:

.. خص الله سبحانه وتعالى بعض الطيور والحيوانات بالذكر الحكيم:

.. فقال في كتابه الكريم في سورة « النمل » عن الهدهد

﴿ وَتَقَعْدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النمل].

.. وقال سبحانه في سورة الفيل: ﴿ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفيل]

.. وجاء ذكر الغراب في سورة المائدة .. قال الله تعالى:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتِي أَنْ أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

.. ولعل من المفيد أن نذكر شيئاً عن تفسير هذه الآية ، وقد ذكر أئمة السلف

وأهل العلم بالتفسير أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأثني الآخر، وأن هاويل أرد أن

يتزوج بأخت قابيل ، وكان أكبر من هاويل أن يستأثر بها علي أخيه ، وأمره آدم عليه

السلام أن يزوجه إياها فأبي .

.. وللغراب قصة تعد من الميثولوجيا ارتبطت بزيارة الإسكندر الأكبر لواحة سيوة: وقد اختلف الرواة والمؤرخون في أسباب هذه الزيارة فمنهم من نسب الى الإسكندر أنه أراد التشبه بفراعنة مصر العظماء الذين اعتادوا أن يُلقبوا بأبناء آمون فأراد الإسكندر أن ينال هذا اللقب وينادى به ابناً لآمون أسوة بفراعنة المصريين ، بعضهم قال انه قام بهذه الزيارة ليؤثر على عقول الشعب المصرى ويكسب محبتهم وإنه يحترم معبودهم وآلهتهم ويقدها وبذلك يستجلب رضاء الأمة المصرية وعطفها ويمهد الطريق لإقامة مملكة عظيمة تجمع بين المصريين والإغريق ولكن هذا الفرض يرد عليه بعض المؤرخين بقولهم إنه اذا كانت هذه حقيقة نوايا الإسكندر فقد كان في مدينة طيبة المقدسة وفي غيرها من مدائن وادى النيل عددًا كبيرًا من الآلهة أعظم شانا واقرب محبة ومكانة في قلوب الشعب . كان يمكن للإسكندر زيارتها بدون عناء ويوفر على نفسه مشقة السفر بالصحراء وتعرضه للموت عطشا ولكن الحقيقة الثابتة أن الإله آمون كان ذا شان عظيم وان مقامة كان مرتفعا في هذا الوقت بين المصريين والإغريق على حد سواء فاراد الإسكندر أن يحج الية مستلهما منة الوحي طالبا منة البركة فلقبه كهنة امون بإبن العظيم وباعتبار انه معبود المصريين والإغريق على السواء .

..لماذا زار الإسكندر سيوة وقدم القرابين للمعبود آمون وقد جرت العادة أن القرابين التى تقدم للإله آمون هى من الكباش ويشاهد زائر مدينة الاقصر طريق الكباش الموصل لمعبد الكرنك . وكانت شارة المعبود هى رأس الكبش ذى القرون ولبسها الفراعنة من أبناء آمون وبعد أن نادى كهنة آمون بالإسكندر ابناً لآمون تشبها بفراعنة مصر وتوجوه بشارة المعبود فلبسها وهى رأس الكبش ذى القرنين كما أسلفنا وظهرت اكثر صور الإسكندر وهذه الشارة على راسه كما شوهدت على النقود التى صكت باسمه فسمى ذو القرنين وعرف بهذا الاسم .

.. تمت زيارة الإسكندر للواحة فى شتاء 332-331 قبل الميلاد وقد بلغت شهرة المعبود آمون كافة أنحاء العالم وعرف فى هذا الوقت بأنه الوحي المنزل

وقدس الأقداس فدخل الإسكندر المعبد واستقبله الكهنة ولقبوه بابن آمون كما ألعنا .

.. وأما الطريق الذى سلكه الإسكندر فعلى الغالب كما يذكر الثقات أنه هو الطريق الحالى المسمى بطريق الكنائس نسبة الى كثرة الآثار الرومانية على جانبه ويسميه العرب (مسرب الإسطبل) وهذا الطريق حافل بالخزانات الرومانية العظيمة العجيبة ويرجع عهد أكثرها إلى القرن الثانى قبل الميلاد وهى خزانات منحوتة فى الصخر ومتسعة وتحفظ فى داخلها كميات عظيمة من مياه الامطار وتبقى لتسقى منها السابلة والعربان . وكانت قد تحطمت فاعيد حفرها ونظفت وطلبت حوائطها بالأسمنت وتُحاط هذه الآبار بالتلال العظيمة التى تعلوها القلاع الرومانية القديمة وكاد الإسكندر أن يهلك ومن معه فى هذ الطريق الصحراوي الذى تحفه الأخطار ، وكان العطش قد حل به وبجنوده ، وقد ضل دليله الطريق لولا أن رأى طائرا على قبة بيضاء اتضح انها عظام بعض الجمال التى نفقت بالموت من القوافل فتوجه اليها وهناك استدلت ثانية على الطريق فاتخذه ووصل بعدها الى (عين مضفر) ويجتاز المسافر حوالى 285 كم من الطريق القفر تدخل الى النفس السامة والضجر فلا جديد غير أراض متساوية وفضاء متسع لا ترى فيه أكمة او تلال ولكن من يسير فيه فإنما الأمل والصبر هما ديدنه.

.. وبعد أن يقطع المسافر هذه المسافة الطويلة يدخل فى ممر ملتوٍ يهبط فجأة من إحدى الهضبات الى الواحة ففى حين أن الهضبة كانت على ارتفاع 400 قدم فوق سطح البحر إذ به يهبط الى منخفض الواحة حتى 75 قدم تحت سطح البحر وبعد هذا تنكشف لك حياة أخرى فتشاهد منظرا من أحلى المناظر وأبهجها بعد هذا المسير الطويل ، فتشاهد أمامك صفائح ماء البحيرات الفضية وكثيرا من أحرش النخيل وأغصان الزيتون وعند هذا الممر توجد « عين مجاحظ » ويسميتها العرب الآن (عين المظفر) وعند هذه العين وقف الإسكندر يحوطه حراسه

ومرافقه يستقى بعد أن كاد أن تفارقه الحياة وهناك نحر الذبائح والقرايين شكرا للمعبود آمون وهى أول عين مياه يقابلها المسافر الى الواحة . ولا زالت هذه العادة موجودة للآن فقد سُمى العرب هذه العين بعين المظفر وعندها يذبح كل قادم جديد للواحة ذبيحة قربانا لوصوله بسلامة الله

.. أما الطريق الذى سلكه الإسكندر من الإسكندرية فهو كما تذكر كتب التاريخ الطريق الساحلى القديم الموازى للشاطى وذلك لكثرة الآبار والخزانات وكروم العنب والحدايق القديمة فيه ، ولا يزال هذا الطريق هو طريق القوافل القديمة ولا زالت آثاره قائمة اتبعتها العرب فى الفتح الإسلامى لمصر . وكان هذا الطريق يمر بمدائن قديمة (ليمالوكاسيس ، بدونيا ، زيفريوم) وغيرها من مدائن اقليم مارمريكا (مريوط) حيث كانت تسمى قديماً

.. ثم تمر بالمنطقة الموجود بها الآن سيدى عبد الرحمن ومنها الى الضبعة وبعدها يمر الطريق بخليج الكنائس (كما يسميه العرب) او خليج راس الحكمة وقد سموة بهذا الاسم لكثرة الآثار الموجودة على التلال البيضاء المرتفعة المشرفة على الخليج والطريق وهى من أجمل المواقع الجميلة فى شاطى مريوط وكانت هذه الناحية تسمى قديما (ليوك اکتيا) وهناك معبد قد اقيم تخليداً له وقد اندثر أكثر هاتيك الآثار ولكن لازال اسمها موجوداً ويسمىها العرب برأس الكنائس وتمتاز هذه الجهة باجمل مناظر على ساحل ليبيا ومياة الخليج الزرقاء . وتسمى الآن (رأس الحكمة) . وقد وصل الإسكندر إلى أمونيا (براتزيوم) أو (مرسى مطروح) وكانت هى آخر رحلة وصل إليها الإسكندر نحو الغرب

.. وفجأة ينكشف منخفض عظيم ذو جوانب صفراء (عبارة عن رمال وتلال من الرمال) وقاع أخضر من أحراش النخيل والزيتون تتخلله صفائح صافية من الفضة اللامعة وفى وسطها تقع طينة سمراء متجمعة وتلك هى منازل الواحة ولا يلبث المسافر أن يشاهد فجأة (الواحة) ومنازلها بلونها الأغبر متجمعة ككتلة

واحدة كالقلعة فوق تل عظيم .. هذه هي البلدة وعلى بعد قليل لجهة الشرق مجموعة مماثلة لها على مرتفع آخر من تلك هي الناحية الخاوية يوجد معبد وهيكل الإله آمون . وفي الجهة البحرية للواحة وعلى مسيرة كيلو متر منها يقع جبل الموتى (المصبرين) من كثرة ما وجد به من عظام الموتى الغابرين ، وفي جنوب أغورمى ترى تلالاً سوداء تبدو في الأفق البعيد وهذه هي جبال الدكروور أو الدكرووري المقدسة وبها عددًا من الآثار المسماة ببيت السلطان ولكنها مشهورة بكثير مغاراتها المنحوتة في الصخر ويسمى العرب هذه الجبال بجبل حامد . أما جهة الغرب فيشاهد جبل خميسة المقدس قائمًا بمفرده يطل على بحيرات الواحة المقدسة .

.. سار الإسكندر في شوارع الواحة في ظلال احراش النخيل تتدلى منها عناقيد البلح المتعددة الألوان وحدائق الزيتون والأعشاب حتى وصل الى المعبد في بلدة «اغورمى» (قلعة امون) المتعددة الطبقات والمبنية فوق صخرة عظيمة تحيطها احراش النخيل ويبرز المعبد فوقها كالماسة في التاج الملوكى ومن هناك ارتقى مدخل القلعة الصعب المرتقى واجتاز الأبواب المحصنة المحروسة وسار في ممرات ضيقة حتى وصل الى المعبد القديم الذى لم يبق منه إلا بوابة المدخل وبعض كتابات هيروغليفية ومن هناك سار فى الممر الضيق إلى داخل المعبد حتى وصل إلى غرفة الاجتماع وفي هذه الغرفة تم الاجتماع التاريخى بين الإسكندر وكهنة آمون حيث جرت الطقوس الدينية وباركه الكهنة ونال رضاء المعبود ونودى به ابناً امون وحق له أن يلبس شارة المعبود التي هي (راس الكبش ذى القرنين) كما سبق ذكره.

.. ونعود إلى ما ذكرته الكتب القديمة وتحديث عنه كتب التاريخ .

.. عندما يمم الإسكندر الأكبر وجهه تجاه واحة سيوة وأراد أن يحصل على بركة كهنة آمون وسلك طريقاً إلى سيوة محاطاً بالأخطار عبر الصحراء الغربية التي

يذخر طريقها بالغرود والجبال وكثبان الرمال المتوحشة والمتناثرة في جنبات هذه الصحراء فضل بجيشه طريقه إلي سيوة وإذا بطائرتين يحومان حول جيشه منطلقين إلي الأمام بعد أن أطبق الموت الزؤام علي الإسكندر وجنوده جراء نفاد الماء منهم حتي أوشكوا علي الهلاك ... وما أن أبصر الإسكندر هذين الطائرتين حتي هتف قائلاً لقد أرسل آمون هذين الغرايين للاحتفاء بي وإرشادها لي واحتته .. واحة آمون .

.. ولقد تناقل المؤرخون هذه القصة منهم من كتب عن واحة سيوة سواء من الكتاب أو الروايتين وكان آخرهم الروائي « بهاء طاهر » (□) في روايته الجميلة الأخاذة (واحة الغروب) ... وإن كنا نحن نسميها واحة الشروق لأن هذه الواحة واحة مشرقة آناء الليل وأطراف النهار .. مشرقةً بشمسها وبقمرها وبنجومها التي تتلألأ في سمائها وينعكس الضوء على رمالها فتسبغ عليه جمالاً أخاذاً .

.. وهذه القصة .. قصة الغرايين نعتقد اعتقاداً حازماً . أنها من الميثولوجيا .. فلم يكن الإسكندر نبياً ولم يكن إماماً أو ولياً ، فضلاً عن أن يكون من ذوي الكرامات حتي يرسل الله إليه هذين الغرايين لكي ينقذانه من الموت ، فهو وإن كان قائداً عسكرياً فذاً من أفذاذ التاريخ وكذلك وإن كان عبقرياً من عباقرة الحروب والغزوات إلا أنه كان محباً لسفك الدماء وقتل الأبرياء فهو كما قال أستاذنا « العقاد » ذات يوم تتضاءل قيمته إذا قورن بالعالم « لويس باستور Louis Pasteur » ، وهو ولا جناح علينا أن تذكر نتفه عن هذا العالم الفذ الكيميائي الفرنسي وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب، ويُعرف بدوره المميز في بحث أسباب الأمراض وسبل الوقاية منها. ساهمت اكتشافاته الطبية بتخفيض معدل وفيات حمى النفاس وإعداد لقاحات مضادة لداء الكلب والجمرة الخبيثة، كما دعمت تجاربه نظرية جرثومية المرض . كان يُعرف لدى عامة الناس بسبب اختراعه طريقة لمعالجة الحليب والنيبذ لمنعها من التسبب في

(1) راجع: دكتور إبراهيم عوض - (ست روايات مصرية مثيرة للجدل) .

المرض، وهي العملية التي أطلق عليه لاحقا مصطلح البسترة .يُعتبر باستور أحد أهم مؤسسي علم الأحياء المجهرية إلى جانب كوهن فرديناند وروبرت كوخ. .. كما كان لدي باستير أيضا العديد من الاكتشافات في مجال الكيمياء، وأبرزها الأساس الجزيئي لعدم تماثل بلورات معينة .

.. ومن إسهاماته العلمية أنه :

.. (أظهر أن سبب عملية التخمر هو نمو الكائنات الحية الدقيقة، وأن النمو الناشئ للبكتيريا في سوائل المغذيات لا يعود إلى التولد الذاتي، وإنما إلى النشوء الحيوي خارج الجسم، حيث قام بتعريض السائل المغلي في الهواء في أوعية تحتوي على فلتر لمنع تجمع الجزيئات من الوصول إلى مرحلة النمو المتوسط مع دخول الهواء عبر أنبوب متعرج طويل لا يسمح لجزيئات الغبار بالمرور. لاحظ باستير عدم نمو أي شيء في السائل إلا إذا تم كسر وفتح القوارير، لذا توصل إلى أن الكائنات الحية كجراثيم الغبار التي نمت في السائل قد جاءت من الخارج بدلا من تولدها تلقائيا داخل السائل. وكانت هذه إحدى أهم وآخر التجارب لدحض نظرية التولد الذاتي. كما دعمت تلك التجربة نظرية جرثومية المرض.

.. لم يكن باستير أول من جاء بنظرية جرثومية المرض (فقد اقترحها كل من جيرولامو فراكاسترو، وأغوستينو باسي، وفريدريك جوستاف جاكوب هنلي وغيرهم في وقت سابق)، إلا أن باستير قام بإجراء التجارب التي تبين بوضوح صحة تلك النظرية وتمكن من إقناع معظم دول أوروبا بصحتها. يعتبر باستير في يومنا هذا أنه منشئ نظرية جرثومية المرض وعلم الجراثيم، إلى جانب روبرت كوخ.

.. كما بينت بحوث «باستير» أن نمو الكائنات الدقيقة هو المسؤول عن إفساد المشروبات مثل النبيذ والبيرة والحليب. بالإضافة إلى أنه أوجد عملية يتم فيها تسخين السوائل مثل الحليب للقضاء على معظم البكتيريا والعفن الموجود بالفعل

داخله. أنجز باستير أول تجربة بالتعاون مع كلود برنار في 20 أبريل 1862. بعد ذلك بوقت قصير سميت هذه العملية باسم البسترة.

.. استنتج باستير من فكرة فساد المشروبات أن الكائنات الحية الدقيقة التي تصيب الحيوانات والبشر تسبب الأمراض. واقترح وجوب منع دخول الكائنات الدقيقة في جسم الإنسان، مما قاد جوزيف ليستر لتطوير أساليب التطهير في الجراحة.

.. في عام 1865، تسبب كل من داء الأمراض الطفيلية في قتل أعدادًا كبيرة من دودة القز في منطقة Alès الفرنسية. وعمل باستير خلال عدة سنوات ليثبت أن مسبب تلك الأمراض هو هجوم جرثومي على بيض دود القز، وأن القضاء على هذه الميكروبات سيقضي بدوره على المرض .

.. كما اشتمل عمل باستير على علم المناعة والتطعيم وفي وقت لاحق على مرض الكوليرا الذي يصيب الدجاج ، ويقتل الإنسان . أثناء عمله، فشل التصور بأن البكتيريا هي المسؤولة عن إصابة بعض الدواجن بهذا المرض. بإعادة استخدام دواجن ذات صحة جيدة، توصل باستير إلى أنه لا يستطيع نقل العدوى لهم، حتى مع البكتيريا الجديدة، لذا فإن البكتيريا المضعفة أعطت مناعة للدواجن ضد المرض، على الرغم من أنها قد تسبب أعراض خفيفة فقط).

الغراب ... والواحات

.. ولقد رأينا غرباناً تذرع السماء في منطقة الواحات ، ومنها الغراب « النوحى » الذي يضرب به الأمثال في الشؤم والتشاؤم .

.. وهناك ما يسمى بغراب البحر الأسود وتمثل هجرته السنوية من أوروبا ، وابلأً شديداً على الثروة السمكية للبلد الذي يهاجر إليها.

.. ويصل هذا الطائر إلى بلدنا من أوروبا خلال الفترة من نوفمبر إلى فبراير بأعداد كبيرة تتراوح بين 10 و15 ألف طائر يلتهم كل منهم نصف كيلو من الأسماك الصغيرة ، مما يكبد الثروة السمكية 5 أطنان من الخسائر السمكية يومياً. وهو ما يعني ضياع مئات الأطنان في حالة بقاءه 75 يوماً، الغريب أن هذا الغراب لا ينتقى من بحيرة البردويل إلا الأصناف الفاخرة خاصة الدينيس!

.. يشبه « غراب البحر » البط البري أسود اللون يصل وزنه الي نحو 3.5 كيلو جرامات، وله منقار حاد، وتعتبر الأسماك غذاءه الرئيسي ويأكل منها نحو نصف كيلو جرام. وتكثر تجمعاته في موسم هجرته. الي مصر بالمزارع السمكية بمنطقة سهل الطينة ببورسعيد وقناة السويس .. ويوجد هذا الطائر في الشواطئ الصخرية والرملية ومصبات الأنهار الرئيسية، ويعشش علي المنحدرات الصخرية والجزر ويزدهر في المياه. ويقضي فصل الشتاء علي طول الساحل. يتراوح بين 130 و160 ستيمترا ويتعاون الطائران المتزوجان علي بناء عشهما من العصي والأعشاب البحرية ويكون ذلك علي شجرة ، أو علي الحواف أو جروف

المنحدرات الشديدة .. ينتظر « غراب البحر » أية سمكة سيئة الحظ تفكر في أن تطل برأسها من الماء ، فإنها تجده فاتحاً منقاريه علي اتساعهما .

.. وبينما تفكر السمكة في مصيرها، لا يبدد الطائر أي وقت فيبتلعها دفعة واحدة ويطالب الصيادون في بحيرة البردويل بضرورة عودة فرق مكافحة غراب البحر ممن يحملون تراخيص للقيام بدورهم لمقاومته لان المدافع .. مدافع الصوت .. التي تم وضعها لم تؤد الدور المطلوب، فمسطح بحيرة البردويل يمتد علي مساحة كبيرة يصعب علي هذا العدد القليل من هاتيك المدافع تطفيش الطائر الذي لا يعبأ بوجودها ، حيث قام هذا العام 2017 بهجوم شرس علي البحيرة متحصناً بقرار منع صيده ويرى الصيادون أن الطريقة الوحيدة لمقاومته هي مطاردته بواسطة مراكب الصيد الآلية والاقتراب منه وإحداث أصوات مدوية تخيفه .

.. هذا فضلاً ، علي أن الغراب كما وقر في أذهان الكثيرين نذير شؤم ومع عدم تشيعنا لهذا ، فقد قرأنا في كتاب (مقدمة في الفولكلور القبطي) أن الغراب كان يطلق عليه منذ عهد الفراعنة اسم (باي) ومن المتواتر في اللغة الشعبية أن البعض يقول للأخر (يا باي) في لحظات الغضب بمعنى يا غراب وهي من تعبيرات التأفف .

.. ويقول البعض أن الغراب الناعب إذا ما أطلق صيحة واحدة فهي نذير شؤم أما إذا أطلق صيحتين أو أكثر فهذا بشارة خير، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ (□) .

.. وفي واحة سيوة نوعاً من الغربان أسود اللون يعرف (بالغراب النوحى) يطير إلي البادية قاطعاً مسافات بعيدة بحثاً عن الحشرات التي كثيرا ما تهاجم الطيور أو كارما فتدفعها من وكناتها أو الموت غرقاً ، فتموت خارج جحورها لقسوة برودة الجو وفي هذه الحشرات غذاء طيب تستعذبها الغربان التي تعود طبيعة الحال من رحلتها بعد أن تظفر بحاجتها إلي موطنها الأصلي ، الذي اتخذته فوق

(1) تهذيب الحيوان للجاحظ - تحقيق: عبد السلام هارون.

قمم التلال المتناثرة في الواحة

.. ونعود أيضاً إلى الإسكندر المقدوني هذا مع عظمته الحربية وفتوحاته العسكرية، فلم يكن بالوفي أو الأبوي .

.. التاريخ يقص علينا ، قصة تدل علي رعونته ونزقه وبعده عن مكارم الأخلاق، فهو بعد أن أحرز انتصاراته العظيمة في مصر والشام وفارس وآسيا الصغرى ، أقيمت له الاحتفالات ، احتفالات نصره ، وأولمت له مائدة فخمة ، ذات طول وعرض ، وتصدرها قواده العظام وكان ومن بينهم صديقه الأقر لقلبه (كلويتس) والذي كتب الله للإسكندر الحياة علي يده .

.. انصرف الحاضرون الذين كانوا في معية الإسكندر بعد أن فرغوا من الطعام والشراب ومن إلقاء الخطب العصماء علي مسمعه ، ناهيك عن قصائد المديح التي تباري الجميع في إلقائها بين يديه.. وجاء دور النفاق.. نفاق الإسكندر إذا قال أحد الحضور ، وهو يخاطب الإسكندر ، إنه أي الإسكندر أفضل من أبيه فيليب المقدوني ، علا البشر وعم السرور وجه الإسكندر ، فهب فيه صديقه « كلويتس » وقال للإسكندر: لا يا صديقي هذا الكلام خطأ، فلولا والدك ما كنت أنت ، هاج الحاضرون وماجوا، وشعر الإسكندر بالضيق الشديد ، ونسي صداقته وغض الطرف عن حبه لصديقه وقام ليضربه ، فأمسك (كلويتس) بيد الإسكندر ، وقال له: أذكر هذه اليد التي أنقذت حياتك يوماً ، واستمع لكلمة الحق ، وأردف يقول : أدعو لمائدتك أحراراً وليس عبيداً ، فجن جنون الإسكندر وإمتلاً قلبه غضباً وكراهية لصديقه وانتزع حربة من أحد جنوده وغرسها في صدر كلويتس ، فسقط مضرجاً في دمائه بعد أن أصيب في مقتل ، ارتد الوعي إلي الإسكندر وحاول أن ينقذ صديقه ، ولكن هيهات هيهات فقد سبق السيف العزل، ومات صديقه .

.. دلف الإسكندر إلي حجرته وارتمى علي فراشه أياماً ثلاثة لا يأكل ولا يشرب ولا يقابل أحداً وانسالت الدموع من مقلتيه، وظل يصرخ ، قائلاً (أنا الخائن) ، (أنا

الغادر) ، (إنني من اليوم لست جديراً بالحياة).

.. ويذكر المؤرخون أن الحزن افترش عقله وخيم علي قلبه إلي يوم وفاته الذي كان قريباً من هذا اليوم، الذي قتل فيه صديقه.

.. ويثور سؤال: هل مثل هذا الرجل مهما كانت عظمته ، ومهما كانت حنكته

الحرية ، جدير بحماية الله حتي يرسل له غراباً ينقذه من الموت الذوم؟!!

.. ومما يذكر في هذا الخصوص أن الإمبراطور الروماني (أنطونين كراكلا) ، ارتقي عرش الإمبراطورية الرومانية عام 211 ميلادياً ، وكان متعطشاً للدماء ، قاسياً جباراً في معاملاته وبعد أن تناهي إلى سمعه أن المصريين سخروا منه .

.. وزار « كراكلا » الإسكندرية بغية الانتقام من المصريين ، وقد استقبله أهل الثغر بحفاوة بالغة علي غرار استقبالهم لأي حاكم جديد ، فأراد التشبه بالإسكندر الأكبر ، فزار المعابد ومن بينها ما قر في ذهنه من معرفته بضريح الإسكندر وخلع عليه غطاءه الملكي ، بيد أن الشعب كان قد مقته ، فأراد الانتقام منه ، فدعا الشباب والرجال إلي لقاء خارج المدينة ليشكل منهم فرقة جديدة في الجيش الروماني ، ولاقت دعوته هذه قبولاً واستحساناً من شباب الإسكندرية فتسابقوا زرافاتاً ووحداناً لتلبية رغبته هذه وتظاهر كراكلا بأنه يفتش عليهم ، وبعد أن ترك الصفوف المتراسة ، أمر جنوده المدججين بالسلاح والمحيطين بهم بإبادتهم وكنت مذبحه وحشية لم يسمع التاريخ بمثلها ولم تقف المذبحه عند ذبح الإسكندريين خارج اسوار الإسكندرية إلي أغوار المدينة نفسها ، ففي ذات الوقت أصدر كراكلا أمراً بإلغاء حق سكان الإسكندرية في المسابقات الرياضية ، وكذلك بناء سور يشطر الإسكندرية إلي شطرين ، ويقص علينا التاريخ أن كراكلا بعد انتصاره في أحدي الحروب ثار عليه جنوده ثورة عارمة عشية انتصاره وقتلوه .

.. وإن كان الشئ بالشئ يذكر ، فإننا نرى الغراب من خلال الواقع الديني بعد ذكره في القرآن الكريم وتكريم الله سبحانه وتعالى له بأنه هو الذي دل قابيل على أن

يواري جثت أخيه هابيل في التراب ، فلا جَرَم أن ذكرنا نتفأ عن هذا الطير الضارب تاريخه في القدم أيام سيدنا آدم عليه السلام .

.. نذكر عظمه الخالق عز وجل وبديع آياته في هذا الطائر الذي اشتهر عنه العجب والحذر ، وكيف أن الله وهبه الذكاء وحسن التصرف ، وعلمه الحب والحنان والتعاون مع أفراد نوعه .

.. هو طائر يتبع جنس Corvus ومنه حوالي 27 نوعاً تنتشر في معظم أنحاء العالم ما عدا القارة القطبية الجنوبية وأمريكا الجنوبية. الذكور عادة أكبر حجماً من الإناث. معظم ريش الغربان يتميز باللون الأسود ذات اللمعان الواضح .

.. إن هذا اللون الأسود للريش يجعل الغربان تتوارى في ظلمة الليل عن أعدائها من البوم والصقور التي تنشط ليلاً وتفترسها.

.. ومن أهم ما ذكر عن الغربان أنها تتنوع إلى الآتي :

1- الغراب النوحى :-

.. لون ريش الجسم أسود ما عدا ريش الرقبة لونه بنى ويتنشر هذا النوع في شمال إفريقيا.

2- الغراب المروحي الذيل :-

.. والذي أطلق عليه العرب (غراب اليبين) واتهموه بأنه يجلب الخراب وقد نهانا رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام عن التشاؤم. فقال : (لا عدوى ولا طيره).

.. ويتميز هذا الغراب بأنه اصغر من النوع السابق وهو اسود اللون مع لمعان وذو ذيل قصير مروحي وجناحه طويل ويشبه الخفاش. ويتنشر هذا النوع في السعودية والسودان والصومال ومصر وفلسطين.

3- غراب المنازل الهندي:

.. ويتميز لون الريش بأنه اسود في منطقة الرأس والعنق والظهر والجناحين والذيل أما باقى الجسم فلون الريش رمادى. وينتشر هذا النوع في دولة الإمارات العربية وعمان والسعودية.

4- الغراب الأورق:

.. لونه اسود مع رمادى لامع وينتشر في مصر وفلسطين وسوريا.

.. ولكنما هو اصغر أنواع الغربان؟

.. وهو نوع من الغربان يسمى غراب السمك *Corvus ossifragus* وينتشر هذا النوع على الشريط الساحلى للولايات المتحدة الأمريكية الجنوبية الشرقية ويقوم بالتغذية على الأسماك ويتميز بصغر حجمه فهو يساوى حجم حمامة صغيرة ويتميز أيضا بصوته الحاد المرتفع جدا والذي يسبب إزعاج لباقى أنواع الغربان.

.. ويثور سؤال هل ثمة لغة تعارف بين الغربان؟

.. تقوم الغربان بإصدار أصوات عالية ذات ترددات مختلفة هذه الترددات تعتبر لغة التعارف فيما بينهما فلكل نوع من الغربان صوتا بتردد معين وهذه الترددات بمثابة شفرات استخبارية للمجموعة الواحدة، فسماع احد الغربان لصوت غراب آخر غريب عن نوعه أو غريب عن قبيلته فنجده يصدر اصواتا مستمرة عن طريقها تتجمع جميع قبيلته وتحشد جموعها وتتصدى لهذا الغراب الغريب عنهم وتبدأ في قتاله.

.. وما هو غذاء الغربان؟

.. تتغذى الغربان على المحاصيل الزراعية والفاكهة والديدان والحشرات والقواقع وبيض الطيور الأخرى والأسماك وأيضا الحيوانات الميتة والمقتولة في الشوارع وتقوم بتخزين غذائها وتخفيه بأوراق الشجر والأكياس وغيرها بعيدا عن

أعدائها من الطيور.

.. قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت].

.. ومن المعروف عن الغربان أنها تبني عششها بين الأشجار ولكن حذار أن يعيث بالعش إنسان أو يحاول الإمساك بصغارها أو قتلها فإن هذا هو بمثابة الإساءة والتعدي على مملكتها .

.. ذكر ذاكراً أن ابنه الصغير عن له أن يعيث بأحد عشوش الغربان بإحدى الحدائق العامة القريبة من منزله واخذ من العش صغيراً من صغار الغربان فإذا بالذكر والأنثى يطاردانه .. ومن العجب أن استمرت هذه المطاردة لمدة عشر سنوات ، فكلما شاهدها خارج منزله يهبطان على رأسه ويقومان بنقره ثم يطيران إلى أعلى .

.. وتتواجد أعشاش الغربان غالباً في أعالي الأشجار وعند النظر في مكونات العش نجده عبارة عن أوراق متراكمة من الأشجار والريش وأغصان وأعواد جافة وبعض قطع من الصابون الملونة وأشياء أخرى ذات ألوان جذابة زاهية. فإن هذا المخلوق يحب ويقدر الجمال فيقوم بتجميع أى شئ ذو ألوان زاهية وجميلة وجذابة ويحتفظ بها في عشه ليشع العش بهجة وجمالاً فهو مملكته الخاصة.

.. إذا ما شاهد شاهد هذه الأعداد الغفيرة من العشوش التى تنتشر على الأشجار ألا يدل هذا على أن الغربان طيوراً اجتماعية تعيش في تجمعات كبيرة كل تجمع يسمى (بالمجثم : roost) ، والمجثم الواحد يقطنه المئات والتي تنتمي لنوع واحد وتتواجد أفراد المجثم على هاتيك الأشجار. ولكن ما الحكمة من معيشة الغربان في تجمعات كبيرة ، الغربان تؤمن بفطرتها التى وهبها لها الله عز وجل أن الكثرة تغلب الشجاعة والقوة. ومن ثم فإنها وإن كانت طيوراً ضعيفة

بالمقارنة بأعدادها من الصقور والبوم والتي تنشط ليلاً وتفترسها ومن ثم تعيش الغربان في تجمعات كبيرة ترهبها أعداءها من الطيور الأخرى حيث تبدأ الغربان بإصدار نعيها المرتفع المستمر قبل غروب الشمس لتتجمع من جميع الاتجاهات وتبدأ كل جماعة أو كل مجثم بالسكون والاستعداد للنوم داخل أعشاشه.

.. وتعيش الغربان قريبة من مصدر الغذاء ومصادر المياه إذ أنها تكون مناطق هادئة وأكثر دفئاً ولا يقطنها البوم أو الصقور. لكن لاحظ العلماء في الآونة الأخيرة انتشار الغربان في المدن الكبيرة وحوادثها العامة وقتلها في القرى وهذا ما جعل الكثير من العلماء المهتمين بسلوك الطيور ويجثون في هذه الظاهرة إلى أن يتوصلوا إلى عدة أسباب دعت الغربان لتفضيل المدن عن القرى وهي :

1- أن القرى يكثر بها إطلاق الأعيرة النارية دون السيطرة على ذلك بعكس المدن الكبرى التي تحرم إطلاق النار في شوارعها

2- المدن الكبرى يكثر بها الحوادث العامة ذات الأشجار العالية بالمقارنة بالقرى التي يلجأ سكانها إلى تقطيع الأشجار والاستفادة من أخشابها

3- الإضاءة المستمرة ليلاً في شوارع المدن والتي تعتبر مصدر أمان للغربان أثناء نومها على الأشجار حيث أن قوة إبصارها ضعيفة في الظلام

.. من ذكاء هذا الطائر أنه إذا أصيب أحد أفراده بمرض ما ولاحظت أفراد الجماعة عدم قدرته على الطيران ، هنا يأخذوا قراراً بقتله ثم دفنه لأنهم يخافون من انتشار مرضه إلى باقى أفراد المجثم فيضحون بهذا الفرد من أجل سلامة باقى الأفراد. من علم هذا الطائر هذا التفكير واتخاذ القرار الجماعى فى الوقت المناسب؟ انه الله عز وجل .

.. شاهداً جميعاً أحد أعشاش الغربان وانبهنا بجمالة وألوانه الزاهية ولكن ما

هى الروح التى تسود على ساكنى هذا العش؟

.. أهى روح الحب والمودة والرحمة؟ أم كما نرى كثيرا فى حياتنا اليومية العديد والعديد من البيوت والقصور الفاخرة والتى وبكل أسف تخلو من روح المودة والرحمة التى دعانا الله عز وجل إليها سواء بين الزوجين أو بين الأبناء والآباء أو بين الأبناء وبعضهم البعض.

.. وإن كان المشهور عن الغربان أنها تجلب الخراب والنحس إلا أنها تفوقت على الكثير من بنى البشر فنحن لا نرى عشا من أعشاشها إلا وتسكنه روح الرحمة والمودة والحب والتعاون بين أفرادها.

.. تعالوا معى نتعرف على أفراد هذا العش وتلمسوا بأنفسكم الحب الذى ينبعث بين أفرادها.

.. ففي أواخر الشتاء عندما يصل الذكر لسن البلوغ (4 سنوات تقريبا) يبدأ بالبحث عن شريكة حياته وتبدأ الرحلة بإصدار صوتا مرتفعا ينادى به على الإناث البالغة (3 سنوات تقريبا) إلى أن تقترب واحدة منه فيبدأ بنفس ريش جسمه وأجنحته وذيله قليلا كعلامة منه على قبولها ثم يبدأ فى الغناء لها أغنية قصيرة ثم يحدث الزواج بينها ويبدأ كلا منهما فى تنظيف ريش الآخر وتجهيز وبناء العش والذي يستغرق تكوينه حوالى أسبوعين. وبعد أن يصبح عش الزوجية جاهزا لهما تبدأ الأنثى فى وضع البيض حوالى من 2:6 بيضات خلال أسبوع ثم يفقس البيض بعد حوالى 19 يوم وتظل الصغار بعد الفقس من 30:45 يوم فى العش قبل الترييش ثم بعد ذلك تبدأ فى الطيران ومساعدة الأبوين فى الحصول على الغذاء وتجميعه. ولا تضع الأنثى بيضا آخر خلال السنة فهى لها جيل واحد فقط سنويا من الأبناء.

.. ويثور سؤال : هل يتزوج ذكر الغراب بأخرى غير قرينته؟

.. لا يتزوج الذكر مطلقاً بأثني أخرى طيلة حياته والتي تصل في بعض الأنواع إلى 21 سنة. ولكن هناك حالتين لزواجه من أخرى وهما عندما ينتظر فقس البيض الذي وضعته الأنثى فإذا لم يفقس البيض فيترك كلاهما الآخر ويبدأ في البحث عن وليف. وقد يلجأ أيضاً للزواج من أخرى عند موت وليفته. أن الغراب ذلك المخلوق الضعيف يعلمنا دروساً وعبراً في المحبة والمودة والإخلاص بين الزوجين وانه عندما يبحث عن أنثى أخرى للزواج منها فيكون ذلك لسبب قوى وقهري وهو إما للحفاظ على نوعه وذريته أو لوحده بعد موت وليفته وليس للبحث عن جمال أنثى أخرى أجمل من أنثاه أو اصغر سناً منها .

.. والأنثى تكون مهمتها الأساسية هي حضانة البيض حتى الفقس وإطعام الصغار بعد الفقس أما الذكر فمهمته الأساسية حماية العش من الأعداء حيث يقف على حافته لمنع دخول أى ذكر غريب من مجثم آخر وإذا دخل عشه يقوم بقتله. وكلاهما أيضاً يقوم بالبحث عن الغذاء وجلبه إلى العش. عند وجود أكثر من جيل من الأبناء داخل العش فتقوم الأبناء بمساعدة الآباء في البحث عن الغذاء وتنظيف العش وإطعام الصغار وحماية العش.

.. درس آخر نتعلمه من ذكر الغراب وهو حفاظه على بيته وحميته ونخوته تجاه أنثاه وصغاره بالإضافة لمساعدتها في تربية الصغار والحصول على الغذاء.

.. يقول علماء الأحياء أن حياة الغربان تعلم الإنسان دروساً في الحب والوفاء والإخلاص بين الشريكين إلى حب العمل والتعاون بين أفراد الأسرة إلى الحفاظ على الجماعة والدفاع عنها ضد أي غاز أو معتد. ، وفي قصة الغراب مع هايبيل الذي ذكره القرآن الكريم وأشرنا إليها آنفاً عندما طوعت قابيل نفسه قتل أخيه هايبيل بسبب الحقد والغيرة منه لان الله تقبل قربانه ولم يتقبله من قابيل فقتل أخيه وظل يحمله على ظهره ويطوف في الأرض بحثاً عن مكان يخفى فيه جثه أخيه. فإذا به يرى غراباً يثير الأتربة في الأرض ليخفى غراباً قد نفق .

.. قام احد العلماء الإسرائيليين والمهتمون بدراسة سلوك الطيور بتتبع احد الغربان التي تسمى wild hooded crow والمنتشرة في إسرائيل وفجأة وجد احد الغربان تقوم بتجميع فئات الخبز وتشبكها بمساعدة أصابع أرجلها في فرع من فروع الأشجار ثم تسقطها في البحيرة وعندما يتجمع السمك على فئات الخبز تحت سطح الماء تنقض عليها وتمسك بهم بمنقارها ثم تطير بالسمك إلى عشاها.

.. الغراب هو جنس من الطيور ينتمي إلى غرايات، وهو من الطيور المعروفة في كثير من أصقاع العالم، كما تتعدد أنواعه وأشكاله وفصائله، وإن غلب عليه اللون الأسود الذي يطلق عليه الغراب النوحى.

.. يتميز الغراب بهيبة صوته الذي جعل الناس تتشام من رؤيته أو سماع صوته إضافة إلى لونه الأسود الفاحم.

.. والغراب تجذبه الأشياء اللامعة والملونة كثيراً، وليس مستغرباً أن يجد الناس في أعشاش الغربان قطع الصابون الملونة والأشياء المذهبة اللامعة.

.. ويعتبر الغراب من الطيور المفيدة صديقة الفلاح، إذ أن الغراب يتغذى على الآفات والحشرات شأنه في ذلك شأن الهدهد وأبو قردان.

.. يتميز الغراب بمستوى ذكاء مرتفع نسبياً مقارنة مع غيره من الطيور، حيث يمكنه أن يستخدم الأدوات التي يعثر عليها .

.. وفي دراسة بريطانية لاكتشاف ذكاء هذا الطائر:

.. قام فريق بريطانى بأخذ احد إناث الغربان إلى احد المعامل البريطانية ووضعوا لحم مهروس داخل أنبوبة اختبار وبالقرب منها قطعة من السلك المعدنى الطويل وتركوا الغراب مع هذه الأدوات داخل المعمل وقاموا بتصوير ما يحدث. فوجدوا بعد اقل من 10 دقائق أن أنثى الغراب قامت بنشى نهاية السلك

المعدنى ليصبح مثل الخطاف وأدخلته برجلها إلى داخل أنبوبة الاختبار ثم قامت بسحب اللحم المهروس من داخلها والتهمته. فاعتقدوا العلماء أنها فعلت ذلك صدفة فكرروا التجربة عشر مرات ونجحت أنثى الغراب في كل مرة في إخراج اللحم والتهامه.

.. ومن أعجب ما قرأناه عن صلة الإنسان بالغراب ما ذكر بالصحف من أن محافظة السويس أعلنت عن حملة موسعة شعارها (**أقتل غرابًا وخذ جنيهاً**)، وخصصت المحافظة هذه المكافأة لكل من يسلم جثة الغراب إليها وذلك بعد أن تجاوز تعدادها بالسويس المليونى غراب تقريباً، مما جعل هذه المحافظة هي المأوى الأكبر للغرابان في الجمهورية والأكثر انتشاراً في شوارعها بين المحافظات المصرية .

.. بدأت الحملة مبكراً، وشهدت الأشجار في مناطق حديقة فرنساوي وحدائق بورتوفيق معارك شرسة من قبل بعض المواطنين مما أجدى إلى تلف الكثير منها وتحطيمه، خاصة الفقراء منهم للقضاء على آلاف الغرابان، والحصول «جنية مقابل كل غراب»، وهو ما أعلنت عنه المحافظة بشكل رسمي، محافظ السويس، واستخدم الأهليون كافة الأساليب في القضاء على الغرابان بشكل عشوائي واستخدموا في ذلك العصي والحجارة وبنادق الرش، الأمر الذي تسبب في فوضى وعشوائية ومشادات في هذه المناطق .

.. واستوطنت الغرابان منطقة بورتوفيق المطللة على المجرى الملاحي لقناة السويس بالضفة الغربية بعد رحلتها من المهجر على متن السفن العابرة لقناة السويس، والتي كان يصل عددها إلى 20 ألف سفينة سنوياً في ذلك الوقت، وفي أعقاب معارك الإنجليز من المصريين إبان العدوان الثلاثي على مصر ونظراً لما كانت تشهده مدن القناة الثلاث من معارك شرسة كانت تسفر عن قتلى بالعشرات يومياً لم يتمكن الأهالي من دفنها، نظراً لتواصل القصف على مدار اليوم وزاد وجود

الغربان بالمنطقة أثناء فترة التهجير عقب حرب 67 وحتى انتصار أكتوبر 73 لنفس الأسباب وهو الحرب الدائمة في المحافظة والمقاومة الشعبية من قبل أهالي السويس ضد الاحتلال الإنجليزي والإسرائيلي، والتي استشهد من جرائها آلاف البشر وكان مصير جثامينهم الطاهرة «نهش الغربان» لها لعدم تمكن الأهالي من دفنها .

.. وإذ وضعت الحرب أوزارها فلم يمنع توقف الحرب انتشار وتكاثر الغربان بمحافظة السويس، وأصبحت الغربان أكبر عدو يهدد المواطنين الذين يتناولون وجباتهم وطعامهم على شواطئ القنال ومنتزهات بورتوفيق والكورنيش، مستغلة أعدادها الكبيرة في الهجوم على المواطنين ومضايقتهم لمشاركتهم وجباتهم، وهو أمر اعتاده أهالي السويس، ويات البعض يتحداهم ويكمل طعامه والبعض الآخر يترك الطعام فأراً من أعدادهم ونقراتهم التي تسبب إصابات، كما أصبح من المعتاد أن تجد كل من يتناول طعامهم يمسك عصا بيده حتى يستطيع أن يكمل وجبته .

.. ولم تقف حوادث الغربان في سرقة ومشاركة الأهالي وجباتهم، بل تعدت ذلك بقتل الطيور الأخرى وخاصة التي تربي في المنازل وقتل العصافير وباقي الطيور الأصغر حجماً، ومهاجمة كل من يرتدى قبعة أو غطاء رأس بلون فاتح خاصة اللون الأحمر بنقرات حادة تتسبب في أذى المواطنين، والطريف أن أحد التقارير ذكر أن بعض فصائل الغربان متخصصة في الاستيلاء على الذهب .

.. وقد رفضت منظمات حقوق الحيوان هذه الحملة، التي وصفوها ب «مهزلة البيئية والعلمية» في مصر .

.. وكذلك رفض هذا العمل الاتحاد العام لجمعيات الرفق بالحيوان رفضه لمثل تلك المبادرات، التي لم تكن الأولى في الجرائم ضد الحيوان داخل مصر،

قائلاً في بيان له «أنه لن يستطيع التدخل طالما لا يملك حلاً بديلاً لتلك المشكلة، لكن قتل الغربان سيحل بالتوازن البيئي، لأنها كائنات تتغذى على الحشرات، وطالما لم تعترف المديرية والهيئات بأن قتل الحيوانات حرام شرعاً، ولم ينصفنا قانون العقوبات الذي يجرم قتل الحيوانات والطيور .



.. يوماً بعد يوم تستمرّ الغربان في إبهارنا بذكائها الذي يعتقد العلماء أنّه مساوٍ لذكاء طفل في السابعة من عمره. أثبتت دراسة تم نشرها في مارس الماضي قدرة الغراب على حلّ لغز Aesop's fable paradigm وهو نموذج يعتمد على أنابيب بعضها مملوء بالماء والآخر بالحصى ويجب على الغراب أن يضع بعض الحصى في الأنابيب المملوءة بالماء ليحصل على الطّعام، ويستخدم هذا النّمودج في قياس ذكاء الأطفال أيضاً في تلك التّجربة تمكّن الغراب من اختيار الحصى بدلاً من الموادّ الخفيفة التي تطفو ووضعها في الأنابيب المملوءة بالماء بدلاً من الأنابيب المملوءة بالرّمال

.. قصة تسمية مدينة نابلس بهذا الاسم

.. وعلى زمن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام كان يجتمع بالمخلوقات من حيوانات وطيور وغيرها كما هو معلوم ومن بينها بداهة الغربان.
.. وفي يوم من الأيام لاحظ نبي الله سليمان تأخر ذلك الغراب وهذه القصة

على غرار قصة الهدهد ، ولاحظ نبي سليمان ذلك التأخر الملحوظ من ذلك الغراب فاستدعاه وسأله عن سر تأخره.

.. إذ كان الملفت للنظر أن هذا الغراب يحضر بعد ما تحضر الطيور جميعها وأثناء الانصراف ينصرف أولها وسأله عن حضوره المتأخر عن حضور الطيور ومغادرته أمام الطيور لموقعه.

.. فأجاب الغراب قائلاً : إن والدي طاعن في السن ولا يقدر على الحراك وأخشى عليه من الطيور الجوارح ..فانتظره هناك حيث يقبع فوق شجرة وأظل بجواره لحراسته منها قال له .

.. سأله نبي الله : وأين يوجد والدك . فأخبره بمكان وجوده نبينا سليمان عليه السلام إلى موقع الغراب الطاعن بالسن ..فألفاه عليه السلام هناك ،وقد تساقط ريشه جراء تقدمه في السن ولم يبق من ريشه الا الشيء البسيط الذي لا يساعده على الطيران وأمعن النظر إليه ،فلا حظ أن واحدة من عيونه لا تبصر .

فسأله سليمان عن السبب الذي أدى إلى تلف عينه .

قال له الغراب العجوز : هذه قصة طويلة خلاصتها انه في يوم من الأيام وكنت على سفر ومررت على قرية صغيرة وحطت على سور تلك القرية الذهبية الذي كانت من الذهب الخالص ،أي كل ما فيها مصنوع من الذهب وما هي إلا لحظات حتى رأيت رجلاً وقد ذبح ناقة ودعاني للأكل منها، فذهب عني .. ليتسنى لي الأكل براحتي وبعدها رحلت ومرت السنون...ورجعت بي الأقدار الى هذه القرية مرة أخرى وقبعت على سورها ولكنها هذه المرة لم تكن ذهبية مثل ما رأيتها أول مرة (بل كانت هذه المره فضيه وكل ما فيها فضياً) ورأيت ذات الرجل يذبح لي هذه المرة خروفاً .

.. وبعدهما أكلت منه رحلت وعدت إليها بعد فتره من الزمن وإذا بالقرية كلها من حديد.

.. ووجدت الرجل نفسه وذبح لي دجاجة؟ وبعدها أكلت منها رحلت كعادتي وبعد فترة من الزمن مررت على القرية ذاتها فإذا أسوارها من خشب؟ وقد ألفيت ذلك الشخص نفسه، ولكنه هذه المره لم يقدم لي شيئاً وتناول حجراً من الأرض ثم رماني به فأصاب عيني وبقأها.. فقال له نبينا سليمان هل تعلم محل هذه القرية قال نعم.. فامر بساط الريح بحملهم ولما وصلوا إلى موقع القرية لم يجدوا هناك أي اثر للقرية؟!.. فقد تمرتها الرياح؟؟ فأمر نبينا سليمان الريح فهبت عليها حتي بدأت تظهر معالمها، وقد وجدوا هناك بئراً وكان يسمع صوتاً بداخل تلك البئر.. ولم قرب نبينا سليمان من البئر وجد فيها حية كبيره ولما خاطبها نبينا سليمان اتضح أنها من أكل أصحاب تلك القرية، فقال لها اطلعي،، قالت لن اطلع حتى تعطيني الأمان،، فلما أعطاه الأمان فطلعت وكان في جسمها علامها ذا بانة تلك العلامة فهذا يعني انه طلع نصف جسمها من البئر وإذ خرج ضربها سليمان،، فقالت لماذا تقتلني وأنت من أعطاني الأمان؟ قال بسم الله أخرجتك وبأمر الله أقتلك، وقد أخذت أنياب تلك الحية وكان اسم تلك الحية (لس) ووضعت أنيابها على مدخل بوابة القرية.

.. وقد أطلق على القرية (ناب لس) وهي المدينة التي هي فلسطين حالياً.

البيئة في الواحات

.. وجه العالم جل اهتمامه بقضية البيئة في أوائل هذا القرن بينما كان علماء المسلمين قد أولوا هذه القضية اهتمامهم منذ قرون خلت.

.. ولقد أشار « ابن خلدون » إلى التوازن والتكامل بين عناصر ومكونات النظام البيئي الذي يسمى بالنظام « الإيكولوجي » .

.. وقد استخدم العلماء المسلمون الأوائل مفهومها الإصطلاحي منذ القرن السادس الهجري ويُعد « ابن عبد ربه » صاحب العقد الفريد هو أقدم من نجد عنده المعنى الإصطلاحي في الكلمة (في كتابه الجومانة) أي الوسط الطبيعي (الجغرافي والمكاني) الذي يعيش فيه الكائن الحي . كما يذكر الدكتور «محمد يونس» عن حماية البيئة في الحضارة الإسلامية فيقول :

.. وقد كانت العلاقة بين الإنسان والبيئة من الموضوعات الرئيسية التي اهتم بها العلماء والرحالة العرب والمسلمون وسجلوها في كتاباتهم.

.. ويأتي حديث علماء المسلمين الأوائل عن البيئة وعلاقتها بالإنسان عادة في سياق تناولهم لعلم الجغرافيا. ونجد إشارات لهذه العلاقة عند كثير من العلماء العرب الذين كتبوا في ذلك العلم أو ما أسموه ب «تقويم البلدان» ، مثل أبي الحسن علي المسعودي (ت: 346 هـ) في كتاب « التنبيه والإشراف » ومحمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي (ت: 389) في كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » وأحمد بن عمر، أبي علي ابن رسته (ت: 399) في كتابه « الاعلاق النفسية »، وابن

خلدون (ت: 898) في « المقدمة » .

.. ويعرض «المسعودي» لتأثير البيئة على أخلاق الناس وأمزجتهم ؛ ويرى أن المناطق التي تتوافر فيها المياه ينعكس فيها تأثير الرطوبة في خلق الناس، وإذا لم يوجد الماء يسود تأثير الجفاف في أخلاق وأمركة البشر. ويسجل المسعودي تأثيرا للمناخ على الإنسان عند أهل الربع الشمالي من العالم، فيقول: (وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم، من الواغليين في الشمال كالصقالبة والإفرنجة ومن جاورهم من الأمم، فإن سلطان الشمس قد ضعف عندهم لبعدهم عنها، فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة وتواترت الثلوج عندهم والجليد، فقل مزاج الحرارة فيهم، فعظمت أجسامهم وجفت طبائعهم وتوعرت أخلاقهم) .

.. وهذه العلاقة بين البيئة والإنسان يسجلها أيضاً الفقيه العربي أحمد ابن العباس بن رشيد بن حماد المعروف باسم «ابن فضلان» (عالم ورحالة من القرن التاسع الميلادي) الذي تجول في بلاد الترك والصقالية والروس، ووصف مشاهداته وملاحظاته التي ضمتها بعد ذلك (رسالة ابن فضلان)، وفيها نجد ربطاً واضحاً بين طبيعة البيئة ذات البرودة الشديدة وبين أنماط الحياة الاجتماعية فيها، حتى أن شدة البرد لا تؤثر فقط على أساليب السكان في التغذية واختيار الملابس والاهتمام بإيقاد النار، بل يؤثر على حركة التعامل الاقتصادي فيها بينهم، فتصيبها بما يشبه الركود، يقول: (ولقد رأيت لهواء بردها بأن السوق بها والشوارع لتخلو، حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق فلا يجد أحداً) .

.. وتحدث زُمرة من علماء المسلمين الأوائل عن آثار تلوث البيئة على الصحة والسلامة العامة، ومنهم علي بن العباس المجوسي الذي يعزو حدوث وانتشار الأوبئة إلى تبدلات الجو وفساد الهواء بالعفونات، يقول: «فأما خروج الهواء عن الاعتدال في جملة جوهره»، فهو أن يستحيل في جوهره وفي كفياته إلى الفساد والعفن، فيحدث في الناس أمراضاً وأعراضاً رديئة... وتسمى الأمراض بالوافدة،

وإنما سميت بالأمراض ، وذلك لأن السبب المحدث لها عامل مشترك وهو الهواء المحيط بنا».

.. ويضيف: « وأما تغير جوهر الهواء من قبل الموضوع، فيكون إما من بخارات تحدث من كثرة الثمار والبقول إذا عفنت فيرتفع منها بخارات رديئة تخالط الهواء أو من بخارات ترتفع من الخنادق أو من البحيرات من الآجام أو من أقدار المدن، وأما من حيث القتل والموتى فتكون في البلد أو بالقرب منه إما حرب يقتل فيه كثير من الناس ، أو نفوق البهائم، ثم إذا حدث فيهم الوباء فيرتفع من تلك الجيف بخارات رديئة فتخالط الهواء فيستحل الهواء إلى جوهر البخار وكيفيته فيستنشقه الناس فتكثر فيهم الأمراض الرديئة المهلكة كالصوت الذي عرض لأهل أثينا » .

.. والبيئة عند « ابن خلدون » مكان تتوافر فيه إمكانات معينة ، الإنسان وحده هو المهيب للاستفادة من هذه الإمكانيات واحداث التغيرات فيها بحسب ما تقتضيه الظروف والعمران البشري، فالإنسان يمكن أن يستفيد من الأرض فيزرعها أو يكتفي برعي الحيوانات فيها أو يقيم عليها المدن بطرقها ومرافقها، ويمكن أن يستفيد من الحيوان الوحشي (بافتراسه وأخذه برمييه من البر أو البحر)، ومن الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنغام ، والحريير من دوده ، والعسل من نحله، ويستفيد من النبات (بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته)، وكذلك المعادن وسائر القوى والمظاهر الطبيعية التي يمكن أن تقوم عليها العلوم والصنائع .

.. وتأخذ البيئة عند ابن خلدون أوصافاً عدة تعبر عن خاصية كل نوع منها، فهو يتحدث عن المعمور من الأرض وعن الخلاء والقفر والرمال للدلالة على الخصائص الطبيعية لها، وعندما يود إضافة الخصائص البشرية والعمرائية لها يتحدث عن البدو والحضر وعندما يود تأكيد المناخ كعامل بيئي على أساليب المعيشة للإشارة يتحدث عن المعتدل والمتطرف من الأقاليم، والعامل المناخي

أساسي في تحديد قابلية البيئة لمعيشة الإنسان وتطوره اجتماعياً، وكان هذا هو الرأي الشائع بين الجغرافيين العرب ، وعلى الرغم من اعتراض ابن خلدون على هذا الاعتقاد، إلا أن تأثيره بهذه الحتمية البيئية كان واضحاً حتى في عناوين بعض فصول المقدمة مثل (في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والحير من أحوالهم) ومثل (في أثر الهواء في أخلاق البشر^(١))

.. أما مكونات البيئة في رأي ابن خلدون فهي مترابطة محكمة الترتيب، فهو يقول في مقدمته: «إننا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض»، وهذا الرأي يتماشى مع الرأي الايكولوجي بأن الكرة الأرضية في مجموعها تؤلف نسقاً إيكولوجياً متكاملًا بما فيها من عناصر مادية ومكونات حية نباتية وحيوانية وبشرية. وهكذا يشير ابن خلدون إلى التكامل والتوازن بين مكونات البيئة وعناصر النظام البيئي، وهو ما يؤكد علم الايكولوجيا الحديث وهو العلم المعني بدراسة البيئة.

.. وفيما يتعلق بالحفاظ على الحياة البرية وهي إحدى القضايا الرئيسية في مجال البيئة اليوم، اهتم علماء المسلمين الأوائل بهذا الجانب فقد عرض «ابن طفيل» في قصته الشهيرة «حي بن يقظان» رؤية فلسفية أخلاقية حول علاقة الإنسان ببيئته وأهمية الحفاظ على الحياة البرية، فيرى أن الأخلاق الحميدة هي التي لا تعترض الطبيعة في سيرها والتي لا تحول دون تحقيق الغاية الخاصة بالموجودات، فمن طبيعة الفاكهة مثلاً أن تخرج من زهرتها ثم تنمو وتنضج ثم تسقط نواها على الأرض ليخرج من كل نواة شجرة جديدة . فإذا قطف الإنسان هذه الثمرة قبل أن يتم نضجها فإن عمله هذا يعد بعيداً عن الأخلاق ، لأنه يمنع النواة التي لم يتم نموها ونضجها بعد أ يتحقق غايتها في هذا الوجود وذلك باخراج

(١)المستشار محمد مرشدي بركات هموم مصرية دار المعارف مصر 2014 .

شجرة من نسلها .

.. وذهب ابن طفيل إلى أبعد من هذا فقال : أن الأخلاق الكريمة تقضي على الإنسان بأن يزيل العوائق التي تعترض الحيوان والنبات في سبيل تطوره وتحقيق غايته من الوجود، فإذا وقع نظره على نبات قد حجبه عن الشمس حاجب أو تعلق به نبات آخر يؤذيه، وجب على الإنسان أن يزيل ذلك الحاجب.

.. ولم يقتصر التراث الإسلامي في معالجته لقضايا البيئة على الجانب النظري، وإنما شهد التاريخ الإسلامي تفاعلاً خلاقاً بين نصوص الدين التي تدعو إلى الحفاظ على البيئة وواقع المسلمين، من خلال الفقه والقضاء، حيث تم ترجمة هذه النصوص إلى أحكام فقهية وقضائية تستهدف حماية البيئة من التلوث .

.. وقد اعتمد الفقه الإسلامي في هذا المجال على قاعدتين أساسيتين:-

القاعدة الأولى هي: لا ضرر ولا ضرار.

والقاعدة الثانية هي: درء المفسد مقدم على جلب المصالح .

.. وانطلاقاً من هاتين القاعدتين، كان من سلطات «المحتسب» منع كل ما يؤدي إلى تلوث البيئة، فقد كان المحتسب يمنع طرح النفايات والجيف في الأسواق والطرقات، كما يمنع الخضارين وغيرهم من طرح أزبالهم في الطرق، ومن ثم فإن الحرص على حماية البيئة من التلوث، هو أحد مهام المحتسب التي كان يمارسها أثناء عمله بالأسواق، فقد كان يتخذ مكاناً لبائعي الأسماك بمعزل عن السوق حرصاً على عدم تلويث السوق .

.. وقد كان هذا الاهتمام بالبيئة حمايتها من التلوث، أحد العوامل التي تؤخذ في الاعتبار عند تأسيس المنشآت التجارية والصناعية في المدن الإسلامية القديمة حيث كانت هناك ترتيبات معينة تخص المنشآت التي تتسبب في حدوث الدخان أو الروائح الكريهة أو الصوت المزعج . لذلك كان يراعى عند إنشاء هاتيك

المؤسسات أن توضع في أماكن يمكن معها تجنب ما قد ينشأ عنها من أضرار وإذا حدث مع تزايد نمو المدنية واتساع رقعتها أن تأثرت المناطق الجديدة بهذه النوعية من المنشآت ، فإن المحتسب يتدخل للتحكم في ثبات مصدر الضرر لمنع زيادته بالتوسع والإضافة، لأن مثل ذلك يعد إحدائاً للضرر، أما إذا كان وجود هذا الضرر قديماً ولا سبيل إلى إزالته، ولأن المنشآت الجديدة كان يعرف أصحابها بوجود هذه الأضرار مسبقاً، فيقتصر عمل المحتسب على إثبات مصدر الضرر وعدم توسعه امتداده، لأنه لا سبيل إلى إزالته نهائياً .

.. وحماية البيئة من التلوث كانت أيضاً أحد العوامل التي تؤخذ في الاعتبار عند تنظيم الأسواق في المدن الإسلامية القديمة. وقد أبرز ابن عقيل هذه الحقائق في وصفه لبغداد، حيث يقول: « وكانت أسواق الكوخ، وباب الطاق، لا يختلط فيها العطارون بأرباب الزهائم (الرائحة الخبيثة) والروائح المنكرة، ولا أرباب الأنماط (بائعو الثياب المصبوغة) بأرباب الأسقاط (الذين يبيعون الرديء من المتاع) » .

.. وقد أصدر الفقهاء والقضاة أحكاماً ضد المنشآت الملوثة للبيئة خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي).

.. وقد خلقَ اللهُ تعالى البيئةَ نقيّةً، سليمةً، نافعةً، وسخَّرَها للإنسان، وأوجب عليه ضرورة المحافظة عليها؛ كما دعاه إلى ضرورة التفكُّر في آيات الله الكونيّة، التي خلقت في أحسن صورة، فقال الله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِحَيْثُ نَحْبِبُ ﴿٧﴾ ﴾ [ق: 6-7] .

.. وعلى هذا نشأت علاقة حُبِّ وودٍّ بين الإنسان المسلم والبيئة المحيطة به من جماد وأحياء، وأدرك أن المحافظة على البيئة نفعٌ له في دنياه؛ لأنه سيحيا حياة هانئة، وفي آخرته حيث ثواب الله الجزيل.

.. وقد جاءت رؤية النبي ﷺ للبيئة تأكيداً لتلك النظرة القرآنية الشاملة للكون، التي تقوم على أن هناك صلةً أساسيةً وارتباطاً متبادلاً بين الإنسان وعناصر الطبيعة، ونقطة انطلاقها هي الإيمان بأنه إذا أساء الإنسان استخدام عنصر من عناصر الطبيعة أو استنزفه استنزافاً فإن العالم برُمته سوف يُضارُّ أضراراً مباشرةً.

.. من أجل ذلك جاء التشريع الإسلامي بقاعدة عامّة لكل البشر الذين يحيون على ظهر الأرض؛ وهي عدم إحداث ضرر من أي نوع لهذا الكون، أخذاً بقاعدة « صَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » ...

.. وقد جعل الرسول ﷺ إمطة الأذى، من حقوق الطريق، فروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**» فقالوا: مَا لَنَا بُدٌّ؛ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. فقال ﷺ: «**فَإِذَا أَيْتَمْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**. قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال ...: «**كَفُّ الأَذَى**».. «كفُّ الأذى» هذه كلمة جامعة مانعة للكف عن كل ما يؤذي الناس .

.. والبيئة في الواحات هي البيئة المثل في مصر برمتها .

.. فإستراتيجية البيئة هناك تتمثل في محافظة قاطني الواحات على نقائها وخلوها مما يعكر صفوها

.. قلة من الباحثين والخبراء والمنتخبين والفاعلين الجمعيين مغاربة وأجانب أجمعوا لتدارس السبل الكفيلة بإعداد إستراتيجية من شأنها الحفاظ على البيئة بمناطق الواحات.

وأكد المشاركون خلال هذا اللقاء الذي نظمه على مدى ثلاثة أيام مركز الدراسات والتنمية الواحية والصحراوية على ضرورة تجنب كل مايؤذي البيئة في الواحات .

.. ودعا العلماء الذين تكوكبوا حول هذه الدراسة زرافات ووحداناً إلى وجوب الأهمية التي تكتسيها المحافظة من المنظومة الايكولوجية والتنوع

البيولوجي وإعداد استراتيجية تواصلية تنخرط فيها كل مكونات المنظومة الايكولوجية، الى جانب المحافظة على البيئة وتأمين المواد الفلاحية والموارد الوراثية وتحسين الفرشة المائية ومراعاة التغيرات المناخية، وذلك باعتماد أساليب وتقنيات طبيعية قادرة على ضمان هذا التنوع البيولوجي في منظومة ايكولوجية سليمة لمستقبل أفضل بمناطق الواحات.

.. وأبرزوا أهمية الزراعة الايكولوجية باعتبارها تراثا ومستقبلا للأنظمة الواحية ومساهمتها في التنمية المستدامة بالواحات وذلك لكونها تشكل درعا واقيا ضد التصحر، مشددين على أهمية تقديم أجوبة حول المقاربة الكفيلة بضمان فلاحية مستدامة على مستوى الواحات.

.. يقول كونفوشيوس : إدريس الماضي إذا كنت تريد أن تعرف المستقبل .

.. يقول ابن بطوطة « في وصف مصر » (هي أم البلاد ، وقرارة فرعون ذي الأوتد ، مجمع الوارد ولا صادر ، ومحط رحل الضعيف والقادر ، قهرت قاهرتها الأمم ، وتملكت ملوكها نواصي العرب والعجم ، كريمة التربة ، ومؤنسة لذوي الغربية ، ولها خصوصية النيل التي جل قدرها » .

.. هذه هي الواحات .. كنوز مصر الباقيات .. ينطبق عليها لمن رآها قول الشاعر :

لعمري لقد أيقظت من كان نائمًا وأسمنت من كانت له أذنان

تقول الواحات عن نفسها قول أبو العلاء المعري :

ما مر في هذه الدنيا بنوز من إلا وعندي من أنبائهم طرْفُ

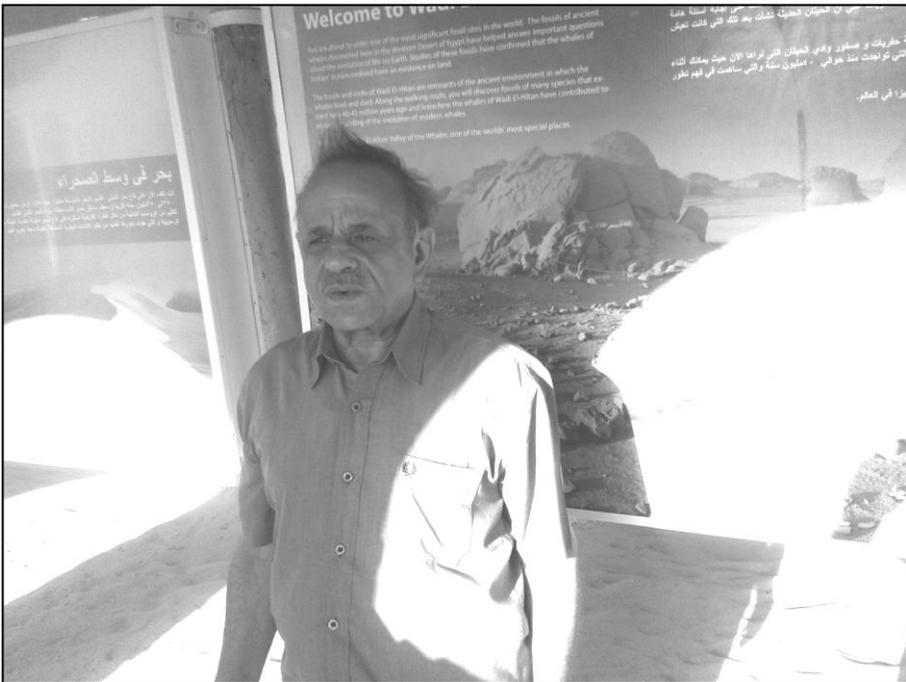
هجرت الواحات : ثم زرتها متمثلاً بقول الشاعر القديم :

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبرُ

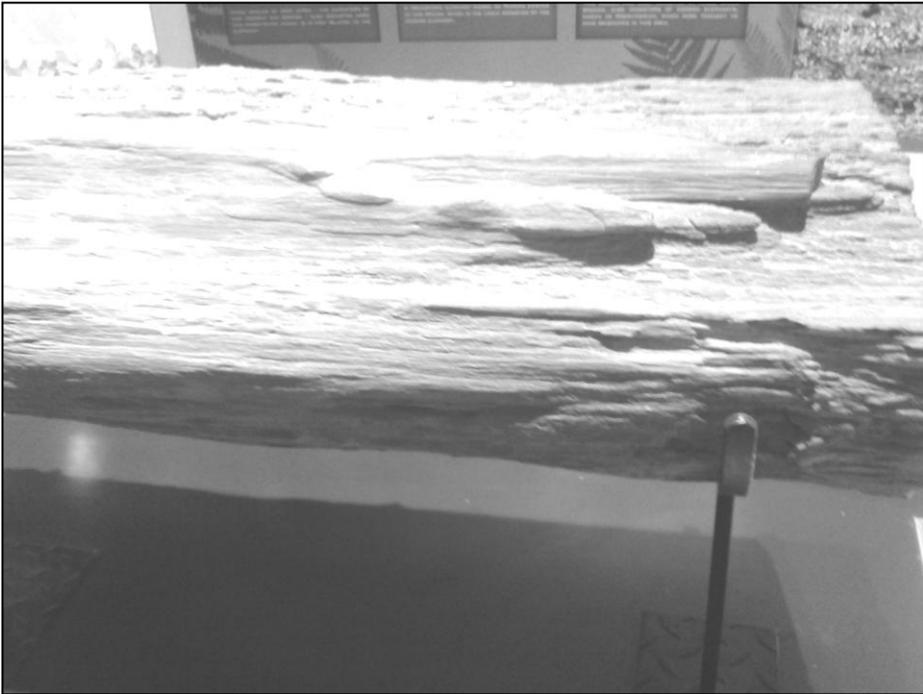
المستشار

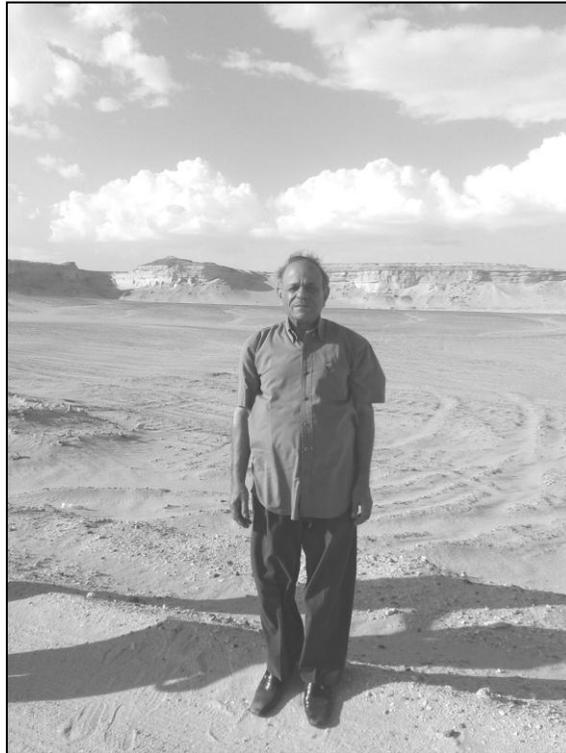
محمد مرشدي بركان

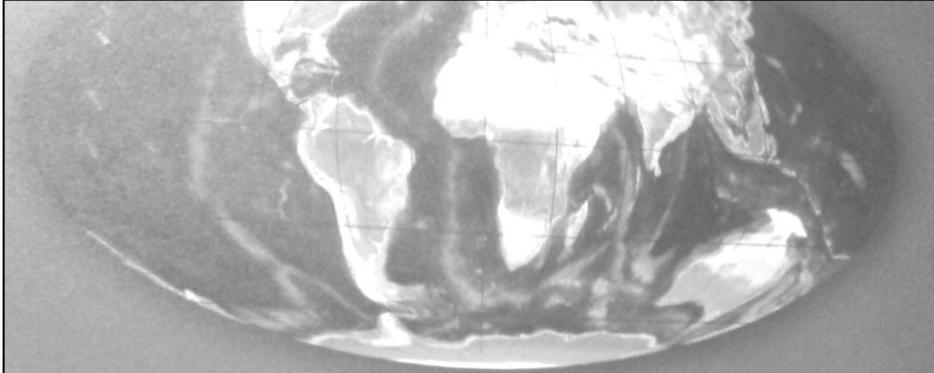










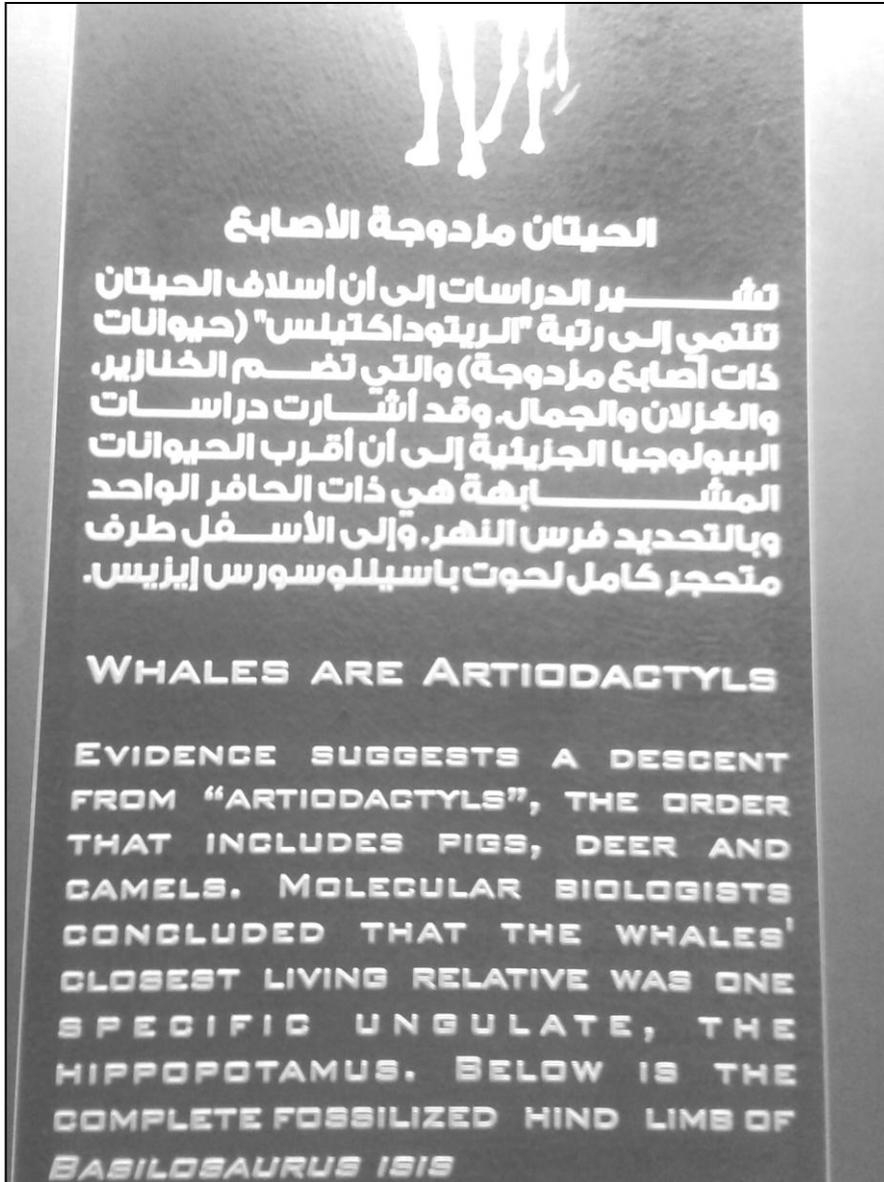


يمتد **عصر الأوليغوسين** منذ نحو ٣٤ إلى ٢٣ مليون سنة قبل الحاضر، حيث شهد بداية التبريد العالمي والذي من شأنه تحول مناخ الأرض في نهاية المطاف إلى مناخ مناسب لتكوين الجليديات والعصور الجليدية. وقد أستمّر البحر التيثي في تراجعته وكانت شواطئه بالقرب من منطقة الجبل الأحمر في القاهرة. وعالمياً، فإن التجاوزات المتكررة في العصر الأوليغوسيني للدورة البحرية تبعها إنشاء بيئات المياه قليلة الملوحة (المياه الأسون)، ثم بعد ذلك المياه العذبة.

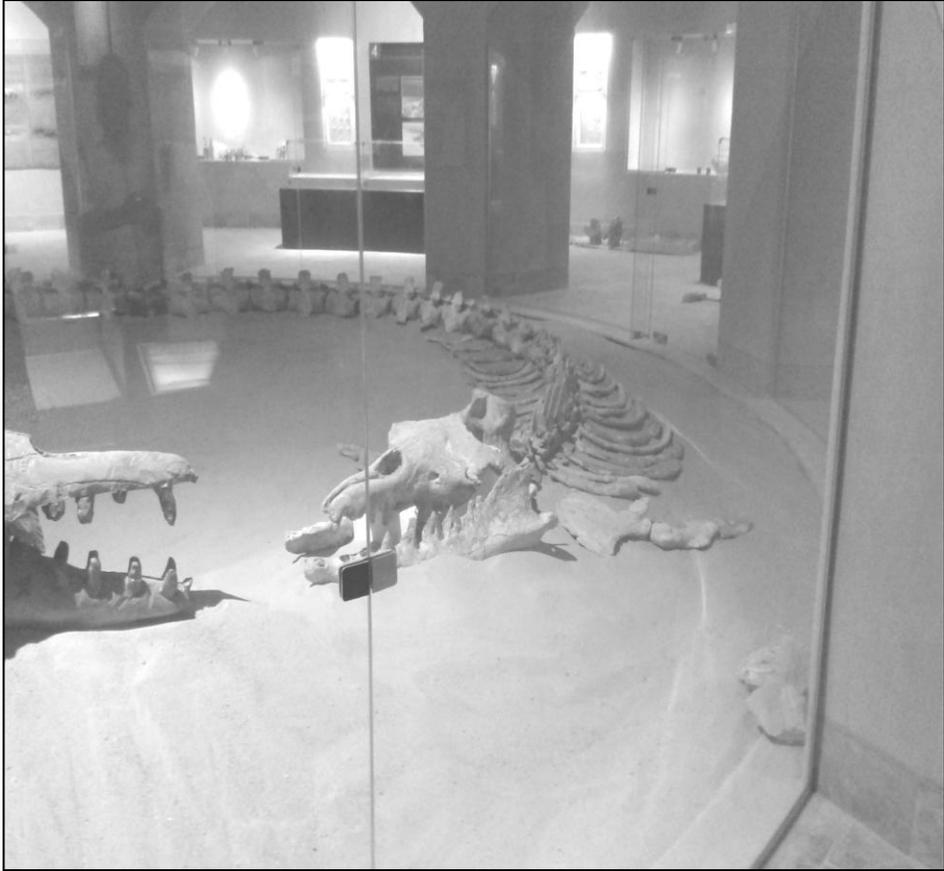
ويبدو أن مناخ العصر الأوليغوسيني كان معتدلاً وتمتعت مناطق عديدة بمناخ شبه إستوائي، حيث توسعت الأراضي العُشبية وتضاءلت مناطق الغابات خلال تلك الفترة. هذا وقد ازدهرت النباتات الإستوائية على حدود البحر التيثي.

THE OLIGOCENE EPOCH

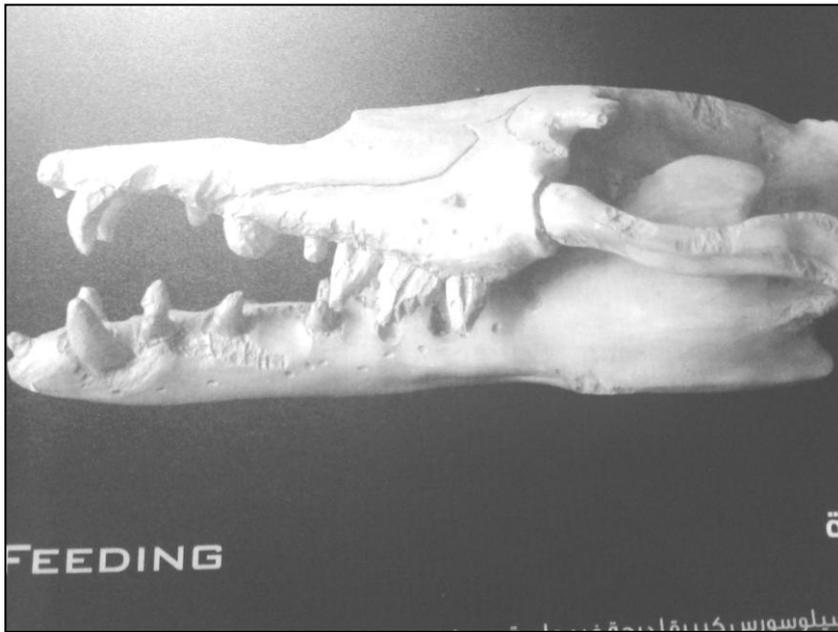
EXTENDS FROM ABOUT 34 MILLION TO 23 MILLION YEARS BEFORE PRESENT. IT SAW THE START OF THE GLOBAL COOLING THAT WOULD EVENTUALLY SHIFT THE EARTH'S CLIMATE TO ONE WHERE GLACIERS WERE PRESENT AND ICE AGES WERE POSSIBLE. IN WHAT IS NOW EGYPT, THE TETHYS SEA CONTINUED TO CONTRACT AND BY THIS PERIOD THE SHORELINE WAS NEAR THE PRESENT DAY EL-GEBEL

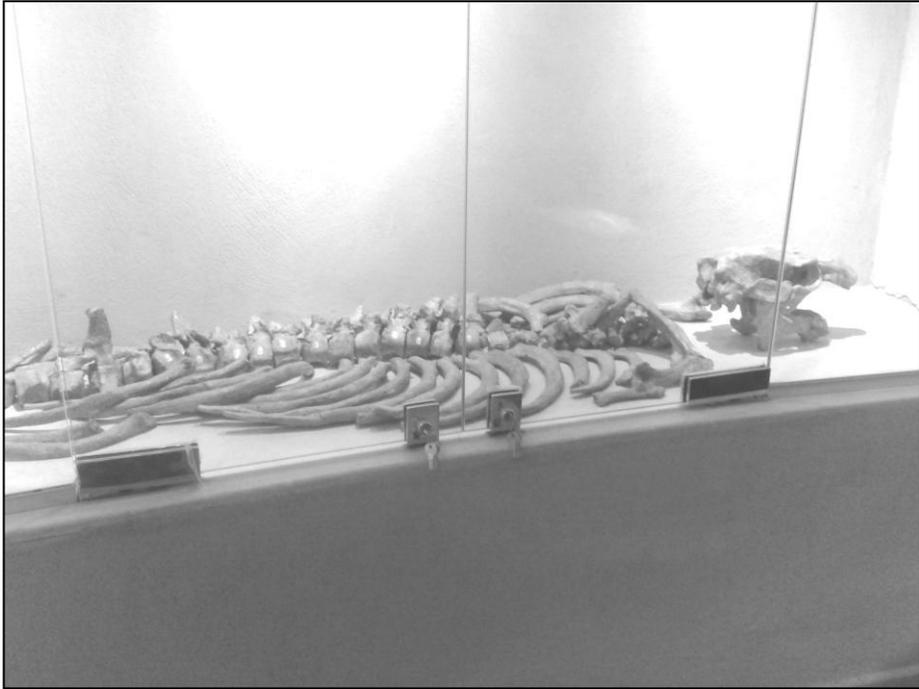






الواحات المصرية .. كنوز تاريخية





TURN WILL AFFECT FISHERIES AND TOURISM. EGYPT'S BIODIVERSITY WILL ALSO SUFFER FROM THE ADVANCE OF DESERT CONDITIONS (DESERTIFICATION) WHICH WILL EXERT EVEN MORE PRESSURE ON ITS FRAGILE ECOSYSTEMS.

1000 Years of Changes

تقنياً نماذج الكمبيوتر بأنه خلال القرن الواحد والعشرون ستترفع درجة حرارة الجو ما بين 1.8 إلى 4 درجات مئوية ويتوقف ذلك على كيفية اختيار البشر الطرق التي يعيشون بها على كوكب الأرض.

VARIOUS COMPUTER MODELS PREDICT THAT EARTH'S AVERAGE TEMPERATURE WILL RISE BETWEEN 1.8° AND 4.0° CELSIUS THIS CENTURY, DEPENDING LARGELY ON HOW HUMANS CHANGE THE WAYS THEY LIVE ON THE PLANET.

1000 Years of Changes in Carbon Emissions, CO₂ Concentrations and Temperature

Temperature Change

CO₂ Concentration

Carbon Emissions

1800 1850 1900 1950 2000 2050 2100

°C

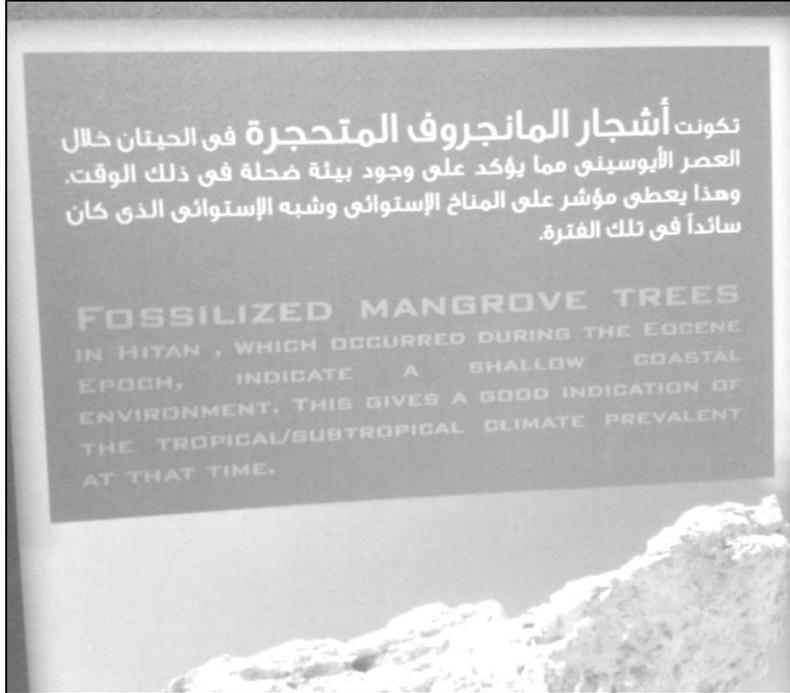
ppm

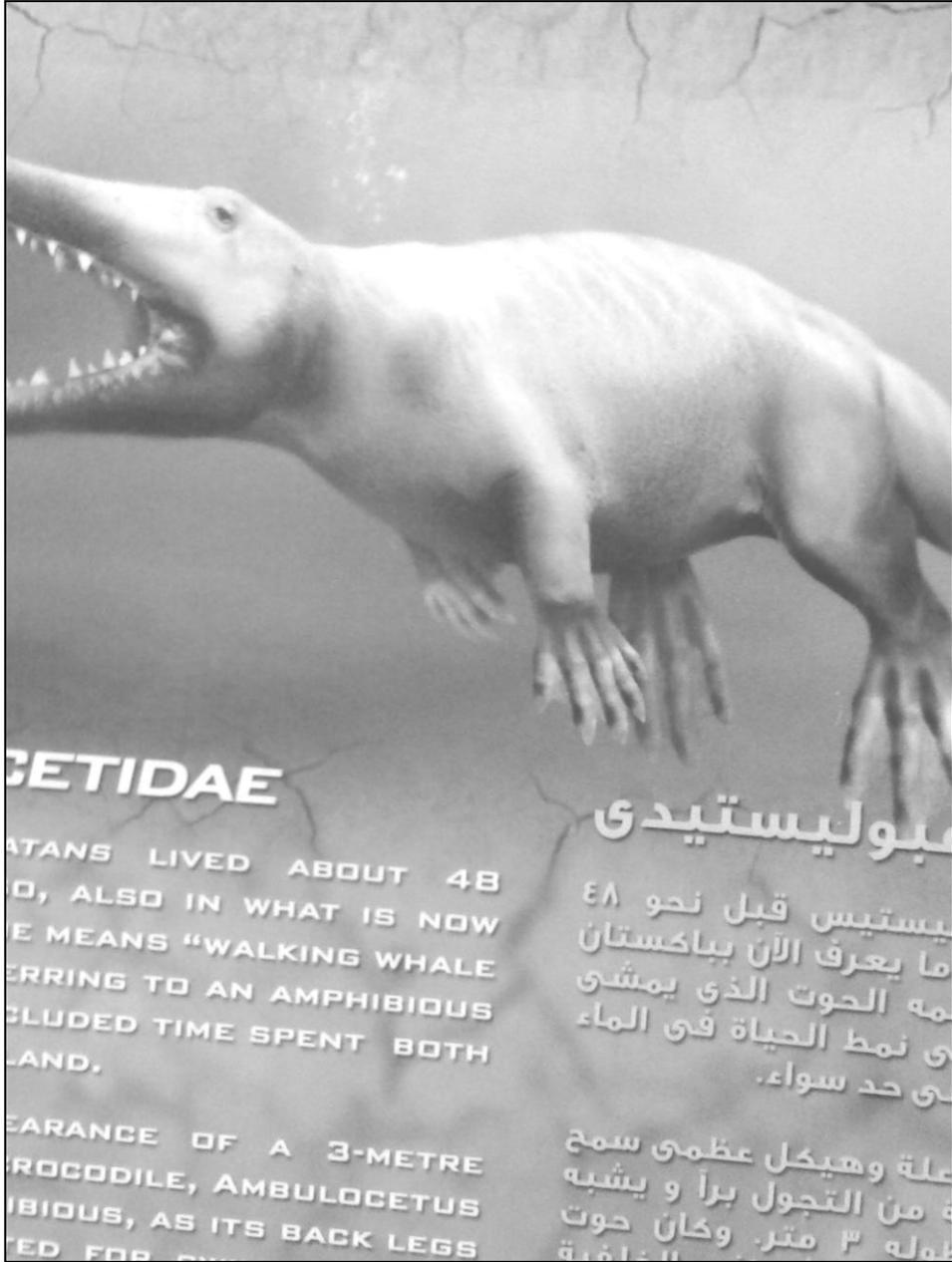
1000 1200 1400 1600 1800 2000 2200 2400 2600 2800 3000 3200 3400 3600 3800 4000 4200 4400 4600 4800 5000

1000 2000 3000 4000 5000 6000 7000 8000 9000 10000 11000 12000 13000 14000 15000 16000 17000 18000 19000 20000 21000 22000 23000 24000 25000 26000 27000 28000 29000 30000 31000 32000 33000 34000 35000 36000 37000 38000 39000 40000 41000 42000 43000 44000 45000 46000 47000 48000 49000 50000 51000 52000 53000 54000 55000 56000 57000 58000 59000 60000 61000 62000 63000 64000 65000 66000 67000 68000 69000 70000 71000 72000 73000 74000 75000 76000 77000 78000 79000 80000 81000 82000 83000 84000 85000 86000 87000 88000 89000 90000 91000 92000 93000 94000 95000 96000 97000 98000 99000 100000

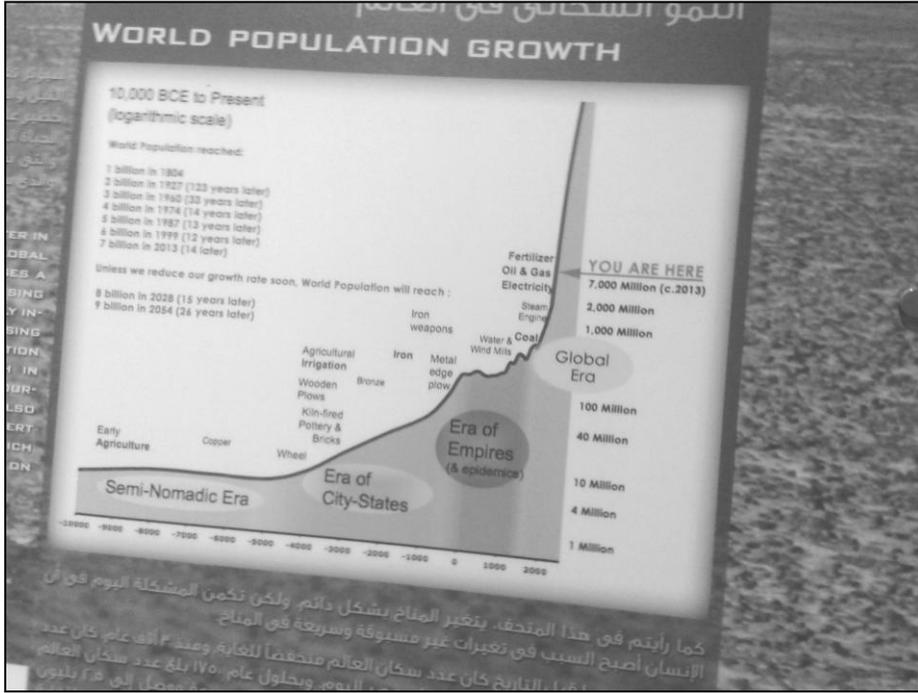


الواحات المصرية .. كنوز تاريخية





الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

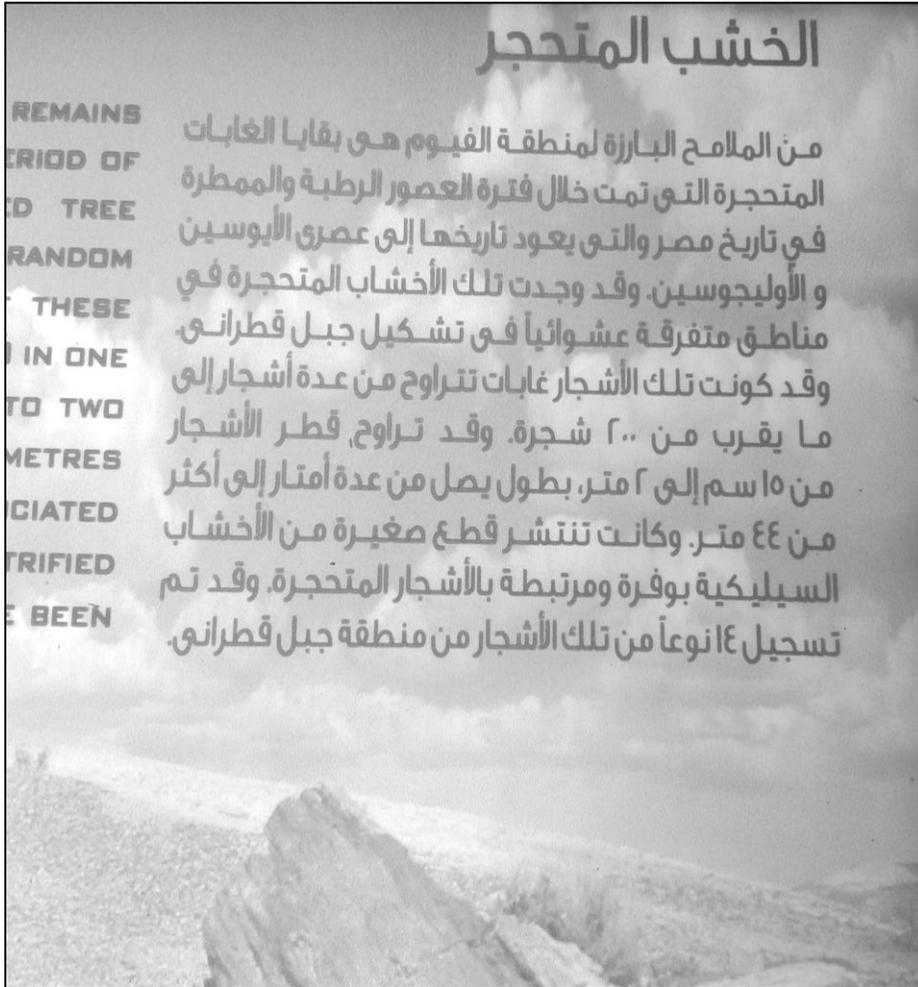


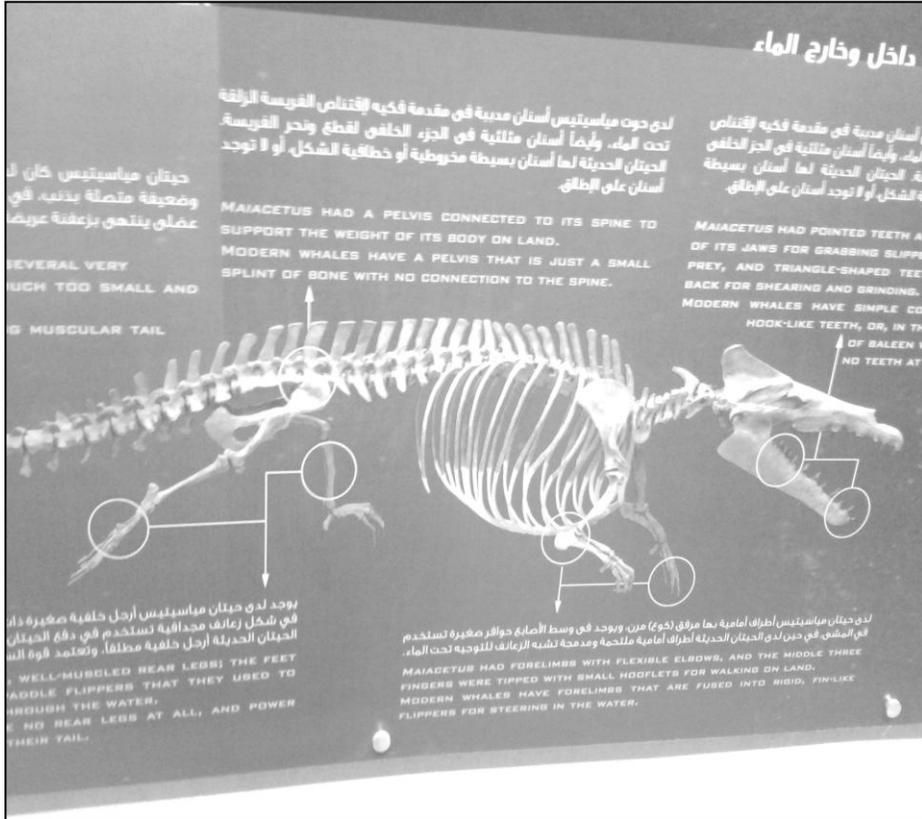
كما رأيتم في هذا المتحف، يتغير المناخ بشكل دائم، ولكن تكمن المشكلة اليوم في أن الإنسان أصبح السبب في تغيرات غير مسبوق وسريعة في المناخ.

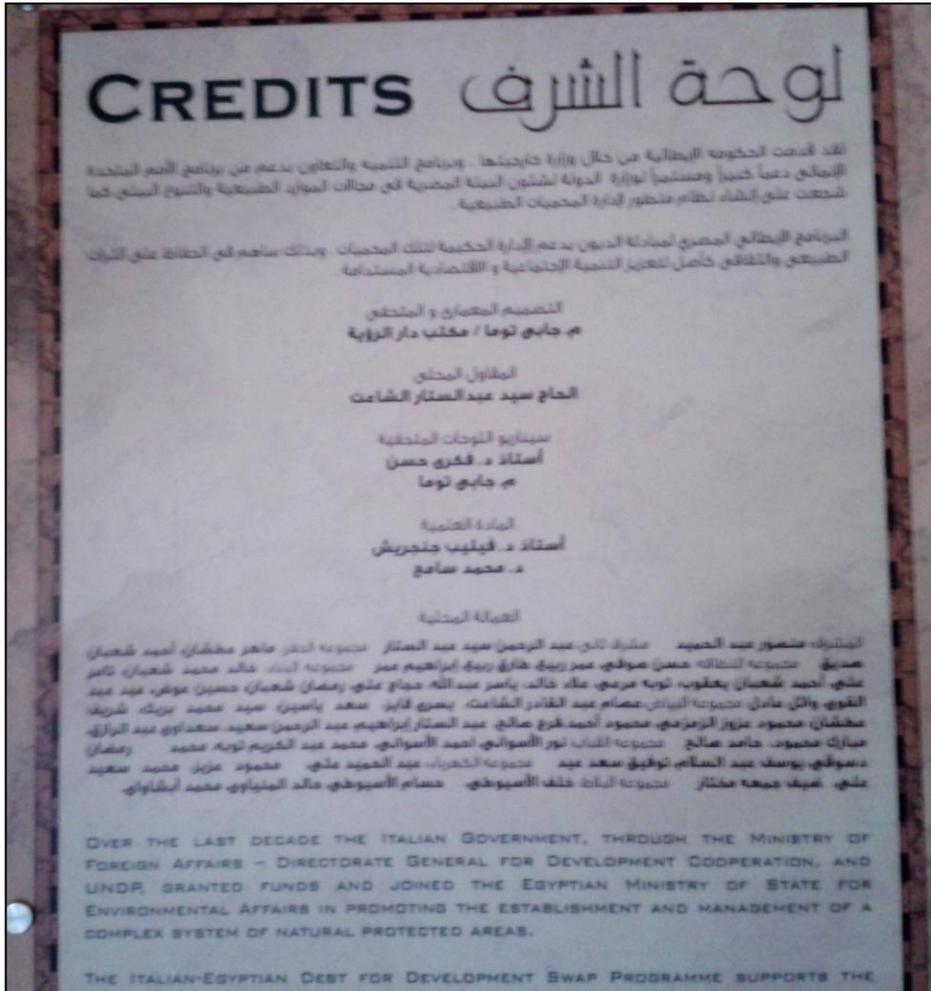
فخلال عصور ما قبل التاريخ كان عدد سكان العالم منخفضاً للغاية، ومنذ ٣ آلاف عام، كان عدد سكان العالم تقريباً نصف عدد سكان اليوم. وبحلول عام ١٧٥٠، بلغ عدد سكان العالم نحو ٨٠٠ مليون نسمة، ومنذ ذلك الحين ارتفع عدد سكان العالم بسرعة ووصل إلى ٢.٥ بليون نسمة عام ١٩٥٠، ثم ٦.١ بليون نسمة عام ٢٠٠٠، فالجمع بين عدد السكان الكبير للغاية واستخدامه المتزايد من الوقود الأحفوري على مدى المئة عام الماضية أصبح لأول مرة أحد الأسباب الهامة في تغير المناخ.

AS YOU HAVE SEEN IN THIS MUSEUM, THE EARTH'S CLIMATE HAS ALWAYS BEEN CHANGING, YET TODAY, WE FACE A SERIOUS PROBLEM, AS HUMANS HAVE NOW BECOME THE CAUSE OF RAPID, UNPRECEDENTED CLIMATE CHANGE.

THE GLOBAL HUMAN POPULATION WAS VERY LOW DURING PREHISTORIC TIMES. BY 3,000 YEARS AGO, THE WORLD'S POPULATION WAS ALMOST HALF THE SIZE OF THE POPULATION OF EGYPT TODAY. BY 1750 AD, THE WORLD POPULATION HAD REACHED ABOUT 800 MILLION. SINCE THEN, THE POPULATION HAS INCREASED RAPIDLY, REACHING 2.5 BILLION IN 1950.







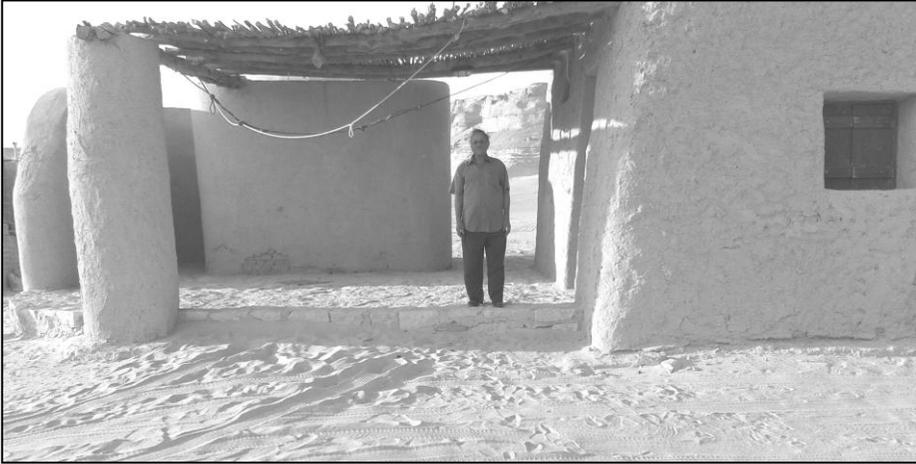
أصل الحياة ORIGINS OF LIFE

الإكتشافات والتجارب والنظريات قائمة على ما نعرفه والتي تبين أن كل أشكال الحياة التي خلقها الله عز وجل يعتقد أنها تتابعت بسلسلة من التفاعلات بين المركبات الكيميائية في مراحل تؤدي في النهاية إلى إنتاج الخلايا والعمليات الكيميائية اللازمة للنمو (الأبيض) ونقل المعلومات الوراثية من جيل إلى آخر. أنتجت هذه التحولات الكيميائية أقدم أشكال الحياة البسيطة، والتي إستمدت طاقتها من تفاعلات كيميائية تحت تأثير أشعة الشمس، وحولت ثاني أكسيد الكربون والماء إلى أكسجين. ظهور النباتات الخضراء والتمثيل الضوئي في نهاية المطاف أدى إلى خلق الغلاف الجوي كما نعرفه اليوم.

DISCOVERIES, EXPERIMENTS AND THEORIES
BASED ON WHAT WE KNOW REVEAL THAT ALL LIFE
FORMS BEGAN FROM A SERIES OF REACTIONS
AMONG...

كان وادي الحيتان خلال الحقبة الأخيرة من العصر الأوسيني ذات مناخ أكثر رطوبة، فهُطول الأمطار الغزيرة شكلت أنهاراً نقلت الكثير من الصخور والرواسب، هذا هو الأرجح وأحد الأسباب التي أدت إلى تشكيل تضاريس فريدة من نوعها هنا ويؤكد وجود هذه الأنهار تواجد أحفوريات المياه العذبة مثل السلاحف والتماسيح والأرسنيوثيرو (ARSENIOITHERUI) في منطقة الحيتان، تفاعلت الأنهار الموسمية مع مياه البحر مما جعل المنطقة غنية بالغذاء. وكانت منطقة ضحلة بها تيارات مائية ضعيفة جذبت الكثير من الكائنات البحرية المتنوعة شاملة الحيتان المفترسة وخاصة الدرودون والتي كانت فريسة لحيتان الباسيلوسورس الكبيرة.

WADI EL HITAN HAD A MORE HUMID
CLIMATE DURING THE LATE EOCENE PERIOD THAN IT
DOES TODAY. HEAVY RAINS FORMED RIVERS, WHICH



جوائز الامتياز



اللاوات

سألتهم
مدرسة القديس

يسرني كمال البركة سببا وزير التربية والتعليم

بدعوة السيد محمد محمد مرشدى بركات
لحضور حفل عيد العام الخامس الذي يقام في قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة
يوم الخميس ١٩ نوفمبر ١٩٥٩ وذلك في تمام الساعة الخامسة مساء .

الرجاء التفصيل بالرد عند الاستدلال
تليفون ٢٧٥٨٠ - ٢٠٧٥٢

W	١٣٧٦
---	------

الدفعة شرفية
الرجاء الحضور قبل الموعد نصف ساعة.



تفوق في ساعة البره
والفلاحة الفواحة

الجمهورية العربية المتحدة
محافظة القاهرة

يتشرف صلاح دكتورى محافظ القاهرة

بدعوة السيد محمد محمد حسن بركات

لحضور حفل عيد العلم لمحافظة القاهرة الذي سيقام في كلية المعلمين

بمنشأة الكبرى الساعة الخامسة من مساء الأحد الموافق ٢٢ يناير ١٩٦١ - ١٥

السيد الجبري

تسترون كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم

بدعوة السيد محمد محمد مرشدى بكات

لحضور حفل عيد العلم السادس الذي يقام في قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة يوم الخميس ١٥ ديسمبر ١٩٦٠ وذلك في تمام الساعة الخامسة مساء

الرجاء التفضل بالرد عند الإمكان
تليفون: ٢١٥٩١ - ٢٠٧٥٢

١٠٢١ ق

الدعوة شخصية
الرجاء الاضطلاع الموعد بتميل ساعة

تاريخ الطابع ١١

رقم التقييد		إشارة بمرافقة TELEGRAM شتم اليكنس	هيئة المواصلات السلكية واللامسلكية	
ورد	من		To	
الوقت	الأخذ			
ملاحظات				
كلمات	تاريخ			

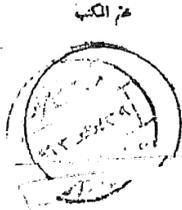
of origin

٢٥ صلاى الدين مصر الجديد ١٦ ٧/١ ٢٨
 السيد محمد محمد وشهيدى مرشدى بركات ٩ العربى عباسيه مصر

الرجو للمرشدى لبروه المجد الادبى والخلود الابدى .. العقاد

تلفات ١٤ (٣)

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة المراسلات - هيئة المراسلات المدفوعة والمداخلة
برقية - TELEGRAM



علم الكتيب

رقم التوزيع	المراجع	ملاحظات	وقت الورد
<p>يوضح السطر الأول البيانات الآتية بالترتيب : رقم مسلسل - علامة مكتب الإرسال - رقم البرقية - اسم مكتب المصدر - عدد كلمات - التاريخ - الوقت . THE FIRST LINE CONTAINS THE FOLLOWING PARTICULARS IN ORDER : SERIAL NUMBER - Office of Origin - No. of Message - Office of Origin - No. of Words - Date - Time</p>			
<p>١٣٠٠ م ١٤ من البرقية ٧٥ ٧٦ ١٥٥٠</p>			

الأديب الشيخ السيد محمد محمد رشدي بك

١ الربيع من البداية مصر

الرقم

١٣٠٠ م ١٤ من البرقية ٧٥ ٧٦ ١٥٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وزارة التربية والتعليم
المنطقة الوسطى

مجلس الآباء

السيد الطالب / محمد محمد مصطفى بركلا

يشرف مجلس الآباء بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا بدعوة سيادتكم
لحضور الحفل الذي يقام بالمدرسة في تمام الساعة السادسة مساء يوم الخميس
الموافق ٢٦ / ٥ / ١٩٦٠ مناسبة انتهاء العام الدراسي وتكريم المتفوقين في أوجه
النشاط المختلفة وتوزيع الجوائز عليهم

ناظر المدرسة ورئيس مجلس الآباء

محمد رشاد عبد المجيد

الدخول بالتذكرة والدعوة شخصية

الجمهورية العربية المتحدة

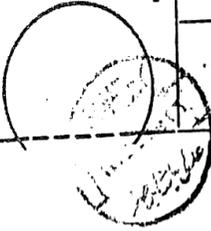
وزارة الواسلات - هيئة الواسلات السلكية واللاسلكية

برقية - TELEGRAM

تلفونات ١٤ (٢٣)

رقم السكيب

وقت الورد:	رقم التوزيع:	المراجع:	ملاحظات:
يوضع السطر الأول البيانات الآتية بالترتيب:			
رقم مسلسل - علامة مكتب الأرسال - رقم البرقية - اسم مكتب التصدير - عدد السطرات - التاريخ - الوقت			
THE FIRST LINE CONTAINS THE FOLLOWING PARTICULARS IN ORDER:			
SERIAL NUMBER - CODE OF SENDING OFFICE - SERIAL No. OF MESSAGE - OFFICE OF ORIGIN - No OF WORDS - DATE - TIME			



م ٨٣ / مهم ٨ العمل بين مسرد ١٦ ٢٦ ٤٣ ١٠٤٣
المستشار موشدى بهكا : نا دن القضا مصر

اختيا ركم لتمثيل المستشار بين دل مجلس تقدم الويس لنا منكم
عبد الصمد الشرقاوى

الواحات المصرية .. كنوز تاريخية

مراقات (١١)

مقننة مصر ١١٦٦ / ١٣ / ١٠٠

أرسل		إشارة تلافيفية		شعبة المواصلات السلطانية والاسلكية	
رقم التقييد	ورد	إلى	إشارة تلافيفية	تختم المكتب	TO
	من	الوقت	TELEGRAM		
	الوقت	المعطى			
	الآخذ	طريق			
	ملاحظات	وقت			
رقم أصلي	كلمات	تاريخ			

١٨٦ م ٢١٨٣ رفا سة الجمهورية مصر الجديدة ١٤/١٥ ٢/٢٥ ٠١٧٠٠ ٣١ ٧١٥

السيد محمد مرشدى بركات را سة ١/١/١٥ الاوبرا سنترال

٩ شارع الجياضى السرجا نوالها سة الشرقية القاهرة

نبذة عن المؤلف

تخرج المستشار محمد مرشدي بركات في كلية الحقوق - جامعة القاهرة - وعين وكيلًا لنيابة قوص، ونيابة نقاده، ثم وكيلًا لنيابة إسنا، فوكيلًا لنيابة مركز الأقصر فمديرًا لنيابتها ونيابة أرمنت.

وعين قاضيًا ثم رئيسًا لمحكمة الأقصر الوطنية، فرئيسًا لمحاكم الغردقة، وسفاجا، والقصير، والزقازيق، وبنها، وطنطا، وشبين الكوم، ومحكمة جنوب القاهرة، فرئيسًا لمحكمة مصر الجديدة عام 1980.

انتدب إبان عمله كرئيس لمحكمة جنوب القاهرة مستشارًا للأمانة العامة لمجلس الوزراء لمراجعة قضايا المفصولين من غير الطريق التأديبي.

ومفتشًا قضائيًا بوزارة العدل.. بيد أنه اعتذر عن هذا المنصب مفضلًا عليه قضاء المنصة.

ومستشارًا بمحكمة الاستئناف العالي بيني سويف، ثم المنيا، فسوهاج، فالسويس، والإسماعيلية، وبورسعيد.

فنائبًا لرئيس محكمة استئناف القاهرة، فرئيسًا للمحكمة بها.

ورحل إلى قطر للعمل في القضاء هناك، ثم عاد منها حيث أسند إليه رئاسة مركز التحكيم الدولي الأفريقي.

حاز على جائزة الدولة في التفوق الاجتماعي وهو ينتظم في الصف الثالث الثانوي بمدرسة الفيوم الثانوية، وكانت هذه الجائزة تتيح له الالتحاق بالجامعة

دون التقيد بدرجات المجموع، وكذلك الإعفاء من المصاريف المدرسية مع زميليه المرحوم الدكتور محمود أدهم والأستاذ محمود عارف نائباً رئيس تحرير جريدة الأخبار.

حصل على العديد من الجوائز الأدبية: أولاها الجائزة الأولى في أول عيد للعلم عام 1959-1960 عن بحث في تحليل شخصية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وطبع بحثه على نفقة الدولة مع الفائزين الأربعة الأخر، وكرمه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة وسلمه شهادة امتياز ميدالية تقدير وشيك بمبلغ من المال في هذا الاحتفال الذي كان على رأس المحففى بهم عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

في السنة التالية فاز أيضاً في عيد العلم الذي كان يحضره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في نفس المكان السالف ذكره وسلمه الجوائز الخاصة به عن بحثه في مشكلة تنظيم الأسرة وكان على رأس المحففى بهم في هذا العيد الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد الذي فاز بجائزة الدولة التقديرية في الأدب.

فاز بالجائزة الأولى في بحثه عن (احتكار العلم) وكذلك الجائزة الأولى عن بحثه (23 يوليو ثورة عربية). وسلمه جوائز الأستاذ الدكتور حسين سعيد وزير التعليم العالي.

وكذلك سلمه المرحوم صلاح دسوقي محافظ القاهرة جوائز في بحثه الذي فاز فيه بالجائزة الأولى عن: (البتروال العربي) سلاح ضد الاستعمار الصهيونية.

فاز بالجائزة الأولى من جامعة القاهرة عن بحثه في (مشكلة السكان في مصر) وسلمه الجائزة الأستاذ الدكتور حسين فوزي وكيل جامعة القاهرة وأمر بطبع البحث على نفقة الجامعة.

كما نال الجائزة الأولى في القراءة من وزارة التعليم العالي وسلمه جائزته عن هذا البحث الدكتور وزير التعليم العالي.

إثر الإعلان عن الراغب في الالتحاق في قسم الدراسات العليا ، كلية الإعلام، وكان مسموحًا لحملة الليسانس والبكالوريوس، ناهيك عن الحاصلين على درجة الماجستير والدكتوراة في الالتحاق بهذه الكلية شريطة اجتياز الاختبارات التحريرية والشفاهية المقررة، قدم أوراقه إليها واجتاز الاختبارات المقررة وجاء ترتيبه متقدمًا على جميع المتقدمين، ورشحه المرحوم الدكتور جمال العطيبي وزير الإعلام الأسبق والكاتب بالأهرام لإتمام دراسته بباريس.. بيد أنه بعد أن التحق بالدراسة عامًا كاملاً، عين بالنيابة العامة فترك الدراسة بكلية الإعلام أسفًا.

والأستاذ الكبير حافظ محمود نقيب الصحفيين الذي أرسل إليه خطابًا يشيد فيه بما كتبه عن الدكتور محمد بهي الدين بركات باشا الوصي السابق على عرش مصر ورئيس مجلس النواب المصري من قبل بخصوص كتابه صفحات من التاريخ.

كتب في جميع صحف مصر والمجلات المختلفة، وكانت أولى مقالاته في المنبر الحر بجريدة الأهرام ومن قبلها بجريدة الأخبار.

نشر له المرحوم الأستاذ الكبير أحمد الصاوي محمد مقالات مختلفة له في بابه ما قل ودل .

وله مقالات عديدة في صحف الأخبار والأهرام والجمهورية والشعب والقاهرة قبل احتجاجها والحرس الوطني والتحرير (قبل احتجاجها) وروزاليوسف والمصور وآخر ساعة وجريدة المساء.

شارك في العديد من البرامج التلفزيونية منها قناة دريم – والتلفزيون المصري – وقناة الغد – وقناتي في – وقناة سي بي سي CBC – وقناة Nil family، وكذلك في الإذاعة المصرية في البرنامج العام .

صادق العديد من كتاب مصر على رأسهم عملاق الفكر الأستاذ عباس محمود العقاد الذي أرسل له برقية في إحدى المناسبات قال له فيها:

نرجو للمرشدي ذروة المجد والخلود الأبدي كما أرسل برقية أخرى قال له فيها : أهنتكم نرجو لكم مئات التهنئات بأسعد الأعياد، ونشر له العديد من المراسلات في يومياته بجريدة الأخبار المصرية.

والأساتذة توفيق الحكيم ومحمد ذكي عبد القادر وأحمد بهاء الدين وأحمد الصاوي محمد ويوسف جوهر والشاعر صالح جودت وغيرهم.

متزوج وله ابنان خالد محمد مرشدي بركات وقد حصل على ليسانس الحقوق جامعة عين شمس – قسم اللغة الإنجليزية – بدرجة جيد جداً – ثم تحصل على الماجستير من ذات الجامعة ، ثم دبلوم في Arbitration، وكذلك دبلوم من الجامعة

الأمريكية، ودبلوم العلوم الإدارية، ويعمل قاضياً بمجلس الدولة.
وسارة محمد مرشدي بركات وقد حصلت على ليسانس الحقوق جامعة عين
شمس - قسم اللغة الإنجليزية - بتقدير جيد جداً، ثم حصلت على الماجستير من
ذات الجامعة، وكذلك على دبلومة من الجامعة الأمريكية، وتعمل وكيلاً للنيابة
الإدارية.

مؤلفات المستشار:

- 1- بحث عن الرئيس جمال عبد الناصر طبع في كتاب مع آخرين عام 1959
على نفقة وزارة التربية والتعليم في طبعتين (نفذتا) .
- 2- خواطر قاضيٍ دار المعارف - القاهرة .
- 3- هموم مصرية دار المعارف - القاهرة .
- 4- أنور السادات - سيرة ومسيرة دار المعارف - القاهرة .
- 5- عبقرية العقاد جزيرة الورد - القاهرة .
- 6- الواحات المصرية . جزيرة الورد - القاهرة .

الفهرس

3	الإهداء
5	المقدمة
7	فاتحة الكتاب
13	تعدد صحراوات العالم
16	من أشهر خمس واحات في العالم
19	الشهب والنيازك في الواحات
24	الصحراء والفن
30	موسيقى الرمال
37	المرأة في الواحات
45	سرقاات الأثار في الواحات
54	المعبود آمون
71	واحات الصحراء الغربية
98	الأنهار والمحيطات
109	الرحلة إلى الواحات
123	الواحات البحرية
135	واحة سيوة
160	واحة الفرافرة
164	مدينة الخارجة
174	واحة جغبوب
200	بحر الرمال الأعظم

209	قصاصو الأثر في الصحراء
216	البدو .. والواحات .. والصحراوات
231	الوادي الجديد
235	الصحراء السوداء
237	واحة الفيوم
255	الحيثان
270	وادي الحيطان
277	الخرافات والجن في الواحات
283	الجن في الواحات
291	ما يزعمون أنه من عمل الجن
297	الغيلان في المعتقد الشعبي
315	واحة زرزورة .. هذا المجهول .. المخيف
335	قمبيز
355	الأنبا بولا والغراب
359	الغراب والإسكندر الأكبر
367	الغراب والواحات
383	البيئة في الواحات
391	ألبوم صور
424	نبذة عن المؤلف
430	الفهرس

